

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة - أبو بكر بلقايد - تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط

بيوتات العلماء بتلمسان

من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد بن معمر

من إعداد الطالب:

نصر الدين بن داود

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. خير الدين سيب
مشرفا	جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد بن معمر
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر - أ	د. لخضر عبدلي
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر - أ	د. بو دواية مبخوت
عضوا	جامعة معسكر	أستاذ محاضر - أ	د. عبيد بوداود
عضوا	جامعة وهران	أستاذ محاضر - أ	د. عمر سليمان بوعصبانة

السنة الجامعية : 1430-1431هـ/2009-2010م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

يوسف: 111

قال الله تعالى:

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

المجادلة: 11

و يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

﴿العلماء مصابيح الأرض و خلفاء الأنبياء و ورثتي و ورثة الأنبياء﴾

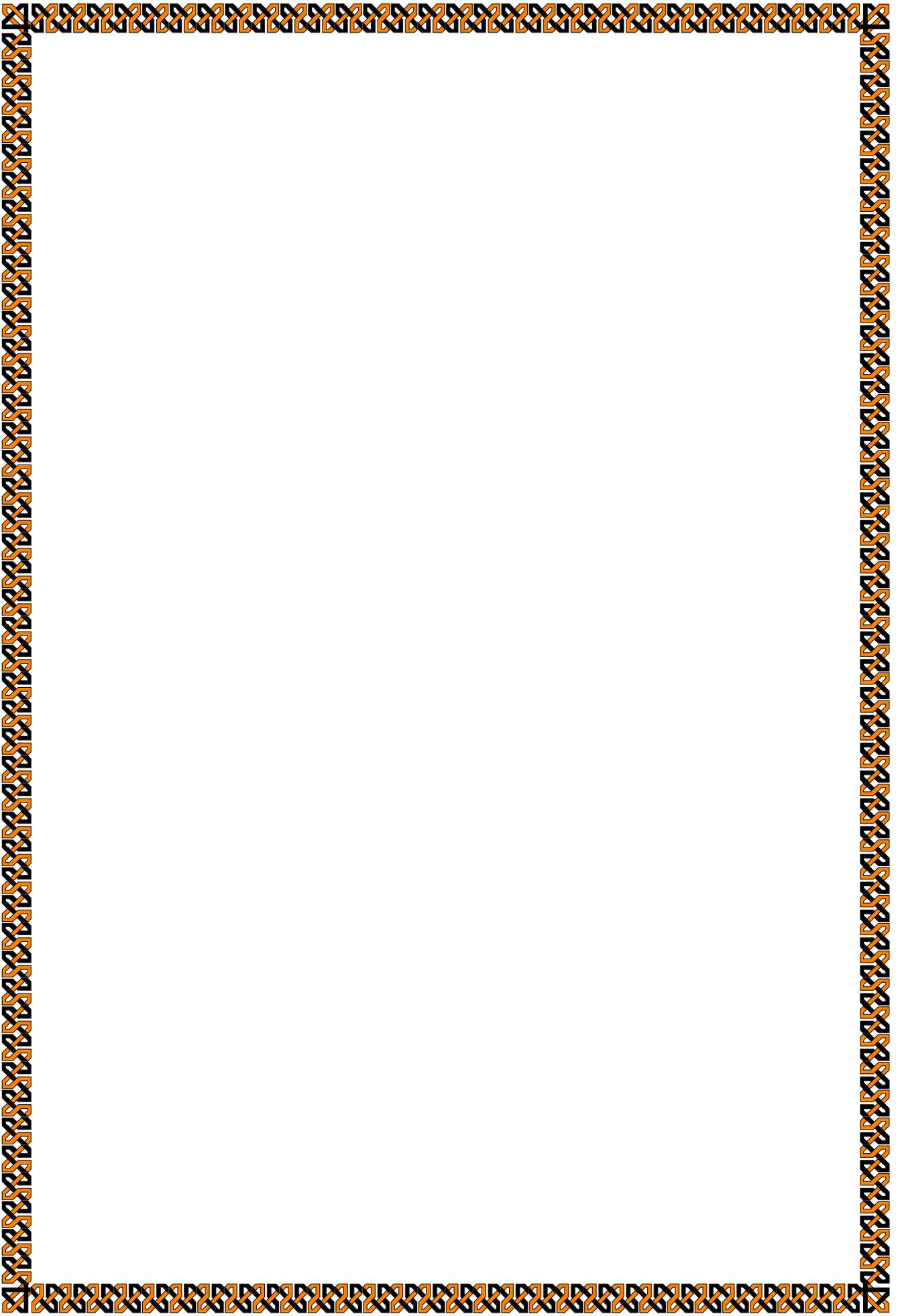
حديث صحيح

يقول ابن مرزوق الحفيد في أهل تلمسان:

ومن بها أهل ذكاء و فطن *** فهي رابع من الأقاليم قطن
يكفيك أن الداودي بها دفن *** مع ضجيعه ابن تزلون الفطن

و يقول عن تلمسان:

بلد الجدار ما أمر نواها *** خلفه الفؤاد بعبها و هواها
ياحدلي كن مخاري في حبها *** يكفيك منها ماؤها و هواها



إهداء

إلى والدي برا و إحسانا
إلى روح أبي الطاهرة عليه رحمة الله
إلى أُمي العزيزة بآرك الله في عمرها
راجيا أن يجدا في هذا العمل ثمرة طيبة لغرسهما
و هدية منى إلى زوجتي و أبنائي
معاذ - فتح الله - سندس
إلى إخوتي وأصهاري و إلى كل الأقارب و الأحباء و الأصدقاء

نصر الدين بن داود

شكر و تقدير

أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير و امتناني الخالص إلى:

أستاذي القدير الدكتور محمد بن معمر

الذي كان له الفضل في رعاية هذا العمل بتوجيهاته و إرشاداته منذ اقتراحه كفكرة

إلى أن استوي عوده إلى أن أثمر في حلتته هته

كما أتقدم بشكري الخالص إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرة

الذين شرفوني بمناقشتهم لهذه الأطروحة

ومن جهة أخرى لا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير

لكل من قدم يد المساعدة من قريب أو بعيد أساتذة قسم التاريخ جامعة تلمسان

الدكتور لخضر عبدلي الدكتور بودواية مبخوت الدكتور معمر العايب و الأستاذ

محمد نجاري

و مرة أخرى شكرا للجميع

نصر الدين بن داود

مقدمة

حظيت تلمسان في عهد بني زيان بعز وسلطان، إذ أصبحت حاضرة المغرب الأوسط، وارتقت إلى مصاف حواضر التطور والازدهار، مستفيدة في ذلك من رصيدها الحضاري الإدريسي، والمرابطي، والموحدي. فكان لها الدور السياسي والعسكري في تحديد معالم المغرب الأوسط ونمائه الاقتصادي وازدهاره الثقافي والعلمي. ومن المميزات الحضارية لتلمسان الزيانية بيوتات العلماء، أو أسر العلماء. وهي البيوتات التي أنجبت ثلّة من العلماء الذين كان لهم الإسهام الحضاري كبيت المقرّي، وبيت العقباني، وبيت المرزقة، وبيت الشريف، وبيت أولاد الإمام، وبيت ابن زغو، وبيت بن هدية وبيت ابن عبد النور. ومن هنا جاءت فكرة الدراسة و البحث في هذه الميزة الحضارية.

أسباب اختيار الموضوع:

لم يعد تاريخ المغرب الإسلامي بحاجة إلى الدراسات ذات الطابع العام في المجال السياسي أو الحضاري بقدر ما هو في حاجة إلى فتح مجالات جديدة تسهم في إمطة اللثام عن بعض الجوانب التي يكتنفها الغموض، و من ذلك خاصية بيوتات العلماء و دورهم في الإسهام الحضاري سواء في الوظائف العامة والحركة العلمية أو بالمشاركة بأدوار سياسية واجتماعية واقتصادية بتلمسان على عهد بني زيان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، خاصة وأن موضوع الماجستير كان يتعلق بأسرة المرزقة والدور الثقافي لعلمائها، ومن هنا جاءت فكرة توسيع البحث نحو الأسر الأخرى و دورهم في الحياة العامة مما يجعل للموضوع أهمية فما أهمية الموضوع؟

أهمية الموضوع :

إن الدراسات والأبحاث التي انصبّت على حركية المسار التاريخي لتلمسان على عهد بني زيان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م قد عالجت التاريخ السياسي العام والتاريخ الحضاري العام، سواء في الحياة الاجتماعية أو الحياة الاقتصادية أو الحياة الثقافية والعلمية والفكرية ومن هنا كان التطرق إلى علماء تلمسان كأفراد.

والمنتبع لتاريخ العلماء يجد الكثير منهم ينتمون إلى بيت واحد فتجلت أهمية البيت بصفة عامة من خلال علمائه وإسهاماتهم الحضارية والتعمق في دراسة أدوارهم، خاصة وأن بعض العلماء لم تتصفهم الدراسات ولم تف بحقهم من البحث والدراسة، فكانت جاذبية التنقيب عنهم قصد إعادة الاعتبار العلمي لمنزلتهم التي لا تقل شأنًا عن علماء المشرق بل تزاممهم وتنافسهم في الريادة والسبق العلمي.

ولنا كان المستدمر بالأمس قد عمد إلى طمس المعالم الحضارية ومنها الثقافية والعلمية للجزائر وفق إستراتيجيته الاستيطانية وجاءت محاولات رواد المدرسة التاريخية الجزائرية للرد على هذه الهجمة الشرسة، فإننا لا نجد مبررا للباحثين وأخص منهم الجزائريين في إغفال هؤلاء العلماء أو السكوت عنهم أو التقصير في حقهم ولكن نلوم أنفسنا في التقصير في هذا الواجب التاريخي العلمي، نون أن نجد المجهودات التي بذلت في هذا الباب ولا تزال، من هنا يمكن إضافة هذا البحث حتى يتسنى لنا تتبع مراحل تاريخ تطور بيوتات العلماء والتعريف بعلمائها وإبراز أدوارهم وإسهاماتهم في تاريخ المغرب الأوسط خاصة، وبلاد المغرب والعالم الإسلامي عامة والإنسانية جمعاء ؛ علما تكون مفتاحا لقرعة وفهم حضارة تلمسان.

الإطار الزمني و المكاني للبحث:

هو الفترة الزيانية من القرن 633هـ/1235م إلى القرن 962هـ/1554م والنطاق الجغرافي هو تلمسان باعتبارها حاضرة بني عبد الواد وقد يتسع شرقا وغربا حسب حركية التواصل والترابط بين المشرق والمغرب.

إشكالية الموضوع:

من مميزات مجتمع تلمسان على عهد بني زيان بروز علماء ينتسبون إلى بيوتات معينة، كانت لهم مشاركة فعالة في الإسهام الحضاري ومن هنا يمكن طرح الإشكالية العامة: هل بيوتات العلماء كانت من النتاج الحضاري لتلمسان ؟ أم أن بيوتات العلماء هي التي كانت وراء الإنتاج الحضاري لتلمسان خلال الفترة الممتدة من القرن 7هـ/10م إلى القرن 10هـ/16م؟ والتساؤلات المتفرعة عن هذه الإشكالية :

ما هي هذه البيوتات التي أنجبت العديد من العلماء ؟
ما تاريخ ونسب هذه البيوتات و كيف استقرت بتلمسان ؟
من هم العلماء الذين برزوا في هذه البيوتات؟
ما هي الأدوار الوظيفية لعلماء البيوتات ؟
و ما إسهاماتهم في الحركة العلمية ؟
ثم ما هي مشاركتهم السياسية و الاجتماعية والاقتصادية؟
هذه التساؤلات ستشكل محاور هذه الدراسة .

منهج البحث:

من مقتضيات البحث التاريخي العلمي الدقة في البحث والابتعاد عن التعميم وسرد الأحداث بالتمجيد والتعظيم. ومنطلق البحث في هذا الموضوع هو مقارنة تاريخية وفق أدوات المؤرخ في القرعة والتحليل والتحري حتى يمكن التعرف على المستوى السطحي ثم الغوص في المستوى الباطني للأحداث وصولا إلى إدراك بنيوية الوقائع التاريخية بكل أبعادها. وبهذا نكون قد تجاوزنا المشهد الحداثي إلى محاولة الكشف عن البنيات الداخلية.

وقد روعيت النظرة الشمولية المتكاملة عند تناول الظواهر والأحداث التاريخية ما أمكن من خلال رصد جزئيات الحدث التاريخي، ومكوناته، حسب ما توفر من المادة التاريخية الموثوقة والمتفرقة في مختلف أنواع المصادر التاريخية. وعندما تغيب المادة التاريخية يكون الميل نحو الاستقراء والاستنباط مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي والمنهج المقارن، ثم تركيب هذه الجزئيات لنقف على معنى تاريخي متماسك وتفسير مقنع في استنتاجات عامة.

مصادر ومراجع البحث:

إن موضوعا كهذا لا يتوفر على مصادر ومراجع خاصة ولكن مادته العلمية موزعة في مصادر ومراجع يمكن ترتيبها على النحو التالي:

1- كتب التراجم والمناقب :

▪ **المناقب المرزوقية لابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م)** وقد قامت الأستاذة سلوى الزهري بدراسته وتحقيقه، وموضوعه نسب أسرته وسيرة أجداده وأعمامه وسيرته الذاتية إلى غاية سنة 763هـ/1362م. وكانت الاستفادة منه ليس في تاريخ بيت بني مرزوق فحسب، بل يتضمن تراجم لشيوخ جديده ووالده وأعمامه، فهو يزودنا بمادة علمية تاريخية منها ما هي جديدة كشؤون الحياة اليومية، من المأكل والمشرب، والملبس. ومنها ما هو مؤكد في المصادر المكتوبة المشهورة كبغية الرواد ليحيى بن خلدون و تاريخ بني زيان للتتسي إضافة إلى أخبار سلاطين وعلماء وأولياء عاصرهم، فهو يقدم مادة علمية جديدة عن التاريخ الاجتماعي من العادات اليومية، والثقافة الصوفية وكذا التواصل الحضاري بين حواضر المغرب الإسلامي وخاصة بين تلمسان و فاس من خلال تراجم العلماء، وبهذا فان كتاب المناقب المرزوقية يضاف إلى المصادر القيمة للمغرب الإسلامي خلال القرن 8هـ/14م.

▪ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** لابن فرحون إبراهيم بن علي (ت 799هـ/1397م) وقد كان له سبق في كتب التراجم إذ ترجم لـ 625 عالم من القرن 3هـ/9م إلى القرن 8هـ/14م فكانت الاستفادة منه جيدة.

▪ **توشيح الديباج وحنلية الابتهاج** لمحمد بن يحيى القرني (ت 1008هـ/1599م) وقد جاء هذا الكتاب كذيل للديباج المذهب فهو مشارك لابن فرحون في الجوانب الثقافية و الفكرية في ثنايا التراجم مع إضافة ما أمكنه إلى غاية عصر المؤلف.

▪ **درة الحجال في غرة أسماء الرجال** لأحمد بن القاضي المكناسي (ت 1025هـ/1616م) وقد ترجم لرجال من الأعيان من القرن 7هـ/13م إلى أوائل القرن 11هـ/17م وميزته أن لم يقتصر على العلماء والأدباء بل كل من له شهرة وهو أحد ذبول كتاب ابن خلكان وفيات الأعيان.

▪ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** لأحمد بابا التتبكتي (ت 1036هـ/1627م) ولقد كان الاعتماد كثيرا على هذا المصدر خاصة وأنه موسوعة ترجم لـ 802 شخصية من مشاهير العلماء والفقهاء والأعيان، فهو جامع وشامل لرجال المذهب المالكي في بلاد المغرب

الإسلامي، وقد جاء ذيلاً على كتاب الديباج المذهب لابن فرحون المالكي ومتمماً ما نقص في الديباج ومضيفاً لعلماء المذهب المالكي من القرن 9/هـ/15م إلى بداية القرن 11/هـ/17م وقد اعتمد على نحو 40 مصدراً من المصادر التاريخية المتنوعة وقد كان ثقة فيما يرويه عن معاصريه، كما حاول الابتعاد عن تعظيم وتمجيد الرجال الذين ترجم لهم دون التأكد من صحة المصدر وخاصة في فترة القرنين 9/هـ/15م و 10/هـ/16م ومن هنا اعتبر سجلاً وعمدة لعلماء المغرب الإسلامي.

■ **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** لأحمد بابا التنبكتي. (ت. 1036/هـ/1627م) وهو اختصار لنيل الابتهاج اقتصر فيه على مشاهير الأئمة، وأولى التصانيف دون غيرهم وجاء عددهم بـ : 697 ترجمة.

■ **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** لمحمد بن مريم (ت. بعد 1025/هـ/1616م) ترجم لـ 182 عالم وولي بتلمسان كان الاعتماد عليه خاصة وأنه أخذ عن التنبكتي ويحيى بن خلدون والسنوسي، وقد راد عن التنبكتي علماء وأولياء آخرين بتلمسان وانفرد بترجمتهم وبالتالي استدرك نقصاً كان مقضياً لولاه. وقد كان التحفظ على بعض الأخبار التي أوردها بنوع من المبالغة والتعظيم وذلك لكونه ميالاً إلى التصوف والزهد من جهة، ومن جهة أخرى لا يخلو من بعض الاستطرادات ذات الطابع الخرافي، وهو أحياناً لا يميز بين أفكاره وما ينقله عن الآخرين، ولكن هذا لا ينقص من القيمة العلمية لهذا المصدر كمصدر أساسي لعلماء تلمسان خاصة أنه قد أفرد لبعض علماء البيوتات حيزاً معتبراً كابن مرزوق الحفيد (ت. 842/هـ/1439م) 13 صفحة.

ومن الكتب التي أفادتني أيضاً :

■ **كتاب الوفيات** لابن قنفذ القسنطيني (ت. 809/هـ/1406 م) إذ أورد في كتابه تراجم مقتضبة، لكنه كان ضابطاً لتاريخ الوفيات فكانت بحق سجلاً للوفيات بداية من سنة 11هـ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سنة (807/هـ/1404م) وقد نقل عنه التنبكتي وابن

مريم .ولابن قنفذ كتاب آخر بعنوان **أنس الفقير وعز الحقيير** تعرض فيه لشيوخ التصوف خاصة في خدمة بعض العلماء لضريح الشيخ أبي مدين شعيب رحمه الله .

كما أنه هناك كتباً أخرى منها : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** لمحمد السخاوي (ت902هـ/1499م) و**شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لابن عماد الحنبلي (ت1089هـ/1680م) دون أن ننسى الاستفادة من المصادر المتأخرة ومنها ك:

■ **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** لمحمد مخلوف الذي انتهى من تأليفه سنة 1350هـ/1930م بدأ من الطبقة الأولى لرسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، ثم التابعين ثم تابعي التابعيين رضوان الله عليهم أجمعين. ثم الطبقات الأخرى عبر الفترات التاريخية إلى غاية شيوخه ومن عاصرهم وقد ترجم ل 1849 عالم وقد كان جامعاً ومختصراً لمن ترجم لهم . لكن ما يمكن ملاحظته عليه هو تصنيف علماء تلمسان مع فاس، وهذا له من الدلالة السياسية ما يبخص دور تلمسان والدولة الزيانية التي قاومت وتصدت للخطر المريني من الغرب والخطر الحفصي من الشرق مع كثرة علماء تلمسان إن لم نقل أحياناً تفوقوا على علماء فاس و تونس.

■ **تعريف الخلف برجال السلف** لأبي القاسم محمد الحفناوي (ت1365هـ/1942م) وهي سيرة ذاتية لمشاهير أقطاب العلم بالجزائر من القرن 4هـ/10م إلى بداية القرن 14هـ/20م وقد ترجم لـ402 عالم ورغم أن جل اعتماده كان على المصادر الأولى السابقة الذكر، وخاصة التبتكتي وابن مريم إلا أنها امتازت بتركيب المادة العلمية وتنظيمها مما سهل البحث، دون أن أنسى الاستفادة من **معجم أعلام الجزائر** لعادل نويهض وقد جاء بتراجم مختصرة من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر حيث جمع 741 ترجمة وقد رتبها حسب حروف الهجاء مع ذكر مصادرها ومراجعتها في الهامش. ومن هنا كانت أهميته كدليل على المصادر .ولا أسهو عن كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون لحاجي خليفة و هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون للبغدادي والأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين لرضا كحالة.

2- البرامج و الفهارس:

وهي مصادر مباشرة ذات صلة ملتصقة بالحركة العلمية والنشاط الثقافي في عصر مؤلفها وهي تطلعتنا على نشاط التعليم للأساتذة و المشايخ و طلبتهم و طرق التدريس و الكتب المتداولة منها:

• برنامج المجاري لأبي عبد الله محمد الأندلسي المجاري (ت862هـ/1458م) وقد تعرض فيه لشيوخته حسب الحواضر ومنهم شيوخته بتلمسان حيث ترجم لخمسة أعلام من علماء تلمسان خلال القرن 9هـ /15م

•
فه

• رست الرصاع لأبي عبد الله محمد الأنصاري (ت894هـ/1489م) وقيمتة العلمية لا تكمن في الحركة العلمية بتونس فحسب وإنما تطرق كذلك لهذه الحركة بالحواضر الأخرى من بلاد المغرب ومنها تلمسان حيث تعرض لشيوخته بها نحو سبعة أعلام من كبار العلماء إضافة إلى حركة الحواضر الأخرى.

•
فه

• رس ابن غازي لابن غازي أبي عبد الله محمد (ت919هـ/1513م) تحت عنوان التعلل برسم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد، تعرض فيه لشيوخته كابن مرزوق الكفيف (ت901هـ/1496م) وعلماء آخرين تعرض لهم بإشارات خفيفة.

•
دود

• ة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد الشفشاوني (ت986هـ/1578م) قدم فيه صورة واضحة لأعلام المغرب وشيوخ التصوف في القرن 10هـ/16م وعلى وجه الخصوص شمال المغرب الأقصى.

3- كتب الرحالة والجغرافيين

■ **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا** لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ 1406م) وكانت الاستفادة منه خاصة في إقامته بتلمسان وأخذه عن علمائها الكبار وتعرضه للحركة العلمية بفاس وبالأندلس و بجاية وتونس و مصر.

■ **رحلة القلصادي** لأبي الحسن علي القلصادي (ت891هـ/1486م) ويسمى بتمهيد الطالب ومنتهى الـرغب إلى أعلى المنازل والمناقب وكانت هذه الرحلة من الأندلس إلى بلاد المغرب، تلمسان، وتونس، ومصر، فالبقاع المقدسة ثم العودة إلى بلاد المغرب وأهميتها ليست في التعريف بصاحبها فحسب، بل كذلك في التعريف بالشيوخ والعلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم ومنهم علماء تلمسان حيث كانت إستفادته منهم كبيرة.

■ **وصف إفريقيا** للحسن الوران المعروف بليون الإفريقي (ت بعد 957هـ/1550م) وهو القسم الثالث من كتاب الجغرافيا العامة ألفه سنة 933هـ/1526م وهذا الوصف يشمل الجزء الشمالي من القارة الإفريقية حاليا أي بلاد المغرب و مصر وبلاد السودان، ورغم بعض الأخطاء في بعض السنوات وأخطاء جغرافية في تقريب المسافة الحقيقية كانت الاستفادة في التعريفات الجغرافية بمدن المغرب والنشاط العلمي والثقافي بها والحياة اليومية للسكان ونشاطهم الاقتصادي والعمراني .

زد على هذه المصادر الجغرافية كانت الاستعانة **بنزهة المشتاق** للإدريسي (ت560هـ/1166م) و**رحلة ابن جبير** (ت614هـ/1217م) و**رحلة ابن بطوطة** (ت776هـ/1373م).

رحلة المقرئ إلى المغرب والمشرق لأبي العباس أحمد المقرئ (ت1041 هـ/1631م) تحقيق الأستاذ الدكتور محمد بن معمر و هو من المؤلفات الأخيرة للمقرئ يعكس فيها حالة الحركة العلمية التي آلت إليها بلاد المغرب والمشرق.

4- كتب النوازل :

وهي التي جمعت فتاوى العلماء التي عالجت الوقائع الجديدة التي عرفها المجتمع في تطوره وهي من المصادر المهمة التي كشفت لنا عن جوانب ثقافية واجتماعية واقتصادية كانت مغيبة و شحت علينا بها المصادر الأخرى ومنها:

▪ الدرر المكنونة في نوازل مازونة ليحيى المازوني (ت1478/883) والمحقة من قبل الأستاذ حساني مختار.

▪ المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأحمد الونشريسي ت (914هـ/1508)

وهي تنقل لنا فتاوى علماء المغرب عامة وتلمسان خاصة، منها المناظرات العلمية التي تعكس المنافسات الاجتهادية في قضايا طرحت عليهم مثل مناظرة سعيد العقباني والقباب حول مسائل الإيلاء وصندوق التعاون لدفع الضرائب بين الحاكة والتجار، وموضوع الاجتهاد والتقليد بين عبد الرحمن بن الإمام وعمران المشدالي.

▪ النوازل التواتية وهي تضم فتاوى لعلماء توات وتلمسان وهو موجد بخزانة بكراوي بتمنطيط بأدرار ومنها فتاوى لمحمد العقباني وهي تدل على انتشارها في أقصى جنوب المغرب الأوسط.

5- كتب التاريخ العام :

▪ الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (ت776هـ/1374م) ثم نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد المقرئ (ت1041هـ/1631م) فهما كتابا التاريخ والأدب، فزيادة على الأخبار التاريخية والجغرافية لبلاد المغرب والأندلس فائدتها في تراجم شيوخ وأعلام تلمسان وخاصة في المجلد الخامس من النفع و قد اعتمد هو بدوره على الإحاطة.

المصادر الثلاثة لتاريخ بني زيان وهي :

▪ **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر** لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م) ضبط التطورات السياسية ونسب القبائل البربرية وحركتها ببلاد المغرب. وأهمية هذا المصدر تكمن في اجتهاداته المنهجية في التأريخ وترجيحه للأحداث التاريخية التي حاول فيها الاقتراب من الموضوعية مع اطلاعه الواسع على شؤون المغرب، حتى إنه يمكن اعتباره خبيراً تاريخياً واجتماعياً، ومن هنا كان المصدر الأساسي لترجيح أي اختلاف في ضبط الوقائع التاريخية.

▪ **بغية الرواد وفي ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون** (ت780هـ - 1378م) الجزء الأول تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات تعرض لتاريخ بني زيان من أصلهم إلى قيام دولتهم و تطوراتها إلى غاية 760هـ/1359م وقد استطردهم في ذكر علماء و صلحاء تلمسان منذ القرن الخامس الهجري، و هناك من انفرد بذكرهم دون غيره .

أما الجزء الثاني الذي نشره ألفرد بل Alfred BEL والمطبوع بمطبعة فونطانة بالجزائر 1910 فهو يتابع التطورات السياسية، إلى غاية 777هـ/1376م فهو المؤرخ الرسمي للدولة الزيانية حيث أورد تمجيد الدولة و إبراز منجزاتها ولا كيف نفسر سكوته عن التعرض لتلمسان في عهد النفوذ المريني و المنجزات المحققة .

▪ **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان** لمحمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ 1494م) والكتاب هذا هو الباب السابع من القسم الأول من نظم الدر و العقيان، وقد تتبع التطورات السياسية للسلّاطين الزيانيين و الأخبار الأدبية والعلمية، وقد اتبع طريقة الحوليات في التأريخ . و أهمية الكتاب في كونه غطى فترة تزيد عن سبعين سنة بعد انتهاء يحيى بن خلدون من البغية سنة 777هـ 1375م ورغم المبالغة في المدح والتعظيم و الإعراض عن كل سلبية تسيء للدولة الزيانية يبقى مصدراً أساسياً لكونه مؤرخاً رسمياً للدولة الزيانية.

6- الدراسات والأبحاث الحديثة :

منها كتابات الأستاذ حاجيات، التاريخ السياسي لدولة بني زيان من كتاب الجزائر في التاريخ في العهد الإسلامي، و كتاب أبي حمو موسى الزياني الثاني حياته وآثاره والحياة الفكرية بتلمسان على عهد بني زيان.

كتاب تاريخ الجزائر العام عبد الرحمان الجيلالي الجزء الثاني وخاصة فيما يتعلق بمشاهير علماء الجزائر ولكنه أحيانا يكتب دون توثيق المادة العلمية التاريخية . تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلالي و قد تتبع التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتلمسان الزيانية ثم تعرض للحركة العلمية والفكرية الدؤوبة التي شهدتها تلمسان في هذا العهد.

كما استأنست منهجيا ومعرفيا من أطروحة الأستاذ لخضر عبدلي لنيل دكتوراه دولة : الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان. وأطروحة الأستاذ بوداية مبخوت لنيل دكتوراه دولة: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال عهد بني زيان بالإضافة إلى أبحاث ودراسات أساتذة الجيل الجديد من المدرسة التاريخية الجزائرية حول تلمسان الزيانية .

خطة البحث:

وللإجابة على تساؤلات هذا البحث رسمت له خطة تضمنت مدخلا وبابان و لكل باب ثلاثة فصول :

مدخل:

يتعرض لتاريخ مدينة تلمسان و بعدها الاستراتيجي، ثم ظاهرة بيوتات العلماء قبل القرن

7هـ /13م.

الباب الأول:

حول الظروف العامة وتاريخ البيوتات من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م وقد صنفها إلى بيوتات كبرى و أخرى صغرى ومعيار الكبرى هو إنجابها لأكثر من ثلاثة علماء اشتهروا وبرزوا في أدوار مختلفة وخلفوا مصنفات كثيرة وقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ويتناول الظروف العامة في نشأة وتطور الدولة الزيانية إلى سقوطها (633هـ/1253م-962هـ/1554م)

الفصل الثاني: تتبعت فيه تاريخ البيوتات الكبرى، من بيت المقرئ وبيت العقباني وبيت بني مرزوق من حيث التعريف بهم و نسبهم ثم استقرارهم بتلمسان وسيرة علمائها.

الفصل الثالث: يتناول البيوتات الصغرى من حيث التعريف بها و نسبها ثم استقرارها بتلمسان و أبرز علمائها وهي بيت الشريف، وبيت أولاد الإمام، وبيت ابن زغو و بيت ابن هدية و بيت ابن عبد النور.

الباب الثاني:

ويتناول دور علماء البيوتات في الحياة العامة من الدور الوظيفي في التعليم والإمامة والقضاء إلى دورهم في الحركة العلمية ثم مشاركتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وهو مقسم بدوره إلى ثلاثة فصول تناولت :

الفصل الاول: دور العلماء في الوظائف العامة : التعليم والإمامة والخطابة والفتوى والقضاء.

الفصل الثاني: دورهم في الحركة العلمية تأليفا ومشاركة في المناظرات العلمية.

الفصل الثالث : دورهم في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

صعوبات البحث:

إن طبيعة البحث في موضوع كهذا حول تاريخ علماء تلمسان وأوارهم ذو علاقة وطيدة بكتب السير والتراجم والمناقب جعلني أواجه بعض الصعوبات:

كثرة

أسماء الأعلام والأماكن و ضرورة التعريف بها .

تداخل

ل أسماء الشخصيات المحمّدة (أحمد ومحمد) والمكنات بأبوة الأسماء المعبّدة أبو عبد الله، أبو عبد الرحمن أو كنيات أخرى، ابن عباس، ابن الفضل مما يصعب التمييز بينها إلا بعد جهد جهيد

اخت

لاف طرق ترتيب أسماء الأعلام فهي قد تشتهر بأسماء معروفة مكنات بها (ابن الخطيب، المقري، الشريف) في حين ترتيبها حسب أسمائها فالسنوسي مرتب بمحمد وابن زكري مرتب بأحمد والثعالبي مرتب بعبد الرحمن وهناك من هو مرتب بأسماء أخرى مشهور بها كالتلمساني أو الفاسي أو المكناسي .

تفاوت

ت المادة العلمية من وفرتها إلى ندرتها إلى انعدامها حول محاور البحث مما يدفعنا إلى الإخلال بالتوازن العام بين فصول ومباحث الدراسة .

البح

ث في التاريخ الثقافي والعلمي يتطلب من صاحبه أن يكون له إلمام بجميع أصناف العلوم والفنون المساعدة النقلية منها والمستحدثة (الفقه، أصول الفقه، علم الأنساب، علم التصوف...) حتى يكون الضبط تاما لكثير من المصطلحات.

صع

وبة الوصول إلى كثير من آثار العلماء خصوصا التي لا زلت مخطوطة سواء في مكتبات بالخارج أو في مكتبات خاصة لا تفتح أبوابها للباحثين.

لكن عزيمة البحث لا تنتهيها هذه الصعوبات والفضل فيها يعود إلى توجيهات وتشجيعات الأستاذ المشرف محمد بن معمر والزملاء الأساتذة من قسم التاريخ بجامعة تلمسان.

والله المستعان و الموفق والهادي
إلى سواء السبيل

تلمسان يوم 20 ربيع
الثاني 1431هـ/05 ماي 2010

نصر الدين بن داود

مدخل
تلمسان وبيوتات العلماء قبل القرن 7
هـ/13م

المبحث الأول: تاريخ مدينة تلمسان وأهميتها 1- تاريخ مدينة تلمسان:

تقع مدينة تلمسان في الشمال الغربي للمغرب الأوسط (الجزائر) وفلكيا عند تقاطع نقطتي خط طول 1.3° غربا وخط عرض 34.7° شمالا كما أنها تبعد عن البحر بنحو 60 كلم وترتفع عنه 806م¹.

إن السمك التاريخي لمدينة تلمسان يضرب بجذوره في عمق التاريخ، فهي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث أثبتت الدراسات الأثرية أن منطقة تلمسان قد عمرها الإنسان المعتدل الذي يسمى بإنسان الأطلس في فترة تعود إلى ستمائة ألف سنة، وهي بالضبط بموقعي أوزيدان وبحيرة قرار² وقد شهدت حضارة حجرية تمثلت في فؤوس يدوية بدائية وفؤوس صغيرة³.

و من خلال استقراء النصوص التاريخية والأبحاث الأثرية المتعلقة بمدينة تلمسان نجد أربعة أسماء: أجاديير، بوماريا، تاجرارت وتلمسان.

¹ - خريطة الجزائر الشمال الغربي، المعهد الوطني للخرائط الجزائر 1983.

² - أوزيدان تبعد عن تلمسان شمالا بـ 10 كلم وقرار بـ 21 كلم شمالا.

³ - سحنوني محمد: ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية 1990، ص: 101.

أ- أجادير أو أقادير أو أكادير أو أغادير:

وهي المدينة التي اختطها بنو يفرن الذين كانوا يقطنون بهذه الناحية¹.

وقال يحيى بن خلدون عن تلمسان "وتعرف بأجدير"² وذكر ابن خلدون عبد الرحمن أنها بنيت قبل الإسلام³ ومعنى كلمة أقادير حسب اللهجة المحلية: "الحصن أو الصخرة المنيعه وهي مشتقة من أغادير، أي جدار المدينة الحصن⁴ ومن هنا تسمى المدينة بمدينة الجدار فهي مدينة محصنة ذات جدار قديم، وحسب الحموي: "أقادير المدينة قديمة لتلمسان وهي مسورة⁵.

ب- بوماريا:

ذكر هذا الاسم في جدول الأساقفة بكنيسة قرطاج ومنهم أسقفية باماريا نسيس "PAMARIENSIS" وفي هذا يقول القس برجيس أن الأصل في اسم "بوماريا نسيس" هو نسبة لبوماريا⁶ ويعتقد جورج مارسى أن هذا الاسم "بوماريا" هو الاسم القديم للمدينة التي بعثت الحياة فيها⁷ وهذا في فترة الاحتلال الروماني الذي عرف بسياسته الاستيطانية بإنشاء

¹ ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر بيروت-لبنان 1421 هـ/2000 م، ج:7، ص: 24.

² ابن خلدون يحيى: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تقديم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1400 هـ، 1980 م، ج: 01، ص: 91.

³ ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت - لبنان 1399 هـ/1979 م، ج: 7، ص: 156.

⁴ بن منصور عبد الوهاب: "تلمسان" تحليل لغوي وتاريخي للأسماء التي دعيت بها حاضرة المغرب الأوسط، مطبعة ابن خلدون تلمسان 1365 هـ، ص: 9.

⁵ الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر بيروت - لبنان، ط: 02، د.ت م: 02، ص: 44.

⁶ -ABBE BARGES J.J.L: TLEMEN Capital du royaume de ce nom (souvenirs d'un voyage), Paris 1859 p.p.111,112.

⁷ - Marçais Georges: les villes d'art célèbres Tlemcen Paris librairie Renouard H leurans Editeun 1950 P: 03.

قواعد عسكرية ثم مدن ذات تطور عمراني ومنها " بوماريا " في القرن الثاني قبل الميلاد¹ وتعني كلمة " بوماريا " حديقة التفاح². وبمعنى أمم أرض البساتين³ فهي المنطقة التي تتبع فيها المياه وتتبت بها الأعشاب والأشجار فهي أرض الحقائق وبساتين الفواكه.

وإذا كانت النصوص التاريخية لم تقدم لنا دلائل قطعية على أسبقية تأسيس مدينة أقادير أو بوماريا ومواقع وجودها فإن الدراسات تعتمد على قراءتها للنصوص، فالأبحاث الغربية التي كانت تشرف عليها الإدارة الاستعمارية تجعلنا نشك في التوجه النبيل للبحث العلمي التاريخي فهي موجهة لخدمة طرح المدرسة الاستعمارية التي تقفز على رسوخ الوجود الإسلامي لتربط جذور هذه البلاد بالوجود الروماني وتتجاهل الفترات التي سبقتها لتدعي شرعية إحياء أمجاد الكنيسة الرومانية ومن هنا جاء ترجيح تأسيس "مدينة بوماريا" قبل "مدينة أقادير" أما دراسات المدرسة الجزائرية الوطنية فهي ترى أن التأسيس الأول كان لـ "أقادير" إذ لا يعقل أن تبقى هذه المنطقة بدون تعمير وهي قد شهدت استقرار قبائل بربرية⁴ بهذه المنطقة وبالتالي لا يمكن أن تبقى بدون اسم⁵ وتفسير اختفاء سكانها الأصليين عن الأحداث السياسية والعسكرية والعمرانية هو فرارهم نحو المناطق النائية وتحصنهم بالجبال بعد الاحتلال الروماني⁶ لتبرز " أقادير " بعد الفتح الإسلامي مع منتصف القرن الثاني

- Berbrugger A: Tlemcen Pomaria Revue Africane N°02 1857-58 Office de publication Universitaire P.P: 62-65

¹- شنياتي محمد البشير: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب سياسة الرومنة 146 ق.م / 40 م. المؤسسة الوطنية للكتاب ط: 02 الجزائر 1985 ص169.

²- جورج مارسي: مدن الفن الشهير تلمسان ترجمة سعيد دحماني، ص: 169 لطبعة 1950 دار النشر التل - البليدة - الجزائر 2004، ص: 07.

³- الطمار محمد: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 2007، ص: 14.

⁴- من بربر البتر نفوسة وأدغسة ولواته وضريسة ومن ضريسة مكناسة وزناتة ومن زناتة بنو عبد الواد وبنو مرين وبنو راشد وبنو يفرن ومغراوة وتوجين وملكيش - يحي بن خلدون: البغية - ج: 2، ص: 181.

⁵- الطمار محمد: المرجع نفسه، ص: 12.

⁶- فيلالتي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية - الجزائر 2002، ج: 1، ص: 92.

للهجرة (2 هـ/8م) تحت زعامة بني يفرن بقيادة أبي قرّة اليفريني ثم الزعامة المغراوية بقيادة محمد بن خزر إلى أن فتحها الأدارسة سنة 173هـ/788م وبنائهم لمسجد أقادير¹.

ج- "تاجرات" أو "تاكرات":

وكانت مع مجيء المرابطين سنة 472هـ/1079م وفتحهم للمدينة سنة 475هـ/1082م² وقد قام الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين ببناء مدينة جديدة غرب أغادير اتخذها مقرا له أطلق عليها اسم تاجرات، وتاكرات تعني المحلة أو المعسكر بلسان صنهاجة³ وهي التي تمثل اليوم وسط مدينة تلمسان ومركزها الجامع الأعظم المرابطي والساحة المحاذية له ويبدو أن الأمر بالنسبة لتاجرات محسوم سواء من حيث الزمان والمكان أو المؤسس أو من حيث التأسيس والمعنى وهذا يرجع إلى قطعية النص التاريخي عند يحيى بن خلدون.

د- تلمسان:

هو الأكثر ذكرا في المصادر ومنها حسب الترتيب الزمني الكرونولوجي في كتاب "البلدان" لليعقوبي المتوفى سنة 284 هـ/897م حيث يقول: "ثم المدينة المشهورة بالغرب التي يقال لها تلمسان وعليها سور حجارة وخلفه سور آخر حجارة وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة"⁴. وفي كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة المتوفى سنة 300هـ/912م

¹ - ابن خلدون: كتاب العبر ج: 4، ص: 15.

- بن معمر محمد: مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرات المرابطة - حولية المؤرخ يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين العدد 3-4 2005، ص: 112.

² - أرسل الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين جيشا بقيادة مزدي بن تكان سنة 472 هـ تم فتحها هو بنفسه سنة 475 هـ ابن خلدون: المصدر نفسه ج: 6، ص: 185-186.

³ - ابن خلدون يحي: بغية الرواد ج: 1، ص: 91 وص: 170.

- ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر، ج: 06، ص: 246.

⁴ - اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: البلدان وضع حواشيه محمد أمين ضناوي دار الكتاب العلمية - بيروت لبنان، ط: 01 1422 هـ، 2002، ص: 196.

يقول: "وفي بدن ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رحمة الله عليهم تلمسين ومن تاهرت إليها مسيرة خمسة وعشرين يوماً عمران كلها"¹.

وابن حوقل المتوفى عام 380هـ/990م يقول في كتابه صورة الأرض: "و منها تلمسان مرحلة لطيفة وهي مدينة أزلية ولها أنهار جارية وأرحية عليها وفواكه ولها صور من آجر حصين منيع وزرعها صقي وغلاتها عظيمة ومزارعها كثيرة"².

فهذه المصادر الأولى تصف مدينة تلمسان بشهرتها في هذه المنطقة فهي عامرة وأهلة بسكانها وهذا ما يدل على سبقها التاريخي في العمارة والنشاطات المختلفة.

لننتقل إلى القرن 5هـ/11م مع البكري المتوفى سنة 487هـ/1094م في كتابه المغرب ومما جاء فيه: " هي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز... فهي قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار"³ فهو قد فصل في وصفه لتلمسان وموقعها ونشاطها التاريخي والثقافي والسياسي وحتى المناطق المجاورة لها دون أن يشير إلى تأسيسها بل أكد على من عمروها فقال: " هي دار مملكة زناتة وموسط قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق"⁴.

وفي القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي مع الأدريسي الذي توفي سنة 560هـ/1165م حيث جاء في كتابه ما نصه: " تلمسان مدينة أزلية لها سور حصين متقن الوثاقاة

¹ - ابن خرداذبة أبو القاسم عبد الله ابن عبد الله: المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل سنة 1889 المسيحية، ص: 88.

² - ابن حوقل أبو القاسم النصيبي: كتاب صورة الأرض، دار صادر بيروت - لبنان، طبع في مدينة ليدن لمدينة أبريل 1938، ط: 02، د.ت، القسم الأول والثاني، ص: 89.

³ - البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز: كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب t
Librairie d'amérique et d'orient adrien-maisonneuve paris1965

نشره Mac Guckin de Slane ص 76

⁴ - البكري: المصدر نفسه، ص: 77.

وهي مدينتان في واحد يفصل بينهما سور¹ وهو يشير إلى مدينة أقادير وتكرارت تم يصف نشاطها الفلاحي والتجاري.

ثم مع صاحب الاستبصار الذي اعتمد كثيرا على البكري فوصفه لتلمسان جاء مشابها لوصف البكري مع إضافات خفيفة منها: "مدينة تلمسان مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية تنبئ أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة وهي في سفح الجبل أكثر شجره الجوز"² فهو يؤكد على قدمها وأزليتها إضافة إلى نشاطاتها المتنوعة.

وفي القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي مع الحميري وهو قد أعاد ذكر الأوصاف السابقة مع التأكيد على أهميتها وقدمها فيقول: "تلمسان قاعدة المغرب الأوسط.... مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة.... وكانت تلمسان دار مملكة زناتة وغيرهم من البربر وهي كثيرة الخصب والرخاء كثيرة الخيرات والنعم"³ و يركز على تعمير قبيلة زناتة وفروعها لهذه المنطقة وخيراتها من الخضر والفواكه المتنوعة والرخاء يدل على وفرتها وكثرة العرض مما يجعل أسعارها منخفضة. كما تناول موقعها وخاصيتها الجغرافية بين مختلف المسالك والدروب وتابع تطورها التاريخي منذ عهد الأدارسة إلى عهد بني زيان.

وفي القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10 هـ/16م) مع حسن الوزان المتوفى بعد عام 957 هـ/1550م في كتابه "وصف إفريقيا" بسط القول عن مملكة تلمسان وحدودها وامتدادها نحو الساحل والمدن المجاورة لها ثم تناول تلمسان المدينة الكبرى فقال: "

¹ - الإدريسي أبو عبد الله الشريف: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983، ص: 149.

² - مراكشي كاتب مجهول من ق 6 هـ/12م: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغول عبد الحميد دار النشر المغربية الدار البيضاء 1985 ص: 135.

³ - الحميري محمد بن عبد المنعم: كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس مكتبة لبنان بيروت 1975م، ص: 135.

تلمسان مدينة كبيرة وهي عاصمة المملكة لم يذكر التاريخ مؤسسها وكل ما يقال: إنها كانت مدينة صغيرة بدأت تمتد إثر تخريب أرشكول¹ فهو يؤكد أن التاريخ لم يذكر مؤسسها ويذكر نواتها الأولى في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي فترت أقادير ثم بدأت تتوسع بعد هذا التاريخ.

بعدها يتناول تطورها العمراني إلى غاية بني عبد الواد فيقول: "حتى أصبح فيها ستة عشر ألف كانون على عهد الملك أبي تاشفين"³ الذي توفي سنة 737 هـ/1337م، وإذا قدرنا أن لكل عائلة كانون ومتوسطة أفراد العائلة 7 أفراد فإن عدد السكان يصبح نحو 112 ألف نسمة، وقد قدر عبد العزيز الفيلاي عدد السكان في القرن 8 هـ 14م بنحو 125 ألف نسمة.⁴

أما عن معنى تلمسان فيروي لنا عبد الرحمن ويحي ابنا خلدون عن أستاذهما الآبلي أن الكلمة بربرية الأصل مركبة من كلمتين تلم بمعنى تجمع "وسان" بمعنى اثنين تجمع بين البر والبحر عند عبد الرحمن بن خلدون⁵ و تجمع بين التل والصحراء عند أخيه يحيى⁶، وينطقها البعض بتلمشان وهي مركبة من "تل" ومعناها لها و "شان" ومعناها شأن أي لها

¹ - أرشكول: وتكون بالنون أرشقون وهي مدينة ساحلية قديمة ولها مرسى وجزيرة تبعد عنها بنحو 1 كلم وتبعد عن تلمسان بـ(34ميلا 55كلم) وكانت قديما بها سيقا عاصمة مملكة مصبيليا وملكها صيفاقس في ق.3ق.م، و في العهد الإسلامي في أواخر ق 3 هـ/9م كانت مقر لإمارة عيسى بن محمد بن سليمان (شقيق إدريس بن عبد الله).

- الإدريسي: المصدر السابق ص: 254.

² - الوزان حسن بن محمد الفاسي ليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان ط: 02، سنة: 1983، ج: 02، ص: 17.

³ - الوزان: المصدر نفسه، ج: 02، ص: 17.

⁴ - الفيلاي عبد العزيز: المرجع السابق، ج: 01، ص: 169.

⁵ - ابن خلدون: كتاب العبر ج: 07، ص: 156.

⁶ - ابن خلدون يحي: المصدر نفسه، ج: 01، ص: 85.

شأن¹ وجاءت الكلمة بصيغة تلمسين عند ابن عبد الحكم بكسرتين وهو يتكلم عنها سنة 123 هـ² ومعناها أرض منبسطة بين الجبال³.

وإذا أردنا أن نجمع تعريفات هذه الأسماء ودلالاتها فإن الأمر محسوم لكلمة ومدينة تاجرارت التاريخية وجغرافيا ولغويا بينما الأسماء الأخرى آجاديير وبوماريا وتلمسان تبقى محل قرارات لما توفر من بعض النصوص التاريخية، والقراءة التي تستوقفنا هي التي ذهب إليه الأستاذ عبد المجيد حاجبات إذ يرى أن آجاديير ليست كلمة محلية بربرية فهي من أصل فينيقي يرمز إلى تأثير الحضارة الفينيقية في المنطقة على غرار تأثير الحضارة الرومانية في المنطقة من خلال اسم "بوماريا" وعليه فهو يرى أن اسم تلمسان هو الاسم الأمازيغي الوحيد بين الأسماء الثلاثة التي ظهرت في العصر القديم ويعتبر أن وجود القبائل البربرية في المنطقة يعود إلى آلاف السنين قبل الفينيقيين والرومان ومن هنا فهو يرجع أقدمية تلمسان عن آجاديير وبوماريا⁴ ولعل هذا ما فسر احتفاظ المدينة إلى يومنا هذا بإسم تلمسان عن بقية الأسماء وغياب اسمي بوماريا وتاجرارات وبقاء اسم آغاديير لإحدى أحياء تلمسان وبناءا على هذا الترجيح نصل إلى الترتيب الزمني لتلمسان ثم آغاديير فيوماريا وتاجرارت.

2- أهمية مدينة تلمسان

من خلال وصف الجغرافيين والرحالة لمدينة تلمسان نصل إلى إبراز الأهمية التي تمتعت بها وحصانيتها الكبرى التي جعلتها تصمد أمام مختلف عوامل التغيير فهذا اليعقوبي

¹ - ابن خلدون يحي: المصدر السابق ج: 01، ص: 85.

² - ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح إفريقية والأندلس، حققه وقدم له عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني بيروت 1964، ص: 95.

³ - الطمار محمد: المرجع السابق، ص: 13.

⁴ - حاجيات عبد الحميد: التطور التاريخي لمدينة تلمسان في العصر الوسيط، محاضرة في الملتقى المغاربي " المدينة في المغرب الإسلامي من الفتح حتى القرن 09 هـ/15م" يومي 14-15 أبريل 2009 من تنظيم مخبر الدراسات الحضارية والفكرية جامعة تلمسان وهو قد اعتمد في ذلك على:

S. Chaker, La situation linguistique dans le Maghreb antique le berbère face aux idiomes extérieurs libyca. t XXVIII-XXIX 1980 -1981 P: 143.

يذكرها ب: "المدينة العظمى المشهورة بالغرب"¹ والبكري يصفها ب: "وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجر الجوز... وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط"² فالمدينة لها عظمة وشهرة كبيرة وهي قاعدة ومركز المغرب الأوسط ومن خلال موقعها فهي تستند من الجنوب على سلسلة جبلية تزيد من قوة منعتها واستعصائها على غزاتها، وهذه السلسلة تأخذ الشكل الهلالي لتمتد نحو الشرق إلى جبال سبعة شيوخ ونحو الغرب إلى سلسلة جبال طرارة ومنها جبل فلاوسن³ ومن الناحية الشمالية فهي تشرف على سهول خصبة تمتد حتى واد تافنة⁴.

والسلسلة الجبلية الجنوبية هي مصدر مياه ينابيعها وأوديتها وتفاعل الإنسان مع هذه المياه العذبة والأراضي الخصبة جعل منها جنات الأرض من بساتين وحقول متنوعة ووفرة خيراتها من المحاصيل الزراعية المختلفة حبوب خضر وفواكه. وصدق ابن الخطيب في وصفه لها فقال: "تلمسان خزانة زرع ومسرح ضرع وفواكهها عديدة الأنواع"⁵.

هذا الانفتاح الشمالي يمتد حتى البحر على مستوى سهل منبسط حتى مدينة أرشقون على مسافة 60 كلم، مما يجعلها تتمتع ببوابة بحرية، ومن الأوصاف التي تستوقفنا ثانية، وصف الإدريسي وهو يتكلم عن تلمسان: "و مدينة تلمسان قفل بلاد المغرب، وهي على رصيف للداخل والخارج منه لا بد منها والاجتياز بها على كل حالة"⁶ فعندما يصف تلمسان بقفل بلاد المغرب أي مغلاق باب المغرب، فهي القاعدة الاستراتيجية التي منها تفتح بلاد المغرب فهي على رصف للداخل والخارج فهي مركز عبور أساسي سواء للربط بين الغرب

¹ - البيهقي: البلدان، ص: 196.

² - البكري: كتاب المغرب، ص: 76.

³ - سلسلة جبال طرارة تمتد من مصب واد تافنة إلى الحدود الغربية مع المملكة المغربية - المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984، ص: 163 وفلاوسن هو أحد أكبر جبالها يصل إرتفاعه إلى 1230 م ويبعد عن تلمسان بنحو 50 كلم.

⁴ - تافنة: نهر يميل إلى الصغر ينبع من جبال جنوب غرب تلمسان ثم يسيل نحو الشمال ليصب في البحر المتوسط عند مرسى أرشقون مارا على بعد (19 ميل / 30 كلم غرب تلمسان) ولا يوجد فيه إلا سمك صغير جدا لا قيمة له.

- الوان: المصدر السابق، ج: 02، ص: 250.

⁵ - المقري أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر بيروت- لبنان 1388 هـ/1968م، ج: 9، ص: 341.

⁶ - الإدريسي: المصدر السابق، ص: 151.

والشرق أي تل الغرب وتل الشرق وتصل بين الشمال والجنوب فهي وسط بين البحر والصحراء كل هذا يجعل من تلمسان تتمتع بأهمية إستراتيجية بكل أبعادها الطبيعية والاقتصادية والعسكرية. وهي في مفترق الطرق التجارية الهامة في الفترة الوسيطة فهي تراقب الممر التالي الرابط بين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى، كما تراقب الطريق المتجه نحو الصحراء وبلاد السودان الغربي وهي تستقبل التجار القادمين من البلدان المسيحية والنازلين بالمرافئ (وهران، أرشقون وهنين)¹.

إن في بوابة المغرب للدخول والخروج كما ذكرها الإدريسي فالاجتياز بها ضروري بين الغرب والشرق والشمال والجنوب وهذا ما أهلها للصدارة الاقتصادية والتجارية بالمنطقة بهذه الميزات الطبيعية والاقتصادية والعسكرية جعلت منها مدينة متكاملة ذات خاصية اجتماعية ونفسية قلما نجد في جهات أخرى وهي سكون القلوب لها وانسراح الصدور لها حتى قال فيها الحميري صاحب الروض: "ولم تزل تلمسان على قديم الزمان مخطوبة مرغوبا فيها"² ومن جملة ما قال فيها ابن مرزوق الحفيد من شعر:

بلد الجدار ما أمر نواها *** كلف الفؤاد بحبها وهواها

يا عاذلي كن عاذري في حبها *** يكفيك منها ماؤها وهواها³

هذه الأهمية والمكانة التي تتمتع بها تلمسان هي سر اختيار يغمراسن بن زيان العبد

الوادي لها عاصمة لدولته.

¹ - هنين مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة وهي أنيقة صينة للغاية لها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منها في جهة وتحيط بها أسوار عالية متينة لاسيما من جهة البحر وتأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان إذ لا يفصل بين هذه المدينة وهنين سوى أربعة وثلاثين ميلا (55 كلم) الوزن: المصدر السابق، ج: 02، ص: 15.

² - الحمري: المصدر السابق، ص: 135.

³ - الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيات والمسلسلات، باعتناء الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ببيروت لبنان، ط: 02، سنة: 1402هـ/1982م، ج: 01، ص: 524.

المبحث الثاني: بيوتات العلماء قبل القرن 7هـ/13م

إن المتتبع لظاهرة بيوتات العلماء بتلمسان يجدها تمتد قبل القرن السابع الهجري الثالث عشر للميلاد، ولكن كيف كان هذا الامتداد؟ وما مدى إسهام هذه البيوتات في مختلف نشاطات الحياة؟

إذا تتبعنا التطور الحضاري الذي كانت تشهده تلمسان بداية من العصر المرابطي سنة 475هـ/1082م¹ وتأسيس الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين² للمدينة الجديدة تاجرارت بمؤسساتها السياسية والدينية والتعليمية وخاصة المسجد الأعظم³، فكان هذا التأسيس نقلة نوعية لترقية مدينة تلمسان إلى مصاف مراكز الإشعاع التعليمي والفكري، فأصبحت تستقطب طلاب العلم ورجال المعرفة، فكانت بداية نبوغ العلماء والفقهاء، وقد امتد هذا العصر إلى غاية سنة 539هـ/1145م⁴ حيث تدخل تلمسان عهد الموحدين والذي تميز بداية بأحداث مأسوية من هدم الدور وقتل السكان وإجبارهم على النزوح، لكن سرعان ما كان الاستدراك بعد فهم أهمية دور تلمسان، فكانت المبادرة إلى إعادة بنائها وتعميرها وفي هذا يقول ابن خلدون: "وصرف ولاية الموحدين بتلمسان من السادة نظرهم واهتمامهم إلى تحصينها وتشبيد أسوارها، وحشد الناس إلى عمرانها، والتغني في تمصيرها واتخاذ الصروح

¹ - ابن خلدون: كتاب العبر، ج6، ص:185.

² - يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني الصنهاجي، حكم من 453هـ/1061م إلى 500هـ/1106م. ينظر: ابن الخطيب لسان الدين محمد أبو عبد الله: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام.

تحقيق سيد كسراوي حسن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1424هـ/2002م، ج2، ص:388.

³ - المسجد الأعظم: بني هذا المسجد مع تأسيس مدينة تاجرارت سنة 475هـ/1082م على عهد الأمير يوسف بن تاشفين، ثم قام الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بترميمه وتزيينه سنة 530هـ/1135م.

Bourouiba rachid: l'art religieux musulman en algérie, SNED 1973, P:71.

⁴ - ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص:239- مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري: كتاب الحلال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. حققه سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء- المغرب، ط1،

1399هـ/1979م، ص:130.

والقصور بها والاحتفال في مقاصد الملك واتساع خطة الدور¹ فعادت تلمسان إلى نشاطها العلمي والأدبي تماشياً مع حركتها العمرانية. وإذا كان التقدير الزمني للعهد المرابطي بتلمسان يقدر بـ64 عام فإن العهد الموحيدي بها امتد إلى 94 سنة، أي مجموع نحو قرن ونصف من الزمن، فاعتبرت هذه المرحلة بداية البناء الحضاري لتليها مرحلة الازدهار الحضاري على العهد الزياني الذي فاق في مجموعه ثلاثة قرون، إذ كانت تلمسان حاضرة المغرب الأوسط وفي هذا يقول ابن خلدون: "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع، والصروح بها بالآجر والقرميد تعالي وتشاد، إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها داراً لملكهم وكرسيا لسطانهم، فاخطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلفية"² وعليه فإن ظاهرة بيوتات العلماء لازمت هذه الحركة الحضارية فكانت بدايتها مع العهد المرابطي والموحيدي ومن هذه البيوتات التي ظهرت:

1- بيت ابن مرزوق:

مع فترة حصار المرابطين لتلمسان ما بين سنتي 472هـ/1079م إلى سنة 475هـ/1082م³ حل بتلمسان مرزوق العجيسي مهاجراً من القيروان، فاستقر بتلمسان وكان هذا الاستقرار حجر الأساس لإنجاب هذا البيت علماء أجلاء خاصة في الفترات اللاحقة، وفي هذا يقول يحي بن خلدون: "ومرزوق جده هو الذي استنطون تلمسان أيام لمتونة فنشأ بنوه بها أهل صلاح ووجاهة بالدين يحترفون بالفلاحة"⁴ وبرز هذا البيت بعلمائه في الفترة الزيانية والتي ستكون محل بحث ودراسة.

¹ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص:288.

² - ابن خلدون: العبر، ج7، ص:93.

³ - ابن خلدون: نفسه، ج6، ص:185.

⁴ - ابن خلدون يحي: بغية الرواد، ج1، ص:114.

2- بيت المقرئ:

يعود بداية تعمیر بيت المقرئ بتلمسان مع نهاية ق 6/هـ 12م وبداية ق 7/هـ 13م مع جدّهم عبد الرحمن¹ وكان هذا الاستقرار بداية لإنجاب هذا البيت ثلّة من العلماء سيكون لهم الفضل في تنشيط الحركة العلمية خاصة على العهد الزياني كما سيبين لاحقاً.

3- بيت بن هدية:

وهو من البيوتات التي استقرت قديماً بتلمسان وفي هذا يقول المقرئ: "أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي القرشي من ولد عقبة بن نافع الفهري نزلها سلفه قديماً وخلفه بها إلى الآن"² إذن حلول هذا البيت بتلمسان عريق وقد نبغ بعلماء أجلاء مع بداية القرن 7/هـ 14م وسيكون هم كذلك محلّ تنقيب ودراسة.

4- بيت ابن صاحب الصلاة:

من بيوتات العلم والصلاح عريق بتلمسان، اشتهروا بهذا الاسم لكونهم من أهل الدين والرياسة على أهل تلمسان، ولعلّ جدّهم هو الذي تولى خطّة الصلاة أي الذي يؤم الناس فهو صاحب الصلاة³ ونسبهم يعود إلى الخزرج⁴ وهي قبيلة عربية من الأنصار استقرت قديماً بتلمسان، قد تعود إلى فترة هجرة القبائل العربية نحو بلاد المغرب خلال القرن

¹ ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1394/هـ 1974م، م2، ص: 192.

- المقرئ: نفح الطيب، م5، ص: 205.

² المقرئ: نفسه، ص: 234.

³ من الخطط الدينية الشرعية خطة الصلاة أي صاحب الصلاة والخطبة، وأقدم تاريخ ردد فيه هذا اللقب فيما نعلم صاحب الصلاة يرجع إلى أواسط القرن الثالث الهجري، وانتشر بعد ذلك سواء في الأندلس أو في إفريقية والمغرب، ويعني بكل وضوح الذي يؤم الناس في صلواتهم، ولعلم عدلوا عن لقب الإمام المعهود حتى لا يشتبه بالإمام الحاكم.

- ابن صاحب الصلاة عبد المالك: المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق د. عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط3، 1987، ص: 7.

⁴ الخزرج: بنو خزرج قبيلة من الأنصار هم الأوس والخزرج ويقال لكليهما بنو قبلة وهما ابنا حارثة بن ثعلبة من اليمن - القلقشندي أحمد أبو العباس: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط3، 1411/هـ 1991م، ص: 52. - القزويني محمد المهدي: أسماء القبائل العربية وأنسابها، شرح وتحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1420/هـ 2000م، ص: 92.

11/هـ5م قال فيهم يحي بن خلدون: "أبو عمرو عثمان بن صاحب الصلاة من أهل العلم والدين والرياسة على أهل بلده بالذات هو وسلفه"¹ وعلماء هذا البيت:

1.4. القاضي الأمير أبو عمرو عثمان بن صاحب الصلاة الخزرجي:

عاش من نهاية القرن 5/هـ11م إلى منتصف ق 6/هـ12م هذا العالم القاضي وردت ترجمته مقتضبة في البغية فهو العالم الذي تولى إمارة تلمسان وقضائها على العهد المرابطي فقد جمع بين العلم والقضاء والحكم، له مساهمة في التأليف بكتابه "شرح الأحكام الصغرى" في علوم الحديث لعبد الحق الإشبيلي².

كانت نهاية هذا العالم مؤلمة، إذ قتله عبد المؤمن بن علي عملاً بوصية المهدي بن تومرت الذي كانت له معه سوابق إذ قال له: "أقتله فإن صفير الصاد من قوله لي اشتغل بخويصة نفسك في أذني حتى الآن"³ إذ ما يفهم من هذا أن ابن صاحب الصلاة عارض دعوة المهدي فأراد أن يتخلص منه وقبره خارج باب العقبة⁴ رحمة الله عليه⁵.

¹ - ابن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص:116.

² - عبد الحق الإشبيلي عالم أندلسي نزيل بجاية، خطب ودرس بها (510/هـ1116م - 582/هـ1186م)، الغبر بني أبو العباس أحمد بن أحمد: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص:73.

³ - ابن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص:116.

⁴ - باب العقبة: من أبواب تلمسان المشهورة يقع في الجهة الشرقية نحو أقادير. - يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص:90. عن أبواب تلمسان، ينظر: فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر، 2002، ج1، ص:112.

⁵ - ابن خلدون: نفسه، ج1، ص:116.

2.4- أبو العباس أحمد بن منصور بن صاحب الصلاة الخزرجي:

هو حفيد القاضي عثمان، من علماء تلمسان تولى الخطابة بمساجدها، يشهد له بالعلم والعمل، وهو صاحب كرامات¹ قد يكون عاش خلال القرن 6هـ/12م إلى بداية القرن 7هـ/13م وهذا بناء على وفاة جده التي تكون مع منتصف ق 6هـ/12م.

5- بيت ابن الخياط:

ينسب هذا البيت إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي الخياط فقد كان يحترف الخياطة ويعيش منها وكان أهله أهل صلاح وعلم ومن أعلامه:

1.5- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخياط:

رجل صالح صاحب وجهة عاش من نهاية القرن 6هـ/12م إلى القرن 7هـ/13م وقد كان من المقربين للأمير يغمراسن بن زيان يسعى لقضاء حوائج الناس² وقد كان له ابنان هما:

2.5- أبو عثمان بن الخياط:

هو سعيد بن إبراهيم بن علي بن الخياط، من شيوخ تلمسان تولى الخطابة بتلمسان واشتهر بصلاحه وتصوّفه وهو صاحب كرامات، وقد عد من زهاد وعباد تلمسان³.

¹- يحيى بن خلدون: المصدر السابق ج1، ص:112.

- ابن مريم محمد الشريف: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986، ص:55.

²- ابن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص:117.

- ابن مريم: البستان، ص:57.

³- ابن خلدون: نفسه، ج1، ص:117. - المقري: نفح الطيب، م7، ص:165.

3.5- أبو العباس بن الخياط:

هو أحمد بن إبراهيم بن علي بن الخياط، عرف هو كذلك بعلمه وصلاحه اشتهر بتلاوة كتاب الله وكان صاحب قراءة مميزة يقصده الناس لتجويد القرآن الكريم¹.

ما يستخلص من كل هذا أن بيوتات العلماء لم تبرز بصورة كبيرة قبل ق 7هـ/13م وإنما كانت بدايتها الأولى على العهد المرابطي والموحدي لتنتعش وتزدهر على العهد الزياني نظراً للخصوصيات السياسية والحضارية التي تميزت بها تلمسان باعتبارها حاضرة المغرب الأوسط بعد ما كانت إحدى مدن بلاد المغرب الإسلامي وكفى.

¹- ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص:118.

الباب الأول

- تاريخ بيوتات العلماء بتلمسان
- الظروف العامة والنشأة والتطور -

الفصل الأول

الظروف العامة وأثرها على بيوتات
العلماء

من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م

مع مستهل القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي تداعت دولة الموحيدين وتراجع نفوذها وهانت هيبتها في نفوس القبائل، بعد أن وحدت أقطار البلاد المغرب الإسلامي تحت سلطة المركزية حاضرتها مراكش، إقليمها الجغرافي امتد من شمال الصحراء جنوباً إلى بحر الروم (البحر المتوسط) وبلاد الأندلس شمالاً ومن بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) غرباً إلى برقة¹ شرقاً فكانت منابر هذه البلاد تدعو للخليفة² الموحيدي الملقب بأمير المؤمنين وكان هذا الإنجاز الحضاري الأول والأخير الذي وحد أقطار المغرب الإسلامي. وبهذا الضعف أصبح تأثير السلطة الموحدية هيناً على الأقاليم المغربية ومنها المغرب الأوسط فراحت مختلف القبائل البربرية الزناتية تقطع أراضي لها فمغروة³ استقلت بناحية شلف وبنو توجين⁴ بجبل وانشريس وبنو راشد⁵ بالجبل الذي أصبح يعرف باسمهم وبنو عبد الواد⁶ بأراضي تلمسان وقبيلة بني عبد الواد برزت مع سنة 627 هـ/1230 م بدخولها واضطلاعها بشؤون إمارة تلمسان تحت طاعة الموحيدين.

¹ - برقة: مدينة متوسطة المقدار هي أول منبر ينزله القادم من بلاد مصر إلى القيروان وإقليمها صحراء تبتدئ عند تخوم إقليم مسرانة غرباً وتمتد شرقاً حتى تخوم الأسكندرية فهي وسط بين طرابلس ومصر.

- الإدريسي، المصدر السابق، ص: 211 و212.

- الورن: المصدر السابق، ج: 02، ص: 112.

² - كانت الخلافة الموحدية قد جمعت بين السلطة السياسية والزعامة الروحية أي ملكاً وإماماً وهذه الخلافة لم تكن خلافة عامة على العالم الإسلامي وإنما كانت خلافة على بلاد المغرب الإسلامي وبداية كان المقصود بالخليفة خليفة المهدي بن تومرت عدى الخليفة يعقوب المنصور (580 هـ/1184م - 595 هـ/1199م) الذي اعتبر نفسه خليفة للمسلمين عامة بعد انتصار الأرك 586 هـ/1190 م وبعد انتصار صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين ودخوله بيت المقدس سنة 583 هـ/1187م فكانت الخلافة الثالثة ببلاد المغرب بعد كل من الخلافة الفاطمية ثم الخلافة الأموية بالأندلس.

³ - مغروة: أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغلب منهم، ونسبهم إلى مغراو بن يسلاطين بن مسر بن زاكيا بن ورسيك بن أدبرت بن جانا اخوة بني يفرن يفرن يرنيان، محلاتهم بأرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مديونة، تاريخ ابن خلدون، ج: 07، ص: 33.

⁴ - بنو توجين: من شعوب بني يدين من أهل الطبقة الثالثة من زناتة وهم أوفر عدداً، مواطنهم كانت حفافي وادي شلف قبلة جبل الونشريس من أرض السرسو - تاريخ ابن خلدون، ج: 07، ص: 205.

⁵ - بنو راشد: هو أبناء راشد بن محمد بن يدين وراشد هذا هو أخ يدين بن محمد، وكانت مواطنهم بالصحراء بالجبل المعروف براشد اسم أبيهم واليوم يعرف بجبال أعمور من الأطلس الصحراوي ثم زحفوا نحو جبال سعيدة من الأطلس التلي، تاريخ ابن خلدون، ج: 07، ص: 203.

⁶ - بنو عبد الواد: وهم من الطبقة الثانية من زناتة فهم من ولد يادين بن محمد أخوه توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وأن نسبهم يرتفع إلى رزجين من بنو واسين بن ورسيك بن جانة مواطنهم من بني راشد شرقاً (جبال سعيدة وجبال عمور) إلى واد ملوية غرباً، تاريخ ابن خلدون، ج: 07، ص: 97 - حاجيات عبد الحميد معروف بلحاج مبخوث بودواية: كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين 2007 ص 182.

المبحث الأول: قيام الدولة العبد الوادية وغزوات بني مرين:

لم يكن قيام الدولة العبد الوادية أمرا سهلا في ظل الأوضاع التي كانت تعرفها بلاد المغرب الإسلامي في المرحلة الأخيرة من عمر الدولة الموحدية، ويمكن تتبع مراحل قيامها كالتالي:

1- يغمراسن بن زيان وتأسيس الدولة العبد الوادية (633هـ-1236م-681هـ-1283م):

في سنة 633 هـ/1236م آلت إمارة بني عبد لواد إلى يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي وأول عمل سياسي قام به هو إعلان استقلال قبيلته بالحكم عن الموحدين،

فكان هذا الإعلان بداية استقلال الدولة العبد الوادية¹.

كان يغمراسن بن زيان عندما بويغ بالإمارة شابا يافعا ذو بأس شديد وعزيمة قوية ومهابة عظيمة، يرجعون إليه عند النوازل لحصانة الرأي وسداد التدبير، هذا ما جعله يطمح نحو دولة مستقلة يعلن عن قيامها مباشرة بعد استلامه الإمارة. وقد سعى إلى توطيد أركان الدولة باختيار الوزراء الأكفاء وانتقاء الكتاب العلماء والقواد الفطناء وأخضع القبائل المجاورة له وبهذا برزت الدولة العبد الوادية بالمغرب الأوسط² ولقد كان قيام الدولة العبد الوادية على عهد الخليفة الموحي عبد الواحد الرشيد بن المأمون³ الذي أرسل له يغمراسن بعثة تحمل له الولاء والطاعة بعد أن كان قد أبقى الدعاء والخطبة للموحدين وأخبره أنه يسالم من سالمه

¹ - ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 7، ص: 79.

- ابن خلدون: البغية ج: 1، ص: 204.

² - ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 07، ص: 81.

- ابن خلدون: البغية، ج: 1، ص: 205.

³ - أبو محمد عبد الواحد الرشيد حكم من سنة (630 هـ 1232م - 640 هـ 1242م) مؤلف مجهول: مفاخر البربر دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر الرباط - المغرب ط: 2005، 01، ص: 209.

ويعادي من يعاديه فقبل الخليفة الموحي بهذا الأمر¹ وما يفهم من هذا الخطاب أنه رسالة موجهة كذلك إلى أطماع الحفصيين من الشرق وتحرشات بني مرين من الغرب وبهذا نجد أن يغمراسن قد اعتمد في تأسيس دولته على عصبية بني عبد الواد إضافة إلى ولاء القبائل البربرية والعربية من جهة، ومن جهة أخرى دبلوماسيته الهادئة مع الدول المجاورة في هذه الفترة الأولى² ولعل هذا ما يفسر حنكة الرجل ومقدرته في إدارة شؤون الدولة وهي في بداية ميلادها وسط قوى متصارعة على بسط نفوذها على بلاد المغرب الإسلامي.

و إذا كانت علاقة يغمراسن بالموحدين علاقة حسنة وطيبة فإنها قد جنت عليها تأجيج الحفصيين على غزو تلمسان، فخرج أبو زكريا الأول³ على رأس جيش كبير نحو تلمسان عام 639 هـ/1241م⁴ وزحف على تلمسان، وأمام هذا الخطر الداهم رأى يغمراسن أنه لا يمكن مواجهة هذه القوة، وكان الحل أمامه هو الفرار نحو جبل وارنيد⁵ وبهذا تمكن أبو زكريا من بسط سيطرته على تلمسان وحاول استخلاف حاكم آخر من بني زيان وبني حفص عليها، ولكن لم يجد من يتولى هذا الأمر خوفا ومهابة من يغمراسن، ففكر أبو زكريا في مفاوضة يغمراسن فأدرك حقيقة الأمر الواقع فصرح قائلا: "ليس لها إلا صاحبها"⁶ ودخل في تفاوض مع يغمراسن باتصال بأم يغمراسن "سوط النساء" وكان الاتفاق على الصلح

¹ - ابن خلدون: العبر، ج: 07، ص: 164.

² - عبدلي لخضر: التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية المطبعة الجهوية وهران الجزائر 2008، ص: 101.

- فيلاي عبد العزيز: المرجع السابق، ج: 01، ص: 16.

³ - أبو زكريا: يحيى بن عبد الواحد موطد الدولة الحفصية بتونس، حكم من سنة 627هـ/1229م إلى سنة 647هـ/1249م. - الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور المكتبة العتيقة تونس 1966، ص: 23 وص: 32.

⁴ - ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 07، ص: 165، أما يحيى بن خلدون فقد ذكر سنة 640 هـ، البغية ج: 01 ص: 205.

⁵ - جبل ورنيد: ورنيد اسم لبطن من بطون زناتة نزلوا الجبل جنوب غرب تلمسان فأصبح يعرف باسمهم

- التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بوعياض، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1405هـ/1985م، ص: 117.

⁶ - التنسي: المصدر السابق، ص: 118.

بانسحاب الحفصيين مقابل الولاء لهم¹ وبهذا يكون يغمراسن في مواجهة الموحدين والمرينيين وبالتالي يكون سدا لأخطارهم عن الحفصيين.

و من باب الاحتياطات العسكرية أقدم ابو زكريا أثناء عودته إلى تونس بتتصيب إمارات تكون حاجزا بينه وبين يغمراسن فعين محمد بن عبد القوي على رأس قبيلة توجين بجبال الونشريس ومحمد بن منديل على رأس قبيلة مغراوه بمدينة مليانة ومنصور على رأس قبيلة مليكش² عندما علم الموحدون بهذه المعاهدة ما كان على الخليفة أبو الحسن السعيد³ إلا أن فكر في التحرك لهذا التآمر وتأديب يغمراسن لكن هذا الأخير كان متوقعا لذلك وفكر في الدفاع عن نفسه من باب الهجوم أحسن خطة للدفاع وتصدى لجيش السعيد وكانت المواجهة في قلعة تاميزدكت⁴ سنة 645 هـ/1247م وكان الانتصار حليف يغمراسن حيث قتل الخليفة الموحي وعدد كبير من أصحابه وكانت الفتنة كبيرة⁵.

¹ - ابن خلدون يحيى: البغية، ج: 01، ص: 205.

- التنسي: نفسه، ص: 118. - فيلالي عبد العزيز: المرجع السابق، ج: 01، ص: 22.

² - ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 07، ص: 135.

- التنسي: المصدر السابق، ص: 118.

- الحيلالي عبد الرحمن تاريخ الجزائر العام ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1402 هـ/1982م، ج 02، ص: 50
وص: 150.

³ - أبو الحسن السعيد: حكم هذا الخليفة الموحي من سنة 640 هـ/1242م إلى سنة 646 هـ/1248م، مفاخر البربر، ص: 209.

- الناصري أحمد أبو العباس السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: 01، 1428هـ/2007م، ص: 348 و 351.

⁴ - قلعة تاميزدكت وتسمى قصر تميزدكت شيد قديما على صخرة وهو في أطراف بلاد تلمسان مركز تأهب دفاعي لحراسة أماكن مرور جند ملك فاس وهي تقع جنوب وجدة بـ200 كلم.

- الوزان وصف إفريقيا ج: 1، ص: 11. - فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 01، ص: 35.

⁵ - ابن خلدون: العبر، ج: 06، ص: 541.

- ابن خلدون: البغية ج: 01، ص: 206.

- التنسي: المصدر السابق، ص: 119.

و بهذا الانتصار بدأت السيادة العسكرية لبني زيان تأخذ مسارها الجغرافي ممتدة غربا إلى واد ملوية¹ وشرقا إلى الواد الكبير² وأطراف بجاية ومن الصحراء جنوبا إلى بحر الروم (المتوسط) شمالا³.

لقد كان للانتصار يغمراسن في قلعة تاميزدكت أثر كبير في سياسته الخارجية على الجبهة الغربية فطمح في توسيع نفوذه دفاعا عن الموحديين من جهة وتصديا للمرينين من جهة أخرى بعد أن لبي دعوة الخليفة الموحد المرتضى لأمر الله⁴ وكانت المواجهة مع الجيش المريني في نواحي وجدة⁵ والذي استطاع أن يرد يغمراسن إلى تلمسان سنة 647هـ/1249م⁶ ومن هنا بدأ يغمراسن يراجع حساباته السياسية وترتيباته العسكرية، فهذا التحالف الزياني الموحدية جلب ليغمراسن صراعات أخرى مع بني مرين فتجددت المواجهات العسكرية بينهما عدة مرات وكانت الغلبة فيها لبني مرين لنمو قوتهم وتصاعد عددهم حتى أنهم تمكنوا سنة 668هـ/1269م من القضاء نهائيا على الدولة الموحدية ودخول عاصمتهم مراكش، وهنا أدرك يغمراسن أن لا طائلة من هذه المواجهة، ومن ثم العدول عنها إلى المسالمة والمهادنة⁷ ومن وصياه لأبنه عثمان في هذا الشأن: " يا بني إن بني مرين بعد

¹ - نهر ملوية نهر كبير ينبع من الأطلس (الأطلس الاوسط بارتفاع 3737م وسط المغرب الأقصى) ليمر عبر سهل أنقاد ثم سفح جبل بني يزناسن ثم شرق تازا وجبال الريف ثم غرب وجدة نحو 100 كلم ليصب في البحر المتوسط - الونان وصف إفريقيا، ج: 02، ص: 250.

² - الواد الكبير ينبع من جبال متاخمة لإقليم الزاب (جبال جرجرة 2308م) ليصب في البحر المتوسط على بعد 3 أميال/ 4.8 كلم شرق بجاية.

- الونان: المصدر السابق، ج: 2، ص: 252. والواد الكبير المقصود هنا هو الذي يعرف اليوم بواد الصومام أما الوادي الكبير فهو الذي يصب بين القل شرقا وجيجل غربا.

³ - الونان: المصدر نفسه، ج: 02، ص: 07.

⁴ - المرتضى لأمر الله: أبو حفص عمر ابن إسحاق حكم من سنة 647هـ/1249م إلى سنة 665هـ/1266م.

- مفاخر البربر، ص: 209.

- الناصري: المصدر السابق، م: 02، ص: 352 و 355.

⁵ - وجدة: مدينة قديمة بناها الأفارقة في سهل فسيح جدا تبعد عن البحر المتوسط بـ 40 ميل / 64 كلم ونفس البعد تقريبا عن تلمسان وقد أسسها زيري بن عطية المغراوي عام 384هـ/994م وكانت في هذا الوقت محسوبة على مدن مملكة تلمسان - البكري: المصدر السابق، ص: 87 و 88.

- الونان: وصف إفريقيا ج: 02 ص: 12 و 13.

⁶ - ابن خلدون: العبر، ج: 07، ص: 172.

⁷ - ابن خلدون: العبر، ج: 07، ص: 172 و 198.

استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا لوفود مددهم ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص، عن القرن التي أنت بعيد عنها فإياك واعتماد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك¹ هذا على صعيد الجبهة الغربية أما على الجبهة الشرقية فقال: "وحاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم، يستفحل به ملك وتكافئ حشد العدو بحشدك ولعلك تصبر بعض الشعور الشرقية معقلا لذخيرتك"².

2- منجزات يغمراسن ووفاته:

استمر عهد يغمراسن في ظل هذا الجو المشحون بالصراع والأطماع، وسعيا منه نحو تأمين الجبهة الشرقية وربط أوامر المصاهرة مع الحفصيين خطب بنت السلطان الحفص أبو إسحاق إبراهيم³ لابنه وولي عهده أبي سعيد عثمان، إلا أن القدر عجل بوفاة يغمراسن قبل إتمام فرحة زفاف ابنه سنة 681 هـ/1284م⁴.

بعد نصف قرن من الحكم تقريبا 48 سنة هجرية استطاع يغمراسن بن زيان أن يرسى قواعد دولته وسط العواصف الهوجاء التي كانت تهب عليه شرقا وغربا ودخل في معادلة قوى بلاد المغرب الإسلامي بفضل حزمه ومقدرته السياسية والعسكرية حتى تمكن من إخراج قبيلته من طور البداوة لتلج طور الحضارة وهذا يتضح من خلال منجزاته العمرانية أهمها بناء لمئذنتي مسجد أجادير والجامع الأعظم لتاغرارت⁵ وتشييد القصر الجديد سماه المشور⁶ المشور⁶ إتخذه مقرا رسميا لإقامته ولممارسة نشاطه السياسي، كما اتسم عهده بنشاط اقتصادي زاهر، محاصيل زراعية من خضر وفواكه متنوعة ونشاط حرفي ورواج تجاري.

¹ ابن خلدون: المصدر السابق، ج: 07، ص: 189 و190.

² ابن خلدون: نفسه، ج: 07، ص: 190.

³ أبو إسحاق إبراهيم الحفصي حكم من سنة 678 هـ/1279م إلى سنة 681 هـ/1273م. - الزركشي: المصدر السابق، ص: 42 و46.

⁴ ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 207. - التتسي: تاريخ بن زيان، ص: 128 - حاجيات ومعروف ومبخوت: المرجع السابق ص 192.

⁵ ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 207.

⁶ المشور: بمعنى مكان التشاور أي المكان الذي يعقد فيه السلطان اجتماعه مع وزرائه وكتابه وضباطه لمناقشة شؤون الدولة. - فيلالى عبد العزيز: المرجع السابق، ج: 01، ص: 115.

كما بعث الحياة التعليمية والعلمية بتلمسان باستقدامه للعالم أبي إسحاق إبراهيم التنسي¹ حيث ركب إليه بنفسه وجاء إليه بعد سنة 666 هـ/1267م وقال له: " ما جئتك إلا راغباً فيك أن تنتقل إلى بلدنا وتنشر فيه العلم وعلينا جميع ما تحتاج " ² هذا الموقف له من الدلالة الكبرى على تقدير منزلة العلماء حق قدرهم، فهو الذي تنقل إلى هذا العالم قاطعا مسافة نحو 370 كلم، وبهذا يكون قد حرص على بعث الحياة التعليمية وتنشيط الحياة العلمية مع التكفل بتغطية كل النفقات حتى يضع الأرضية التي يقوم عليها البناء الحضاري.

أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (681هـ/1283م - 703 هـ 1303م) خلف أبو سعيد والده³ وراح يتم مسار بناء الدولة وتطورها فوطد مصاهرة بني حفص بتجديد الولاء لهم وعمل بوصية والده على مسالمة بني مرين فبعث أخاه محمد إلى السلطان المريني سنة 684 هـ/1285م قصد الدخول في معاهدة سلم فقبل بذلك⁴. وبهذا يكون قد أمن الجارتان الشرقية والغربية ليتفرغ للبناء الداخلي ويبسط سيطرته على الجهة الشرقية حتى تخضع القبائل التي خرجت عن ولائها للدولة العبد الوادية من مغراوة وتوجين⁵ وسيطر سنة 686 هـ/1287م على مازونة⁶ ووصل إلى حدود بجاية⁷ وفي سنة 688 هـ/1289م سيطر على

¹ أبو إسحاق إبراهيم التنسي: نشأ بمدينة تنس ورحل إلى طلب العلم نحو المشرق ليعود إلى بلاده ثم إقامته بتلمسان منتصبا للتدريس حتى انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى وتوفي بتلمسان سنة 670 هـ/1272م - التبتكي أحمد بابا: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط: 01، 1422 هـ/2004م ج: 01، ص: 21.

² التنسي: المصدر السابق، ص: 126.

³ ابن خطاب أبو بكر: المغرب والأندلس في القرن 07 هـ/13م من ديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن الخطاب، دراسة وتحقيق أحمد عزوي - جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية القنيطرة المغرب، المطبعة ربا نيت RABAT NET، ط: 01، 1429 هـ/2008م، رسالة تهنئة ببيعة عثمان بن يغمراسن، ص: 108-110.

⁴ ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 07، ص: 192.

⁵ أبو بكر بن الخطاب: المصدر السابق، ص: 112 و114.

⁶ مازونة: ذكرها الوزان أنها مدينة أزلية بناها الرومان وتبعد عن البحر بأربعين ميل ولكن أقل من هذا بكثير نحو 30 كلم وتبعد عن مدينة شلف بـ60 كلم غربا وعن تلمسان بـ300 كلم شرقا وتقع على الضفة اليسرى لوادي واريزان أحد روافد وادي شلف.

- الوان: وصف أفريقيا، ج: 02، ص: 36. - توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص: 236.

⁷ التنسي: المصدر السابق، ص: 129.

مدينتي تنس¹ والمدية² وبهذا تكون هذه المناطق قد دانت له فأصبحت دولة بني عبد الواد تجسد سياستها على كامل المغرب الأوسط³.

3- صمود تلمسان أمام غزوات بني مرين والحصار الطويل

لم تدم الهدنة بين بني عبد الواد وبني مرين طويلا فما أن تولى السلطان المريني يوسف بن يعقوب⁴ الحكم سنة 685 هـ/1286م حتى بدأ يترصد الفرصة ليتصل من اتفاق اتفاق الهدنة والسلم ويسعى لتحقيق طموحه وتجسيد نزعتة التوسعية فحاض خمس غزوات حاصر فيها تلمسان خمس مرات⁵.

الأولى سنة 689 هـ/1290م بدراع الصابون شمال مدينة تلمسان ففشل ورجع، **الثانية** سنة 695 هـ/1296م وكان تحت سور ندرومة ففشل ثانية، **الثالثة** سنة 696 هـ/1297م وكانت النتيجة الفشل مرة أخرى في اقتحام أسوار تلمسان، **الرابعة** 697 هـ/1298م وكان مآل الحصار كسابقه، أما **الخامسة** فكانت سنة 698 هـ/1299م فكانت هذه الغزوات بمعدل غزوة وحصار كل سنة في السنوات الأربعة الأخيرة، وهذا يدل على إصرار السلطان يوسف بن يعقوب على دخول تلمسان وبالمقابل كان صمود أبي سعيد عثمان في الدفاع عن عاصمته ولكن الحصار الأخير كان أطول حصار دام مابين ثماني سنين وتسعة وكان أشد بأسا على أهل تلمسان ذاقوا فيها كل أنواع الجوع والعناء وارتفاع الأسعار حتى هلك الكثير⁶ أثناء الحصار استغل بنو مرين الوقت وشيدوا مدينة جديدة سماها السلطان يوسف

¹ - تنس: مرسى صغير غرب الجزائر بـ204 كلم أسسه الكنعانيون القرطاجيون فكانت مستودعا تجاريا ثم مستعمرة رومانية ثم خرب وجدد تأسيس المدينة بحارة من الأندلس سنة 272 هـ/875م.

- المدني توفيق: كتاب الجزائر، ص: 205. - بوعياض محمد: تحقيق تاريخ بن زيان، ص: 285.

² - المدية مدينة تبعد عن الجزائر جنوبا 56ميلا / 89 كلم مدينة قديمة كان الرومان يسمونها "لاميديا" وقال ابن خلدون: لمدية قبيل من بطون صنهاجة سميت البلد بهم، خربت وجدد بنائها بلقين بن زيري. - ابن خلدون: العبر، ج: 06، ص: 356. - الوزان وصف إفريقيا، ج: 02، ص: 41.

³ - ابن خلدون: العبر، ج: 07، ص: 192. - ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 118. - التنسي: تاريخ بني زيان، ص: 129.

⁴ - السلطان الناصر لدين الله يوسف ابن يعقوب ابن عبد الحق حكم من سنة 685 هـ/1286م إلى سنة 706 هـ/1306م. - الناصري: الاستقصا، م: 01، ص: 410 وص: 425.

⁵ - ابن خلدون: العبر، ج: 07، ص: 195. - ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 209. - التنسي: نظم الدرر، ص: 130.

⁶ - حول تفاصيل الحصار الطويل ينظر: العبر، ج: 07، ص: 195. البغية، ص: 209. نظم الدار، ص: 130.

بـ"المنصورة"¹ بجامعها وقصورها ومساكنها وأسواقها وحصنها بسور وأبراج حتى تكون بديلا سياسيا اجتماعيا واقتصاديا عن تلمسان الصامدة وقد دام الحصار أكثر من ثماني سنوات².
 و في سنة 703 هـ/1303م توفي سلطان تلمسان عثمان بن يغمراسن وخلفه ابنه أبو زيان بن عثمان الذي واصل نهج الصبر والصمود إلى أن جاءهم فرج الله تعالى فرفع عنهم الحصار بعد أن قتل أحد العبيد وهو عنبر الكبير السلطان المريني يوسف بطعنات في بطنه في 7 ذي القعدة 706 هـ/1307م فما كان على أبي زيان وأخيه ابن حمو إلا العمل على إعادة الحياة الطبيعية إلى تلمسان واسترجاع قوة الدولة ونفوذها، لكن حكمه لم يدم طويلا حتى وافته المنية في سنة 707 هـ/1307م وخلفه أخوه أبو حمو موسى الأول³.

- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط 1972، ص: 386.

- الكعك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر، تقديم ومراجعة: أبو القاسم سعد الله محمد البشير الشنيتي ناصر الدين سعيدوني إبراهيم بحاز - دار الغرب الإسلامي ببيروت ط: 01، سنة: 2003، ص: 225.

- عطاء الله دهينة: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي ج3 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ص: 367.
¹ - بعض آثار هذه المدينة لا زالت قائمة وخاصة منها صومعة الجامع الأعظم عن تفاصيل مدينة منصور ينظر: معروف بلحاج: مدينة المنصورة الأثرية من خلال المصادر التاريخية. حولية المؤرخ الصادرة عن اتحاد المؤرخين الجزائريين العدد 05 جوان 2005، ص: 63.

² - ابن مرزوق محمد بن أحمد الخطيب: مجموع في سيرة سلف بني مرزوق الصالحين. نسخة مصورة عن مخطوط المكتبة الخاصة. - ميكرو فيلم بالخرانة العامة بالرباط تحت رقم: 20 ورقة: 15.

- تم تحقيقه بعنوان: المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق الأستاذة سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط: 01، 1429 هـ/2008م.

- ابن خلدون: كتاب العبر ج: 07، ص: 197. - ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 210. - التنسي: نظم الدر، ص: 135. - الناصري: الاستقصا، ج: 01، ص: 424.

³ - ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 07، ص: 198. ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 211. التنسي: نظم الدر، ص: 135.

المبحث الثاني: استعادة نمو الدولة ثم اضطرابها:

لقد امتد حصار بني مرين على تلمسان من 698/هـ1299م إلى سنة 706/هـ1307م وبعد طول هذا الحصار الذي أنهك قوى أهل تلمسان، إلا أنهم صمدوا وصمموا على إعادة الحياة بكل نشاطها إلى تلمسان بداية مع أبي حمو موسى الأول

1- مع أبي حمو موسى الأول

من السلاطين الزيانيين الذين تركوا بصماتهم في تاريخ هذه الدولة تنظيمًا واقتصاديًا وثقافيًا يصفه لنا عبد الرحمن بن خلدون فيقول: "...و كان صارما يقظا حازما داهية قوى الشكيمة صعبة العريكة¹ شرس الأخلاق مفرط الذكاء والحدة"².

استفاد من المرحلة السابقة وعمل على تجديد سياسة مهادنة ومسالمة بني مرين مع أبي ثابت المريني³ وهذا ليؤمن الجبهة الغربية حتى يتفرغ لإعادة الإعمار بعد الحصار الطويل وبعث نشاط الدولة، واستعادة نفوذها وسيطرتها على الأقاليم الشرقية وإعادة طاعة القبائل إلى بيت آل زيان⁴

من أهم منجزاته العمرانية بناء مدرسة للتعليم سنة 710 هـ/1310م⁵ وكانت أول مدرسة بنيت في المغرب الأوسط فكانت اللبنة الأولى لبعث الحركة التعليمية والثقافية بتلمسان وهي تعرف بالمدرسة القديمة، إلا أن طموح وغيره ابنه الأمير أبي تاشفين مكنت

¹ - العريكة طبيعة النفس البشرية صعب العريكة عكس لين العريكة: فهو سلس الخلق منكسر النخوة. الفيروز آبادي بن يعقوب: القاموس المحيط ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي - دار الفكر بيروت لبنان 1425 هـ/2005، ص: 853.

² - عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، ج: 07، ص: 198.

³ - السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله: هلك أبوه عبد الله قبل وفاة جده فتولى أمر الخلافة إذ كان من جملة جده السلطان يوسف بن يعقوب حكم من 706 هـ/1306 إلى 708 هـ/1308م. - الناصري: الإستقصا، م: 01، ص: 429 و 433.

⁴ - التنسي: المصدر السابق ص، ص: 135-136.

⁵ - يحيى ابن خلدون: المصدر السابق ج: 01 ص 130. - التنسي: المصدر السابق ص 139.

بطانته السيئة من قتل السلطان أبي حمو موسى الأول حتى يخلو الجو لأبي تاشفين وكان ذلك يوم 22 جمادى الأولى 718هـ/1318م¹.

واصل أبو تاشفين عبد الرحمن سياسة حسن الجوار مع بني مرين وإحكام قبضته على الأقاليم الشرقية متبعا سياسة الدفاع الهجومي بتحصين الحدود مع الحفصيين إلا أن الغرور بدا ينال منه وراح يتحدى المرينيين من جديد.

لقد كان ذا اهتمام كبير بالمنجزات العمرانية وصاحب ذوق فني واهتمام بالغ بالعمران ومن أهم منجزاته بناء مدرسة بجانب الجامع الأعظم عرفت بالمدرسة التاشفينية وكانت تحفة فنية رائعة، تقديرا منه لفضل العلماء الذين قريهم إليه وهم بدورهم تغنوا بفضله ومحاسنه، وتعرف هذه المدرسة بالمدرسة الجديدة وهي المدرسة الثانية بعد القديمة . ولم تنزل أفخم مدرسة بالمغرب الأوسط حتى الاحتلال الفرنسي الذي حطمها وأقام مكانها بناية إدارية²

2- الحكم المريني بالمغرب الأوسط

إن موقع المغرب الأوسط بين المغرب الأدنى شرقا والمغرب الأقصى غربا بقدر أهميته في السلم له خطورته في الحرب إذ أن تقرب بني مرين من بني حفص مكن بني مرين من تأمين الجبهة الحفصية ليتفرغوا لتحركات أبي تاشفين وقد بدا هذا التوجه جليا باستلام أبي الحسن علي بن عثمان³ عرش بني مرين سنة 731 هـ/1331م، وبعد ترتيب الشؤون الداخلية وتوطيد علاقته مع بني حفص قرر غزو تلمسان سنة 735 هـ/1335م، وكان هجومه عليها من جهة الشمال والشرق بعدما هاجم ندرومة⁴ وهنين وتاسلة¹ ووهران²

¹ - عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق ج: 07 ص: 219. - التنسي: المصدر نفسه، ص: 139.

² - التنسي: المصدر السابق، ص: 139. - دهبنة عطاء الله: المرجع السابق، ص: 385.

³ - أبو الحسن المريني هو علي بن عثمان المنصور بالله من كبار ملوك بني مرين حكم من سنة 731 هـ/1331م إلى 749 هـ/1348م. - ابن خلدون: العبر، ج: 07، ص: 109 و120 - الناصري: الإستقصا، م: 02 ص: 19 و70

⁴ - ندرومة مدينة قديمة، وندرومة هي بطن من قبيلة كومية أخذت موقع المدينة القديمة فالوسن عمرها قديما فالوسن فسميت باسمه ثم عمرت المنطقة ندرومة وغير إسم المدينة من فالوسن إلى ندرومة، وبعد الفتح أخذت مكانها عبر الدول التي تداولت على حكم المنطقة، وهي تقع في سفح الجبل يبعد عنها البحر المتوسط شمالا بـ18 كلم وتلمسان تبعد عنها في اتجاه الجنوب الشرقي بـ60 كلم، وهي مدينة بديعة جميلة لطيفة، بن داود نصر الدين، قراءة في الإشعاع العلمي لمدينة ندرومة من ق 5 هـ/11م إلى ق 09 هـ/15م. الملتنقى المغاربي " المدينة في المغرب الإسلامي من الفتح حتى ق 09 هـ/15م" يومي 14 و15 أبريل 2009، من تنظيم مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان.

ووهران² وحاصر تلمسان بعدها فتمركز بمنصورة بداية من 11 شوال 735 هـ/4 جوان 1335 وأعاد بناءها بعدما هدمها الزيانيون³ واستمر الحصار إلى غاية 27 رمضان 737 هـ 23 أفريل 1337م لمدة ثلاثة وعشرين شهرا، فدخل تلمسان، وكان السلطان أبو تشفين وأولاده ووزرائه في صدارة المقاومة فدافعوا عن حرمهم إلى أن قتلوا جميعا وبهذا انتهى الوجود الرسمي لبني زيان⁴ ليدخل المغرب الأوسط تحت الحكم المريني، بل استطاع أبو الحسن المريني ان يضم القوة العسكرية الزيانية إلى القوة المرينية ويبسط سيطرته على بلاد المغرب الأدنى حيث دخل تونس سنة 748هـ/1347م بعد استلام أهلها⁵ ومن منجزاته المعمارية ذات الطابع العلمي: بناء مدرسة بالعباد⁶ في ربيع الثاني 747 هـ/1347م تعرف بمدرسة العباد وهي ذات جمال وروعة فنية⁷ وهذه التحفة لا تزال قائمة بعد ترميمها إلى يومنا هذا.

لم يبق الوضع مستقرا على هذه الحالة إذ سرعان ما انفجرت الثورة ضد الحكم المريني في كل من القيروان وتلمسان حيث ثار الأميران الزيانيان أبو ثابت وأبو سعيد على الوجود المريني فاضطر الأمير أبو عنان إلى مغادرة تلمسان راجعا إلى فاس سنة 749 هـ/1348م لتعود تلمسان إلى عرش بني زيان بعد غيابه لمدة اثني عشرة سنة وهي أكبر فترة يحكم فيها بنو مرين تلمسان⁸.

¹ تاسلة: ذكرها الوزان وقال مدينة عريقة في سهل كبير. الوزان: وصف أفريقيا، ج: 02، ص: 25، Cusson m: Tesala, Oran, Revue Africaine N° 02 Annes 1857 – 1958 P.406. واليوم بقي الإسم يطلق على جبل تاسلة الواقع شمالا

مدينة بسيدي بلعباس بنحو 15 كلم وغرب مدينة تلمسان نحو 70 كلم.

² عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج: 07، ص: 227.

³ التتسي: المصدر السابق، ص: 146. - معروف بلحاج، المرجع السابق، ص: 71.

⁴ ابن مرزوق الخطيب: مجموعة اسرة بني مرزوق ورقة 34.

⁵ ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن دراسة وتحقيق ماريّا خسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1401 هـ/1981م، ص: 496. - الناصري: الإستقصا، م: 02،

ص: 48. - فيلاي عبد العزيز: المرجع السابق، ج: 01، ص: 47.

⁶ العباد: مدينة صغيرة تقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوبا شرق تلمسان كثيرة الإزدهار وافرة السكان والصناع.

- الوزان: المصدر السابق، ج: 02، ص: 24.

⁷ ابن مرزوق: المسند، ص: 406. - الوزان: المصدر نفسه، ج: 02، ص: 24.

Rachid Bourouiba: l'art Religieux musulman en Algérie SEND Alger 1973 P: 190.

⁸ التتسي: المصدر نفسه، ص: 149.

3- عودة حكم بني عبد الواد إلى تلمسان

أمام انهزام الجيش المريني كانت مبايعة بني زيان لأبي سعيد بن عبد الرحمن الذي كان بالقيروان في شهر ربيع الأول 749 هـ/1348م وعند عودته استقبلوه استقبال الأبطال في 22 جمادى الثانية 749 هـ/1348م¹ وكانت فرحتهم كبيرة بعد عودة العرش الزياني الذي غاب عنهم نحو اثني عشرة سنة، وهذا يدل على نزعه بني عبد الواد نحو التحرر والاستقلال ورفض الوصاية الخارجية. والجديد في عودة العرش الزياني هو أن أبا سعيد لم يستأثر لنفسه كل صلاحيات السلطة وإنما أشرك معه أخاه أبا ثابت حيث كان كرسي العرش والخطبة والسكة لأبي سعيد وفوض قيادة الجيش لأبي ثابت² أو ما يعرف اليوم بوزارة الدفاع الدفاع والقيادة العليا لأركان الجيش، فكانت صورة رائعة في الاتفاق على إدارة شؤون الدولة، فاسترجعت الدولة الزيانية سيطرتها على المغرب الأوسط. إلا أن المواجهة مع بني مرين مع القبائل المتمردة استمرت حتى سنة 753 هـ/1352م حيث هاجمهم السلطان المريني أبو عنان فارس³ بحملة كبيرة استطاع بفضلها أن ينتصر بوقعة واد القصب في وسط أنجاد، فاعتقلوا الأمير أبا سعيد ثم قتلوه ذبحاً وتمكنوا من التوغل إلى الداخل حتى وصلوا إلى الجزائر وقضوا على الأمير ثابت وعاد أبو عنان إلى تلمسان⁴.

¹ يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج: 01، ص: 150.

- التتسي: المصدر السابق، ص: 151.

² عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج: 07، ص: 244.

- يحيى بن خلدون: المصدر نفسه، ج: 01، ص: 151.

- التتسي: المصدر نفسه، ص: 152.

³ أبو عنان فارس: هو السلطان المتوكل على الله أبو عنان فارس ابن أبي الحسن حكم من سنة 749 هـ/1348م إلى سنة 759 هـ/1358م. - الناصري: الإستقصا، م: 02، ص: 70 و88.

⁴ يحيى بن خلدون: المصدر نفسه، ج: 01، ص: 162.

- التتسي: المصدر نفسه، ص: 156.

4- الحكم المريني ثانية بتلمسان

يتضح من خلال حركة المد والجزر في العلاقات السياسية والعسكرية بين بلدان المغرب أن طابع الصراع السياسي والمواجهة العسكرية قد طغى عليها، مع غياب روح الحوار والتعاون، فإذا كان موقف بني زيان هو الدفاع المشروع عن سيادة دولتهم وبسطها على مستوى الامتداد الجغرافي للمغرب الأوسط، فإن سياسة بني مرين لم تكن كذلك، فهم كانوا ينزعون نحو بسط سيطرتهم على بلاد المغرب وكأن تركة الموحدين من نصيبهم لوحدتهم، ومن هؤلاء: السلطان أبو عنان فارس الذي كان يطمح نحو مدّ حكمه على كامل بلاد المغرب من تلمسان يتجه نحو بجاية سنة 754 هـ/1354م¹ وهي مفتاح المغرب الأدنى ومنها نحو قسنطينة ثم عنابة إلى أن وصل إلى العاصمة تونس سنة 758 هـ/1357م² وبهذا يكون قد بسط سيطرته على ربوع المغرب لكن دون أن يتصدى للنصارى بالأندلس هذه الانتصارات السريعة لم تكن لتعمر طويلاً فهي لم تكن مبنية على تدرج إستراتيجي ينطلق من تثبيت الوضع الداخلي إلى التوسع الموازي خارجياً وفق الإمكانيات البشرية والمادية والعسكرية وهذا ما سمح بقيام ثورات داخلية ضده إضافة إلى حالة التذمر التي أصبحت تسيطر على أفراد جيشه فما كان عليه إلا مغادرة إفريقيا والمغرب الأوسط ليعود إلى فاس³ وبهذا يكون قد وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه أبوه، لكن حسناته التي قد تشفع له هو تقريب العلماء وإغداق عليهم الأموال إضافة إلى بناء المدارس والزوايا⁴.

¹ - الناصري: الإستقصاء، م: 02، ص: 86.

² - الناصري: نفسه، م: 02، ص: 86 و 87.

³ - عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، ج: 07، ص: 316.

⁴ - ابن مرزوق محمد التلمساني: المسند الصحيح الحسن، ص: 257 وص: 405 وص: 409.

- الناصري: الاستقصاء، م: 02، ص: 89.

المبحث الثالث: انبعاث الدولة الزيانية

رغم توالى المحن والمصائب على تلمسان من جارتها فان عزيمة أبنائها المخلصين لم تنهيا هذه العقبات في مواصلة بناء دولتها وتشديد منجزاتهم الحضارية التي مكنت من بروز علماء أجلاء في مختلف التخصصات ساهموا بنشاطاتهم المختلفة

1- أبو حمو موسى الثاني وجهوده

رغم الشدائد والمصائب التي ألمت ببني عبد الواد وألحقت بهم الهزائم العسكرية إلا أنها لم تتل من عزيمتهم في استرجاع مجدهم ودور حمل لواء بني زيان هذه المرة سيكون للأمير أبي حمو موسى الثاني بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن الذي كان لاجئاً بإفريقيا عند بني حفص منذ حرب 753 هـ/1352م حيث تمكن من أن ينجو بنفسه بعد قتل عمه أبي ثابت¹ بعد تراجع أبي عنان إلى فاس سنة 758 هـ/1357م رأى أبو حمو موسى الثاني أن الوقت مناسب للعودة إلى تلمسان بدعم من قبائل الداوادة² وبني عامر³ وأبناء عمومته من زناتة ومن كان معه من آل زيان، وبعد غمار رحلة العودة إلى غير ممالكها عبر الصحراء والهضاب لأسباب إستراتيجية أمنية وصل إلى تلمسان وكان أول عمل قام به هو القضاء على ما تبقى بها من بني مرين ومنهم الأمير محمد بن عنان وحاشيته ودخل تلمسان في غرة شهر ربيع الأول 760 هـ/1359م واسترجع ملك بني زيان وتمت مبايعته في

¹ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج: 01، ص: 212. - التنسي: المصدر السابق، ص: 157.

² - الداوادة: بطن من عمارة مرداس وهو من عرب رياح من بني هلال وقد ترأس الداوادة رياح وكانت موطنهم تمتد من الجريد إلى القيروان إلى الزاب - تاريخ ابن خلدون، ج: 06، ص: 43.

³ - بنو عامر من عمارة رياح من عرب بني هلال وهم ابن زغبة وكانت موطنهم تمتد من الجريد إلى القيروان إلى الزاب ثم يمتد إلى آخر مواطن المغرب الأوسط قبلة تلمسان مما يلي المعقل وفيهم ثلاثة بطون بنو يعقوب بن عامر وبنو حميد بن عامر وبنو شافع بن عامر وهم بنو شقارة وبنو مطرق، تاريخ ابن خلدون، ج: 06، ص: 68.

- وبنو شقرة أو شقارة أو الشقارة نسبة لشقرة بن شافع بن عامر بن زغبة وبنو مطرف هم أولاد مطرف أو المطارف نسبة لمطرف بن شافع بن عامر بن زغبة. ينظر، المشرفي عبد القادر الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهرا من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان - د.ت، ص: 14.

هذا اليوم¹ لقد امتد حكم أبي حمو موسى الثاني نحو ثلاثين سنة وقد تميز عصره بمنجزات سياسية وعسكرية معتبرة وإسهامات حضرية كبيرة، ومرد ذلك يعود إلى قوة شخصيته وتكوينه العلمي وحنكته السياسية.

عمل بداية على استرجاع وبسط سيادة الدولة على إقليم المغرب الأوسط، فتصدى للقبائل المتمردة عن ولائها للدولة ومواجهة هجومات بني مرين الذين أصروا على الاعتداء على جيرانهم، فبالهم لا يرتاح بدون تلمسان وكأن ملكهم لا يقوم إلا باحتلال تلمسان، لكن هذه المرة وجدوا من البسالة والصمود في المقاومة ما لم يعهدونه من قبل.

لقد غزوا مدينة تلمسان أربع مرات لأول سنة 760 هـ/1359م والثانية 761 هـ/1360م في عهد السلطان أبي سالم المريني² والثالثة من 772 هـ/1371م إلى 774 هـ/1737م على عهد السلطان أبي فارس المريني³ والرابعة سنة 784 هـ/1383م⁴ على عهد السلطان أبي عباس المريني⁵ وأثناء هذه الهجومات كان السلطان أبو حمو موسى الثاني يفر بأهله ومقربيه إلى الجنوب نحو الهضاب والصحاري لاجئاً عند حلفائه يترصد الظرف المناسب للاسترجاع عرشه الذي كان يسقط أمام هذه الغزوات، فلم يهن أو يكَل في الثبات على المقاومة في مواجهة أعدائه من الخارج، أو من منافسيه من الداخل ومنهم ابن عمه أبو زيان بن عثمان الذي رضي بالاستتجاد بأعدائه من بني مرين ضد ابن عمه فكانت

¹ - ابن خلدون: العبر ج: 07، ص: 255، ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، المجلد الثاني، نشرة الفرد بل، مطبعة فونطانة الجزائر 1911، ص: 37.

- التنسي: المصدر السابق، ص: 158.

² - السلطان المستعين بالله أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني تولى العرش بعد خلع ابن أخيه الصبي الحسن ابن أبي عنان الذي حكم تسعة أشهر وكان عهده من 15 شعبان 760 هـ/1359م إلى 21 ذي القعدة 762 هـ/1361م، الناصري: لإستقصا، م: 02، ص: 94 و 123.

³ - السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن حكم من 22 ذي الحجة 667 هـ/1365م إلى 22 ربيع الثاني 774 هـ/1372م. الناصري: لإستقصا، م: 02، ص: 133 و 139.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج: 07، ص: 260، يحيى بن خلدون: بغية ج: 02، ص: 37 و ص: 64 و ص: 237. - الناصري: لإستقصا، م: 02، ص: 118 و ص: 137 و ص: 145.

⁵ - السلطان المستنصر بالله أبو العباس أحمد بن أبي سالم حكم أولاً من 1 محرم 776 هـ/1374م إلى 30 ربيع الأول 786 هـ/1384م ثم خلع وعاد إلى الحكم في 7 رمضان 789 هـ/1387م إلى وفاته يوم 07 محرم 796 هـ/1394م الناصري: لإستقصا، م: 02، ص: 140 و ص: 146، ص: 150 و ص: 152.

الحرب بينهما سجالاتاً، إلا أن الغلبة في النهاية كانت لأبي حمو الذي استطاع أن يصمد دون أن يفرط في عرشه رغم المحن والشدائد التي اعترضته في عدة جبهات فبسط سيادته على المغرب الأوسط من تلمسان إلى وهران إلى الجزائر حتى وصلت إلى حدود بجاية. ومما ساعده على هذا الصمود وهذه السيادة هو العلاقة الحسنة مع القبائل العربية والزناطية التي استطاع بفضل دعمها أن يكون له جيشاً قوياً حقق به انتصاراته العسكرية والسياسية¹ على قدر هذه العقبات التي اعترضت السلطان أبي حمو موسى الثاني كانت عزائمهم أقوى ومنجزاته أكبر في فترته التي امتدت من سنة 760 هـ/1359م إلى سنة 791 هـ/1390م فبعد إنبعاث دولته الزيانية وحول اسمها الرسمي من العبد الوادية إلى الدولة الزيانية واسترجع مجدها وقوتها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وعلمياً، خاصة وأنه كان صاحب تكوين علمي ومساهمة فكرية بكتابه المشهور " واسطة السلوك في سياسة الملوك " ² كما بنى المدرسة الثالثة الزيانية والرابعة بعد مدرسة العباد المرينية وهي المدرسة اليعقوبية نسبة لوالده يعقوب سنة 765 هـ/1364م ³ كما اعتنى بأهل العلم وأكرم منزلتهم، فنشطت الحياة الثقافية وبرزت مجموعة من العلماء الأجلاء، وقد كان من كتبه الحافظ لسره يحيى بن خلدون أما أخوه عبد الرحمن فقد كان صارماً معه عندما علم بميوله نحو بني مرين فتعرض لمضايقات بأمر منه ⁴.

وعلى عظمة هذا السلطان كانت نهايته مؤلمة، إذا كان قد استطاع أن يبعث الدولة الزيانية من جديد فإنه لم يوقف في تحصين بيته من الداخل خاصة مع ابنه وولي عهده أبي

¹ - ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 07، ص: 271.

- حاجيات عبد الحميد: أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1394 هـ/1974م، ص: 90.

² - واسطة السلوك في سياسة الملوك: وهو عبارة عن وصايا قدمها لابنه أبي تاشفين حول القواعد التي يبنى عليها الملك وهي نصائح حكومية وسياسة عملية للنجاح في الدنيا والفوز في الآخرة، حاجيات عبد الحميد أبو حمو موسى ص: 187 وهو الآن قد حققه ويصدد طبعه. - نسخة من هذا المخطوط بالموقع الإلكتروني، مخطوطات جامعة الملك سعود www.makhtota.ksu.edu.sa

محمد الأمين بلغيث: النظرة السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1989 ص: 65 66 KADDACHE Mahfoud: l'algerie médiévale SNED alger 1980 P: 169

³ - المدرسة اليعقوبية: هي بجانب قبر والده بروضه آل زيان بجوار مسجد سيدي إبراهيم.

- التنسي: المصدر السابق، ص: 40.

⁴ - ابن خلدون عبد الرحمن: رحلة ابن خلدون (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً) عارضها بأصولها وعلق حواشيها محمد بن تاويت الطنجي دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: 01، 1425 هـ/2004م، ص: 187.

تاشفين الذي وقع في شباك بني مرين الذين لم يتوقفوا عن دسائسهم ومؤامراتهم فانساق أبو تاشفين لهم ودخل في مواجهة مع أبيه بدعم منهم انتهت بمعركة بينهما قتل على إثرها أبا حمو موسى الثاني في 1 ذي الحجة 791 هـ/22 نوفمبر 1389م¹.

2- النزاع بين أبناء بني زيان وعودة بني مرين إلى تلمسان

خلا الجو لأبي تاشفين عبد الرحمن الثاني فاستلم عرش بني زيان لكن سيادته كانت منقوصة إذا كان يخطب لبني مرين فهم أولياء انتصاره على أبيه، إلا أن أخاه أبا زيان الذي كان واليا على الجزائر أراد أن ينتقم من أخيه ويثأر لأبيه فدخل في مواجهة عسكرية معه بداية من سنة 792 هـ/1391م² وعندما فشل فيها لجأ لبني مرين الذين وجدوا فرصة لتعميق الخلاف بين الأخوين وتشتيت قوة بني زيان فدعموه بداية وعندما توفي أبو تاشفين الثاني سنة 795 هـ/1393م رأى السلطان المستنصر بالله³ أبو العباس المريني الفرصة للتوسع نحو المغرب الأوسط واعتقل أبا زيان وأرسل قوة عسكرية بقيادة ابنه أبي فارس فوصل تلمسان ومنها نحو بجاية حدود بني حفص. وبعد وفاة السلطان المستنصر بالله في يوم 07 محرم 796 هـ/1393م عاد أبو فارس إلى فاس وخلف أباه على عرش بني مرين.

وأول عمل قام به أبو فارس هو إطلاق سراح أبي زيان ليتولى عرش بني زيان تحت طاعة المرينيين بداية من ربيع الثاني 796 هـ/فيفري 1394م فتصدى لأخيه يوسف⁴ الذي كان على كرسي العرش بعدما قتل ابن أخيه أبي ثابت يوسف⁵ وبهذا استتب الأمر لأبي

¹ - ابن خلدون: العبر، ج: 07، ص: 300.

- التنسي: المصدر السابق، ص: 181. حاجيات: أبو حمو، ص: 154.

- حاجيات ومعروف ومبخوت: المرجع السابق ص 228

² - ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 07، ص: 303.

- التنسي: المصدر نفسه، ص: 184.

³ - السلطان المستنصر بالله أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن أبي العباس حكم 9 محرم 796 هـ/1393م إلى وفاته 8 صفر 799 هـ/1396م. - الناصري: الإستقصا، م: 02، ص: 154.

⁴ - أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو معروف بابن الزابية تولى الحكم من جماد الأولى 795 هـ/1393م إلى صفر 796 هـ 1393م. - التنسي: المصدر السابق، ص: 209.

⁵ - أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني حكم 40 يوما سنة 795 هـ/1393م.

- التنسي: المصدر نفسه، ص: 206.

زيان وهدأت أجواء تلمسان وصفت سماؤها من دخان الحرب لتسترجع عافيتها وتعود إلى نشاطها الحضري وإشعاعها العلمي خاصة وأن أبا زيان صاحب تكوين علمي شأن أبيه محبا للعلم مكرما للعلماء فانتعشت الحياة العلمية وفي هذا يقول التنسي:

" فأقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في نظم مجالسها واتساقها وأوضح للأهل الأبصار والبصائر رسمها، وأثبت في رسوم التخليد وسمها واسمها، إذ كان تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها في السماء، وتصرف في سببته بين دراسة معارف وإضافة عوارف، وكلف بالعلم حتى صار منهج لسانه وروضة أجفانه فلم تخل حضرته من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرة ومحاضره فلاحت للعلم في أيامه شمس، وارتاحت للاستغراق فيه نفوس بعد نفوس " ¹.

وأكثر من ذلك فإنه كان مشابها لأبيه في إنتاجه العلمي ذوّاقاً للأدب والجمال منظماً للشعر ² نسخ بيده نسخاً من القرآن الكريم وحبسها ³ ونسخاً من صحيح البخاري نسخاً من الشفا ⁴ وصنف كتاباً في علم النفس والتصوّف سماه: " كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة" ⁵ وقد علق محمود بوعياض على هذا الكتاب أنه في حكم المفقود وذكره التنسي فقط ⁶ وبهذا كانت بداية القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي بداية مشرقة لحركة واسعة من التأليف والتصنيف لمختلف العلوم وأصناف الفنون لكن بني مرين كعادتهم لا يهدأ لهم بال وتلمسان مستنقرة، فأغرو أخاه أبا محمد عبد الله للثورة ضد أخيه فغزا تلمسان سنة 801/هـ1400م ودخل في مواجهة عسكرية دفعت أخاه أبا زيان نحو

¹ - التنسي: نفسه، ص: 210، 211.

² - ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 07، ص: 208.

³ - التنسي: نفسه ص: 211 وهامشها رقم 534.

⁴ - الشفا: هو كتاب: " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى من كبار العلماء في وقته في الفقه والحديث له عدة تصانيف أشهرها الشفا ولد بسبة سنة 476 هـ تولى القضاء بالأندلس وتوفي بمراكش سنة 544 هـ/1149م ابن القنفذ القسنطيني أحمد أبو العباس: كتاب الوفايات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت لبنان 1982، ص: 280.

⁵ - التنسي: نفسه، ص: 211.

⁶ - نفسه، ص 211.

الشرق طلبا للنجدة والنصر من العرب والبربر إلى أن طالته يد الغدر فقتله محمد بن مسعود الوعزاني الذي أظهر له الخدمة سنة 805 هـ/1402م¹ وبهذا استمر نفوذ المرينيين على شؤون المغرب الأوسط فحكم أبو محمد عبد الله من سنة 801 هـ/1399م إلى سنة 804 هـ/1403م² حيث عزل وسجن بفاس وعين مكانه أخاه أبا عبد الله محمد بن خولة الملقب بالوائق وقد استمر في الحكم إلى سنة وفاته 813 هـ/1411م مدة تسع سنوات عرفت تلمسان خلالها حسب التنسي نوعا من الاستقرار السياسي والهدوء الاجتماعي والنشاط العلمي³ خلف ابن خولة ابنه عبد الرحمن إلا أن حكمه لم يدم أكثر من ثلاثة أشهر من ذي القعدة 813 هـ/1410م إلى محرم 814 هـ/1411م بعد أن أرغم على التنازل عن العرش لعمه السعيد بن أبي حمو الذي غزاه على رأس قوة عسكرية بتحريض ودعم مريني⁴ ثم كان مصير السعيد شأن سابقه حيث أرسل له بنو مرين أخاه أبا مالك عبد الواحد الذي هاجمه ودخل تلمسان في نفس السنة من شهر رجب⁵.

و لقد كتب لعبد الواحد أن يمتد حكمه إلى أربعة عشر سنة استعادت فيها تلمسان عافيتها واسترجعت سيادتها وبسطت نفوذها شرقا وغربا لما عرف عن هذا السلطان من شجاعة وحزم، واهتمام بالعلم والأدب. وإذا كان هذا الخليفة قد استطاع أن يتخلص من تدخل بني مرين في تلمسان ويغزوهم في عاصمتهم فاس فإنه سرعان ما برز على الجبهة

¹ - التنسي: المصدر السابق، ص: 228.

- ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية تلمسان تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة مكتبة الثقافة الدينية القاهرة مصر، ط: 1، 1421 هـ/2001م، ص: 83.

² - التنسي: المصدر نفسه ص: 229. - ابن الأحمر: المصدر السابق، ص: 84.

³ - التنسي: نفسه ص: 231 وذكر أبيات شعرية للحكمي وهو أبو نواس الحسن بن هاني المتوفى في سنة 199 هـ/814م يرثي فيها الخليفة محمد الأمين ابن هارون الرشيد تعليق محمد بوعياذ وكأن التنسي يريد بذلك وجه المقارنة بين صراع الاخوين الأمين والمأمون على الخلافة مع صراع بني زيان على العرش لكن الاختلاف في كون صراع الأمين والمأمون صراع داخلي بين النفوذ العربي المدعم للأمين والنفوذ الفارسي المناصر للمأمون أما صراع بني زيان فهو بإدارة وتدبير خارجي مريني قصد إحكام قبضتهم على تلمسان بعد إضعافها.

- التنسي: نفسه، ص: 231.

⁴ - نفسه، ص: 234.

⁵ - نفسه، ص: 235.

الشرقية الخطر الحفصي¹ دون أن ننسى ذكر الخطر البرتغالي الذي حل بوهران وإمتد من 818 هـ/1415م إلى 841 هـ/1437م².

3- تلمسان تحت نفوذ الحفصيين

إن الموقع الوسط للمغرب الأوسط بقدر ماله أهمية إستراتيجية له مخاطر الحدود، فما أن زال الخطر الغربي حتى انفتح أمامه الخطر الشرقي الحفصي، وكان السلطان الحفصي أبو فارس³ أراد أن يتبع خطة أحسن دفاع هو الهجوم لصد بني زيان عن شرق المغرب الأوسط والزحف نحو تلمسان إلى أن حكمها سنة 827 هـ/1424م بعد أن فر السلطان الزياني هاربا نحو الجبال⁴ ونصب عليها محمدا بن تاشفين الثاني الملقب بابن الحمراء ثم اتجه السلطان الحفصي أبو فارس نحو فاس فدانت له وأصبح السلطان المريني عثمان الثاني⁵ تحت طاعته فعاد إلى العاصمة تونس لتلتحق غرناطة بمبايعة أبي فارس وبهذا أصبح المغرب الإسلامي بأقطاره الأربعة تحت سيطرة بني حفص⁶.

دخلت تلمسان تحت حكم محمد بن تاشفين الثاني طاعة بني حفص وعندما شعر بقوته راح يخلع الطاعة عن أبي فارس الحفصي ويدخل في مواجهة عسكرية انتهت بانتصار أبي فارس ودخوله تلمسان سنة 831 هـ/1428م وأعاد إليها أبا مالك الذي كان قد لجأ إليه⁷ أما ابن الحمراء فقد خرج متجها نحو جبال الونشريس⁸ لجمع التأييد لنفسه حتى عاد إلى

¹ - التنسي: المصدر السابق، ص: 234.

² - الجيالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر، ج: 02، ص: 195.

³ - أبو فارس: عبد العزيز حكم من سنة 796 هـ/1393م إلى سنة 837 هـ/1434م لمدة 41 سنة.

- الزركشي: المصدر السابق، ص: 114 و 131.

⁴ - التنسي: المصدر نفسه، ص: 241.

- الزركشي: المصدر نفسه، ص: 125.

⁵ - هو السلطان أبو السعيد عثمان بن أبي العباس حكم من سنة 800 هـ/1397م إلى سنة 831 هـ/1427م.

- الناصري: الاستقصا، م: 02، ص: 159 و 166.

⁶ - الزركشي: نفسه، ص: 126.

⁷ - التنسي: المصدر السابق، ص: 244.

⁸ - الونشريس: جبال شاهقة عامرة بالسكان تقع غرب الجزائر وجنوب مدينة تنس في الداخل

- الورن: المصدر السابق ج: 02، ص: 45.

تلمسان سنة 833/هـ1429م فانتصر على عمه وقتله، لكن هذا الانتصار لم يعمر أكثر من شهرين حتى هاجمه السلطان الحفصي أبو فارس فاعتقله ونصب مكانه عمه أبا العباس وبقي ابن الحمراء في الاعتقال إلى أن توفي سنة 840/هـ1436م¹.

دخلت تلمسان حكم أبي العباس أحمد المعتصم الملقب بالعاقل بداية من سنة 834/هـ1432م تحت وصاية أبي فارس الحفصي وبعد ثلاثة سنوات من حكمه استقرت الأوضاع وتقوّت الدولة فراح يتوقف عن الدعوة للسلطان الحفصي مغتتما في ذلك غزو النصارى لجزيرة جربة² فنهض له أبو فارس على رأس جيش قاصدا تلمسان إلا أن أجله حال دون وصوله تلمسان بعد أن مرض وتوفي يوم عيد الأضحى من سنة 837/هـ1434م فعاد الجيش إلى تونس³ وإستمر أبو العباس في حكمه على تلمسان وقد أرسى قواعد العدل العدل وأحسن تدبير شؤون الرعية وخدمة العلم والعلماء، فحقّق إجماعا على مودته حتى اشتهر بالعاقل، فكانت سياسته الإصلاحية ناجمة في إعادة النشاط والحيوية إلى قطاعات الحياة حتى استمرت فترة حكمه نحو اثني وثلاثين سنة وهي فترة معتبرة.

ومن منجزاته العلمية بناء مدرسة جديدة وهي المدرسة الخامسة بتلمسان أنجزت بزواوية أبي علي الحسن أبركان⁴ وهي تعرف بمدرسة الحسن أبركان كما نظّم الأوقاف وصرف

1- التنسي: المصدر نفسه، ص: 246 - الزركشي، المصدر السابق، ص: 112.

2- جزيرة جربة: جزيرة محاورة لليابسة تقع في خليج قابس طولها من الشرق إلى الغرب 26ميلا وعرضها من الشمال إلى الجنوب نحو 16ميلا وهي كلها منبسطة مشهورة الخصب تكثر بها الأشجار المثمرة.

- الإدريسي: المصدر السابق، ص: 206.

- الوران: المصدر نفسه، ج: 02، ص: 93.

3- التنسي: المصدر السابق، ص: 248 - الزركشي: المصدر السابق، ص: 113.

- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج: 02، ص: 197. حاجيات عبد الحميد: الجزائر في التاريخ، ج: 03، ص: 433.

4- الشيخ أبو علي الحسن بن مخلوف الراشدي واشتهر بأبركان ومعناه بالبربرية " الأسود " من العلماء الأجلاء درس بتلمسان وله مؤلفات عدة وبها توفي عام 867/هـ1464م.

- التبتكتي: المصدر السابق، م: 01، ص: 174.

- القلصادي أبو الحسن علي الأندلسي: رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق، محمد أبو الأجنان، الشركة التونسية للتوزيع 1978م، ص: 108.

مداخلها على المشاريع الخيرية والنشاط التعليمي والعلمي فتطور الإنتاج المعرفي¹، هذا ولم تخل هذه الفترة من المعارضة الداخلية من قبل أبناء العرش الزياني شأن ما سبق فكانت ثورة أخيه أبي يحيى بن أبي حمو الثاني سنة 838 هـ/1436م الذي استولى على وهران بعد فشله في الدخول إلى تلمسان واستقر بها إلى أن استرجعها العاقل سنة 852 هـ/1450م² ومن الثورات الأخرى ثورة أبو زيان محمد بن أبي ثابت سنة 841 هـ/1439م احتل على إثرها الجزائر واستولى ابنه أبو عبد الله محمد المتوكل على متيجة³ والمدية ومليانة⁴ وتتس إلا أن سكان الجزائر انتفضوا ضد أبي زيان وقتلوه سنة 843 هـ/1441م⁵. وفي سنة 850 هـ/1446م حاول الأمير أحمد بن ناصر بن حمو الثاني جمع بعض الأنصار بتلمسان، ولكن هذه الحركة لم يكتب لها النجاح ففشلت وتم القضاء عليها في بدايتها وقتل هذا الأمير، ولقد كانت هذه الحركة سببا في أن أمر السلطان أحمد العاقل ببناء جدار سياجي لقصره بالمشور وجاورته القيادة الزيانية⁶.

وإذا كان السلطان العاقل قد تصدى لهذه الثورات الثلاثة فإنه لم يستطع أن يصمد أمام ثورة أبي عبد الله محمد الذي تحرك من مليانة قاصدا تلمسان سنة 866 هـ/1461م. ولقد تمكن في طريقة من قمع قلعة بني راشد وهوارة⁷ ومستغانم ووهران حتى وصل تلمسان وبعد يومين من الحصار دخلها في غرة جمادى الأولى 866 هـ/1461م وقبض على

¹ - التنسي: المصدر السابق، ص: 248.

- ابن مريم: البستان، ص: 240.

- حاجيات: الجزائر في التاريخ، ص: 433.

² - التنسي: المصدر نفسه، ص: 248.

- حاجيات: الجزائر في التاريخ، ص 433 - فيلالي: المرجع السابق، ج: 1، ص: 72.

³ - متيجة: سهل جميل جدا يمتد جنوب الجزائر ويتوسع نحو الغرب طوله 45ميلا وعرضه 36ميلا ينبت القمح الجيد بكثرة.

- الوزن: المصدر السابق، ج: 02، ص: 37.

⁴ - مليانة: مدينة جميلة تقع على سفح جبل زكار الغربي ترتفع عن البحر 720م وتبعد عنه من مدينة شرشال بـ 40 ميلا وهي

تشرف على سهول الشلف أسسها زيري بن مناد الصنهاجي في ق: 04 هـ/10م وبينما ذكر الوزان أن بناءها روماني.

- الوزن: المصدر نفسه ج: 02، ص: 34. - توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص: 240.

⁵ - التنسي: نفسه: ص: 250.

⁶ - نفسه، ص: 253.

⁷ - قلعة بني راشد، وقلعة هوارة منطقتي متجاورتين في موقع جبلي داخلي يتوسط مستغانم شمالا وتيهرت جنوبا

- الوزن: المصدر السابق، ج: 02، ص: 06 و 26.

- محمود بوعياض: محقق تاريخ بني زيان، ص: 287.

السلطان أحمد العاقل ثم عفا عنه وأجاره إلى الأندلس¹ وبهذا يكون السلطان أحمد العاقل قد حكم، 32 سنة كثنائي أكبر خليفة حكما بعد المؤسس يغمراسن الذي حكم 48 سنة، وقبل أبي حمو موسى الثاني الذي حكم 31 سنة وبهذا عد العاقل من كبار سلاطين بني زيان.

وبداية من 01 جمادى الأولى لسنة 866 هـ/1461م تدخل تلمسان تحت حكم السلطان محمد المتوكل على الله المعروف بأبي ثابت وأبي عبد الله، هذا الخليفة الجديد لم يكن بالعادي عند الحفصيين الذين كانوا يراقبون تطور الوضع بتلمسان عن كثب وعلى رأسهم السلطان أبو عمر وعثمان² وبعد ستة أشهر من حكم المتوكل أي بداية من شوال رأى أن الفرصة مواتية لإعادة بني زيان إلى طاعة الحفصيين فتوجه إلى تلمسان على رأس جيش كبير وعندما علم المتوكل باقترابه من تلمسان سارع إلى إرسال وفدا لمبايعة السلطان الحفصي فقبل أبو عمرو عثمان هذا الولاء وعاد إلى تونس وهذا في شهر صفر 867 هـ/1462م³.

¹ - التنسي: المصدر السابق، ص: 254 و257.

² - أبو عمر وعثمان: حكم من سنة 839 هـ/1435م إلى سنة 893 هـ/1488م.

- الزركشي: المصدر السابق، ص: 134.

³ - الزركشي: المصدر نفسه، ص: 153.

لم يستقر الوضع السياسي للمتوكل بعد هذه الحادثة بل سرعان ما عاد أحمد العاقل من الأندلس وجمع جيش من العرب والبربر وهاجم تلمسان وحاصرها في ذي الحجة 867 هـ/1462م، إلا أن مقاومة المتوكل تحصنت في صد هذا الهجوم وقتل أحمد العاقل في 13 ذي الحجة 867 هـ/1462م ودفن بالعباد¹.

و في السنة الموالية من شهر شوال 868 هـ ثار الأمير محمد بن غالية من وجدة وتحرك على رأس قوة عسكرية ليتمركز في جبل بني ورنيد فأرسل له السلطان المتوكل قوة عسكرية قضت عليه².

بنو حفص شأنهم شأن بني مرين لا يهدأ لهم بال وتلمسان مستقرة منتصرة، فلا تطفأ فتنة في جهة ما حتى تشتعل في جهة أخرى، فهاهم عرب بني عامر وسويد³ يتحركون للإطاحة بالمتوكل بتحريض ودعم من الحفصيين ومعهم أبو زيان عبد الواحد بن أبي حمو الثاني ثم لحقه السلطان أبو عمرو عثمان ووصل إلى تلمسان على رأس قوة عسكرية فحاصر العاصمة الزيانية وبدأ في ضرب سورها، وعندئذ أذعن المتوكل إلى تجديد الطاعة للسلطان الحفصي، وأكثر من ذلك زوج ابنته للأمير الحفصي أبي زكرياء ابن يحي⁴ دون خطبة وكأنها هدية منه للعرش الحفصي حتى يرفع عنه الحصار ويعود السلطان إلى تونس وهذا في سنة 872 هـ/1467م واستمر المتوكل على طاعته بني حفص حتى توفي سنة 873 هـ/1468م⁵.

¹- التتسي: المصدر السابق، ص: 257.

²- التتسي: المصدر نفسه، ص: 258.

³- سويد: من القبائل العربية وهي من بني مالك بن زغبة من بني هلال.

- ابن خلدون: العبر، ج: 06، ص: 94.

⁴- أبو زكريا يحيى الثالث بن مسعود حكم من سنة 893 هـ/1488م إلى سنة 899 هـ/1493م.

- الجيلالي: المرجع السابق، ج: 02، ص: 87.

⁵- الزركشي: المصدر السابق، ص: 158.

- حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج: 3، ص: 434.

- فيلالي: المرجع السابق، ج: 01، ص: 73.

المبحث الرابع: خطر النصارى وسقوط الدولة الزيانية

بعد السلطان المتوكل تولى عرش بني زيان ولي عهد ابنه أبو تاشفين الثالث لكن حكمه لم يدم سوى 40 يوما وفي رواية أخرى أربعة أشهر وخلعه أخوه أبو عبد الله محمد الرابع المعروف بالثابتي¹ فهل ثبت في ملكه ؟

1- ثبات أبي عبد الله محمد الثابتي

الثابتي نسبة إلى جده أبي ثابت واستمر حكمه نحو 37 سنة أي حتى 910 هـ/1405م ليحتل المرتبة الثانية بعد السلطان يغمراسن بن زيان. لقد عرف كيف يحافظ على ود الحفصيين فبقوا إلى جانبه وبهذا تمكن من بسط نفوذه على المغرب الأوسط فكان ضابطا لشؤون دولته، عرف كيف يتحكم في الأوضاع الداخلية إلى حد بعيد، لكن التطورات الخارجية لم تكن مريحة إذ استطاعت القوى الصليبية بقيادة إسبانيا² أن تسقط دولة بني الأحمر في غرناطة في شوال 897 هـ/1492م³ وبهذا ضاع آخر معقل بتلمسان بالأندلس، وهذا الخطر الصليبي لن يتوقف في حدود شبه جزيرة إيريا بل سيمتد نحو سواحل بلاد المغرب. من أمراء بني الأحمر الذين قدموا إلى المغرب الأوسط أبو عبد الله محمد الزغل⁴ نزل وهران بداية ثم اتجه نحو تلمسان واستقبله محمد الثابتي بكل حفاوة وكرم وقد كان مرفوقا بأعيان ووجهاء غرناطة¹.

¹ - عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص: 238.

- حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج: 03، ص: 434.

² - إسبانيا الحديثة: يرجع تاريخها إلى سنة 1469م بعد المصاهرة السعيدة على الوحدة الإسبانية التي تمت بين فرديناند ملك أراغون وبين ازابيلا وارثت عرش قشتاله بعد موت أخيها فتكونت سنة 1474 إسبانيا المسيحية الموحدة.

- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492 - 1792) وثائق دراسات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص: 48.

³ - المقرئ: نفع الطيب م: 04، ص: 524.

⁴ - أبو عبد الله محمد بن سعيد الزغل: عم آخر ملوك بني الأحمر أبو عبد الله محمد الزغبي استقر بتلمسان إلى أن توفي بها.

لم يكتف صليبيو الاسبان والبرتغال بطرد المسلمين من الأندلس فحسب بل لاحقوهم نحو بلاد المغرب مغتتمين حالة صراع الدول المغاربية من جهة وصراع أبناء العرش على السلطة، فكان هجوم البرتغاليين على المرسى الكبير² ووهران سنة 906هـ/1501م لكنهم فشلوا في محاولتهم هذه وفي سنة 910هـ/1505م كانت المحاولة الثانية من قبل الاسبان على المرسى الكبير التي انتصروا فيها على المقاومة التي فشلت في رد هذا العدوان الذي تأثر له السلطان الثابتي كثيرا وتوفي في هذه السنة وخلفه ابنه أبو عبد الله محمد، وبهذا تمكن الاسبان من احتلال المرسى الكبير سنة 911هـ/1506م بدعم ومباركة الكنيسة.³

2- ضعف أبي عبد الله محمد بن الثابتي

في ظل هذا الوضع الصعب تولى شؤون تلمسان أبو عبد الله محمد بن الثابتي والخطر الصليبي يهدد كيان الدولة الزيانية، وخاصة أن الانقسامات الداخلية شتتت قوى العرش الزياني. فهذا أبو زيان الثالث يثور ضد السلطان محمد بن الثابتي وهذا يحيى الثابتي يستقبل بمدينة تنس بدعم من الإسبان وبالمقابل بدأت المدن الساحلية تتساقط في أيدي الإسبان فاحتلوا وهران سنة 914هـ/1509م⁴ ثم امتدوا نحو بجاية سنة 915هـ/1510م⁵ وضعف السلطان الزياني عن مواجهة هذا الخطر بل راح يهون ويستسلم، دخل في تفاوض مع الإسبان انتهى بالصلح والتبعية الإسبانية المسيحية الموحدة يقضي بدفع ضريبة سنوية وتموين الحامية الإسبانية بوهران وكان هذا سنة 918هـ/1512م⁶.

بن أشنهو عبد الحميد: أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة دفين تلمسان أم فاس مجلة الأصالة - مجلة ثقافية تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر العدد 26 جويلية أوت 1975، ص: 271.

¹- حاجيات: الجزائر في التاريخ، ص: 455.

- بن أهشنو: المرجع السابق، ص: 272.

²- المرسى الكبير: مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان وهي بعيدة من الجهة الغربية عن وهران ببضع ميال (10 كلم) وميناءها كبير ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية في مأمن من كل عاصفة وإعصار.

- الورن: المصدر السابق: ج: 02، ص: 31.

³- المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص: 96.

⁴- توفيق المدني: حرب الثلاثمئة سنة، ص: 110.

⁵- توفيق المدني: المرجع نفسه، ص: 119.

⁶- حاجيات: الجزائر في التاريخ، ص: 456.

و بهذا السلم المفروض تأزمت أوضاع المغرب الأوسط وازدادت خطرا حتى توفي السلطات ابن الثابتي سنة 922 هـ/1517م¹.

3- هوان أبي حمو الثالث ونجدة الأخوان عروج وخير الدين

بعد وفاة أبي عبد الله محمد تولى عرش بني زيان أبو زيان أحمد لكن سرعان ما أبعده وسجن ومن قبل أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي الذي سار على نهج أخيه بمسالمة الإسبان ومصالحتهم مع مواصلة الإلتزام بشروط الصلح. وإذا كان هذا السلطان راض عن هذه الحالة، فإن الرعية لم تكن كذلك ولم تقبل بالإستسلام، فراحت تفكر في تنظيم صفوفها لمواجهة الخطر النصراني، فتحرك أعيان تلمسان نحو القائد عروج² حيث انتقل وفد كبير من تلمسان إلى القائد عروج طالبين النجدة ضد السلطان أبي حمو الثالث وشاكين ولاءه للإسبان، فما كان على عروج إلا أن لبي نداء الإخوة، فبعد أن حرر مدينة تنس اندفع نحو تلمسان سالكا مسلكا داخليا بعيدا عن الخطر الإسباني حتى وصل قلعة بني راشد شمال معسكر³ واتخذ بها مركزا لحماية مواصلاته ترك عليه أخاه إسحاق مع 600 رجل وواصل مسيرته نحو تلمسان حتى وصل إليها وكانت المواجهة مع أبي حمو الثالث وجنده فهزمهم

- فيلالي: المرجع السابق، ص: 76.

¹- حاجيات: المرجع نفسه، ص: 456.

- فيلالي: المرجع نفسه، ص: 76.

-عثمان الكعك: المرجع السابق وذكر سنة 923 هـ، ص: 239.

²- عروج وخير الدين: في جزيرة مدلي ببحر الأرخييل عاش تركي من بقايا الفاتحين هو يعقوب بن يوسف وتزوج من سيدة أندلسية أنجبت له أولاده الأربعة: إسحاق عروج خسرف ومحمد إلياس ترعرع هؤلاء في ظل الجهاد الإسلامي ضد النصرانية الحاكمة، وكان عروج مند صغره مولوع بالحرية فتكون في مجال البحرية وبرع فيها حتى أنشأ قوة عسكرية بحرية بدعم من السلطان العثماني بيازيد قصد الجهاد البحري لإتقاد مسلمي الأندلس اللاجئين إلى بلاد المغرب وانضم إليه أخوه خسرف الذي غير إسمه إلى خير الدين وأنشأ بداية مركز بجزيرة جربة ثم دعمهما السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد سنة 1510م وأقطعهما مرفأ حلق الوادي ليتخذ كقاعدة بحرية للجهاد البحري لقب النصاري عروج ببربروس أي ذي اللحية الشقراء.

- توفيق المدني: نفسه، ص: 156.

³- معسكر: مدينة من إقليم بني راشد لها انهار وثمار وفيها سوق يوم الخميس يباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل والمنسوجات وحاجيات الخيل وهي مقر خليفة الملك في هذا الإقليم.

- الإدريسي: المصدر السابق، ص: 152.

- الورن: المصدر السابق، ج: 2، ص: 26.

ودخل تلمسان واستقبله أهلها استقبال الأبطال ففر أبو حمو الثالث إلى وهران تحت حماية الإسبان وراح عروج يطلق سراح أبازيان الثالث وينصبه على عرش بني زيان محاولاً ربطه بالإدارة المركزية بالجزائر للقيام بالتصدي العام للإسبان إلا أن أبازيان الثالث لم يكن مستعداً للتعامل مع العثمانيين فقطع الإتصال بهم وتراجع عن ولائه لهم فما كان على عروج إلا أن عاد ثانية إلى تلمسان ففضى على أبي زيان وأتباعه وتولى هو مباشرة شؤون تلمسان¹.

لم تهدأ مؤامرة الإسبان إذا سرعان ما عادت من جديد تغدي الصراع على ما تبقى من العرش الزياني برعاية رسمية من الملك الإسباني كارلوس الخامس المشهور وبشار لكان² الذي انتقل إليه أبو حمو الثالث من وهران فاستقبله وأمر حاكم وهران بدعم كلي له لإرجاعه إلى عرش تلمسان فخرج أبو حمو الثالث على رأس قوة مشتركة من أنصاره ومن الإسبان نحو تلمسان فحاصرها وأحكم قبضته عليها تصدى عروج لهذا الخطر وصمد في المواجهة ستة أشهر إلى أن حطم الإسبان أسوار تلمسان بعد قصفها بالمدافع فتحصن عروج ومن معه بقلعة المشور وعندما أدركوا الخطر الداهم نحوهم فروا نحو الساحل لطلب المدد من خير الدين بالجزائر لتكون المعركة مع القوات الإسبانية بقيادة "كارسيادي لابلازا"³ في واد المالح⁴ في سنة 924 هـ/ماي 1518م وقد دافع عروج بكل شجاعة وبسالة حتى استشهد

¹ - ابن سحنون الراشدي أحمد بن محمد بن علي الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، سلسلة التراث 1 - مطبعة البعث قسنطينة الجزائر 1973، ص: 440.

- توفيق المدني: حرب الثلاث مائة سنة ص: 188.

- اندري برنيان أندري نوشي إيف لا كوست: الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطوبولي رايح ومنصف عاشور ديوان المطبوعات الجزائرية الجزائر 1984، ص: 123.

² - الملك الإسباني الكبير كارلوس الخامس المشهور شارلكان (1519 - 1556) تولى عرش إسباني سنة 1516م باسم شارل الأول ثم آل إليه عرش الإمبراطورية الجرمانية المقدسة سنة 1519 فلقب بشارل الخامس اعتزل الحكم 1556 وتوفي 1558. - توفيق المدني: المرجع نفسه، ص: 185.

- ناصر الدين السعيدوني: تعليق وتحقيق موجز التاريخ العام للجزائر لعثمان الكعك، ص: 277.

³ - كارسيافيرنانديس ديلا بلازا دي تينيو قائد عسكرياً برتبة جنرال (لواء) عينه شارل الخامس.

- بن أشنهو عبد الحميد أبي زيان: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر - مطبعة الجزائر 1392هـ/1972م، ص: 79.

⁴ - واد المالح Rio sallado بناحية وهران يبعد عنها نحو 50 كلم غرباً وهو شمال تلمسان بنحو 90 كلم وهناك من يقول واد المويلح بزواوية سيدي موسى بالحدود الحالية بين الجزائر والمغرب

أصحابه وبقي هو وجها لوجه مع كارسيا وهو يقاتل بيد واحدة بعد أن بترت يده في معركة بجاية 921 هـ/1515م حتى اخترط كل منها صاحبه بالسيف فسقط عروج شهيدا ومات كارسيا¹.

بقي أبو حمو موسى الثالث على ولائه للإسبان مطيعا لهم يدفع الأتاوة السنوية بانتظام إلى أن توفي سنة 934 هـ/1528م وخلفه أخوه عبد الله أبو محمد الذي تراجع عن طاعة الإسبان وربط علاقته بالقائد خير الدين وال خليفة العثماني سليمان القانوني واستمر على حاله حتى توفي سنة 947 هـ/1540م².

- بن اشنهو عبد الحميد، المرجع نفسه، ص: 77.

¹- توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، ص: 190

- بن اشنهو عبد الحميد: نفسه، ص: 76.

²- الورن: وصف إفريقيا، ج: 02، ص: 10

- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص: 239.

4- تلمسان بين الولاء للإسبان والإرتباط بآل عثمان

خلف عبد الله ابنه الأكبر محمد أبي عبد الله إلا أن أخاه أبا زيان أحمد ثار عليه بتشجيع من العلماء ودعم من العثمانيين وراح السلطان المخلوع محمد أبو عبد الله يستتجد بالإسبان فأمدوه بالقوة العسكرية وكانت المواجهة بينهما في شعبة اللحم قرب عين تموشنت¹ في شوال 950 هـ/يناير 1543م وانتهت بانتصار أهل الأمان والشرف والعزة على أهل العار والخيانة².

شعر شار لكان بخزي الهزيمة فأرسل قوة عسكرية قوامها 15 ألف مقاتل وكان الهجوم الكبير على تلمسان دافع عنها أبو زيان وجنده دفاعا مستميتا في معركتين الأولى بسهل أنقاد قرب وجدة والثانية تحت جدران المدينة إلا أن النصر كان حليف الإسبان وعملائه فدخلوا تلمسان وعاثوا فيها فسادا وخرابا وأعادوا السلطان محمد أبا عبد الله إلى ما تبقى من عرش تلمسان³.

وإذا كان الإسبان قد نال عسكريا من أبي زيان وجنده فأنى له أن ينال من معنوياتهم فما كان على أبي زيان إلا أن جمع قوته وأنصاره من جديد وأمدّه حسن باشا⁴ بجند وعتاد لتكون المنازلة المولية بناحية تلمسان في معركة الزيتون فانهزم أبو عبد الله ورجع إلى تلمسان إلا أن أهل تلمسان الأحرار الأبرار أبوا إلا أن يخلعوا سلطان العار عن بلدهم

¹ - شعبة اللحم نحو 5 كلم شرق عين تموشنت وهي بدورها مدينة داخلية وسط بين وهران وتلمسان تعرف في القديم على عهد الرومان البولاي وفي المصادر العربية قصر بن سنان.

- توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص: 225.

² - توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، ص: 310.

³ - توفيق المدني: نفسه، ص: 312.

- حاجيات: الجزائر في التاريخ، ص: 457.

- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص: 240.

⁴ - حسن باشا محمد القائد العسكري هو ابن القائد خير الدين خلفه بعد وفاته في ماي 1548م عن عمر 80 سنة وعينه السلطان العظيم سليمان برتبت باي لرياي.

- ابن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص: 441.

- التوفيق المدني: نفسه، ص: 317.

فأوصدوا أبواب تلمسان في وجهه وأعادوا أبا زيان إلى عرش تلمسان. أما السلطان المخلوع فقد لجأ إلى قبيلة أنقاد ذات القوة في الجنوب الغربي من مدينة وجدة ولكنهم أبوا ذلك وألقوا عليهم القبض وأعدموه هو وجماعته عن آخرهم¹.

استمر أبو زيان على عرش تلمسان محافظ على الوحدة مع إدارة الجزائر ولكن عندما فسدت سيرته خلع عن العرش ونصب الحسن بن عبد الله، فراح أبو زيان يستجد بالإسبان الذين تقدموا نحو تلمسان لكن حسن باشا لم يكن في غفلة عن هذا الأمر فخرج على رأس قوة عسكرية من الجزائر سنة 954 هـ/1547م والتقى الجمعان في سبخة وهران² إلا أن نبأ وفاة خير الدين باشا جعل حسن باشا يعود إلى الجزائر فاغتنم الإسبان الفرصة واتجهوا لاحتلال مستغانم من جديد لكن أهلها دافعوا عنها دفاعا مستميتا فما كان على الإسبان إلا العودة إلى وهران واستغل أبو زيان هذا الوضع وعاد إلى تلمسان معترفا بالتبعية للإسبان³.

و في هذه الأثناء يظهر السعديون⁴ على الساحة المغاربية فأرسل الشريف محمد المهدي⁵ جيشا بقيادة ابنه محمد الحران نحو تلمسان بسنة 957 هـ/1550م فاحتلها ومنها اتجه نحو مستغانم إلى أن وصل إلى مجرى واد شلف، أمام هذا الخطر الثاني هب القائد

¹ - توفيق المدني: المرجع السابق، ص: 313.

- حاجيات: المرجع السابق، ص: 757.

- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص: 240.

² - سبخة وهران: تقع جنوب وهران نحو 25 كلم وهي تمتد نحو الغرب حوالي 50 كلم وعرضها نحو 13 كلم، خريطة الشمال الغربي للجزائر، المعهد الوطني للخرائط، سنة: 1983م.

³ - ابن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص: 440.

- توفيق المدني: المرجع نفسه، ص: 321.

⁴ - السعديون: يعرفون بالأشراف السعديين أصحاب النسب الشريف من ولد محمد النفس الزكية من أحفاد علي رضي الله عنه، وهناك من يقول بنسبهم إلى أبي سعد بن بكر بن هوازن ومكانهم من ينبع النخل في الحجاز شيخهم أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله نشأ بدرعة وكان رجل صالحا مع بداية القرن العاشرهجري السادس عشر ميلادي بايعوه أهل سوس للتصدي للخطر البرتغالي فاجتمعة كلمة القبائل السوسية عليه ثم خلفه ابنه أبو العباس الأعرج الذي استطاع أن يوسع من نفوذهم حتى دخل مراكش سنة 930 هـ/1523م وبهذا ظهرت قوة السعديين على الساحة بعد قوة المرينيين والوطاسيين. - الناصري: الإستقصا، م: 02، ص: 221 - 230.

⁵ - السلطان أبو عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ ابن الأمير ابي عبد الله القائم بأمر الله وهو من كبار السلاطين حكم في حدود الفترة 946 هـ/1539م إلى 975 هـ/1567م.

- الناصري: الاستقصا، ج: 02، ص: 232 - 245.

حسن قورصو على رأس قوة عسكرية نحو مجرى واد شلف لتكون المواجهة التي انتهت بانتصار قورصوا وانهزام الجيش السعودي الذي عاد يجر أذيال الخيبة والهزيمة واسترجع قورصوا سيطرته على مستغانم ثم لاحق السعوديين إلى الحدود الغربية ورجع الجيش السعودي إلى غرب واد ملوية وعادت قوات حسن قورصو إلى تلمسان ونصب السلطان حسن بن عبد الله ثانية سنة 957 هـ/1550 م.¹ ولوضع حد للإعتداءات السعودية أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 959 هـ/1552 م إلى السلطان السعودي وفدا من كبار العلماء يرأسهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي² وفاوضه بمراكش حول: -اعتراف السلطان العثماني لاستقلال المغرب مقابل اعتراف المغرب بالخلافة العثمانية. - تحديد الحدود بين البلدين المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى (المغرب).

و كان رد ملك المغرب برفض الاعتراف بالخلافة وقبل بتحديد الحدود ورسمت من الساحل إلى بداية الصحراء كما هو اليوم بداية من سنة 961 هـ/1553 م.³

5- آخر سلاطين تلمسان وسقوط دولة بني زيان

لقد كان الحسن بن عبد الله آخر سلاطين بني زيان استمر على ولائه للعثمانيين نحو خمس سنوات، ولكن سيرته لم تكن محمودة فضاقت أهل تلمسان من ظلمه وفساده واجتمع مجلس العلماء والوجهاء وأعلنوا خلع السلطان سنة 962 هـ/1554 م عندئذ أعلن البايلر صالح رايس⁴ نهاية الدولة الزيانية وانضمام تلمسان إلى الحكومة المركزية بالجزائر¹.

¹- توفيق المدني: المرجع السابق، ص: 327.

²- محمد ابن علي الخروبي أبو عبد الله فقيه ومفسر ومحدث عد من كبار علماء الجزائر في وقته كان خطيب الجزائر من مؤلفاته، رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس، والأنس في التنبيه عن عيوب النفس، ومزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس وكفاية المرید وحلي العبيد في التصوف وله تفسير القرآن الكريم توفي سنة 963 هـ/1555 م - مخلوف محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د.س، ص: 284.

- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت لبنان . ط: 03، سنة: 1403 هـ/1983 م، ص: 132.

³- توفيق المدني: المرجع نفسه، ص: 331.

⁴- صالح رايس وهو من باي بيلر بايات الجزائر (باي البايات) حكم في الفترة الممتدة من 960 هـ/1552 م إلى 963 هـ/1555 م.

وبفضل الله وعونه قيد لهذه الأمة من ينقذها من الزحف النصراني الإسباني والغدر السعدي من أبناء الجزائر البررة وإخوانهم الأشاوس من آل عثمان لتكون تلمسان ضمن امتداد ربوع وطننا الجزائر العزيزة بعد الدور السياسي والحضاري الذي اضطلع به آل زيان ضمن دول هذا العصر سواء على الصعيد الثقافي والعلمي أو على الصعيد الاقتصادي والتجاري أو الروابط مع بلاد المشرق وبلدان أوروبا في الشمال وبلاد السودان الغربي في الجنوب وهذا بالرغم من الصراعات الداخلية للبيت الزياني وحركة تمرد القبائل من جهة والاعتداءات الخارجية المرينية والحفصية من جهة أخرى وحتى وإن أثرت هذه التطورات السياسية والعسكرية على الدولة الزيانية بدرجة كبيرة فإن أثرها على النشاط العلمي والصلات الثقافية مع دول المغرب والمشرق والنشاط الاقتصادي والتجاري كان أخف.

- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص: 284.

¹- توفيق المدني: المرجع السابق، ص: 343 - حاجيات معروف ومبخوت: المرجع السابق، ص: 280.

- بن آشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، ص: 212.

الفصل الثاني البيوتات الكبرى

البيوتات الكبرى هي البيوتات التي أنجبت ثلاثة علماء فأكثر، اشتهروا بإنتاجهم العلمي وكانت لهم نشاطات مختلفة بارزة في شتى الميادين، فكانت بيوتهم أكثر شهرة وهذه البيوتات هي بيت المقرئ، بيت العقباني، بيت المرازقة

المبحث الأول: بيت المقرئ

هذا البيت من البيوت العريقة بتلمسان والتي ذاع صيتها وانتشرت شهرتها من خلال العلماء الذين أنجبته وكان لهم دور كبير في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الإسلامي .

أ- التعريف ببيت المقرئ ونسبه:

لماذا سمي هذا البيت بالمقرئ؟ وما هو نسبه؟ وكيف استقر بتلمسان ؟

1- التعريف ببيت المقرئ:

بيت المقرئ نسبة لجدها الأكبر علي بن داود القرشي المقرئ وقد ذكر ذلك ابن الخطيب وهو يتكلم عن كبار شيوخه ومنهم محمد أبو عبد الله المقرئ المتوفى سنة 759 هـ 1358م¹ فقال: "محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن ابن أبي بكر بن علي بن داود القرشي المقرئ"².

وذكر أحمد أبو العباس المقرئ في نفع الطيب عن أكابر شيوخ ابن الخطيب منهم جده أبو عبد الله وهو: " محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن علي القرشي المقرئ"³ وقد جاءت سلسلة ابن الخطيب بزيادة "ابن داود" أي "علي بن داود القرشي المقرئ" أما في النسخ فقد جاءت "علي القرشي المقرئ".

¹ - ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: 01، سنة: 1394 هـ / 1974 م، م: 02، ص: 226.

² - ابن الخطيب: المصدر نفسه، م: 02، ص: 191.

³ - المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 203.

أما التنبكتي فقد ذكر عبد الرحمن القرشي التلمساني اشتهر بالمقرّي حيث قال: "محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي التلمساني شهر بالمقرّي"¹ فهو قد حذف "ابن أبي بكر بن علي" لكن المتفق عليه في هذه السلسلة هو القرشي المقرّي . والمقرّي هي نسبة لبلدة مقرّه التي هي قرية من قرى "الراب"² سكنها أبو عبد الله المقرّي هو وسلفه بداية عندما هاجروا من شبه الجزيرة العربية، ومقرّه ذكرتها مصادر الرحالة والجغرافيين ومنهم:

اليعقوبي في كتاب البلدان: "ومدينة يقال لها مقرّة لها حصون كثيرة والمدينة العظمى مقرّه أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر يقال لهم بنو زنداج وقوم ليقال لهم كزبرة وقوم يقال لهم سارسة"³ ذكرها وهو يتكلم عن إقليم الزاب ومدنه ومنها سطيف ونقاوس .

و ذكر البكري في كتاب المالك وهو يتكلم عن الطريق من مدينة القيروان إلى قلعة أبي طويل فقال: "ومن طبنة إلى مدينة مقرّه وهو بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع"⁴ وذكر في موطن آخر بوادي فقال: "بينها (مدينة ءادنة) وبين المسيلة مرحلة وبشرقيها وادي مقرّه عليه سبع قرى"⁵ .

وإذا كان اليعقوبي قد ذكر مقرّه كمدينة عظيمة والبكري وصفها بالبلد الكبير فإن الإدريسي قد أوردتها بالمدينة الصغيرة حيث قال: "وتخرج من المسيلة إلى مقرّه مرحلة وهي مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير"⁶ وقد ذكرها وهو يتكلم عن إقليم الزاب والحميري بعده فقال: "مقرّة بينها وبين المسيلة من بلاد الزاب مرحلة

¹ - التنبكتي: المصدر السابق، ج: 02، ص: 75.

² - إقليم الزاب يبتدئ غربا من تخوم مسيلة ويحدّه شمالا جبال مملكة بجاية، ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس وجنوبا إلى القفاز التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى وركلة .

- الورن: المصدر السابق، ج: 02، ص: 138.

³ - اليعقوبي: كتاب البلدان، ص: 191.

⁴ - البكري: كتاب المسالك، ص: 51.

⁵ - البكري: المصدر نفسه، ص: 144.

⁶ - الإدريسي: المصدر السابق، ص: 164.

وهي مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير. وبين مقرة وطبنة مرحلة وبين طبنة وبجاية ست مراحل " ¹ وبهذا الوصف قد يكون أخذ عن الإدريسي ثم يضيف وصف آخر قد يكون أخذه عن اليعقوبي فقال: "ومقرة هي المدينة العظمى وفيها منبر وعليها سور وأهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر لها حصون كثيرة" ² وذكرها الحموي بـ: مقرة فقال: "مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من قلعة بني حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ" ³.

ومن خلال هذه الأوصاف يمكن استنتاج أن مقري ذكرت كمدينة عظيمة وكبيرة إلى غاية عصر اليعقوبي ق 03/هـ 09 م وعصر البكري، ق 05/هـ 10 م، لكن خلال عصر الإدريسي، ق 06/هـ 12 م وصفت كمدينة صغيرة فقد تكون تعرضت إلى التخريب أما خلال القرن 10/هـ 16 م فلم يذكرها الوزان فقد تكون قد خربت ودمرت نهائياً ولم يبق لها أثر.

وضبط اسم هذه المدينة أنها جاءت على روايتين الأولى بفتح الميم وسكون القاف عند الأقلية والثانية بفتح الميم وتشديد القاف وهي عند الأغلبية من المحدثين وهذا ما دفع ابن عبد الكريم في كتابه المقري إلى هذا الترجيح متأسياً بصاحب النفع ⁴ وأكثر من ذلك أن أصل الكلمة عند المصادر الجغرافية قبل مصادر السير وعلى رأسها الرحالة من الجغرافيين كالبكري ضبطها بـ"مقرة" ثم بعده الإدريسي رسمها بـ"مقرة" أما تحديدها اليوم جغرافياً فهي تقع جنوب سطيف باتجاه بركة بنحو 77 كلم وشرق المسيلة بنحو 55 كلم

¹ - الحميري: الروض العطار، ص: 556 .

² - الحميري: المصدر نفسه، ص: 556 .

³ - الحموي: معجم البلدان، م: 05، ص: 175 .

⁴ - ابن عبد الكريم محمد: المقري وكتاب نفع الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان د/س، ص: 114 .

وشمال غرب بريكة بنحو 39 كلم وهي تكتب بـ: مقرة وب مقرا¹ وذكرها إسماعيل العربي في تحقيقه للنزهة بمغرة وهي في حالة سيئة اليوم وتبعد عن المسيلة ببضع كيلومترات².

2- بيت المَقْرِي والنسب القرشي

عند تتبعنا لشجرة نسب هذه الأسرة فإن عمود نسب بيت المَقْرِي إذا بدأناه من حياة أبي العباس أحمد المَقْرِي صاحب النوح المتوفى سنة 1041هـ/1632م³ فهو كالتالي: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المَقْرِي⁴ فإن الجد الأكبر هو علي القرشي المَقْرِي والذي ينسب جغرافيا إلى مقرة كما ذكر من قبل. أما عن أصل الأسرة فهو عربي تنسب إلى قبيلة قريش كما ثبت ذلك عند جمهور المؤرخين والباحثين من ذلك ابن الخطيب في الإحاطة: "محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي (بن داود)⁵ القرشي المَقْرِي⁶ وابن فرحون في الديباج وهو يترجم لأبي عبد الله المَقْرِي فيربط سلسلة نسبه بالقرشي فيقول: "محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المَقْرِي⁷ والتبكتي في كفاية المحتاج قال عنه أيضا: "محمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى ابن عبد الرحمن

¹ - الخريطة السياحية للجزائر - الشمال الشرقي - الديوان الوطني الجزائري للتنشيط والترقية والإشهار السياحي - المعهد الوطني للخرائط 1983 .

- ابن عبد الكريم محمد: المرجع نفسه، ص: 106 .

² - إسماعيل العربي: تحقيق كتاب نزهة المشتاق، ص: 164 .

³ - الكتاني: المصدر السابق، ج: 02، ص: 13.

- ابن عبد الكريم: المرجع السابق، ص: 245 .

⁴ - المَقْرِي أبو العباس أحمد: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية الرباط 1383 هـ / 1964 م، ص: ح.

⁵ - جاء في حاشية المحقق عبد الله عنان الإحاطة (بن داود) زيادة وردة فقط في نسخة جامع الزيتونة، م: 02، ص: 191.

⁶ - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 191 .

⁷ - ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج: 02، ص: 245 .

القرشي التلمساني عرف بالمقري¹ وأثبت هذا النسب القرشي كذلك أبو العباس المقري في النسخ وهو ينقل كلام جده في الردّ على منكري النسب القرشي فقال: " بل صحيح نطقت به الألسن والمكاتبات والإجازات وأعربت عنه الخلال الكريمة إلا أن البلدية يا سيدي أبا عبد الله المقري وهما والحمد لله " ² فهو يصف من يعتقد وهما في هذا النسب القرشي بالبلدية ضعيفي الذكاء ومن لا نشطه تحريك ³ وأورد هذا النسب ابن القاضي المكناسي في درة الحجال فقال: " محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى القرشي التلمساني المقري " ⁴ وبعده ابن مريم في البستان فقال: " سيدي محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر يحيى بن بن عبد الرحمن القرشي التلمساني الشهير بالمقري⁵ .

إذن فقد أجمعت كتب التراجم من المتقدمين والمتأخرين على هذا النسب القرشي.

هذا النسب القرشي تتشرف به هذه الأسرة كون الرسول صلى الله عليه وسلم ينتسب لقبيلة قريش وقد خصها الله تعالى في كتابه العزيز بسورة تسمى " سورة قريش " .

" لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف"⁶ وجاءت أحاديث شريفة عدة تتكلم عن خصال قريش منها قوله صلى الله عليه وسلم: " فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم فضل الله قريش أني منهم وأن النبوة فيهم وأن الحجابة فيهم وأن السقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم

¹ - التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية، ضبط النص وعلق عليه، أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم بيروت - لبنان -، ط: 01، 1422هـ / 2002م، ص: 326 .

² - المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 204 .

³ - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 244 .

⁴ - ابن القاضي المكناسي أبو العباس أحمد بن محمد: درة الحجال في غرة أسماء الرجال، حققه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان -، ط: 01، 1423 هـ / 2002 م، ص: 161، رقم: 491 .

⁵ - ابن مريم: البستان، ص: 154 .

⁶ - سورة قريش على رواية ورش وهي مكية رقمها 106 .

يذكر فيها أحد غيرهم لإيلاف قريش¹ ونسب قريش كقبيلة عربية كما ذكره القلقشندي هو: "بنو قريش قبيلة من كنانة غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم: قريش على ما ذهب إليه جمهور النسابين"² وما ذكره بعده القزويني فقال: "قريش من مضر، وأبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر"³ واليعقوبي وهو يتكلم عن مقرة أشار إلى أهلها فقال: "أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر"⁴ وبنو ضبة هم: " بطن بطن من طابخة من العدنانية"⁵ وقريش من العدنانية وهذا الاشتراك في النسب بين بني ضبة ضبة وقريش إلى الكنانة⁶ قد يكون دافعا للاشتراك في الهجرة بعد الفتح الإسلامي من الحجاز إلى بلاد المغرب ومن خلال تتبع تاريخ الهجرة العربية من المشرق نحو المغرب يمكن أن تقسم على مراحل، المرحلة الأولى كانت مع الفتح الإسلامي مع بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري إلى النصف الأول من القرن الثاني الهجري قصد إتمام عملية الفتح من جهة ثم التصدي للثورات البربرية، وهذه الهجرة في غالبيتها كانت من أهل الشام نحو مصر ثم نحو بلاد المغرب واستقرت بداية بالقيروان وتونس . المرحلة الثانية من القرن الثاني للهجرة إلى القرن الرابع الهجري وكانت هجرات فردية وجماعية من العرب قصد الإقامة ببلاد المغرب وفي هذه الفترة قد تكون القبائل التي أشار إليها اليعقوبي القبائل العربية التي استقرت بمقرة وهذا الاحتمال الأول، أما الاحتمال الثاني وهو الأقوى مع المرحلة الثالثة خلال القرن 5هـ/11م خلال الهجرات العربية الكبرى وكانت وجهتها الأولى نحو السواحل أما الوجهة الثانية فكانت نحو الهضاب جنوب الأوراسي وقرى الزاب.

¹ ذكر البخاري في التاريخ والطبراني في الكبير وللحاكم في مستدركه والبيهقي في الخلافيات وقال عنه الإمام السيوطي حديث صحيح - السيوطي جلال الدين بن أبي بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان د/س، ج:02، ص: 76 .

² القلقشندي: نهاية الأرب، ص: 397 .

³ القزويني: أسماء القبائل وإنسابها، ص: 227 .

⁴ اليعقوبي: كتاب البلدان، ص: 191 .

⁵ القلقشندي: نفسه، ص: 318 .

⁶ عن نسب كنانة وقريش ينظر: حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي القاهرة، ط1407هـ/1987م، ص84 ص85.

3- بيت المقرّي من مقرة إلى تلمسان

بعد أن عمّرت أسرة المقرّي عقوداً من الزمن ببلدة مقرة كان انتقالها نحو مدينة تلمسان على رأس جدها عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقرّي صحبة الشيخ أبي مدين شعيب¹. وكان هذا في نهاية القرن 6هـ/12 م باعتبار وفاة الشيخ أبي مدين شعيب كانت سنة 594هـ/1198م² وقد ذكر ابن الخطيب نقلت من خطه أي أبي عبد الله محمد المقرّي: " وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً، بعد أن كانت لمن قبل مزارا، عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرّي صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين، وهو أبي الخامس"³ ومع بداية القرن 7هـ/13 م بدأت هذه الأسرة تعمر بتلمسان وتساهم في بنائها الحضاري اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وكان نموها وتفرعها ينطق من تلمسان نحو أقطار المغرب الإسلامي ومن ثمّ وصلوا إلى السودان الغربي⁴ وتعمير بيت

¹ شعيب بن حسن الأندلسي المعروف بأبي مدين: أصله من قطنيانة من أحواز إشبيلية وهو شيخ المشايخ وسيد العارفين وقُدوتهم توفي في طريقه من بجاية إلى مراكش نحو تلمسان سنة 594 هـ / 1198 م ودفن على مقربة من تلمسان بقرية العباد. وقبره يزار حتى يومنا هذا .

- يحيى بن خلدون: بغية الرواض، ج: 01، ص: 125 .

- ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي أولوف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس كلية الآداب الرباط، 1965م، ص: 11 .

- التبتكي: المصدر السابق، ج: 01، ص: 207، وذكر شعيب بن الحسن.

- ابن مريم: البستان، ص: 108، وذكر هو كذلك شعيب بن الحسن.

² ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص: 297 . وذكره بشعيب بن الحسين.

³ ابن الخطيب: الإحاطة، ج: 02، ص: 191.

- المقرّي: نفع الطيب، م: 05، ص: 203.

⁴ السودان الغربي: كلمة السودان تطلق على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى أصبحت بلادهم تعرف بالسودان والتي تمتد من جنوب الصحراء الإفريقية الكبرى إلى 10° شمال خط الاستواء وينقسم السودان إلى 3 أقسام السودان الشرقي، السودان الأوسط والسودان الغربي وهو بعرف اليوم بإفريقيا الغربية والممتدة من بحيرة التشاد شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً وجنوباً خليج غينيا وأهم الممالك التي قامت به غانا، مالي، سنغاي وهي اليوم حوض السنغال وغينيا وبوركينا فاسو والنيجر الأوسط .

- الورن: وصف إفريقيا، ج: 01، ص: 33.

- زيادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، 1989 م، ص: 11.

- زيادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، د.ت، ص: 15.

- مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد الزيانيين، رسالة دكتوراه دولة، إشراف أ.د عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005 - 2006 م، ص: 35.

المقري بتلمسان قلنا كان نهاية القرن 6هـ/12م وبداية القرن 7هـ/13م أي منذ الأب الخامس لأبي عبد الله محمد فالأب الأول هو محمد والثاني أحمد والثالث ابن أبي بكر والرابع يحيى والخامس هو عبد الرحمن بتلمسان وقبلها بمقرة هو أبو بكر بن علي القرشي المقري الذي هو أصل نسبه من أبيه كما ذكر ذلك: "فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا¹ نسب من جميع جهات أبي وأمي بتلمسان"² ويتكلم عن نشاط سلفه في المجال التجاري من تلمسان نحو السودان الغربي فإن الخلف ورث خزانة كبيرة من الكتب كانت المنطلق المحفز نحو طلب العلم لأفراد هذا البيت حيث يذكر ذلك ويواصل الكلام عن سلفه فيقول: "فها أنا ذا (أبو عبد الله محمد ت 759هـ/1359م) لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فضوله عيشا وأصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب أسباب كثيرة تعين على طلب العلم"³.

ومن هذا يتبين لنا أن أسرة المقري زيادة على اهتمامها الكبير وتخصصها في النشاط التجاري فإنها لم تهمل الجانب العلمي. وما اقتناء الكتب وإقامة خزانة كبيرة من الكتب إلا دليل كبير على هذا الحرص والعناية بالعلم وأسباب طلبه المادية والمعنوية هي التي ستدفع بخلف الأسرة المقرية إلى الاهتمام بطلب العلم .

ب- علماء بيت المقري

أنجب هذا البيت ثلة من العلماء استفادوا من الازدهار الحضاري الذي عرفته تلمسان في هذا العهد وبدورهم ساهموا بنشاطاتهم المختلفة ورفعوا منزلة بيتهم بصفة خاصة ومكانة تلمسان بصفة عامة ومنهم:

¹ - أرومتا: مثني أرومة وهو أصل النسب.

- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 970.

² - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 192.

- المقري: نفح الطيب، م: 05، ص: 205.

³ - ابن الخطيب: المصدر نفسه، م: 02، ص: 194.

- المقري: المصدر نفسه، م: 05، ص: 206.

1- العالم المجتهد محمد المَقْرِي

هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي التلمساني شهر بالمَقْرِي.¹ ولد بتلمسان على عهد السلطان أبي حمو موسى الأول بن عثمان² الذي حكم من 707هـ/1307م إلى 718هـ/1318م³. وبها نشأ. عكف على مدارس القرآن الكريم ببيته، فحفظه على الروايات السبع⁴ ثم تعلم قواعد اللغة العربية فدرس كتاب التسهيل في اللغة العربية⁵ حتى حفظه ثم العلوم الدينية من فقه وأصول انطلاقاً من مختصر ابن الحاجب⁶ وكان جلوسه إلى مشايخ الحواضر العلمية ذكرهم ابن الخطيب وأحصاهم صاحب

¹- المصادر الأولى التي ترجمت له: - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 191. - ابن خلدون: الرحلة، ص: 67. - التنبكتي: نيل الإبتهاج، ج: 02، ص: 75، - التنبكتي: كفاية المحتاج، ص: 326. - القرافي بدر الدين محمد بن يحيى: توشيح الديباج وحلية الإبتهاج، تحقيق على عمر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط: 01 1425 هـ / 2004 م، ص: 233

- ابن مريم: البستان، ص: 154. - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 161 رقم: 491. - المَقْرِي: نفح الطيب، م: 05، ص: 203. - ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، ط: 02، 1979م ص: 193، ج: 06.

²- ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 226.

³- ابن خلدون: العير، ج: 07، ص: 198، - ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 211.

- التنسي: تاريخ بني زيان، ص: 135.

⁴- القراءات السبع: إن القرآن الكريم رواه الصحابة رضوان الله عليهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بضع ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معنية تواتر نقلها أيضاً بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر برواياتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة. - ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر 1984، ج: 02 ص: 530.

- عن هذا الموضوع ينظر: سيب خير الدين: القراءات القرآنية نشأتها أقسامها حجيتها دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر 2005، وله كتاب آخر: أثر القراءات في اختلاف الأحكام الفقهية دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر ط 1428هـ، 2007م

⁵- كتاب التسهيل: هو كتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي الجباني النحوي (600هـ

672هـ) جمع في إيجاز قواعد النحو وقد اعتنى به أعلام النحو قراءة وشرحا واقراء، رحلة ابن خلدون ص: 37

⁶- ابن الحاجب: أبو عثمان بن عمر جمال الدين المعروف بابن الحاجب علامة مصرية نحوي وفقه ولد سنة 570هـ وتوفي سنة 646 هـ له تصانيف عدة منها مختصر في الفقه ومختصر في الأصول، الكافية في النحور والشافية في التصريف، ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب دار الكتب العلمية بيروت لبنان دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د/ت، م: 03، ج: 5، ص: 234.

النفح نحو سبع وستين شيخاً، منهم بتلمسان 27 شيخاً على رأسهم الفقيه عمران المشدالي¹ حيث تعمق معه في الدراسات الفقهية، ثم استزاد دراسة مختلف العلوم النقلية والعقلية، فلزم مجلس الشيخ الأبلي² ومجالس ابني الإمام³ وابن هدية⁴ وبهذا تمكن من الاستبحار في مختلف العلوم والفنون⁵ بعد ذلك تكون الرحلة العلمية للقاء المشايخ قصد إتمام وإكمال طلب العلم كما يقول ابن خلدون " فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال"⁶ فكانت الوجهة الأولى بجاية حيث لقي ستة من علمائها، منهم علمائها، منهم قاضيها أبو عبد الله محمد الزواوي⁷، والفقيه العلامة محمد بن يحيى الباهلي⁸

¹ - عمران بن موسى المشدالي البجائي الأصل ونزيل تلمسان، فقيها حافظاً علامة محققاً كبيراً بعث إليه صاحب تلمسان أبي تاشفين (718 - 738 هـ) وقربه وأحسن إليه فدرس بتلمسان الحديث والفقه والأصول والفرائض والمنطق والجدل، توفي سنة 745 هـ . - التتبيكتي: نيل الابتهاج، م: 01، ص: 396 .

² - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي أصله من آبله بالأندلس عالم المغرب الإسلامي تم الإجماع على إمامته حتى قيل عنه " أعلم خلق الله بفنون المعقول "، وقال عنه تلميذه عبد الرحمن بن خلدون " شيخ العلوم العقلية "، درس بتلمسان وتخرج عنه جيلاً من كبار العلماء رحل إلى فاس وبها توفي عام 757 هـ . - التتبيكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 66 .
- المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 244 .

³ - ابنا الإمام: هما أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله بن الإمام أجمع كتّاب التراجم بالمغرب الإسلامي على أنه لم يكن في زمنهما أعظم درجة ولا أعلى منهما علماً، نشأ بمدينة برشك قرب مدينة مستغانم وبعد رحلة طلب العلم استقر بتلمسان وبنى لهما السلطان أبو حمو موسى الثاني مدرسة عرفت باسمهما واختصهما بالفتوى والشورى تخرج عليهما أعلام كبار وشهرتهما كانت على مستوى المغرب والمشرق، توفي عبد الرحمن سنة 741 هـ وعيسى سنة 749 هـ . - ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 15 .

- ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدى دار التراث للطباعة والنشر القاهرة، 1972، ج: 01، ص: 486 . ستلي ترجمة وافية لهما .

⁴ - أبو عبد الله محمد بن هدية القرشي، من أحفاد عقبة بن نافع قاضي الجماعة بتلمسان خطيبها وكانت خلافتها عند أبي تاشفين وهو يعد من أئمة اللسان والأدب والبلاغة، توفي سنة 735 هـ . - المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 234 .
- ابن مريم: البستان، ص: 225 . ستلي ترجمة وافية له .

⁵ - ابن خلدون: الرحلة، ص: 68 .

⁶ - ابن خلدون: المقدمة، ج: 02، ص: 705 .

⁷ - ويعرف بالمنجلاتي فقيها حافظاً للفقه والمسائل، ولي قضاء بجاية ثم عزل وكانت وفاته يوم 2 شوال 730 هـ .

- التتبيكتي: كفاية المحتاج، ص: 300 .

¹ ثم نحو تونس وجلس فيها إلى ثمانية من علمائها منهم قاضي الجماعة وفتيها أبي عبد الله بن عبد السلام² والقاضي أبي محمد الأجمي³ والفتية أبي عبد الله بن هارون⁴.

ومن تونس يعود إلى المغرب الأقصى والتقى به نحو ستة وعشرون شيخا من علمائها، منهم أبا اسحاق إبراهيم الزيناسي⁵ وشيخ الشيوخ أبا زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي⁶ والأستاذ أبا العباس المكناسي⁷ وقد بلغت به الرحلة إلى أغمات⁸ ووصل إلى سبتة⁹ لتكون العودة إلى تلمسان ليقيم بها مدة من الزمن¹⁰.

¹ - محمد بن يحيى الباهلي: عالم وفتية بجاية إمام محقق تولى التدريس والفتيا ثم قاضي الجماعة ببجاية وقد أخذ عنه الكثير وكانت وفاته سنة 743 هـ وهناك من يذكر سنة 744 هـ. - التبتكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 54.

² - محمد بن عبد السلام: فقيه مالكي وقاضي الجماعة بتونس وهو يعتبر إمام الفقهاء والنحاة وأخذ عنه الكثير ولد عام 676 هـ توفي عام 749 هـ. الزركشي: المصدر السابق، ص: 88 - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 201 رقم 589.

³ - ويعرف بأبي عبد الله محمد الأجمي التونسي أحد علمائها وصلحائها وفضلها قاضي الأنكحة ثم قاضي الجماعة بعد ابن عبد السلام وكانت وفاته سنة 749 هـ. - مخلوف: شجرة النور، ص: 210.

⁴ - محمد بن هارون الكنائي إمام عالم حافظ يعد من المجتهدين في المذهب المالكي تولى التدريس بتونس وأخذ عنه الكثير ثم تولى القضاء والفتية مولده سنة 680 هـ ووفاته سنة 750 هـ. - الزركشي: المصدر السابق ص: 88.

- التبتكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 60.

⁵ - إبراهيم بن عبد الله الزيناسي عند المقرئ والزيناسني عند التبتكتي فقيه عالم صالح كان مفتيا بفاس أخذ عنه الكثير وله فتاوى في المعيار للونشريسي كان حيا بعد 740 هـ.

- التبتكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 24.

⁶ - من كبار علماء فاس فقيه حافظ كان أعلم الناس بمذهب مالك كان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه توفي عام 741 هـ.

- مخلوف: شجرة النور الزكية، ص: 218.

⁷ - أبو العباس أحمد المكناسي إمام فقيه وعالم عامل فاضل ثقة، توفي سنة 752 هـ.

- مخلوف: شجرة النور، ص: 218.

⁸ - مدينة أغمات: مدينة متحضرة تقع جنوب مراكش بنحو 24 ميلا مبنية على منحدر من جبل الأطلس.

- الوران: وصف افريقيا، ج: 01، ص: 135.

⁹ - سبتة: مدينة عظيمة تأسسها يعود إلى الرومان وهي تقع أقصى شمال المغرب الأقصى على ضفة بحر الرومي (البحر المتوسط) مقابل الأندلس.

- البكري: كتاب المغرب، ص: 103.

¹⁰ - المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 253.

بتلمسان انتصب للتعليم والتدريس، ومنها كانت الرحلة المشرقية نحو البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، وعادة ما يأخذ مسار هذه الرحلة محطة بمصر¹ لملاقاة علمائها ومنهم الأستاذ أثير الدين أبي حيان الغرناطي² وشمس الدين بن عدلان³ ومنها نحو الحرمين الشريفين وكانت وقفته بعرفة يوم 9 ذي الحجة 744هـ/1389م⁴ ولقي بمكة المكرمة إمامها أبا عبد الله بن عبد الرحمن التوزري المعروف بخليل⁵ والإمام أبا العباس بن رضى الدين الشافعي وبالمدينة المنورة الشيخ أبا محمد عبد الوهاب الجبرتي وبعدها من الحرمين إلى بلاد الشام وزار علماءها منهم بدمشق شمس الدين بن القيم⁶ وصدر الدين الغماري المالكي⁷ وبيت المقدس الأستاذ أبا عبد الله بن مثبت والقاضي شمس الدين بن سالم. و من الشام كانت العودة إلى المغرب فدخل سجلماسة⁸ ودرعه⁹ ثم قطع إلى الأندلس لتنتهي به الرحلة

- 1- عن الرحلة نحو مصر وأسبابها ينظر: نواف عبد العزيز الجمعة: صورة الغرابة المغاربة في مصر والشام خلال عصر الحروب الصليبية، مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق، العددان 101-102 /1429 /2008 ص: 173.
- 2- هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي من قبيلة نفزة البربرية كان نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومؤرخه وأديبه له مصنفات عدة منها البحر المحيط في التفسير والتكميل في شرح التسهيل ومطول الارتشاف، ولد قرب غرناطة سنة 654 هـ، مات بالقاهرة عام 745 هـ .
- ابن عماد: شذرات الذهب، ج: 06، ص: 145 .
- 3- هو شمس الدين بن أحمد بن عدلان الكيلاني المصري شيخ الشافعية الإمام الفقيه النحوي صاحب القراءات تولى الفتية وقضاء العسكر في أيام الناصر أحمد، ولد عام 663 هـ وتوفي سنة 749 هـ .
- ابن عماد: المصدر السابق، ج: 06، ص: 164 .
- 4- التتبعي: نيل الإبتهاج، ج: 02، ص: 78، - كفاية المحتاج، ص: 328 .
- 5- أبو عبد الله بن عبد الرحمن محمد التوزري المعروف بخليل عالم مكة المكرمة ومفتيها وخطيب الحرم الشريف من أئمة الدين المعروفون بالزهد والورع والصلاح، توفي سنة 760 هـ.
- مخلوف: شجرة النور الزكية، ص: 222 .
- 6- شمس الدين أبو عبد الله محمد الشهير بابن القيم الجوزية، هو العلامة الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق المفسر النحوي الأصول لازم الشيخ تقي الدين بن تيمية وله مصنفات عدة منها تهذيب سنن أبي داود، صفر الهجرتين وباب السعادتين، شرح أسماء الكتاب العزيز، زاد المعاد في هدي خير العباد، اعلام الموقعين عن رب العالمين، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، الداء والدواء، فضل العلم، عدة الصابرين، بطلان الكيمياء، كتاب الطاعون ... ولد عام 691 هـ /1292 م وكانت وفاته سنة 751 هـ /1350 م بدمشق، ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج: 6، ص: 128.
- 7- أحمد بن يعقوب الغماري المالكي كان فاضلا في مذهبه درس وأفتى وولي قضاء حماة ثم صرف فأقام بدمشق إلى أن مات بها سنة 796 هـ / 1394 م، ابن عماد الحنبلي: المصدر نفسه، ج: 6، ص: 346 .
- 8- مدينة سجلماسة مدينة كبيرة على نخوم الصحراء جنوب المغرب الأقصى وهي تبعد بنحو 200 ميل جنوب شرق فاس - الإدريسي: نزهة المشتاق، ص: 128، مجهول: الإستبصار، ص: 200 .
- 9- درعة مدينة تقع جنوب غرب سجلماسة وهي على وادي درعة.
- الإدريسي: المصدر السابق، ص: 129 - مجهول: الإستبصار، ص: 206 .

إلى غرب غرناطة في أوائل جمادى الثانية 756هـ¹ من غرناطة عاد إلى فاس وولى قضاء الجماعة إلى ان عزل وكانت وفاته بفاس في آخر محرم 759هـ/1359م ثم نقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان² وترك مصنفات في مختلف العلوم والفنون³.

هذه المجهودات العلمية مكنت الشيخ أبا عبد الله المقرئ من الارتقاء إلى المنزلة الكبرى والدرجة العظمى وفي ذلك يقول ابن الخطيب: " هذا الرجل مشار إليه بالعدوة المغربية اجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية وإطلاعا ونقلًا ونزاهة " ⁴ وقال فيه الونشريسي: " القاضي الشهير الإمام العالم كان رحمه الله تعالى عالما عاملا ظريفا نبيا ذكيا نبيلًا فهما متيقظا جزلا محصلا " ⁵ وقد اعتبر الإمام محمد المقرئ من ابرز علماء المدرسة المالكية وعدّ من العلماء المجتهدين في إطار المذهب المالكي فهو قد قارن بين فروع المذاهب الأربعة وناقش من تسبقه في مقاصد الشريعة وقواعدها وأحكامها وربط الفروع بالقواعد وكان يقدم خلاصة عمله النقدي لأقوال الفقهاء فكانت له مواقف اجتهادية في حدود المذهب المالكي ⁶ . وقد كان مشارا إليه بالمغرب الأقصى⁶

¹ - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 196 .

- المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 254 .

² - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 226 .

³ - ابن الخطيب: المصدر نفسه، م: 02، ص: 203 .

- المقرئ: المصدر السابق، م: 05، ص: 284 .

⁴ - ابن الخطيب: نفسه، م: 02، ص: 194 .

⁵ - الونشريسي نقلًا عن المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 207 .

⁶ - فيلالى عبد العزيز: المرجع السابق، ج: 02، ص: 379 .

⁶ - قدوري الطيب: جامعة القرويين ومدارسها بفاس على عهد أبي الحسن المريني إلى نهاية عهد أحمد المنصور الذهبي (731هـ-1012م / 1330هـ-1603م) المساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني والثقافي والفكري، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس المغرب السنة الجامعية 1424-1425هـ/2003-2004م ج2 ص:551.

2- العالم النحوي أحمد المقرئ

أحمد بن محمد شهاب الدين المقرئ لم ترد ترجمة وافية لهذا العالم عدا اشارات حفيفة ذكرها نويهض نقلا عن الأزهرية¹ وبهذا فهو يعتبر من علماء الفقه والنحو، ومن خلال آثاره فهو عالم نحو حيث صنف كتابا في النحو سماه " التحفة المكية " شرح فيه ألفية ابن مالك وقد انتهى من تأليفه سنة 847هـ/1443م² وهذه هي السنة الوحيدة التي تشير إلى فترة حياته فهو من علماء القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي فتاريخ ميلاده قد يكون مع بداية ق: 09هـ 15م أما وفاته فهي بعد سنة 847هـ/1443م³ وعن علاقته ببيت المقرئ فقد تم الإعتماد على اسم المقرئ فقط دون إشارات صريحة تذكر نسبة إلى بيت المقرئين، أما عن لقبه فهو يلقب بشهاب الدين وهو على عادة أهل المشرف شمس الدين ضياء الدين نور الدين مما يوحي بانتقاله إلى المشرق وبقائه حتى وفاته وهذا ما يفسر ندرة مادة ترجمته عند كتب السير لأهل المغرب.

3- مفتي تلمسان سعيد المقرئ

هو سعيد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن المقرئ⁴ المكنى بأبي عثمان ولد بتلمسان في حدود سنة 928هـ/1522م⁵ وذكر ابن القاضي أنه ولد بعد 930هـ/1524م وبها وبها نشأ وأخذ عن علمائها وقد أشار ابن مريم⁶ وهو من تلامذته إلى شيوخه دون إعطاء تفاصيل منهم الشيخ حاجي الوهراني⁷، حفظ عنه القرآن الكريم وأشار أنه أخذ عنه لباس

¹ - عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص: 309 .

² - نويهض: المرجع السابق، ص: 309 .

³ - نويهض: المرجع نفسه، ص: 309 .

⁴ - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 432 رقم، 1385 .

⁵ - نويهض: نفسه، ص: 311 .

- بن عبد الكريم: المقرئ وكتاب نفح الطيب، ص: 88 .

- مخلوف: شجرة النور الزكية، ص: 290 رقم، 1133 وذكر أنه ولد قبل سنة 930 هـ.

⁶ - ابن مريم: البستان، ص: 104 .

⁷ - قد يكون هو الشيخ أحمد بن محمد المديوني الوهراني المتوفى سنة 951 هـ وهو من اهل وهران عاش بتلمسان صوفي عارف بالفقه مشارك في عدة علوم. - ابن مريم: البستان، ص: 52 .

الخرقة الصوفية¹، وأخذ مواد اللغة العربية عن الشيخ عمر الراشدي²، وعن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الوهزاني³ الفقه والأصول والمنطق. وأخذ التصوف عن الشيخ علي بن يحيى السلكسيني⁴ كما ذكر ابن القاضي من شيوخه عبد الوهاب الزقاق⁵ وعبد الواحد الونشريسي⁶ الونشريسي⁶ وهما من علماء فاس مما يدل على رحلة الشيخ سعيد المقرئ إلى فاس لطلب العلم والاستفادة من العلماء وملاقة المشايخ، وقد ذكر هذا بالتصريح الحفناوي فقال: "أخذ عن شيوخ فاس كابن الونشريس والزقاق"⁷ وأضاف مخلوف أنه أخذ عن والده⁸ (أحمد) مما مما يشير إلى مشاركة والده في النشاط التعليمي بتلمسان وهذه الإشارة ليس لها ذكر في المصادر الأخرى.

هذا التكوين العلمي والأخذ المتنوع مكنه من الارتقاء إلى مصاف العلماء، فأصبح يعد من فقهاء تلمسان، اشتغل بالتدريس وتخرج عليه علماء أجلاء على رأسهم ابن أخيه أحمد صاحب النفع وابن مريم صاحب البستان⁹. ولقد كان ملما جامعا للعلوم النقلية والعلوم العقلية متفنا في تعليمها، اشتغل بالفتوى والخطبة حيث ذكره مخلوف فقال: "مفتيها

¹ - الخرقة: القطعة الممزقة من الثوب والمقصود بها عند أهل التصوف أنها بردة النبي صلى الله عليه وسلم التي ألقاها على الشاعر كعب بن زهير واشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم وعندما آلت إلى سلاطين الصوفية وعندما بليت صارت خرقة، ولبس الخرقة هو ارتباط بين الشيخ والمريد وفيها معنى المبايعة وهي عتبة الدخول في الصحبة التي يرجى للمريد كل الخير ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقة، عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية مكتبة مديوني القاهرة، ط: 05، 2006، ص: 936 .

² - عمر بن علي الراشدي فقيه مالكي توفي بعد 868 هـ / 1463 م .

- نويهض: نفسه، ص: 146 ولكن حسب هذا التاريخ يستبعد أن يكون هذا هو نفسه شيخ سعيد المقرئ.

³ - فقيه تلمسان ونزيه فاس ومفتيها كان مشاركا في العقائد والفقه والحديث والأدب ولد عام 908 هـ وتوفي بفاس عام 981 هـ. - ابن مريم: البستان، ص: 260 .

⁴ - علي بن يحيى السلكسيني الجادري: الفقيه الخطيب المحقق في مختلف العلوم في الحساب والفرائض والفقه، كما عرف بالوالي الصالح لإهتمامه بالتصوف وقد كان إماما مدرسا بمسجد أجادير ومن هنا يعرف بالجادري توفي يوم 22 رجب 972 هـ / 1564 م . - ابن مريم: البستان، ص: 145 .

⁵ - عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق التحبيبي الفاسي من علماء فاس كان آية في الحفظ ولد عام 905 هـ وتوفي عام 961 هـ . - التبتكي: تيل الإبتهاج، ج: 01، ص: 306، رقم 333 .

⁶ - عبد الواحد بن أحمد بن يحيى بن علي الونشريسي من علماء فاس وقضاتها ولد بها سنة 885 هـ وتوفي بها سنة 955 هـ . - التبتكي: المصدر السابق، ج: 1، ص: 322 رقم: 362 .

⁷ - محمد الحفناوي أبو القاسم: تعريف الخلف برجال السلف، الأنيس سلسلة العلوم الإنسانية تحت إشراف علي الكنز المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية - الجزائر -، 1991، ج: 1، ص: 426 .

⁸ - مخلوف: شجرة النور، ص: 295 .

⁹ - ابن مريم: البستان، ص: 104 .

(تلمسان) نحوًا من ستين سنة وخطيب جامعها الأعظم خمسًا وأربعين سنة¹ وصل إلى درجة رئاسة بلده² أي شيخ العلماء الفقهاء. وعن آثاره لم يرد ذكر لمؤلفاته ومصنفاته، وقد يكون مرد ذلك إلى عدم تفرغه للكتابة بعد انشغاله بالفتوى والخطابة إضافة إلى التدريس.

وأما تاريخ وفاته لم يضبط ذكر ابن مريم أنه كان حيا سنة 1011هـ/1603م³. إضافة إضافة إلى هؤلاء العلماء لا بد من الإشارة إلى صاحب النفح وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد المقرئ التلمساني دون تفصيل وذلك لإعتبار منهجي إذ أن إطاره الزمني يخرج عن الفترة الزيانية فهو من مواليد 986هـ/1579م بتلمسان وبها نشأ ثم انتقل غربا وشرقا إلى أن وافته المنية سنة 1041هـ/1632م بالقاهرة، وبالتالي فهو يندرج في الفترة الحديثة مع بداية الحكم العثماني للجزائر، إضافة لإعتبار موضوعي فإن حياة أبي العباس المقرئ مبسطة في كثير من المصادر والمراجع والدراسات⁴ آخرها كتاب رحلة المقرئ إلى المغرب والمشرق تحقيق محمد بن معمر⁵.

¹ - مخلوف: المصدر نفسه، ص: 295 م، رقم: 1133 .

² - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 432، رقم: 1385 .

³ - ابن مريم: البستان، ص: 105 .

⁴ - كتب المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق إحسان عباس

- روضة الأس العاطرة لأنفاس تصدير عبد الوهاب بن منصور .

- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون .

- المقرئ صاحب النفح، الحبيب الجنحاني .

- المقرئ وكتابه نفح الطيب، محمد بن عبد الكريم.

⁵ - أبو العباس أحمد المقرئ: رحلة المقرئ إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا جامعة وهران، مكتبة الرشاد لطباعة والنشر والتوزيع سيدي بلعباس الجزائر 1425هـ/2004م .

المبحث الثاني: بيت العقباني

بيت العقباني من البيوتات التي تلاًماً نجمها في سماء حضارة تلمسان من خلال العلماء الذين أنجبتهم هذه الأسرة، فشاركوا في البناء الحضاري لتلمسان بنشاطات مختلفة شلت ميادين شتى.

أ- التعريف ببيت العقباني ونسبه:

لماذا سمي هذا البيت ببيت العقباني؟ وإلى من يعود نسبه؟ وكيف انتقل من الأندلس إلى تلمسان؟

1- التعريف ببيت العقباني:

سمي هذا البيت بالعقباني نسبة لعقبان وهي قرية من قرى الأندلس حيث ذكره التنبكتي في نيله فقال: "العقباني نسبة لعقبان قرية بالأندلس أصلها منها"¹ ونكره كذلك في كفاية المحتاج: "العقباني التلمساني نسبة لعقبان قرية بالأندلس أصله منها"² وذكره صاحب البستان فقال: "العقباني نسبة لعقبان قرية من قرى الأندلس أصله منها"³ وأورد هذا النسب كذلك ابن القاضي في درة الحجال فقال: "العقباني نسبة إلى عقبان قرية من قرى الأندلس"⁴ هذه المصادر كلها تجمع على نسب بيت العقباني وتؤكد أن عقبان قرية من قرى الأندلس.

لقد حاولت البحث عن قرية عقبان للتعريف بها جغرافياً في أية جهة بالتحديد من الأندلس لتحقيق وجودها بالأندلس لكن لم أجد أثراً لها في المصادر الجغرافية المشهورة والمعروفة وهذا ما يدفعنا لطرح فرضية وجود قرية عقبان خارج الأندلس ولنقف هنا مع ما أورده القرافي في توشيح الديباج فقال: "العقباني نسبة لبني عقبة"⁵ ولنا بحثنا عن بني

¹ التنبكتي: نيل الإبتهاج، ج: 01، ص: 204 .

² التنبكتي: كفاية المحتاج، ص: 138، رقم: 173 .

³ ابن مريم: البستان، ص: 107 .

⁴ ابن القاضي: درة الحجال، ص: 431، رقم 1382 .

⁵ محمد القرافي: توشيح الديباج، ص: 152، رقم 168 .

عقبة في نهاية الأرب للقلقشندي فهو يقول " بنو عقبة بطن من جذام من القحطانية " ¹ ثم أضاف نقلا عن صاحب العبر: " وديارهم من الكرك إلى الأزم في بريا الحجاز وعليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينة المنورة إلى حدود غزة من بلاد الشام " ² فإذا أخذنا بهذه الفرضية فيكون بنو عقبة قد هاجروا من بلاد الحجاز إلى بلاد المغرب واستقروا بالأندلس .
و لكن هذه الرواية لا تقوى أمام رواية عقبان قرية من قرى الأندلس لتعدد روايتها في عدة مصادر السير والتراجم المغربية كون أن القرافي يعد من المصادر المشرقية من أهل مصر ³.

2- نسب بيت العقباني:

تجمع مصادر السير والتراجم أن أسرة العقباني نسبها تجيبي يعود إلى تجيب - بضم التاء وكسر الجيم وياء ساكنة وياء موصدة ⁴ قال التنبكتي وهو يتكلم عن العقباني "تجيبي النسب" ⁵ وقال ابن مريم كذلك " تجيبي النسب" ⁶ وقال مخلوف وهو يتكلم كذلك عن سعيد العقباني: "أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني التلمساني التجيبي" ⁷ وبنو تجيب بطن من كندة، وهم بنو أشرس بنو شبيب بن السكون بنو كندة، فكندة قد أنجب ولدين هما أشرس وعدي وأمهما تسمى تجيب وقد عرفا نسبة لأمهاتهما تجيب - وتجب هي بنت ثوبان بن سليم بن رهاء بن مزجج، ومن تجيب بني عدى وبني سعيد. ⁸

¹ - القلقشندي: نهاية الأرب، ص: 364 .

² - القلقشندي: المصدر نفسه، ص: 364 .

³ - محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس القرافي (939 هـ-1008 هـ) فقيه مالكي لغوى قاضي المالكية من أهل مصر، على عمر: مقدمة تحقيق توشيح الديباج، ص: 05، ينسب لقرافة وهي أرض بالفسطاط نزلت قرافة وهي بطن من قبيلة المعافر العربية نسبت لهم وأصبحت بعد ذلك مقبرة أهل مصر بها وهي ريبض من أرياض القاهرة.

- الحموي:معجم البلدان، م: 4، ص: 316 .

- الورن: وصف أفريقيا، ج: 02، ص: 210 .

⁴ - القلقشندي: نهاية الأرب، ص: 185 .

⁵ - التنبكتي: نيل الإبتهاج، ج: 01، ص: 204 .

⁶ - ابن مريم: البستان، ص: 107 .

⁷ - مخلوف: شجرة النور، ص: 250 .

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 425 .

⁸ - القلقشندي: المصدر السابق، ص: 185 .

إن فنسب العقبانيين يعود إلى جدتهم العليا المسماة تجيب - بنت ثوبان بن سلم بن رهاء بن مزجج ولتأكيد هذا النسب للأُم ذكر ابن الخطيب وهو يتكلم عن بني صمادح¹ فقال: "كان جدهم محمد بن عبد الرحمن بن صمادح بن عبد الله بن المهاجر بن عميرة ابن شريح بن حرمة بن تميم بن المخصاف بن شبيب بن الدعاف بن سعد بن أشرس الواقع على والده تجيب، عرفوا بأهمهم"² فيكون الأشتراك في هذين النسبين في كل من ابن شبيب وابن سعد وابن أشرس وأهمهم تجيب. وبنو تجيب بطن من كندة وكندة هي قبيلة من كهلان بلادهم باليمن وكان لهم ملك بالحجاز واليمن وكهلان شجرة نسبها يعود إلى يعرب بن قحطان³ وذكر القلقشندي وهو يتكلم عن بني عقبة فقال: " بنو عقبة بطن من كندة من القحاطنة"⁴.

والتيجيبيون انتقلوا مع موسى بن نصير يرأسهم عميرة بن المهاجر بن النجدة بن شريح بن حرمة بن يزيد بن ربيعة بن عيدنة بن زيد بن عامر بن عدي بن أشرس بن شبيب⁵ وذكر صاحب العبر: " وعن بطون كندة السكون والسكاسك مجالات شرقي اليمن متميزة وهم معروفون بالسحر والكهانة ومنهم تجب (بدون ياء) بطن كبير، كان منهم بالأندلس بنو صمادح وبنو ذي النون وبنو الأفتس من ملوك الطوائف"⁶ وبنو توجيب هؤلاء هؤلاء استقروا بمناطق مختلفة من الأندلس. وقد كان لهم أدوار كبيرة في حماية الثغور

¹ - بني صمادح ممن تأمروا على ألمرية ساحل جنوب شرق الأندلس أيام عصر ملوك الطوائف وانتهى ملكهم سنة 484 عبد الواحد بن علي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا - بيروت لبنان، ط: 01، 1426 - 2006 - ص: 61 .

² - محمد بن عبد الله لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن ببيع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق سيد كسروي حسن - دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: 01 سنة: 2003، 1424 هـ، ج: 2، ص: 183 .

³ - القلقشندي: نهاية الأرب، ص: 409

- حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص: 57 وص: 92 .

⁴ - القلقشندي، المصدر نفسه، ص: 364 .

⁵ - ابن حزم الاندلسي ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد: جمهرة انساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون دار المعارف مصر 1382 هـ 1962 م، ص: 430.

⁶ - ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار ابن حزم بيروت لبنان، ط: 01 1424 هـ، 2003 م: 01، ص: 752 .

الإسلامية في ظل ولائهم لبني أمية ثم كان لهم الملك والأمانة أيام ملوك الطوائف ومنهم بنو ذي النون بطليطلة¹ سنة 429هـ 1038م وبنو الأخطس بجوفي قرطبة² سنة 437هـ 1046م وبنو صمادح بالميرية³ سنة 444هـ 1053م إلى غاية عبور أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى الأندلس سنة 478هـ 1085م⁴.

3- بيت العقباني من الأندلس إلى تلمسان

بعد ضعف دولة الموحدية بداية من انهزامها في معركة العقاب 609 هـ/1212م⁵ والتي هي بداية نهاية الدولة الموحدية كما يعتبر المؤرخون، حيث دخل أمراء الأندلس في خلافات وخصومات شجعت المسيحيين على استرجاع بلاد الأندلس، يحاصرون المدن ويستولون عليها الواحدة تلو الأخرى، وأمام هذا الخطر الزاحف كان تفكير مسلمي الأندلس في الهجرة نحو بلاد المغرب ومنها خصوصا نحو المغرب الأوسط.

في ظل هذه الظروف السياسية والعسكرية بدأت الأسر الأندلسية في الهجرة نحو بلاد المغرب بعد أن أصبحت قلقة من تحرشات المسيحيين فضاقت عليهم الأرض بما رحبت

¹ - طليطلة: مدينة مركزية لبلاد الأندلس فهي تتوسط شبه جزيرة ايبيريا من كل الجهات وهي من قواعدها وأركانها وأمهاث مدنها الأربعة قرطبة واشبيلية وماردة وطلطلة يعود تاريخ بناءها إلى القوطيين أو قبلهم فهي من أقدم بلاد الأندلس وأمنعها وأعدبها ماء وأطيبها هواء وأكثرها أرضا وأعظمها بركة - الإدريسي المصدر السابق، ص: 138 .

- مجهول: تاريخ الأندلس دراسة وتحقيق عبد القادر بويابة دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: 01، 1428هـ/ 2007م، ص: 92 . - مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام خريطة 95، ص: 172 .

² - حوفي قرطبة: من أحواز قرطبة في الأرض المنخفضة من الجهة الشمالية لقرطبة قاعدة الأندلس وقطبها . - مجهول: المصدر السابق، ص: 89 .

³ - ألمرية: مدينة ساحلية على بحر الشام أو بحر الروم (البحر المتوسط) جنوب شرقي الأندلس فهي مدينة محدثة أحدثها العرب في الإسلام وكانوا يرابطون فيها وبنى سورها عبد الرحمن الناصر سنة 343 هـ.

- الإدريسي: المصدر السابق، ص: 256 .

- مؤلف مجهول: تاريخ الأندلس، ص: 138 . - مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص: خريطة 95، ص: 172

⁴ - ابن حزم: المصدر السابق، ص: 430 . - ابن خلدون: المصدر السابق، م: 01، ص: 752 .

- ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص: 180 . القلقشندي: نهاية الأرب، ص: 316 .

⁵ - العقباني: جمع عقبة بالإسبانية Navas جمع Nava شمال غرب قرطبة وتسمى المعركة في النصوص الإنسانية بـ: Las Navas de Tolosa قاد المسلمون الخليفة الموحد عبد الله الناصر (595هـ/1199م - 610هـ/1213م) ضد قائد القوات المسيحية المتحالفة بقيادة ألفونسو الثامن.

- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 235 . - ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: 238.

- حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي - العصر الحديث للنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط: 01 / 1412 هـ / 1992 م . المجلد الثاني، ج: 02، ص: 131.

ومن بين هذه الأسر: أسرة العقباني التجيبية التي هاجرت نحو المغرب الأوسط وبالضبط نحو حاضرتة تلمسان ويرجح أن يكون تاريخ الرحلة خلال القرن 7هـ/13م باعتبار أن أول عالم برز في هذه الأسرة هو سعيد العقباني المولود سنة 720هـ/1330م¹ ومن هذا التاريخ يمكن القول أن استقرار هذه الأسرة قد يكون في نهاية ق 07هـ/13 م أو مع بداية القرن 8هـ/14م.

وباستقرار هذه الأسرة بتلمسان عرفت بأسرة العقباني وقد أنجبت ثلة من العلماء كان لهم الإسهام الكبير في البناء الحضاري الزياني خاصة وأنهم قدموا من الأندلس التي عرفت ازدهارا حضاريا فاق المستوى الذي شهدته بلاد المغرب ومن هنا يمكن القول أن الدفع الأندلسي للرقى الحضاري بتلمسان سيكون كبيرا .

ب- علماء بيت العقباني:

أنجب هذا البيت أكثر من خمسة علماء يمكننا تتبع حياتهم كآلاتي:

1- القاضي المجتهد سعيد العقباني:²

هو سعيد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني التجيبية التلمساني وقد اشتهر بلقب العقباني³ وكنية أبو عمرو⁴ وأبو عثمان⁵. كان ميلاده بتلمسان أما تاريخه فلم تجمع المصادر عليه فبعضها ذكرت سنة 720 هـ⁶ وابنه قاسم قال أن مولد والده كان سنة 710 هـ⁷ والرواية الثالثة لتلميذه أبو عبد الله المجاري حيث تقول أنه فارق شيخه وعمره اثنتان

¹- التبتكي، نيل الإبتهاج، ج: 01، ص: 204 .

- ابن مريم: البستان، ص: 106 .

²- مذكرة ماجستير في الموضوع شهرزاد رفاف: أبو عثمان سعيد العقباني حياته وآثاره (ت 811 هـ / 1408 م) اشراف الدكتور محمد بن معمر قسم التاريخ المركز الجامعي بشار 2006 / 2007 .

³- ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 01، ص: 344 رقم 248 .

- التبتكي وذكر جده الثالث محمد: نيل الإبتهاج، م: 1، ص: 204 وفي كفاية المحتاج، ص: 138 رقم 173 .

- ابن مريم ولم يذكر جده الثالث محمد: البستان، ص: 106.

⁴- ابن القاضي: درة الحجال، ص: 431 رقم 1382

⁵- مخلوف: شجرة النور، ص: 204، رقم: 904.

⁶- التبتكي: نيل م: 1، ص: 204 كفاية المحتاج، ص: 139.

- ابن مريم: البستان، ص: 107.

⁷- القرفي: توشيح الديباج، ص: 152.

اثنتان وثمانون سنة (82 سنة) وهذا سنة 798هـ¹ مما يعني أنه ولد سنة 716 هـ / 1316م وهي السنة المرجحة لمرافقة تلميذه له وحضور سنة وفاته².

نشأ بتلمسان بين أحضان أسرته وعلى رأسها والده محمد الذي تعلم عليه بداية، وفي هذا الجو العلمي الذي شهدته تلمسان في ظل بروز علماء أجلاء لهم باع طويل في مختلف العلوم والفنون، وبعد المرحلة الأولية من التعلّم التي تقتضي حفظ القرآن الكريم وتعلم الكتابة والقراءة ثم دراسة النحو واللغة والأدب والفقه فنال حظه من هذه المرحلة القاعدية ليتجه نحو مجالسة العلماء قصد ترسيخ العلوم فأخذ الفقه عن ابني الإمام أبي زيد وأبي موسى، وأخذ الأصول عن الشيخ اللّابلي وعلماء آخرين بتلمسان³ وعن الرحلة العلمية كان له نصيب منها منها نحو الحواضر الأخرى من الغرب الإسلامي، بفاس أخذ الفرائض على الحافظ السطي⁴ السطي⁴ وكان من أنجب الطلبة في علم الفرائض⁵ لتفوقه في الحساب والرياضيات ومن الوجهات الأخرى، تونس فرسخ النحو واللغة عن شيخها وإمامها محمد عبد السلام التونسي⁶ التونسي⁶ وما يلاحظ مما سبق أن سعيد العقباني كان صاحب الفضل في مجالسة كبار

¹ - أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي: برنامج المجاري، تحقيق محمد أبو الأجنان دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط: 01، 1982، ص: 132.

² - رفاف: المرجع السابق، ص: 30.

³ - التتبيكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 204 وفي كفاية المحتاج، ص: 138.

- ابن مريم: البستان ص: 106.

- ابن القاضي: درة الحجال، ص: 431.

⁴ - التتبيكتي: كفاية المحتاج، ص: 139 وذكره بالبسطي والأصل هو محمد بن علي ابن سليمان السطي من قبيلة سطة من بطون أوربة بنواحي فاس وهو إمام المالكية بفاس وقاضي الجماعة توفي سنة 749 هـ 1394 م - ابن خلدون الرحلة، ص: 48.

⁵ - علم الفرائض: هو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة من كم تصح، باعتبار فروصها الأصول أو مناسختها: ابن خلدون: المقدمة، ج: 02، ص: 549.

⁶ - أبو عبد الله محمد بن عبد السلام قاضي الجماعة بتونس إمام عالم حافظ متقن في علم الأصول والعربية وعلم الكلام والبيان فصيح اللسان صحيح النظر قوي الحجة، له أهلية الترجيح بين الأقوال لم يكن في وقته مثله توفي بالطاعون الجارف سنة 749هـ/1394م. - ابن فرحون: الديباج، م: 02، ص: 309. - ابن خلدون: الرحلة، ص: 39. - التتبيكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 59.

العلماء والأخذ عنهم فبرز بتحصيل وفير وشرح شهير فنال المنزلة العليا بين معاصريه من العلماء والفقهاء كما اصطفاه خلفاء بني زيان وبني مرين على حد سواء.

تولى شيخ سعيد العقباني عدة مناصب منها:

في التعليم حيث انكب على التدريس الذي كان من اهتماماته الأولى وذلك إدراكا منه لنبل وسمو هذه الرسالة فدرس علم الفرائض وعلم الأصول والحساب والمنطق وأخذ عنه كبار علماء تلمسان¹ كما تولى الفقيه سعيد العقباني القضاء مدة معتبرة نحو خمسين سنة في بلاد مختلفة منتقلا بين بجاية ووهران، وتلمسان، وسلا² ومراكش. وبهذا فهو لم يعد قاضي المغرب الأوسط فحسب بل كان قاضي المغرب الإسلامي.³

و تولى الإمامة والفتوى لرسوخ علمه وجمعه لشروط الاجتهاد إذ كان الونشريسي يصفه: "وسئل شيخ شيوخنا القاضي أبو عثمان العقباني⁴ ترك الشيخ العقباني ثروة علمية تمثلت في مجموعة من المصنفات في التفسير: تفسير سورة الأنعام والفتح وفي علم الفرائض: شرح الحوفي في الفرائض. وفي أصول الفقه: شرح ابن الحاجب وفي الحساب تلخيص أعمال الحساب وشرح قصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة وشرح جمل الخونجي في المنطق⁵.

¹ - الفلصادي أبو الحسن على الأندلس: رحلة الفلصادي تحقيق أبو الأحفان الشركة التونسية للتوزيع تونس، 1978، ص: 98. - رفاق شهرزاد: المرجع السابق، ص: 53.

² - سلا: مدينة على ساحل بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) عند مصب نهر بورقراق في مقابل الرباط على الضفة اليمنى من النهر وقد ظهرت في عهد الأدارسة ق: 03 هـ 9 م وموقعها بعيد بنحو ميلين عن المدينة القديمة شالة Chella التي بناها الرومان وتغلب عليها القوط إلى أن دخلها طارق بن زياد.

- الإدريسي: نزهة المشاق، ص: 141. - الوان: وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 207.

³ - التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 204.

- ابن مريم البستان، ص: 106.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 424.

- حاجيات: أبو حمو موسى الثاني، ص: 170.

⁴ - الونشريسي أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب خرجة جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1401هـ/1981 م، ج: 04، ص: 09.

⁵ - التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 204.

- ابن مريم: البستان، ص: 106.

- رفاق: المرجع السابق، ص: 62.

لقد بارك الله تعالى في عمر الشيخ سعيد العقباني إذ عمر نحو 95 سنة فكان هذا العمر المديد حافلا بالنشاطات العلمية والدينية إلى أن وافته المنية سنة 811هـ/1408م بتلمسان يوم الثلاثاء 22 ذي القعدة عند صلاة العصر¹.

2- العالم المدرس قاسم العقباني:

هو قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني يكنى بأبي القاسم وأبي الفضل ولد بتلمسان عام 768هـ/1360م ونشأ بها، حفظ القرآن الكريم في صغره وأخذ مختلف العلوم بداية على والده² ولم تذكر المصادر التي ترجمت له شيوخه الآخرين لكن أشارت إلى كلمة "وغيره" وهذا ما يدل على أنه أخذ عن علماء تلمسان التي تزخر بهم في مختلف العلوم والفنون حتى قال فيه التنبكتي: "وأحرز قصب السبق في العلم وحازه وقطع فيه صدر العمر واستقبل أعجازه"³.

لم تشر المصادر كذلك إلى رحلته العلمية نحو الحواضر المغربية وكانت هذه الرحلة سنة جارية عند طلبه العلم قصد ترسيخ العلم وتوضيح الفهم واقتصرت على ذكر رحلته نحو البقاع المقدسة التي كانت سنة 830هـ⁴ أي بعد عمر 62 سنة فأدى فريضة الحج ثم كانت المناسبة لملاقة العلماء والجلوس لهم فبمكة المكرمة لقي الشيخ تقي الدين الحسني الفاسي المكي⁵ وبالقاهرة كانت الفرصة لمباشرة الحافظ ابن حجر العسقلاني¹ وطلب منه الإجازة² الإجازة² فأجازته.

¹ - Brosselard (ch): Les inscriptions arabes de Tlemcen tombeaux des familles Elmakari et El Okbani Revue Africaine n°30 1861 P: 414 .

² - القلفي: توشيح الديباج، ص: 152 .

- التنبكتي: نيل الإبتهاج، م 02، ص: 12 وفي كفاية المحتاج، ص: 281 .

- ابن مريم: البستان، ص: 147 .

- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان د/ت ج: 06، ص: 181، مخلوف: شجرة النور، ص: 255 - نويهض: أعلام الجزائر، ص: 237 .

³ - التنبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 13 وفي كفاية المحتاج، ص: 281 .

⁴ - القلفي: المصدر نفسه، ص: 152. - ابن مريم: البستان، ص: 148.

⁵ - هو محمد بن أحمد بن علي تقي الدين الفاسي من علماء وفقهاء الحرمين تولى التدريس بالحرَم المكي وتولى قضاء المالكية توفي سنة 832 هـ / 1431 م . - القلفي: المصدر نفسه، ص: 165.

وقد بلغ منزلة عالية من التحصيل والفهم العميق حتى بلغ درجة الاجتهاد وله اختيارات خارجة عن المذهب³.

عكف على التعليم بتلمسان وأخذ عنه الكثير وهذه شهادات تلاميذه يبرزون فيها مكانته العلمية ومنها محمد بن العباس التلمساني يقول فيه " شيخنا مفتي الأمة علامة المحققين وصدر الأفاضل المبرزين آخر الأئمة"⁴ وقال تلميذه يحيى المازوني " شيخ الإسلام علم الأعلام عارف القواعد والمباني أبو الفضل العقباني"⁵.

و قال فيه تلميذه الحافظ التنسي: " شيخنا الإمام العلامة وحيد دهره فريد عصره"⁶. وقال فيه القلصادي في رحلته: " هو شيخنا وبركتنا الإمام الفقيه المعمر ملحق الأصاغر بالأكابر العديم النظر والأقران المرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان سيدي أبو الفضل قاسم العقباني"⁷ تولى منصب القضاء منذ صغره وطالت مدته بتلمسان ورغم اشتغاله بالتدريس والقضاء فإنه اجتهد كذلك في التأليف ومن مصنفاته تعليق على ابن الحاجب الفرعي وله أرجوزة في اجتماع الصوفية على الذكر وله فتاوى قيدها المازوني في الدرر المكنونة⁸ وكذلك الونشريسي في معياره⁹ فضلا عن هذا النشاط كان يعد من وجهاء وأعيان

¹ - هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني هو محدث مشهور وفقه شافعي ومؤرخ حافظ الإسلام وعلامة العلماء وحجة الأعلام أخذ عنه أغلب علماء مصر في عصره تولى قضاء الشافعية وله تصانيف كثيرة في الحديث وفي السير والتراجم ولد عام 773 م وتوفي سنة 852 هـ ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب دار الكتب العلمية بيروت دار الفكر للطباعة والنشر، ج: 07، ص: 270.

² - الإجازة: مشتقة من الجواز والتجوز وهو التعدي وتجاوز الشيء فكان الشيخ عدي روايته حتى أوصل للراوي عنه وهو في هذه الحالة تلميذه، وقد كانت الإجازة أولاً في الحديث صيانة له وتحريزاً من وقوع الخلط فيه ثم توسع الشيوخ والعلماء في الإجازات فمنحوها لكل طالب رواية في الفقه والسير والتاريخ وقد كان الشيوخ يكتبون لتلاميذهم بما يفيد بإتمام القراءة لكتاب ثم يجيزونهم للتدريس والرواية عنهم، محمد عبد الغني حسن: المقرئ صاحب نفح الطيب، الدار المصرية للتأليف والترجمة د/ت، ص: 21.

³ - التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 13. - ابن مريم: المصدر السابق، ص: 147.

⁴ - التتبكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 13. - ابن مريم: المصدر نفسه، ص: 147.

⁵ - التتبكتي: كفاية المحتاج، ص: 281. - ابن مريم: نفسه، ص: 147.

⁶ - ابن مريم: نفسه، ص: 147.

⁷ - القلصادي: المصدر السابق، ص: 106.

⁸ - المازوني أبو زكريا يحيى المغيلي: الدرر المكنونة في نوازل مازونة تحقيق حساني مختار نشر مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات جامعة الجزائر، ط: 01، 2004، ج: 01، ص: 171 و ص: 192.

⁹ - الونشريسي: المعيار، ج: 04، ص: 278.

مدينة تلمسان إذ أنه كان ضمن الوفد العلمي الذي استقبل السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز سنة 830 هـ / 1427 م وعندها كانت تلمسان تحت سيطرة بني حفص¹. ولقد عمر الشيخ قاسم العقباني حتى وصفته المصادر بـ "المعمر" أو "توفي في سن عالية وكانت وفاته في ذي القعدة سنة 854 هـ / 1450 م فعمر 86 سنة وصلى عليه في الجامع الأعظم وحضر السلطان² ومن دونه ودفن بالروضة غرب الجامع الأعظم³.

3- الفقيه أحمد العقباني:

هو أحمد بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني مادته العلمية لترجمته جاءت جد مقتضبة عند ابن القاضي في درة الحجال⁴ وعند التتبكتي في نيل الإبتهاج⁵ وعند ابن مريم مريم في البستان⁶ وقد عدّ من فقهاء المالكية بتلمسان واعتبر من قضاة تلمسان ولم ترد معلومات أخرى عن حياته ولا مولده ولا نشأته، وفاته كانت بتلمسان 840 هـ / 1436⁷ بينما ابن القاضي ذكر سنة وفاته بـ 845 هـ / 1441 م⁸ وفي كفاية المحتاج للتتبكتي ذكر سنة أربع وثمانمائة 804 هـ⁹ وقد يكون هذا خطأ مطبعي عوض أربعين وثمانمائة وهي السنة المرجحة التي وردت في أغلب المصادر التي ترجمت لأحمد بن قاسم العقباني .

¹ - الأنصاري أبو عبد الله محمد: فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق محمد العنابي المكتبة العتيقة تونس، ط: 1، 1967، ص: 31
² - السلطان أبو العباس أحمد بن أبي حمو موسى الثاني الملقب "بالمعتصم" والعاقل حكم من 834 هـ / 1431 م إلى 866 هـ / 1462 م، لخضر عبدلي: التاريخ السياسي للمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ص: 175 .
³ - التتبكتي: نيل، م: 02، ص: 14 وكفاية المحتاج، ص: 282 . - ابن مريم: المصدر السابق، ص: 148 .
⁴ - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 36 رقم: 92 .
⁵ - التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 121 رقم: 104 .
⁶ - ابن مريم: البستان، ص: 51 .
⁷ - التتبكتي: المصدر نفسه، ج: 01، ص: 121 رقم: 104 . - ابن مريم: المصدر نفسه، ص: 51 .
- الحفناوي: المصدر السابق، ج: 01، ص: 326 . - نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص: 236 .
⁸ - ابن القاضي: درة الحجال ص: 36 رقم: 92 .
⁹ - التتبكتي: كفاية المحتاج، ص: 60 رقم: 55 .

4- قاضي الجماعة إبراهيم العقباني:

هو إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني يكنى بأبي سالم ولد بتلمسان عام 808 هـ / 1406¹ أخذ عن والده شيخ الإسلام قاسم العقباني وغيره من علماء علماء تلمسان فكان تحصيله وفيرا وفهمه غزيرا عكف على التعليم بتلمسان وممن أخذ عنه الونشريسي صاحب المعيار وأثنى عليه كثيرا فقال: " وسئل شيخنا القاضي أبو سالم سيدي إبراهيم العقباني"² .

تولى القضاء وتدرج فيه حتى أصبح يعرف بقاضي الجماعة بتلمسان بعلمه وحفظه تصفه المصادر بـ: " العلامة الحافظ، حصل وبرع وألف وأفتى، كان فقيها قاضيا شكورا"³.

له مساهمة في التأليف منها تعليق على ابن الحاجب وله فتاوى نقلها الونشريسي في المعيار⁴ والمازوني في درره⁵.

¹ - مخلوف: شجرة النور الزكية، ص: 265 .

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج:1، ص: 248 .

- نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص: 236 .

² - الونشريسي: المعيار، ج: 04، ص: 302 .

³ - التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 56 .

- التتبكتي: كفاية المحتاج، ص: 105، رقم: 123 .

- ابن مريم: البستان، ص: 57 .

⁴ - الونشريسي، المعيار ج: 01، ص: 171، ج: 04، ص: 302 .

⁵ - المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج: 02، ص: 20 .

كانت وفاته سنة 880هـ/1475 بتلمسان¹ بينما ابن القاضي ذكر وفاته سنة 808هـ² وهي سنة ميلاده وتبقى سنة وفاته هي سنة 880 هـ 1475 م.

5- القاضي المدرس محمد العقباني:

هو محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني يكنى بأبي عبد الله الإمام الحاج من فقهاء وعلماء تلمسان البارعين³ من مواليد سنة 804 هـ / 1401 م بتلمسان⁴ نشأ بها وأخذ عن علمائها على رأسهم جده قاسم العقباني، ولم تشر المصادر إلى شيوخه الآخرين وإنما ذكرت كلمة " وغيره " أي من علماء تلمسان فنال العلم المطلوب في مختلف أصناف العلوم والفنون ليصل إلى منزلة علماء وفقهاء تلمسان .

تصفه مصادر ترجمته ومنها ابن مريم: " الفقيه العالم العلامة الحاج الرحلة المتقن

البارع "⁵. والتتبعي: " كان فقيها علامة متقنا بارعا حاجا رحلة "⁶.

¹- التتبعي نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 57 .

- التتبعي: كفاية المحتاج، ص: 105، رقم: 123 .

- ابن مريم: البستان، ص: 58 .

²- ابن القاضي: درة الحجال ص: 101 رقم: 271 .

³- التتبعي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 232 وكفاية المحتاج، ص: 431 رقم 578 .

- ابن مريم: البستان، ص: 224 .

⁴- بوشقيف محمد، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي 9هـ/15م

مذكرة ماجستير قسم التاريخ جامعة وهران 2003-2004، ص: 156 .

⁵- البستان: المصدر نفسه، ص: 224.

⁶- التتبعي: كفاية المحتاج، ص: 431 رقم: 578.

تصدى للتدريس، ومن كان لهم الفضل في الأخذ عنه أحمد يحيى الونشريسي صاحب المعيار وأحمد بن حاتم ويحيى بن بدير التلمساني الأندلسي¹ كما كان له اهتمام بالغ بالتصوّف² إذ تصفه المصادر فتقول في حقه: "ذا ملكة في التصوف"³.

و له مشاركة في التصنيف منها مؤلفه المشهور " تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر"⁴ وهناك فتوى جمعها الونشريسي في معياره خاصة وأنه يوصف بالعارف بالنوازل⁵ كل هذا مكن الشيخ محمد العقباني من تصدر علماء تلمسان خلال العقد السابع من القرن التاسع وكان من لقيهم الرحلة المصري عبد الباسط " قاضي الجماعة الشيخ العالم الفاضل سيدي أبو عبد الله محمد العقباني " ⁶ .

كما تقلد الشيخ محمد العقباني مناصب القضاء وارتقى فيها حتى أصبح يعرف بقاضي الجماعة بتلمسان فضلا عن هذه المهمات كان للشيخ محمد العقباني شرف اختياره

¹ - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 448 رقم: 1457 .

² - التصوف: مذهب سلوكي يهدف أصحابه إلى التخلق بالأخلاق الإلهية. وبالوقوف مع الآداب الشرعية وسمي هذا المذهب بالتصوف كون أصحابه لبسوا الصوف وهذا بداية من بلاد الشام بالكوفة مع نهاية القرن 2 هـ / 8 م وقد يكون التصوف تصوف سني الذي تأخذ به السنة النبوية المحمدية وهو مقيد بأصول الكتاب والسنة وقد يكون بدعي الذي يخالف ويخرج عن السنة وهناك تصوف نظري أو أشراقي غايته معرفة الله بالأدواق والعملية قوامه المجاهدات بالعبادات والذكر والزهد . وقد قيل التصوف هو فلسفة المسلمين وهو علمهم في الأخلاق وهناك من يعترض على التصوف كونه اعتزال لحركة المجتمع وخروج عن التاريخ وتوقف عن المشاركة في الإجتماع والتأثير في الأحداث، الحفني عبد المنعم: الموسوعة الصوفية، ص: 859 رقم: 211 وص: 7 و 8 .

ينظر في هذا الموضوع على عهد الموحدين:المغراوي محمد: العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة محمد الخامس الرباط المغرب السنة الجامعية 1422-1423 هـ / 2001-2002 م .

³ - التبتكتي: نيل الإبتهاج: م: 02، ص: 232 وفي كفايه المحتاج، ص: 432.

- ابن مريم: البستان، ص: 224 .

⁴ - حقه على الشنوفي أستاذ مبرز ب/ط/ب س وتشر في مجلة الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسي بدمشق الجزء: 19 سنة 1967 .

⁵ - الونشريسي: المعيار، ج: 4، ص: 303 .

⁶ - محمود بوعباد: رحالة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع الهجري. مجلة الأصالة السنة الرابعة العدد 24 سنة 1395هـ / 1975 م، ص: 131 .

من قبل السلطان الزياني محمد المتوكل على الله¹ ضمن الوفد الدبلوماسي الذي استقبل السلطان الحفصي أبا عثمان محمد بن أبي فارس² قصد الصلح والمبايعة في إطار العلاقات الثنائية الزيانية الحفصية.³

وبعد نحو 67 سنة من عمر الشيخ محمد العقباني وافته المنية يوم 23 ذي الحجة 871هـ/1467م.⁴ وهناك علماء آخرون لهذه الأسرة مكانتهم أقل شهرة مما سبق ومادة ترجمتهم محدودة.

6- عبد الواحد بن أحمد العقباني:

وهو عبد الواحد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني ولد ونشأ بتلمسان وتاريخ ميلاده غير معروف . عد في قضاة وفقهاء تلمسان بل ذكرته المصادر قاضي الجماعة بتلمسان وتاريخ وفاته كان سنة 896 هـ / 1491 م⁵

7- محمد بن أبي يحيى العقباني:

هو محمد بن أبي يحيى بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني عد من مدرسي تلمسان وقد كتب على شاهد قبره " الحمد لله هذا قبر الشاب المدرس أبي عبد الله محمد بن القاضي أبي يحيى العقباني توفي رحمه الله أواسط جمادى عام إحد وأربعين وتسعمائة " ⁶

¹- أبو عبد الله محمد المتوكل على الله حكم من 866 هـ / 1462 م إلى 873 هـ / 1468 م .

- التنسي: المصدر السابق، ص: 255 .

²- أبو عثمان بن محمد بن أبي فارس حكم من 839 هـ / 1435 م إلى 893 هـ / 1488 م .

- الزركشي: المصدر السابق، ص: 134 .

³- الزركشي: المصدر نفسه، ص: 153 .

⁴- ابن مريم: البستان، ص: 224 .- التبتكي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 232 وكفاية المحتاج، ص: 432 .

- ابن القاضي: درة الحجال، ص: 289 .

⁵- التبتكي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 322 رقم 361 وفي كفاية المحتاج، ص: 213 رقم 300 .

- الحفناوي: تعريف الحلف، ج: 02، ص: 70 .- نوهيض: معجم أعلام الجزائر، ص: 237 .

⁶-الشواهد القبرية للعائلة العقبانية، متحف تلمسان رقم الجرد: 47/91 و 66 / E مقاساته إر: 58.50 سم عر/ 45 سم مساحة الكتابة 38 سم x 35.50 سم = 1349 سم² زيارة ميدانية لمتحف تلمسان بتاريخ 06 رمضان 1431هـ/16 أوت 2010/.

1534/941 هـ م وما يمكن أن نستنتج من هذه الكتابة أن محمد العقباني هذا لم يعمر طويلاً فقد مات شاباً واشتغل بالتدريس كأسلافه دون القضاء.

8- أحمد بن محمد العقباني:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم بن سعيد العقباني نشأ وتعلم بتلمسان ونال حظه من العلم ثم انتقل إلى فاس ودرس بجامع القرويين وكانت وفاته سنة 980هـ/1571م¹. وقد أضافت رفاف شهر زاد إلى عائلة العقباني " أبو عبد الله محمد الخروبي بن أبي العباس أحمد العقباني"² ولكن يبدو أن هناك خلط إسمين في اسم واحد فهناك الإسم الأول: أبو عبد الله محمد الخروبي العالم الفقيه خطيب الجزائر الذي ترأس الوفد المفاوض الذي أرسله السلطان سليمان القانوني إلى السلطان السعودي الشريف محمد الهادي وقد توفي سنة 1556/963م³ الإسم الثاني هو أبو العباس أحمد العقباني وذكرت وفاته سنة 964 هـ 1557م⁴

¹- محمد بن عسكري الحسن الشفشاوني:دوحة الناشر منشورات مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاءالمغرب ط: 03 2003 ص: 111 .

²- رفاف: المرجع السابق، ص: 16 .

³- مخلوف: شجرة النور الزكية، ص: 248 .

- نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص: 132 .

⁴- الشواهد القبرية للعائلة العقبانية، متحف تلمسان رقم الجرد: 91 / 50 و 54 / E مقاساته أر 46.50 سم عر: 35 سم مساحة الكتابة ط 27 x ع 25 سم = 675 سم² زيارة ميدانية لمتحف تلمسان بتاريخ 06 رمضان 1431هـ 16 أوت 2010.

المبحث الثالث: بيت المرازقة:

و هو من البيوتات الكبرى العريقة بتلمسان ترعرعت في ظل التطورات الحضارية التي عاشتها تلمسان الزيانية ويمكن تتبع تاريخ هذا البيت وعلمائه كالاتي:

أ- التعريف ببيت ابن مرزوق ونسبه:

لماذا سمي هذا البيت ببيت ابن مرزوق وإلى من يعود نسبه؟ وكيف استقر بتلمسان؟

1- التعريف ببيت المرازقة:

من البيوتات التي كان لها شأن كبير بتلمسان بيت المرازقة، وإذا كان المقريون والعقبانيون عرفوا بهذه الأسماء نسبة لأماكن مسقط رؤوس أجدادهم فإن المرازقة عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم مرزوق ومن هنا جاء التعريف ببني مرزوق أو المرازقة وهما هو ابن مرزوق الخطيب¹ يتكلم عن هذا النسب فيقول: " محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق"² ثم يضيف ويقول: " مرزوق هو أول من دخل تلمسان أيام حصار لمتونة³ لها " ⁴ ولقد كان حصار المرابطين لتلمسان ما بين سنتي 472هـ/1079م إلى

¹ - من كبار علماء بيت المرازقة يعرف بالجد والرئيس ولد بتلمسان سنة 711هـ وكانت وفاته سنة 781هـ ودفن بمقبرة القرافة الصغرى بالقاهرة -ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 02، ص: 270 - بن داود نصر الدين: علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان من القرن 7 هـ / 13 م إلى 10 هـ / 16 م، مذكرة ماجستير قسم التاريخ جامعة وهران 2002-2003، ص: 45 .

² - ابن مرزوق الخطيب: مخطوط في سيرة سلفه أوراقه من 01 إلى 96 مبتور الأول وفي الوسط وفي آخره بعض أوراقه بها خرم غير مقروءة، الورقة 02 المكتبة الخاصة، ميكرو فيلم بالخزانة العامة بالرباط رقم: 20 .

وقد حقق هذا المخطوط بالعنوان التالي: أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ت 781هـ: المناقب المرزوقية: دراسة وتحقيق الأستاذة سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط: 1 / 2008، ص ص 139 145.

³ - لمتونة: هي إحدى فصائل القبيلة البربرية الكبرى صنهاجة كبير البرانس أسست دولة المرابطين سنة 434 هـ .

- ابن خلدون: كتاب العبر ج: 06، ص: 181 والباحثون يصفونها بصنهاجة الجيل الثاني أو صنهاجة الغرب أو صنهاجة الصحراء .

⁴ - ابن مرزوق الخطيب: المصدر نفسه، ورقة: 02.

475/1082م¹ ويحيى بن خلدون يذكر أن مرزوق استوطن تلمسان دون تحديد التاريخ والحدث² ومن هنا نخلص إلى القول: إن هذه الأسرة نسبتها إلى جدها مرزوق وهناك من يدعوا بني مرزوق أو أسرة بني مرزوق وهناك من يدعوا بصيغة ووزن المفاعلة أي المرازقة.

2- بيت المرازقة والنسب العجيسي

نسب بيت المرازقة يعود إلى قبيلة عجيسة وعن هذا يقول ابن مرزوق الخطيب: "يرجع إلى عجيسة فجدي يكنى بمرزوق العجيسي وعجيسة هي قبيلة بربرية من زناتة"³ وقبيلة عجيسة ذكرها ابن خلدون فقال عنها: "وأما عجيسة فهم من بطون⁴ البرانس من ولد عجيسة من برنس ومدلول هذا الاسم البطن، فإن البربر يسمون البطن بلغتهم عدس بالدال المشددة فلما عربتها العرب قلبت دالها جيم مخففة⁵ وبهذا أصبح نطقها عجيسة. وقد ذكر ابن حزم هذا النسب في كتابه فقال: " فولد بر: مدغيس وبرنس فولد برنس: كتامة وصنهاجة وعجيسة ومصمودة وأورية وازداجة وأوريغ "⁶ ويقول عبد الرحمن بن خلدون كذلك: " أما شعوب البرانس فعند النسابين أنهم يجمعهم سبعة أجدام⁷ وهي أزداجة ومصمودة وأورية وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغ "⁸ وما يلاحظ أن ابن مرزوق الخطيب قد ذكر أن عجيسة من زناتة دون الإشارة إلى الجذمان العظيمان برنس ومنه بربر البرانس وما دغيس

¹ - أرسل الأمير المرابطي يوسف ابن تاشفين جيش بقيادة مزديلي ابن تليكان سنة 472 ثم سنة 475 فتحها هو بنفسه.

- ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 06، ص: 185 .

² - يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج: 1، ص: 114 .

³ - ابن مرزوق الخطيب: المخطوط السابق الورقة: 02، المناقب المرزوقية، ص: 145

⁴ - جمع بطن مصطلح في علم الأنساب للتمييز بين تفرع القبائل والشعوب وهو يعني بطن دون القبيلة وفوق الفخض، ابن منظور محمد ابن مكرم: لسان العرب المحيط اعداد وتصنيف يوسف خياط دار لسان العرب، بيروت لبنان د.س، م: 01، ص: 228

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، ج: 06، ص: 145 .

⁶ - ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص: 495 .

⁷ - الأجدام وجدوم، جمع الجدم بالكسر أصل الشيء وقد يفتح وجدم كل شيء أصله ابن منظور المصدر السابق، م: 01، ص: 426 والمراد هنا لأجدام الأصول.

⁸ - ابن خلدون: المصدر نفسه، ج: 06، ص: 89.

الأبتر ومنه بربر النتر وعجيسة هي جذم من البرانس بينما زناتة هي بطن من بني يحيى من جذم ضريسة من البتر¹ وابن مرزوق الخطيب قد يكون أشار إلى عجيسة من زناتة إتباعا لإبن حزم الذي بدأ كلامه عن نسب البربر بزنانة، ونخلص إلى القول: إن أسرة ابن مرزوق نسبها يعود إلى مرزوق العجيسي نسبة لعجيسة وهي قبيلة بربرية من البرانس .

3- بيت المرازقة من القيروان إلى تلمسان

مرزوق جد المرازقة هو أول من استقر بتلمسان قادما إليها من القيروان التي كانت موطنهم الأصلي وفي هذا يقول ابن مرزوق الخطيب: " أن مرزوق هذا ورد تلمسان مع أخوين شقيقين خلوف بضم الخاء المعجمة واللام ومعافى من مدينة القيروان وكانت موطنهم وأماكنهم بجبل بظاهر القيروان يسمى بويسات " ² ويحيى بن خلدون قد ذكر نسب ابن مرزوق الخطيب فقال: " محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق بن الحاج التلمساني القيرواني الأصل " ³ وهجرة مرزوق هذا من القيروان جاءت بعد زحف بني هلال ⁴ على إفريقية ومنهم بطن زغبى ورياح بالقيروان وقد عاتوا فيها فسادا وكانوا قد دخلوا هذه البلاد في حدود سنة 445 هـ / 1054 م وفي سياق كلام ابن خلدون عن هذه القبيلة قال: " وكان

¹ - هذا ما يتفق عليه علماء النسب ومنهم أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار وسالم بن سليم المظمطي وصابي بن مسرور الكومي وكهلان بن أبي لو - ابن خلدون، كتاب العبر، ج: 06، ص: 89 .

² - ابن مرزوق الخطيب المخطوط السابق، ورقة: 02، المناقب المرزوقية ص: 146، وعن ويسات ذكر الوزان وهو يصف القيروان: " ويوجد على بعد 12 ميل من المدينة جبلا يدعى وسلات مازالت فيه بعض الآثار الرومانية "، وصف إفريقيا، ج: 02، ص: 90 .

³ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج: 01، ص: 114 .

⁴ - بنو هلال من القبائل العربية التي هاجرت إلى المغرب وموطنهم الأصلي بجبل غزوان عند الطائف شرق مكة المكرمة .

-ابن خلدون: العبر، ج: 06، ص: 13 .

⁵ - ابن خلدون: نفسه، ج: 06، ص: 15 .

لهم بين البربر كثرة وظهور وكانوا مجاورين في بطونهم لصنهاجة وبقاياهم لهذا العهد في ضواحي تونس والجبال المطلة إلى المسيلة¹ وكان منهم من يسكن جبل القلعة^{2,3}.

فهذا العهد من النصف الثاني من القرن الخامس هجري حسب الترتيب الكرونولوجي الذي يتناوله ابن خلدون أما ماريا بيغيرا فهي ذكرت غير هذا فقالت: " عجيسة استقرت في أواخر القرن 8 هـ/14 م في جنوب بجاية في ضواحي قلعة بني حماد " ⁴ وبهذا تكون قد فهمت أن كلمة لهذا العهد تأليف ابن خلدون لكتاب العبر في أواخر 8 هـ/14 م، صحيح أن المكان هو جنوب بجاية وشمال المسيلة ولكن الزمن ليس أواخر ق: 8 هـ/14 م بل هو النصف الثاني من ق 5 هـ / 11 م، وفي موطن آخر تكلم ابن خلدون عن تأسيس قلعة بني حماد في 398 هـ يؤكد هذا فيقول: " واختط (حماد بن بلكين) مدينة القلعة لجبل كتامة سنة ثمان وتسعين وهو جبل عجيسة⁵ إذن قبيلة عجيسة منها من بقي بتونس بإفريقية ومنها من هاجر إلى المغرب ومنهم مرزوق الذي استقر بتلمسان وهجرة مرزوق كانت مع أوخين شقيقين له هما خلوف ومعافي، أما معافي فقد عاد إلى تونس وبقي مقيما بها وخلوف واصل هجرته نحو مدينة آسفي⁶ بالمغرب الأقصى واستقر بها"⁷.

وعندما استقر مرزوق بتلمسان مع النصف الثاني من القرن 5 هـ/11 م اشتغل بالفلاحة وفي هذا يقول ابن مرزوق الخطيب: "أما مرزوق رحمه الله تعالى فكان مشتغلا بالبادية

¹ - المسيلة: وتسمى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد ابن المهدي سنة 315 وهو ولي عهد أبيه المنتسب للعلويين (العبيديين أو الفاطميين) ياقوت الحموي:معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر د.س، م: 05، ص: 130.

² - القلعة: مدينة متوسطة لها قلعة عظيمة على جبل تافر يوست قاعدة ملك بني حماد أحدثها بلكين بن زيري في حدود سنة 370 هـ، الحموي: المصدر السابق، م: 04، ص: 390 ولكن الذي بناها هو حماد بن بلكين سنة: 398 هـ/1007 م. - ابن خلدون: المصدر السابق، ج: 06، ص: 171 . ويعرف اليوم الجبل بجبل معاديد أو المعاضيبض على نحو 31 كلم جنوب برج بوعرييج وعلى نحو 36 كلم شمال شرق المسيلة .

³ - ابن خلدون: نفسه، ج: 06، ص: 145.

⁴ - ماريّا خيسوس بيغيرا: دراسة وتحقيق المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن لمحمد ابن مرزوق التلمساني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1401 هـ / 1981 م، ص: 15 .

⁵ - ابن خلدون: المصدر نفسه، ج: 06، ص: 171 .

⁶ - آسفي مدينة بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ بحر المحيط بإقليم الدكالة فهي تتوسط ساحل المحيط الأطلسي للمغرب الأقصى .

- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج: 1، ص: 147.

⁷ - ابن مرزوق الخطيب: المخطوط السابق الورقة: 03، المناقب، ص: 147.

بفاكهته وحرارته وابنتى دارا بتلمسان بالموضع المسمى بمرسى الطلبة¹ وقد كان مرزوق يعرف بابن مرزوق ابن الحاج فأجداده كانوا حجاجا وفي هذا يقول الخطيب: "وكانوا حجاجا يعرفون بأولاد الحاج"² ومن أولاد مرزوق محمد المكنى بأبي بكر الذي اشتهر بكثرة رحلاته إلى البقاع المقدسة وأبو بكر هذا قد أنجب ابنا سماه محمدا وهو مدفون بمقبرة باب زير³ بتلمسان⁴ ومن هنا تلاماً نجم هذه الأسرة في سماء حضارة تلمسان بفضل علمائها ونشاطهم وإنتاجهم الفكري.

ب- علماء بيت المرازقة

أنجب هذا البيت نحو ثمانية علماء، فكان من أكثر بيوتات العلماء عددا وأنشطهم مشاركة في المنجزات الحضارية لتلمسان الزيانية وهم:

1- بركة بيت المرازقة محمد بن مرزوق

هو محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق بن الحاج التلمساني المكنى بأبي عبد الله⁵ وصفه ابن مرزوق الخطيب قائلا: "العالم الولي بركة هذا البيت"⁶ ولد بتلمسان سنة: 629هـ/1231م نشأ بها، وحفظ القرآن الكريم عن الشيخ العالم أبي عبد الله الكفيف وتعلم اللغة العربية عن الشيخ أبي عبد الله المالقي⁷ وأخذ الفقه عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم

¹ - ومرسى الطلبة حي من أحياء تلمسان كان به مسجد يعرف بمسجد مرسى الطلبة الذي كان له مخرج نحو باب الجياد ومنها التوجه نحو العباد في الجهة الشرقية من تلمسان.

- ابن مرزوق الخطيب: المخطوط السابق الورقة: 06، أما العباد فهي مدينة صغيرة تقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان كثيرة الإزدهار وافتت السكان والصناع.

- الوران: المصدر السابق، ج: 02، ص: 24 .

² - ابن مرزوق الخطيب: المخطوط نفسه الورقة: 02 . المناقب المرزوقية، ص: 147 .

³ - باب زير في الجهة الشرقية الشمالية بتلمسان معروف إلى يومنا هذا ومنه يكون التوجه نحو أقادير .

- يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج: 01، ص: 106 و 129 .

- Mac Duckin de Slane: Histoire de Tlemcen depuis la conquête musulmane jusqu'à l'établissement de la dynastie Abdelwadite - Bulletin de la Société les Amis du Vieux Tlemcen - Medersa Tlemcen 1956 P: 30 .

⁴ - ابن مرزوق الخطيب، نفسه، الورقة: 03، المناقب، ص: 147 .

⁵ - ابن مرزوق الخطيب: المخطوط نفسه، و: 02، المناقب، ص: 149 . يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج: 01، ص:

114 . - ابن مريم البستان، ص: 222 .

⁶ - ابن مرزوق الخطيب: المخطوط نفسه، و: 03، المناقب، ص: 149.

⁷ - ابن مرزوق: المخطوط السابق، و: 18 .

التنسي¹ وعلم الحديث عن الشيخ أبي زكريا يحيى العبدري² وجالس الشيخ أبا زيد عبد الرحمن اليزناسني³ وأخذ علوم الآخرة⁴ عن جماعة أصحاب الشيخ أبي مدين وهم الشيخ أبو العباس أحمد المقرئ والشيخ محمد صالح والشيخ ابن اللجام⁵ .

يصف ابن مريم عالمنا الشيخ ابن مرزوق فيقول: " وكان من العلماء الزاهدين والعلماء العاملين " ⁶ كان مهتما بالتصوّف علما وعملا حتى عرف بالولي الصالح فكان صاحب كرامات⁷ ومكاشفات⁸ ويشهد له بهذا أهل العباد⁹ ويذكر أنه كان يعتمد في روايته على المؤرخين التقاة¹⁰ وقد كان الإقبال عليه من تلمسان وأهل البادية يمدونه بكل ما يحتاج منها وعندما اشتهر بعلمه وصلاحه وتقواه تمنى كل واحد عرفه مصاهرته فكان الحظ من

¹ - هو أبو إسحاق إبراهيم ابن يخلق ابن عبد السلام التنسي من العلماء البارزين بتلمسان انتهت إليه راسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها وكانت وفاته سنة 680 هـ . - ابن مرزوق: المخطوط نفسه، و: 18 . - مخلوف: شجرة النور، ص: 218 . - جاجيات: أبو حمو موسى الزباني، ص: 42 .

² - هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن عصفور العبدري ولد سنة 571 هـ / 1175 م يعد من كبار علماء المالكية في وقته، درس بتلمسان سنة 646 هـ / 1247 م . - ابن مرزوق: المخطوط نفسه، و: 18 . - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج: 01، ص: 115 .

³ - من العلماء الذين كان لهم السبق في شتى العلوم الدينية عاش في القرن 7 هـ / 13 م برس ببجاية واستوطن فاس وظهر من بين علمائها حتى وافته المنية بها وقبل هذا زار تلمسان.

- ابن مرزوق: المخطوط نفسه، و: 18 . - يحيى بن خلدون: المصدر نفسه، ص: 115 .
- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد: عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية تحقيق رباح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر: 1981، ص: 223 .

⁴ - علوم الآخرة: وهي عند المتصوفين من أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة والمرضي عند الله تعالى وأحوال الحشر والنشر والجنة والنار...، أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين دار المعرفة بيروت - لبنان، 1402 هـ/1982م، ج: 01، ص: 15.

⁵ - ابن مرزوق الخطيب: المخطوط نفسه، ورقة: 18، المناقب، ص: 171 .

⁶ - ابن مريم: البستان، 226 .

⁷ - كرامات جمع كرامة وهي ما يكرم الله به أوليائه بما يظهره على أيديهم كالاستقامة والتوفيق إلى طاعة الله تعالى والزيادة في العلم والعمل وهداية الخلق إلى الحق ولا يشترط فيها أن تكون خارقة للعادة ولا خارجة عن مألوف الناس السيد سابق العقائد الإسلامية دار الكتاب العربي بيروت لبنان، د.ت، ص: 214 . وينظر عن هذا الموضوع طاهر بونابي التصوف بالجزائر خلال القرنين 6 و7 هـ / 12 و13 م دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة الجزائر 2004، ص: 177 .

⁸ - مكاشفات جمع مكاشفة ومكاشفة العيون بالأبصار ومكاشفة القلوب بالإتصال والمكاشفة هي حضور قلب بنعت البيان فيكشف له الله عز وجل ما يستتر عليه فهمه فكأنه يراه رأي العين، عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، ص: 1281.

- بونابي: المرجع السابق، ص: 111 .

⁹ - منهم الشيخ أبي عبد الله بن عبد السلام وأبو زيد عبد الرحمن.

- ابن مرزوق الخطيب: المخطوط نفسه، و: 11، المناقب، ص: 155 و161 و163.

¹⁰ - من الذين كانوا يؤرخون بتلمسان في هذه الفترة أبو العباس بن القطان والشيخ أبو محمد عبد الله الشريشي .
- ابن مرزوق: المخطوط السابق، ورقة: 4 .

نصيب الفقيه أبي عبد الله الكتاني الذي صهر إليه¹ هذه الشهرة لم تكن محصورة عند عامة الناس بل وصلت حتى لدى السلطان يغمراسن بن زيان فكان يزوره في المسجد الذي يؤمه ويصلي معه وهو مسجد مرسى الطلبة وعرف هذا المسجد بمسجد ابن مرزوق² وكان يخرج إلى مسجد بأعالي العباد يعرف بمسجد العزلة³ ومنه يتجه نحو حديقة له بها أشجار الفواكه وهي السفرجل والرمان، التفاح ويغرس كذلك الورود⁴ واعتناؤه بالورود يدل على الحس الجمالي والذوق الفني والبعد الحضاري.

و لقد عاش بتلمسان ولم يذكر أنه خرج منها حتى جاءت المنية في أوائل شهر رجب 681 هـ / 1282 م وهذا بعد أن صلى الصبح بالمسجد وعاد إلى بيته وهو مزكوم فامتد في فراشه وأوصى زوجته وأبناءه وطلب حضور أقاربه وأوصاهم خيرا إلى أن فاضت روحه⁵ وكان مشهد جنازته كبيرا بحضور خلق كثير ودفن بدار الراحة من الجامع الأعظم⁶ وهذا لوصية الأمير يغمراسن بن زيان الذي أراد أن يدفن بجانبه لعل الله تعالى يرحمه بجواره⁷ وعندما توفي الأمير يغمراسن في بداية ذي القعدة 681 هـ / 1282 م دفن بإيثاره تبركا بجواره⁸ وذكر جورج مارسى أن سيدي مرزوق الذي دفن بهذا المكان هو الذي توفي سنة 842هـ/1439م فالذي توفي في هذه سنة هو حفيد حفيده⁹ وليس الذي ذكره عبد الرحمن بن

¹ - أبو عبد الله الكتاني كبير البلد وصاحب المشورة وهو المفوض إليه من قبل ملوك الموحدين .

- ابن مرزوق الخطيب: المخطوط نفسه، الورقة: 04 .

² - ابن مرزوق: نفسه، و: 07، المناقب، ص: 153 .

³ - مسجد العزلة وهذا نسبة بالعزلى ولا يقصد بها اعتزاله عن الخلق لسلامة الناس من شره أو سلامته من شرهم وإنما اعتزال الخصال المذمومة والتأثير الذي تحدثه العزلى هي تبديل الصفات وليس التثاني عن الأوطان ومن ذلك عزلة أهل الكهف في قوله تعالى: " وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا " سورة الكهف، الآية : 16 .

- الحفني: الموسوعة الصوفية، ص: 1146 .

⁴ - ابن مرزوق: نفسه، و: 07 .

⁵ - ابن مرزوق: نفسه، و: 05، المناقب، ص: 166 .

⁶ - ضريحه يوجد في الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد الأعظم بتلمسان وعليه الآن قبة وهو معروف عند أهل تلمسان بسيدي مرزوق .

⁷ - ابن مرزوق: نفسه، و: 16، المناقب، ص: 167 .

- يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص: 115 .

⁸ - عبد الحميد حاجيات وآخرون: الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي 3، ص: 440 .

⁹ - George Marçais : Les villes d'art célèbres Tlemcen - Paris librairie Renouard H Laurens Editeur France 1950 P.39.

بن خلدون أنه الجد الخامس أو السادس لابن مرزوق واسمه أبو بكر ابن مرزوق¹ وإنما هو جده الأول محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق . وبالنسبة لجورج مارسي فهو لا يتناقض مع الرواية الأولى وقد يكونا قد دفن بهذا المكان خاصة وأنه مختص في علم الآثار .

2- أبو عبد الله محمد بن مرزوق

هو أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق عم ابن مرزوق الخطيب ولد قبل سنة 681هـ/1281م باعتبار سنة مولد والد ابن مرزوق الخطيب الذي هو أصغر من عمه² نشأ بتلمسان ومسكنه كان بمقربة من باب العقبة ومن العباد السفلي وأكثر مستقره بالعباد العلوي³.

أخذ وتعلم عن علماء تلمسان منهم الشيخ أبي عبد الله بن النجار⁴ وأبي عبد الله المقرئ وأبي الحسن علي بن أحمد ابن الفحام⁵.

و عند مجيء أبي الحسن المريني وحصاره لتلمسان⁶ كان قريباً منه بحكم مسكنه في شرق تلمسان وفي هذا يقول ابن مرزوق الخطيب: "حدثني والدي وعمي رحمهما الله وكان

¹ - ابن خلدون: رحلته، ص: 60 .

² - ابن مرزوق: المخطوط السابق، ورقة: 32، المناقب، ص: 190 .

- يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج: 01، ص: 15.

³ - ابن مرزوق الخطيب: المسند، ص: 117 .

⁴ - هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن النجار مفتي وفقه تلمسان درس على الشيخ الأيلي الذي يقول فيه: ما قرأ عليه أحد حتى قلت له لم يبق عندي ما أقوله لك غير ابن النجار . من علماء السلطان أبي تاشفين ثم في المجلس العلمي للسلطان أبي الحسن المريني توفي سنة 749 هـ في تونس بالطاعون .

- يحيى بن خلدون: نفسه، ج: 01، ص: 119.

- التبتكتي: النيل، م: 02، ص: 57.

⁵ - هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الفحام من أعرف زمانه بفنون التعاليم الفلك وهندسة النجوم اشتهر بصناعة المنجانا.

- يحيى بن خلدون: نفسه، ج: 01، ص: 119.

⁶ - امتد هذا الحصار من 11 شوال 735 هـ يونيو 1335م إلى 28 رمضان 737 هـ ماي 1337م .

- ابن خلدون: العبر، ج: 07، ص: 254 .

- ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 219 .

لهما به (أبي الحسن المريني) اختصاص أيام مقامه مع أخيه مدة حصار تلمسان¹ ومن هنا أصبح من المقربين لدى السلطان أبي الحسن المريني الذي كلفه بالإشراف على بناء مسجد العباد ثم تولى الإمامة والخطابة به² إضافة إلى ذلك خدم ضريح الشيخ أبي مدين شعيب³. تاريخ وفاته غير مضبوط لكن إلى غاية سنة وفاة السلطان الحفصي أبي يحيى أبي بكر 747 هـ كان حياً⁴ وبهذا فقد يكون قد توفي بعد سنة 747 هـ / 1346 م .

3- أبو العباس أحمد بن مرزوق

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق والد ابن مرزوق الخطيب ولد بتلمسان في ليلة 2 محرم 681 هـ⁵ أفريل 1282 م⁶ حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ عبد الواحد المستاري⁷ وأخذ علم القراءات عن الشيخ يوسف بن يعقوب الصنهاجي⁸ وأخذ كذلك عن ابني الإمام.

تزوج أحمد ابن مرزوق بنت العالم أبي إسحاق التنسي وتم العقد ونفقة الزواج على يد السلطان أبي يعقوب المريني⁹ وفي سنة 733 هـ عزم أبو العباس أحمد ابن مرزوق على التوجه مع أهله وابنه الخطيب إلى البقاع المقدسة ومن عاداتهم إحضار أطعمة خاصة بالسفر خفيفة الحمل وذات قيمة غذائية ومنها طعام الفداوش¹⁰ عند أهل المغرب والدويدة

¹ - ابن مرزوق: المسند، ص: 117 .

² - ابن مرزوق: المسند، ص: 403 .

ابن خلدون: تعريف ابن خلدون، ص: 61 .

³ - المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 142 .

⁴ - ابن مرزوق: المسند، ص: 356 .

⁵ - ابن مرزوق: المخطوط السابق، و: 32، المناقب، ص: 188 . - ابن خلدون: البيغية، ج: 01، ص: 18 .

⁶ - ماريا: دراسة المسند، ص: 18 .

⁷ - من مشايخ تلمسان ومن أشهر حفظتها للقرآن الكريم . - ابن مرزوق: المخطوط نفسه، و: 35، المناقب، ص: 199

⁸ - عالم تقي ورعا برز في علم القراءات أخذ عنه أكثر أهل تلمسان وما أخذ عنه إلا ونفعه وكان صاحب كرامات مستجاب الدعاء وقبره خارج باب الجياد. - يحيى بن خلدون: نفسه، ج: 01، ص: 119 .

⁹ - ابن مرزوق، المخطوط السابق، و: 33 و: 34، المناقب، ص: 196 .

¹⁰ - الفداوش أو الدويدة هو طعام من نوع العجائن يعد بالزيت والزبدة والملح هناك من يقتله وهناك من يصفح العجين ويقصه طول الوحدة 25 سم فهو يشبه سباقيتي اليوم ولكن شكله مسطح وهذا الذي لازال البعض يصنعه بتلمسان .

عند أهل إفريقيا، وكان خروجه للحج في أول محرم عام 734 هـ بداية فصل الربيع بنحو 280 فارس حتى وصل القاهرة في جماد الآخرة أي نحو 6 أشهر ما نقص عنهم الدقيق والغنم¹ وهذا يدل على أن السفر للحج كان جماعيا لتأمين الطريق ومعهم المؤونة التي تكفيهم لمدة السفر وموسم السفر هو فصل الربيع حيث الجو معتدل أو الصيف رغم الحرارة إلا أن نهاره طويل يساعد على الاستراحة وعلى العكس من ذلك برودة الخريف وأمطار الشتاء وتلجه لا تساعد على السفر .

وفي القاهرة فكر أبو العباس في الإقامة لأشهر حتى تكون الفرصة سامحة لتعليم ابنه الخطيب على مشايخها. وفي سنة 736 هـ توجه أبو العباس نحو البقاع المقدسة فحج وسكن المدينة المنورة إلى أن وافاه الأجل بمكة المكرمة في ذي القعدة سنة 741 هـ الموافق لأفريل 1341 م².

4- فخر المغرب على المشرق ابن مرزوق الخطيب

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق يعرف بالخطيب وبالجد ويلقب بشمس الدين³ ولد في أوائل ذي القعدة سنة 711 هـ/1311 م⁴ نشأ وترعرع بتلمسان حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية وآدابها والمبادئ الأولية للعلوم الدينية

¹ - ابن مرزوق: المخطوط نفسه، و: 34 و: 35، المناقب، ص: 191.

² - ابن مرزوق: المناقب، ص: 271 .

- ابن خلدون: البغية، ج: 1، ص: 04 .

- ماريا: دراسة المسند، ص: 19 .

- Bargès : Complément de l'histoire de Beni-zeiyan, Rois de Tlemcen – Paris Ernes Leroux Libraire Editeur, 1887 P.P: 217-218.

³ - ابن فرحون: الديباج م: 02، ص: 270. - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 03، ص: 104. - التبتكتي: النيل، م: 02، ص: 111. - ابن مريم: البستان، ص: 184. - الحنبلي: شذرات الذهب، م: 03، ج: 05، ص: 271.

- ابن القاضي: جدوت الإقتباس، ص: 225. - المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 391. - الكتاني: فهر الفهارس، ج: 01، ص: 521.

⁴ - ابن مرزوق: المخطوط السابق، و: 91، المناقب، ص: 291.

- ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 115.

على علماء تلمسان ومنهم الشريف أبو علي الحسن¹ وأبو عثمان سعيد الخياط² وأبو عبد الله محمد بن هدية القرشي³ ثم عمق علمه وتوسع فيه مع ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى في العلوم النقلية وعن أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الأبلي العلوم العقلية ومنها فنون الحكمة والرياضيات والطبيعات⁴.

خرج في رحلته العلمية نحو بجاية وبها جلس إلى الشيخ أبي علي ناصر الدين المشدالي⁵ واستفاد من مشاركته في الفقه والحديث والتفسير والمنطق واللغة العربية باعتباره شيخ المدرسين وكان هذا في حدود سنة 725 هـ / 1325 م⁶ ثم دخل تونس وأقام بها لتكون الاستفادة من علمائها أحسن وأفيد⁷ ومنهم الفقيه والقاضي محمد بن عبد السلام⁸ والإمام هارون التونسي⁹ والعالم النسابة محمد القرشي الزبيدي¹.

¹ - هو أبو علي حسن الشريف ابن يوسف بن يحيى الحسنى فقيه، صدر من تلمسان ومن أكبر مدرسيها كان حيا سنة 771هـ. - ابن مريم: البستان، ص: 177 .

² - هو أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن على الخياط شيخ صالح وهو أحد خطباء تلمسان اشتهر بعلم التصوف توفي سنة 729 هـ.

- المَقْرِي: النفتح، م: 05، ص: 241.

- ابن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 117.

³ - هو أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية قاضي الجماعة بتلمسان وخطيبها وكاتب خلافتها وكاتب سلطانها وهو من علماء اللسان والأدب والبلاغة توفي سنة 735 هـ.

- ابن مريم: البستان، ص: 225 .

- المَقْرِي: النفتح، م: 05، ص: 234 . Bargès : Complément P:77 .

⁴ - ابن مرزوق: المسند، ص: 138 . - التتبيكتي: نفسه، م: 02، ص: 212 . - المَقْرِي: نفسه، م: 05، ص: 395.

⁵ - هو أبو علي ناصر الدين المشدالي إمام مجتهد فقيه على المذاهب عامة ومذهب الإمام مالك خاصة وصاحب ترجيح واستتباب توفي سنة 731 هـ.

- الغبريني: المصدر السابق، ص: 200 . - التتبيكتي: نفسه، م: 02، ص: 306.

⁶ - ابن مرزوق: المخطوط السابق، و: 92، المناقب، ص: 301 .

⁷ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 302 .

⁸ - هو محمد بن عبد السلام الهواري أبو عبد الله فقيه مالكي وقاضي الجماعة بتونس وهو إمام الفقهاء والنحويين ولد عام 676 هـ وتوفي عام 749 هـ .

- الزركشي: تاريخ الدولتين، ص: 88 . - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 201، رقم: 589 .

⁹ - أبو موسى هارون التونسي إمام علامة وشيخ صالح تولى إمارة جامع الزيتونة .

- ابن القاضي: المصدر السابق، ص: 443، رقم: 1433 .

- التتبيكتي: النيل، م: 02، ص: 316، رقم: 762 .

و بطرابلس زار الشيخ أبا محمد جابر بن عبد الغفار باعتباره خطيب طرابلس الشهير² وبالإسكندرية³ أخذ عن الشيخ نصر الدين بن المنير⁴ وبالقاهرة باشر مشيختها وزار نحو 40 عالما⁵ ومنهم قاضي القضاة جلال الدين القزويني⁶ وأستاذ الفقه المالكي تاج الدين المصري⁷ والنسابة الشهير شهاب الدين المصري⁸ وفي رحلته العلمية هذه واصل المسير نحو البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج وكانت الفرصة لملاقاة العلماء ومنهم بمكة المكرمة⁹ شرف الدين، الحجي المكي¹⁰ وبرهان الدين إبراهيم الدين بن مسعود¹¹ والتقى كذلك بعلماء المدينة المنورة ومنهم الإمام عز الدين الواسطي¹² والشيخ عبد الله اليعمري

¹ - هو محمد بن حسن بن عبد الله القرشي الزبيدي عالم صالح زاهد اشتهر بعلمه وخاصة علم الأنساب وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته من علماء تونس توفي عام 740 هـ / 1340 م، ابن بطوطة محمد ابن عبد الله رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان - دار الكتاب المصري، القاهرة مصر، د.ت، ص: 20 .

- الزركشي: المصدر نفسه، ص: 76 .

² - المقرئ: المصدر السابق، م: 05، ص: 395 .

³ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 303 .

⁴ - ناصر الدين ابن المنير ولد سنة: 651 هـ / 1253 م، وتوفي سنة: 733 هـ / 1333 م .

- ماريا: المرجع السابق، ص: 41.

⁵ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 304.

⁶ - هو جلال الدين محمد ابن عبد الرحمن القزويني عالم جليل شهير الذكر رفيع القدر توفي سنة 739 هـ/1338 م.

- المقرئ: المصدر نفسه، م: 05، ص: 394.

⁷ - هو تاج الدين أبو عبد الله محمد أحمد ثعلب المصري قاضي ومدرس المالكية ومن المتصوفين المشهورين.

- التتبيكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 395.

⁸ - هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن بكر بن طي المصري إمام حافظ ونسابة شهير توفي سنة 740 هـ/1340م.

- المقرئ: نفسه، م: 5، ص: 394.

⁹ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 304 .

¹⁰ - هو شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي المكي ولد سنة 641 هـ / 1243 م وتوفي سنة 740 هـ / 1370 م . عمر نحو قرن من الزمن واعتبر من علماء مكة المكرمة .

- المقرئ: المرجع السابق، م: 05، ص: 393 .

¹¹ - هو برهان الدين إبراهيم بن مسعود يعرف بالأبلي والمصري وهو مقرئ الحرم المكي.

- المقرئ: نفسه، م: 05، ص: 393 .

¹² - هو عز الدين أبو محمد الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي إمام وعالم علامة تولى الإمامة والخطابة بالحرم النبوي الشريف ولد سنة 654 هـ / 1256 م وتوفي سنة 741 هـ / 1340 م .

- المقرئ: نفسه، م: 05، ص: 392 .

التونسي¹ ومن بلاد الحجاز كان التوجه نحو بلاد الشام فزار القدس الشريف وتعرّف على علمائه كالإمام نور الدين المقدسي² ثم واصل رحلته نحو دمشق على عادة أهل المغرب والأندلس³ وجلس إلى علمائها ومنهم شمس الدين بن مسلم⁴.

وبعد هذه الرحلة العلمية التي استفاد منها ابن مرزوق الخطيب إذ وسع التحصيل ورسخ التأويل عاد إلى بلاد مصر راجعا نحو بلاد المغرب على بلاد الجريد⁵ سنة 729 هـ إلى أن وصل إلى تلمسان فأقام بها إلى غاية سنة 734 هـ لتكون الرحلة الثانية نحو البقاع المقدسة وحيث مر بمصر ثانية إلى غاية 736 هـ ليعود منها نحو تلمسان ثانية سنة 737/1337م⁶ ويلزم ثانية علمائها ومشايخها حتى اكتملت شخصيته العلمية. تصدى للتدريس والخطبة بداية من مسجد العباد ثم انتقل إلى قسنطينة فتونس ليعود إلى تلمسان ثم يرحل عنها سنة 750/1349م نحو الأندلس وينزل عند سلطانها أبي الحجاج⁷ الذي أنزله موضع السفراء وعينه خطيبا بجامع الحمراء ثم جامع غرناطة سنة 753 هـ ثم توجه نحو مالقا⁸ وخطب بجامعها ليعود إلى فاس¹ وكان هذا كما يقول ابن الخطيب: "في أخريات عام

¹ - هو عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون اليعمري التونسي فهو تونسي الأصل ومدني المولد والمنشأ، عالم بالفقه والتفسير والحديث وأستاذ اللغة العربية ومدرس للغة المالكي ولد سنة 693 هـ وتوفي سنة 769 هـ .

- المقرئ: نفسه، م: 05، ص: 392 .

- ابن فرحون: الديباج، م: 01، ص: 454 .

² - هو نور الدين بن الصائغ المقدسي خطيب القدس توفي سنة 749 هـ / 1348 م .

- المقرئ: نفسه، م: 05، ص: 395 .

³ - عن هذه الرحلة ينظر: هاشم المشهداني علياء: معطيات رحلة الوادي أشي (749هـ/1348م) العلمية الي مدينة دمشق من خلال برنامجه، الندوة الدولية دمشق في التاريخ 2006/11/24/20 جامعة دمشق ج:1 ص161 .

⁴ - هو شمس الدين بن مسلم قاضي الحنابلة توفي سنة 726 هـ / 1326 م .

- المقرئ: نفسه، م: 05، ص: 395 .

⁵ - بلاد الجريد إقليم ممتد من بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة بتونس ومن مدينه قفس وقابس .

- الوران: وصف إفريقيا، ج: 02، ص: 142 .

⁶ - ابن مرزوق الخطيب: المسند، ص: 23 .

⁷ - قتل يوم عيد الفطر بالمصلى سنة 755 هـ وولى الأمر من بعده ابنه الغني بالله محمد .

- الناصري:الإستقصا، م: 02، ص: 95 .

⁸ - مالقا: هي مدينة من أعمال رية على شاطئ البحر جنوبا وهي مدينة حسنة الجمال حصينة يعلوها جبل فاره ومنها إلى قرطبة نحو الشمال الغربي أربعة أيام (500 كلم) ومنها نحو غرناطة بإتجاه الشمال الشرقي 80 ميلا (128 كلم).

- الإدريسي: نزهة المشتاق، ص: 297 .

عام 754 هـ إنصرف عزيز الرحلة ووصل إلى فاس بباب أبي عنان في أوائل شعبان 754 هـ² وأصبح من كبار رجاله المقربين والمستشارين ولكن تعرض لمحنة السجن بعد الصراع الذي عرفه العرش المريني إلى غاية 764 هـ/1362 م³ ليتجه نحو تونس ويتولى الخطابة والتدريس، حتى سنة 772 هـ⁴ ومن تونس كانت وجهته نحو الإسكندرية ومنها نحو القاهرة حيث استقبله ملكها الأشرف⁵ وأنزله المنزلة الرفيعة فأصبح خطيباً وقاضياً للمالكية ومدرساً في أكبر وأشهر مدارس القاهرة⁶ إلى أن وافته المنية في شهر ربيع الأول 781 هـ الموافق لـ يوليو 1379 م ودفن بمقبرة القرافا الصغرى⁷ تصف المصادر من كتب التراجم والمناقب والسير ابن مرزوق الخطيب بـ "علم الأعلام فخر المغرب على المشرق فهو نادرة الزمان وآية في شتى أصناف العلوم بإتقان"⁸ فالمصادر القريبة كالإحاطة لابن الخطيب المتوفى سنة 776 هـ كان صاحب السبق في هذا الوصف أما المصادر الأخرى شدرات

-
- ¹ - ابن مرزوق: المخطوط السابق، و: 95، المناقب: 308 .
² - ابن الخطيب الإحاطة، م: 03، ص: 104 .
³ - في هذه الفترة انتهى من تأليف المناقب سنة 763 هـ، المناقب، ص: 311 .
⁴ - المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 408 .
⁵ - الملك الأشرف هو أبو المفاخر شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون حكم من سنة 764 هـ إلى 778 هـ.
- ابن خلدون: كتاب العبر، م: 05، ص: 453 و 464 .
⁶ - من هذه المدارس الشيخونية والصرغتمشية والنجمية.
- ابن عماد الحنبلي: المصدر السابق، م: 03، ج: 06، ص: 272 .
- المقرئ: المصدر نفسه، م: 05، ص: 414. عن موضوع المدارس بمصر ينظر: السيد النشار: تاريخ المكتبات في مصر المملوكية، تقديم فتحي عبد الهادي جوزيف نسيم، الدار المصرية اللبنانية ط1 1993م.
⁷ - القرافة أرض بالفسطاط نزلة بها قرافة وهي بطن من قبيلة المعافر العربية فنسبة لهم وأصبحت بعد ذلك مقبرة أهل مصر وهي روض من أرياض القاهرة .
- الحموي: معجم البلدان، م: 04، ص: 316 .
- الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج: 02، ص: 210 .
- ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص: 373 .
- ابن عماد الحنبلي: المصدر السابق، م: 03، ج: 06، ص: 272 .
- ابن مريم: البستان، ص: 187 .
⁸ - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 03، ص: 104.
- ابن عماد: شدرات الذهب، م: 03، ج: 03، ص: 271 .
- الكتاني: فهر الفهارس، ج: 01، ص: 522 .
- ابن القاضي: أحمد المكناسي جدوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط المغرب 1973، ص: 225 .

الذهب لابن عماد وجذوة الإقتباس لإبن القاضي ونيل الابتهاج للتبكتي والبستان لإبن مريم ونفح الطيب للمقري نقلت هذا الوصف وإذا أخذ بالمعنى اللغوي فهي تدل على منزلته العلمية وعلو مكانته فهو ليس علما من الأعلام فحسب بل علم الأعلام ومن هذا كان فخر المغرب على المشرق فهو نادرة الزمان وذلك لكثرة تحصيله وغزارة علمه في شتى أصناف العلوم ومن هنا يمكن التساؤل إذا سلمنا بهذه الأوصاف عن إنصاف الأبحاث والدراسات لهذه الشخصية خاصة وأن أمثاله من المشرق نالوا حظهم من الاهتمام والعناية أم أن هذه الأوصاف بالغت في هذا الوصف¹ فقد كان موسوعة للعلوم الدينية في الفقه والسيرة النبوية في علم الحديث يقول عن نفسه: " لا يوجد اليوم من يسند الأحاديث الصحاح قراءة وسماعا من باب الإسكندرية إلى الأندلس غربا " ² كل هذا ناله بحرصه وبراعته في طلب العلم عبر رحلته الطويلة غربا وشرقا ؛ كما يعد على رأس المتميزين حيث تصدر علماء تلمسان الذين استقطبتهم الحضرة الفاسية³.

5- جامع المنقول والمعقول ابن مرزوق الحفيد

هو محمد ابن أحمد بن محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق يعرف بالحفيد أي حفيد ابن مرزوق الخطيب، ولد في تلمسان ليلة 14 ربيع الأول 766هـ/9 ديسمبر 1364 م، أمه عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني⁴ من أسرة شريفة ومتأدبة ومتعلمة أرادت أن تسميه بـ" أبو الفضل " إلا أن والده سماه "محمد"⁵ نشأ بتلمسان وحفظ

¹ - بن داود نصر الدين: فخر المغرب على المشرق ابن مرزوق الخطيب. قرطاس الدراسات الحضرية والفكرية دورية مخبر الدراسات الحضارية والفكرية جامعة تلمسان، العدد: التجريبي ديسمبر 2008، ص: 73.

² - التبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 114.

- الكتاني: فهرس الفهارس، ج: 01، ص: 552.

³ - قدوري الطيب: المرجع السابق، ج 2 ص 551.

⁴ - التبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 171 وص: 182.. ابن مريم: البستان، ص: 212.

- المقري: نفح الطيب، م: 05، ص: 430

- الجيلالي عبد الرحمن: المرجع السابق ج: 02، ص: 213 . وذكر تاريخ 10 ديسمبر 1364 م،

- ماريا: المرجع السابق، ص: 45.

⁵ - Bargès : Complément P:298 .

القرآن الكريم وتعلم المبادئ الأولية اللغوية والدينية عن والده أحمد وعنه محمد¹ وأضاف الكتاني وعن جده² أي ابن مرزوق الخطيب.

واصل تعلمه على شيوخ تلمسان الأجلاء ومنهم الشيخ أبي محمد عبد الله الشريف التلمساني³ والشيخ أبي عثمان سعيد العقباني وقد أخذ عنهما مختلف العلوم الدينية ثم جلس، إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم المصمودي⁴ الذي انتفع منه كثيرا وفيه يقول: "ومن شيوخي الذين انتفعت بهم الإمام العالم المحقق المدرس رئيس الصالحين والزاهدين في وقته"⁵ ثم كانت وجهته في الرحلة العلمية تونس قصد تعميق علمه وترسيخه فالتحق بحلقة الشيخ العلامة محمد بن عرفة⁶ فقد أخذ عنه الحفيد الفقه والحديث والفرائض وعلم القراءات والنحو والنحو والمنطق وعمق معارفه النحوية مع الشيخ أبي العباس القصار التونسي⁷ ومن محطة تونس يعود إلى فاس فالتقى بأشهر علمائها ومنهم عالم فاس أبي زيد عبد الرحمن الماكودي⁸ وإمام النحو أبي عبد الله بن حياتي¹ ومن فاس يرحل نحو المشرق لأداء فريضة

¹ - المَقْرِي: المصدر نفسه، م: 05، ص: 428.

² - الكتاني: المصدر السابق، ج: 01، ص: 524.

³ - هو أبو محمد عبد الله بن محمد الشريف التلمساني عالم ابن العالم الشريف التلمساني ولد سنة 748 هـ وعد من الأساتذة البارزين في التعليم بتلمسان وقرنطبة إلا أنه لم يعمر طويلا إذ توفي سنة 792 هـ عن عمر 44 سنة، التتبيكتي: المصدر السابق، ص م: 01، ص: 241 .

⁴ - هو من العلماء البارزين في تلمسان من قبيلة مصمودة من صنهاجة المغرب قرب مكناسة جنوب فاس درس بفاس ثم انتقل إلى تلمسان ودرس بها وأخذ عنه جمع كبير توفي سنة 805 هـ / 1403 م، التتبيكتي: المصدر نفسه، م: 01، ص: 42.

⁵ - التتبيكتي: المصدر السابق، م: 01، ص: 42.

- المَقْرِي: المصدر السابق، م: 05، ص: 428.

. ابن مريم: المصدر السابق، ص: 209.

⁶ - هو محمد بن محمد بن عرفة الإمام العلامة شيخ الشيوخ ويعرف بشيخ الإسلام بالمغرب إمام وخطيب جامع الزيتونة نحو 50 سنة ولد سنة 716 هـ وتوفي سنة 803 هـ

- ابن فرحون: الديباج، م: 02، ص: 331. التتبيكتي: النيل، م: 02، ص: 127

- الزركشي: المصدر السابق، ص: 63، 69، 120 .

⁷ - هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن القصار التونسي يعد من كبار علماء تونس فكان إمام محقق اشتهر بتضلعه في النحو توفي بعد سنة 790 هـ - مخلوف: شجرة النور، ص: 226 .

⁸ - هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح الماكودي عالم فاس وأديبها ونحوها وقيل آخر من درس كتاب سبويه في النحو بفاس توفي سنة 807، مخلوف: نفسه، ص: 249 .

فريضة الحج وملاقة العلماء، فجلس إلى علماء مصر ومنهم بالقاهرة عمر ابن رسلان البلقيني والتقى بالعلامة عبد الرحمن بن خلدون² كما استفاد كذلك بالإسكندرية من الشيخ أحمد بن محمد التنسي³ ثم واصل وجهته نحو الحرمين الشريفين وقد حج مرتين الأولى كانت سنة 790هـ/1388م والثانية كانت 819هـ/1416م وكانت له فرصة الالتقاء بالعلماء الأجلاء والاستفادة منهم ومن هؤلاء الفقيه النحوي الديماميني⁴ الذي لازمه بمكة المكرمة وأخذ عنه الفقه والأدب والنحو⁵ كما استفاد كثيرا بلقاء العلامة الفقيه المحدث أحمد بن حجر العسقلاني⁶ بمكة المكرمة وتبادل معه مختلف أصناف العلوم في الفقه والحديث والسير والتراجم⁷.

يعود ابن مرزوق الحفيد إلى بلاده ومنزلته العلمية تنمو وتتطور وصيته يذيع وينتشر حتى نال الإجازة من علماء الأندلس: منهم أحمد بن جزى⁸ والحافظ ابن العلق⁹ وابن الخشاب¹⁰ وهذه الإجازة كانت إجازة عامة بما لهم من المصنفات والمرويات¹ وهذا الإجماع

¹ - هو أبو عبد الله محمد بن علي بن حياتي فقيه وقارئ وأستاذ نحوي حتى انفرد بالإمامة في النحو توفي سنة 781هـ ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص: 375 .

² - المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 428 .

³ - هو أبو العباس أحمد بن محمد التنسي قاضي القضاة بمصر تولى القضاء بالإسكندرية فقد كان إماما عالما وفقهيا عارفا توفي في رمضان سنة 801هـ - مخلوف: نفسه، ص: 224 .

- المقرئ: المصدر نفسه، م: 05، ص: 428 .

⁴ - هو محمد بن أبي بكر بن عمر الديماميني هو فقيه ونحوي خطيب الإسكندرية ثم قاضي المالكية بالقاهرة توفي بالهند سنة 827هـ، السخاوي: الضوء اللامع، م: 4، ج: 07، ص: 184.

⁵ - ابن مريم: البستان، ص: 210، السخاوي: المصدر السابق، م: 04، ج: 07، ص: 50 .

⁶ - محدث مشهور وفقه شافعي ومؤرخ، ولد سنة 773هـ تعلم وتكون ويرع حتى أصبح يعرف حافظ الإسلام وعلامة العلماء وحجة الأعلام قاضي الشافعية وله تصانيف متنوعة توفي عام 852هـ . ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب م: 4، ج: 7، ص: 270.

⁷ - التتبيكتي: المصدر السابق، م: 02، ص: 179 .

⁸ - هو أبو بكر أحمد بن جزى خطيب وكاتب بغرناطة وهو ابن الخطيب الفقيه المفتي ابن القاسم محمد توفي عام 785هـ . المقرئ: المصدر السابق، م: 05، ص: 514 .

⁹ - هو أبو عبد الله محمد ابن علي ابن العلق الغرناطي حافظ غرناطة ومفتيها ومحدثها وإمامها وقاضي الجماعة بها توفي سنة 806هـ، مخلوف: شجرة النور الزكية، ص: 247 .

¹⁰ - هو ابو القاسم محمد ابن محمد ابن الخشاب الغرناطي فقيه أستاذ جليل خطيب بليغ، مقرئ ومسنن عاش في القرن 8هـ - التتبيكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 118 .

الإجماع على إجازته له من الدلالات الكثيرة على المنزلة العلمية للرجل لأنه قلّ ما يوجد هذا الإجماع فعادة تكون الإجازة من عالم أو عالمين ولكن بهذا الشكل قليلة وهي إجازة عامة ليس لصنف معين من العلوم.

بعد رحلة الأخذ ينتصب الشيخ ابن مرزوق الحفيد لمرحلة العطاء من خلال مهنة التدريس بتلمسان واستمر في تعليمه إلى أن وافته المنية يوم الخميس عند العصر 14 شعبان 814 هـ الموافق ل 30 يناير 1439 م² بعد 76 سنة قمرية و74 سنة شمسية. من تلمسان انطلقت شهرته غربا وشرقا وهذا لرسوخه في العلم وحسن بيانه وفصاحته خطبته واتساع فقهه للمذاهب الفقهية عامة ومذهب الإمام مالك خاصة ولقد قال فيه أصحاب التراجم الكثير من ذلك قول التتبيكتي: " الإمام المشهور العلامة الحجة الحافظ المحقق الكبير الثقة الثابت النظار المصنف النقي الصالح الزاهد ... الفقيه المجتهد الأبرع الأصولي المفسر المحدث الحافظ المسند... فارس الكراسي والمنابر سليل الأفاضل الأكابر سيد العلماء الجلة وصفي أئمة الملة وآخر السادات الأعلام نوي الرسوخ الكرام بدر تمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأوفر محصول"³.

ففي الفقه وصف ب: " أما الفقه فهو فيه مالك ولازمة فروعه حائز ومالك، و لو رآه الإمام مالك لقال له تقدم فلك العهد والولاية وتكلم منك يسمع فقهي لا محالة"⁴ وفي الأصول

¹ - الكتاني: فهر الفهارس، ج: 01، ص: 524 .

² - القلصادي: المصدر السابق، ص: 98، التتبيكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 178، السخاوي: الضوء اللامع، م: 04، ج: 07، ص: 51، الزركشي: المصدر السابق، ص: 139، ابن مريم: البستان، ص: 208، الجيلالي عبد الرحمن: المرجع السابق، ج: 02، ص: 216 .

³ - التتبيكتي: المصدر السابق، م: 02، ص: 171، المقرئ: المصدر السابق، م: 05، ص: 420، ابن مريم: المصدر السابق، ص: 202.

⁴ - التتبيكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 173، المقرئ: المصدر نفسه، م: 05، ص: 421، ابن مريم: المصدر نفسه، ص: 202 .

وصف بـ: " وأما الأصول فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده والسيف يكل عند بحثه حده حتى يترك ما عنده ويساعده والبرهان لا يهتدي معه بحجة والمقترح لا يقترح عنده بحجة"¹.

وفي النحو وصف كذلك: "وأما النحو فلو رآه الزمخشري لتجلجل في قراءة المفصل واستقل ما عنده من القد المحصل"².

و في صلاحه ومواقفه: " هو فاروق وقته في القيام بالحق ومدفعة أهل البدع بصدق هو البحر بل دون علمه البحر هو البدر بل دونه فلقه البدر هو الدر³ بل دون منطقته الدر"⁴ وخلاصة هذه الأوصاف البيت الشعري:

حلف الزمان ليأتين بمثله * * * * * حنثت يمينك يا زمان فكفر⁵.

و بهذا كان إجماع المصادر على سعة علمه في الفقه وفي التفسير وسعة إطلاعه على حقائق التأويل وإحاطته بالحديث وفنونه وحفظ روايته ومتونه وإمامه بالأصول وتمكنه من النحو وقواعده ومن البيان وجماله .

6- الفقيه ابن مرزوق الكفيف

هو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق العجيسي التلمساني⁶ ولد بتلمسان ليلة الثلاثاء في غرة ذي القعدة 824 هـ¹ الموافق

¹ - التنبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 173، المقرئ: المصدر السابق، م: 05، ص: 422، ابن مريم: البستان ص: 202 .

² - التنبكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 174، المقرئ: المصدر نفسه، م: 05، ص: 422، ابن مريم: البستان ص: 203.

³ - الدر: كوكب دري في صفائه وحسن بيانه وشدة إنارته وهو اللؤلؤ العظيم الكبير وهو كثير العمل - ابن منظور لسان العرب، م: 01، ص: 966 .

⁴ - التنبكتي: المصدر نفسه م: 2، ص: 174.

⁵ - التنبكتي: المصدر السابق، م: 02، ص: 174، المقرئ: المصدر السابق، م: 05، ص: 423، ابن مريم: المصدر السابق، ص: 203 .

⁶ - من المصادر التي ترجمت له السخاوي: الضوء اللامع، م: 05، ج: 09، ص: 45 - التنبكتي: المصدر السابق، م: 02، ص: 262، ابن مريم: البستان، ص: 249، المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 419، ابن القاضي: درة الحجال، ص: 205 .

الموافق ل 27 أكتوبر 1421م² نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها الأجلاء وعلى رأسهم والده ابن مرزوق الحفيد فأخذ عنه الفقه على المذاهب الأربعة عامة وعلى الفقه المالكي خاصة ثم الحديث فقرأ عليه صحيح الإمام البخاري وموطأ الإمام مالك فأجازه وروى عنه³ وأخذ الفقه كذلك، والأدبيات والبيان وعلم التصوف، والطب عن أبي الفضل محمد ابن الإمام⁴ كما درس عن الشيخ الفقيه القاضي قاسم بن سعيد العقباني وأخذ علم التفسير والنحو عن الشيخ محمد بن العباس العبادي⁵ ومن تلمسان اتجه في رحلته العلمية نحو فاس كعادة طلاب العلم على عهد عصره فجلس إلى علماء فاس ومنهم أبو العباس اللجائي⁶ فراجع معه مختلف العلوم الدينية وعلم القراءات على الخصوص⁷ ومن فاس كانت وجهته نحو الجزائر فلازم علماءها ومنهم عبد الرحمن الثعالبي⁸ وقد استفاد منهم كثيرا خاصة علم التفسير وعلم الحديث⁹ ثم واصل رحلته نحو بجاية وياشر عالمها محمد المشدالي¹ وأخذ عنه الفقه

¹ - التتبيكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 262 - الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 172 .

² - ماريا: المرجع السابق، ص: 56 .

³ - التتبيكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 262 .

⁴ - هو محمد ابن إبراهيم ابن أبي زيد ابن الإمام أبو الفضل إمام عالم علامة اعتبر أحد أقران ابن مرزوق الحفيد تصفة المصادر بـ"صدرالبلغاء وتاج العارفين وأعجوبة الزمان" اشتغل بالتدريس بتلمسان وكان عالما بالمعقول فهو أول من أدخل شامل بهرام في فروع المالكية لبهرام القاضي المالكي بمصر والمتوفي سنة 805هـ إلى تلمسان، توفي أبو الفضل سنة 845هـ، القصادي: رحلته، ص: 108، ابن مريم: البستان، ص: 221، نويهض: المرجع السابق، ص: 74، وعن بهرام يرجع إلى البغدادي اسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الضنون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1413هـ/1992م، م: 05، ص: 244.

⁵ - إمام عالم ومحقق من كبار علماء تلمسان في وقته واعتبر شيخ المفسرين والنحاة توفي في 10 ذي الحجة 871 هـ بالطاعون ودفن بالعباد، القلصادي: رحلته، ص: 109، التتبيكتي: المصدر السابق، م: 02، ص: 231 .

⁶ - هو أحمد بن محمد بن عيسى أبو العباس اللجائي عد من فقهاء وعلماء فاس فهو من كبار قراء فاس - التتبيكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 121

⁷ - التتبيكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 121.

⁸ - هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي من مواليد 786 هـ / 1385 م جنوب شرق الجزائر خطيب الجامع الأعظم بالجزائر وقاضيا ومدرسا له أكثر من 70 كتابا على رأسها " الجواهر الحسان في تفسير القرآن " توفي سنة 875 هـ / 1471 م ، التتبيكتي: المصدر نفسه، م: 01، ص: 282، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981، ج: 01، ص: 83، نويهض: معجم الأعلام، ص: 167، الجلاي: تاريخ الجزائر، ج: 02، ص: 272 .

⁹ - التتبيكتي: المصدر نفسه، م: 01، ص: 285 .

والتفسير والمنطق والطب² ومن بجاية واصل رحلته نحو تونس واستفاد من علمائها ومنهم الشيخ محمد الجذامي³ والشيخ عبد الله البحيري⁴ وقد تدارس معهم مختلف العلوم الدينية والعقلية⁵.

و بهذه الرحلة العلمية يكون أبو عبد الله قد أخذ حظه من العلم والمعرفة فبرزت مكانته العلمية كسلفه وليميز عن سلفه أصبح يكنى بالكفيف بعد أن فقد بصره. لإتمام أركان الإسلام عزم على الرحلة إلى المشرق لآداء الركن الخامس حيث وصل مكة المكرمة سنة 861هـ⁶ بعد إتمام مناسك الحج كانت الفرصة للالتقاء بالعلماء الأجلاء والأخذ عنهم ومن البقاع المقدسة يعود ابن مرزوق الكفيف إلى تلمسان وكله تقوى وورع وعلم ومعرفة تصفه المصادر ومن ذلك قول ابن داوود البلوي⁷ " شيخنا الإمام علم الأعلام فخر خطباء الإسلام سلالة الأولياء وخلف الأتقياء المسند الرواية المحدث العلامة القدوة الحافل الكامل أبو عبد الله ابن سيدنا شيخ الإسلام خاتمة العلماء الأعلام الحبر البحر الناقد النافذ النحرير⁸ المشاور العمدة الكبير ذي التصانيف العديدة والأنظار السديدة أبي عبد الله بن مرزوق"⁹.

¹ - هو محمد ابن أبي القاسم بن عبد الله اشتهر بالمشدالي نسبة لمشدالة بطن من قبيلة زواوة ولد عام 820هـ/1417م فهو من العلماء المدرسين ببجاية توفي سنة 866هـ/1462م، التنبكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 220.

² - التنبكتي: نفسه، م: 02، ص: 262 .

³ - هو محمد بن محمد ابن ابراهيم ابن العقاب الجذامي التونسي من أئمة وعلماء فاس وصل مرتبة قاضي الجماعة وإمام جامع الزيتونة ومدرسه توفي سنة 851 هـ / 1447 م، التنبكتي: نفسه، م: 02، ص: 206

⁴ - هو عبد الله بن سليمان بن قاسم البحيري التونسي إمام علامة من علماء تونس اختص في قضاء الأئحة والتدريس بتونس، التنبكتي: نفسه، م: 01، ص: 250 .

⁵ - التنبكتي: نفسه، م: 01، ص: 250 وم: 02، ص: 206 .

⁶ - السخاوي: المصدر السابق، م: 05، ج: 09، ص: 46، المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 419 .

⁷ - هو علي بن أحمد بن داوود البلوي الأندلسي الغرناطي عالم علامة إمام فقيه خطيب ومدرس وقارئ في سنة 890هـ إنتقل مع أولاده من الأندلس إلى تلمسان واستقر بها، التنبكتي: المصدر نفسه، م: 01، ص: 384

- محمد بن غازي الكناسي: فهرس ابن غازي التعلل برسوم الإسناد بعد إنتقال أهل المنزل والناد، تحقيق: محمد الزاهي دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء 1399 هـ / 1979 م، ص: 32 .

⁸ - النحرير: بكسرهما الحادق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير بكل شيء لأنه يحر العلم نحرا، الفيروزآبدي: القاموس المحيط، ص: 433 .

⁹ - التنبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 262، وذكره كذلك ابن غازي في فهرسته بنفس الوصف، ص: 174 .

و قال المَقْرِي فيه: "محمد بن مرزوق الكفيف إمام عالم علامة وهو والد أُمِّي جدي أحمد فوالدة الجد أحمد بنت الكفيف"¹ قضى بقية حياته بالتدريس بتلمسان وأقبل عليه الطلبة من جهات عديدة وانتفعوا به كثيرا وأصبح الشيخ ابن مرزوق الكفيف من أعيان علماء المالكية بتلمسان. وبعد 76 سنة هـ و74 سنة م من عمره قضاها كلها في رحاب العلم والمعرفة آخذا ومعطيا أدركته المنية في سنة 901هـ/1495م².

7- حفيد الحفيد أحمد بن مرزوق

أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق فوالده هو الكفيف وجده هو الحفيد ومن هنا يعرف بحفيد الحفيد ولد بتلمسان إلا أن تاريخ ميلاده لا تذكره المصادر التي ترجمت له³. نشأ بتلمسان وأخذ اللغة والآداب والفقاه عن والده الكفيف. وعلم التفسير والحديث والتوحيد عن الشيخ محمد بن يوسف السنوسي⁴ وأخذ علم الأصول والبيان عن الشيخ أحمد بن محمد محمد بن زكري⁵ وجلس واستفاد من دروس الشيخ محمد بن عبد الله التنسي¹ في مختلف

¹ - المَقْرِي: نفع الطيب، م: 05، ص: 419 .

² - التتبيكتي: نفسه، م: 02، ص: 263، ابن القاضي: درة الحجال، ص: 205، ابن مريم: البستان، ص: 251، - ماريان: المرجع السابق، ص: 56. - نويهض وذكر سنة 1486 م وهي لا توافق السنة الهجرية، معجم أعلام الجزائر، ص: 292 .

³ - التتبيكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 164، ابن مريم: البستان، ص: 52 .

- القرافي: توشيح الديباج، ص: 344 رقم: 22، وظن أنه ابن الحفيد،

- مخلوف: شجرة النور الزكية، ص: 275، الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 171

⁴ - هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي نسبه يعود إلي الحسن بن علي رضي الله عنه حسب التتبيكتي من جهة جدته لأبيه ومن قبل أمه حسب ابن مريم ولد بتلمسان سنة 830 هـ / أو 832 هـ و1428 م نشأ بها وأخذ عن علمائها حتى أصبح من العلماء الأجلاء العاملين الزاهدين كان شديد الورع حلِيم كثير الصبر تولى الإمامة والتدريس له مؤلفات في العقيدة والحديث والمنطق والحساب والطب توفي سنة 895 هـ / 1490 م، التتبيكتي: المصدر السابق، م: 02، ص: 251 - ابن مريم: البستان، ص: 237،

- بوداود عبيد: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط، ما بين القرنين 7 هـ و9 هـ، 13 م و15 م دراسة في التاريخ السوسيوثقافي دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر 2003، ص: 304 .

- Bargès: Complément, P: 336 .

⁵ - أحمد بن محمد بن زكري يعرف بالمانوي التلمساني نشأ وتعلّم بتلمسان حتى أصبح فقيها أصوليا وفروعيا ومفسرا بيانيا ومنطقيا ارتقى في درجات العلم حتى أصبح عالم تلمسان ومفتيها اشتغل بالتدريس وله مصنفات متنوعة توفي سنة 900 هـ / 1493 م، التتبيكتي: ا نفسه، م: 01 ص: 136، ابن مريم: البستان، ص: 41 .

- نويهض: معجم اعلام، ص: 159 .

العلوم من الإقراء والتفسير والحديث والفقه وقواعد وآداب اللغة العربية ترجمته جاءت جد مقتضبة في المصادر فهي لم تشر إلى تنقله نحو حواضر المغرب " فاس - بجاية - تونس " ومشايخه بهذه المدن أو مدن أخرى عدا تلمسان وكذلك لم تذكر رحلته من عدمها نحو المشرق والبقاع المقدسة لآداء فريضة الحج أو طلب العلم وحتى وإن سلمنا أنه لم يخرج من تلمسان عدا رحلة فريضة الحج فإن المصادر تصفه بالعالم الصالح النجيب وقد ذكره ابن غازي في فهرسته: "وسيدنا الإمام الخطيب أبي العباس أحمد"² فابن غازي عندما زار تلمسان للأخذ عن علمائها، يذكر شيوخه بتلمسان منهم ابن مرزوق الكفيف وابنه أحمد أبي العباس، وبهذا عدّ من طبقة علماء تلمسان في بداية القرن 10 هـ و16 م ولكن لم تصل إلى المكانة المرموقة والمنزلة الرفيعة بشأن أبيه وجده ووصفه مخلوف في شجرته: "الفقيه النبيه العالم الصالح الأديب"³ وذكر ابن مريم أنه لم يعمرّ ومات، أما ماريا فقد ذكرت وفاته بتلمسان عام 925 هـ / 1519 م تقريبا⁴.

8- الخطيب السبط محمد بن مرزوق:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يحيى بن أحمد الخطيب بن مرزوق اشتهر بالخطيب فهو الخطيب الثاني وعرف بالسبط⁵ أي سبط الإمام ابن مرزوق الحفيد فهو ابن بنته حفصة⁶.

¹ - محمد ابن عبد الله التنسي فقيه ومؤرخ وأديب وشاعر من كبار علماء تلمسان صاحب نظم الدرر العقيان في بيان شرف بني زيان اشتهر بدروسه في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والتاريخ ولد عام 820هـ/1417م وتوفي سنة 899هـ/1494م، التنبكتي: نفسه، م: 02، ص: 260، ابن مريم: البستان، ص: 248.

² - ابن غازي: فهرسته، ص: 32 .

³ - مخلوف: شجرة النور الزكية، ص: 275 .

⁴ - ابن مريم. البستان، ص: 52 .

- مخلوف: المصدر نفسه، ص: 276، وذكر عبارة: " لم أفق على وفاته " - ماريا: المرجع السابق، ص: 57 .

⁵ - السبط: سبطان أسباط خاصة أولاد أي ولد الإبن أو الإبنة وقيل أولاد البنات، جاء في الحديث الشريف: "الحسن والحسين سبطا رسول الله" صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهما، ابن منظور: لسان العرب، ج: 02، ص: 87

⁶ - التنبكتي: نيل، م: 02، ص: 274، ابن مريم: البستان، ص: 258، مخلوف: شجرة النور، ص: 275

- نويهض: المرجع السابق، ص: 292 .

ولد بتلمسان وتاريخ ميلاد هـ غير مضبوط ونشأ بها وأخذ عن علمائها وفقهائها ومنهم خاله ابن مرزوق الكفيف وقد أخذ عنهم مختلف العلوم الدينية¹ والملاحظ أن التعلم عند أفراد بيت ابن مرزوق يتم بداية عند أفراد الأسرة من الأب والجد والعم والخال وأخذ النحو عن الشيخ محمد بن العباس² وعلماء آخرين لم تذكرهم المصادر حتى أصبح فقيها مالكا ومحدثا من علماء تلمسان وقد انفرد ابن مريم بذكر عبارة "ودخل فاس"³ دون أن يشير إن كانت رحلته هذه إلى فاس طلبا للعلم أو دخلها وهو عالم للاحتكاك بعلمائها أو لمهمة أخرى أو غرض آخر. وما جاء عن حياته إلا نزر يسير يصفه الشيخ مخلوف: "زعيم العلماء وسيد الكملة الفضلاء الشرفاء"⁴.

عمر بتلمسان إلي أن توفي بها لكن تاريخ وفاته كشأن تاريخ ميلاده غير مضبوط ذكر التنبكتي أنه كان حيا في حدود العشرين وتسعمائة⁵ وابن مريم ذكر أنه كان حيا سنة 819هـ⁶ هذا ما نقله عنه مخلوف⁷ ونويهض ذكر سنة وفاته 920 هـ / 1514 م⁸.

¹ - التنبكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 274 .

² - أبو عبد الله محمد بن محمد بن العباس عالم وفقه ونحوي اشتهر بدروسه في النحو بمدارس تلمسان كان حيا في حدود العشرين وتسعمائة، التنبكتي: المصدر نفسه، م: 02، ص: 275، ابن مريم: البستان، ص: 259 .

³ - ابن مريم: المصدر نفسه، ص: 258 .

⁴ - مخلوف: المصدر السابق، ص: 275 .

⁵ - التنبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 274، رقم: 714، كفاية المحتاج، ص: 461، رقم: 619 .

⁶ - ابن مريم: البستان، ص: 258 .

⁷ - مخلوف: نفسه، ص: 275 .

⁸ - نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص: 292 .

الفصل الثالث البيوتات الصغرى

البيوتات الصغرى وهي التي كان إنجازها للعلماء الذين اشتهروا محدودا ما بين عالمين أو ثلاثة ومن هنا مساهمتهم كانت دون البيوتات الكبرى وإنتاجها العلمي لم يكن في مستوى البيوتات الكبرى وهذه البيوتات هي بيت الشريف، بيت أولاد الإمام، بيت بن زاغو، بيت بن هدية، وبيت ابن عبد النور

المبحث الأول: بيت الشريف

أنجبت علماء سجلوا أسماءهم في سجل حضارة تلمسان الزيانية بإسهاماتهم المتنوعة في الميادين المختلفة.

أ- التعريف ببيت الشريف ونسبه

لماذا اسم الشريف لهذا البيت؟ وهل هو ذو نسب شريف حقيقة؟

1- التعريف ببيت الشريف

بيت الشريف: هو من البيوتات التي أنجبت علماء أجلاء وقد عرفت بهذا الاسم نسبة لأبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف¹، إذ هو أول من ذكر بالشريف من هذه الأسرة ومن هنا أصبحت تنسب إليه وعرف باسم أسرة الشرف أو بيت الشريف، ومحمد بن أحمد الشريف قد عاش ما بين 710هـ / 1310م إلى 771هـ / 1370م² فتاريخ ظهور وبرز هذه الأسرة كان مع بداية القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، ورغم امتداد عمقها التاريخي ونسبها، إلا أن شهرة هذا البيت كانت في هذه الفترة التاريخية، فعندما تلاماً نجم هذا العالم برز وظهرت معه أسرته التي عرفت ونسبت للشريف، واسم الشريف يعود إلى نسبه الشريف

1- ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 69.

- ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص 368.

- ابن القاضي: درة الحجال، ص 267، رقم: 773.

- التنبكتي: نيل الابتهاج، م 02، ص 87، رقم: 557. وفي كفاية المحتاج: ص 336، رقم: 472.

²- التنبكتي: نيل الابتهاج، م 02، ص 89، وفي كفاية المحتاج، ص 338.

فهو راسخ النسب. كان أهل بيته لا يدافعون في شرفهم فاشتهرت هذه الأسرة الشريفة باسم الشريف¹.

فهذه الأسرة كانت اسما على مسمى شريفة النسب، شريفة العلم، شريف الأخلاق، فكانت شرفا على شرف فذاع صيتها بالشرف.

2- بيت الشريف والنسب الحسنى العلوي

إن هذا البيت ل ذو نسب شريف فهي لم تعرف بهذا الاسم إلاّ لنسبها الشريف وقد أجمع المترجمون لأبي عبد الله محمد التلمساني على شرف نسب الأسرة.

قال ابن خلدون في رحلته: « كان أهل بيته لا يدافعون في نسبهم وربما يغمز² فيه بعض الفجرة ممن لا يزرعه دينه ولا معرفته بالانساب فيعد من اللغو ولا يلتفت إليه³ ».

وقال ابن قنفذ في وفياته: « أبو عبد الله محمد بن يحيى الشريف الحسنى⁴ فهو شريف بنسبه إلى الأدارسة ومن هم إلى الحسن رضي الله عنه.

وذكر الزركشي فقال: « الشيخ العلامة الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسيني⁵ وذكره كذلك ابن القاضي: « محمد بن أحمد الشريف الحسنى التلمساني⁶ ». فهذا إجماع على هذا النسب الشريف إذ عبارة لا يدافعون في نسبهم التي أوردها ابن خلدون تؤكد لنا، فهذا النسب يتفق عليه الناس وهو مشهور عندهم في سلسلة نسبهم التي أسندها

¹ - الزركشي: تاريخ الدولتين، ص 105.

- ابن مريم: البستان، ص 164.

- مخلوف: شجرة النور الزكية، ص 234، رقم: 840. - ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص 368.

- الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج 01، ص 123.

- نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص 187.

² - يغمز: من غمزه بيده يغمزه شبه نخسه بالعين والجفن والحاجب أشار وبالرجل تسعى به شرا، وذاؤه أو عيبه ظهر والمغموز المتهم وأغمز فلان عابه وصغره . - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص 467.

³ - ابن خلدون: رحلته، ص 69.

⁴ - ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 368.

⁵ - الزركشي: المصدر نفسه، ص 105.

⁶ - ابن القاضي: المصدر السابق، ص 267.

التبكتي فقال عن أبي عبد الله الشريف هو: «محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن علي بن محمد بن القاسم بن محمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن حسين ابن الحسن بن علي بن أبي طالب هكذا وجدته بخط ولده، عفا الله عنه الشريف أبي عبد الله التلمساني».¹

ثم أكد هذا التبكتي نقلا عن ابن خلدون فقال: «ونسب بيته لا يدافع فيه وربما غمص² فيه بعض الفجرة ممن لا يزعه دينه ولا معرفته بالأنساب، فيعد من اللغو»³. فابن خلدون استعمل فعل يغمز التبكتي نقل عنه لكن جاء بفعل غمص والمعنى العام لمدلول الكلمتين يبقى واحدا والفجرة الذين يحتقرون ويعيبون هذا النسب لا يؤخذ بكلامهم إذ لا وازع ديني يدفعهم نحو التثبت من كلامهم ولا علم لهم بالأنساب فيكون كلامهم من اللغو أي لا يعتد بكلامهم.

ولتدعيم هذا التأكيد على هذا النسب الشريف وثق التبكتي كلامه بقول ابن خلدون ثم قول السراج في فهرسته: «شيخنا الفقيه الإمام العالم العلامة الشهير الكبير الصدر القدوة الشريف نسبا العظيم قدرا ومنصبا»⁴ وكل هذا نقله ابن مريم في بستانه لكن سلسلة النسب ليست كما جاء بها التبكتي فقال: «أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن علي بن محمد بن القاسم بن حمود بن علي بن عبد الله بن ميمون بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه»⁵.

فالجذ السادس عند التبكتي ورد في نيل الابتهاج باسم محمود وفي كفاية المحتاج باسم حمود مثلما ورد عند ابن مريم، والجذ التاسع جاء عند التبكتي في نيل الابتهاج باسم عبد الله وفي كفاية المحتاج باسم عبيد الله، والجذ السابع عند التبكتي هو ميمون في نيل

¹ - التبكتي: نيل الابتهاج، م02، ص 87.

كفاية المحتاج، ص 336.

² - غمص: احتقر، عاب وتهاون بحقه، الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص 561.

³ - التبكتي: نيل الابتهاج، م02، ص 87، وفي كفاية المحتاج، ص 336.

⁴ - يحيى السراج: فهرسته نقلا عن التبكتي نيل الابتهاج، م02، ص 87، وكفاية المحتاج، ص 337.

⁵ - ابن مريم: البستان، ص 164.

الابتهاج وكفاية المحتاج بينما عند ابن مريم هو علي وميمون جاء في مرتبة الجد التاسع ولكن رغم هذه الملاحظات فإننا نخلص من سند هذه الرواية التي تصل لسلسلتها إلى علي رضي الله عنه مما يجزم بالنسب الشريف الحسن العلوئي لهذا البيت .

3- استقرار بيت الشريف بتلمسان

يعرف أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسن العلوئي ويعرف بالعلوي في رواية ابن خلدون¹ ومن نقل عنه هو ابن مريم بنفس النسبة² وعند التتبعي في النيل والكفاية بنسبة العلوئي³ وعند مخلوف بالعلويني⁴ والنسبة هذه هي إلى قرية من أعمال تلمسان تسمى العلوين⁵ والعلونين⁶ والعلويين⁷. وأول ذكر لهذه القرية في المصادر الجغرافية منها كتاب اليعقوبي حيث قال وهو يتكلم عن تلمسان: «ثم إلى المدينة التي تسمى مدينة العلوين كانت في أيدي العلوين من ولد محمد بن سليمان»⁸. وذكرها البكري فقال في كتابه وهو يتكلم عن عن الطريق من وهران إلى القيروان: «من وهران كما ذكرنا إلى قصر منصور بن سنان ثم إلى العلوين وهي مدينة يعلى بن باديس عليها سور وهي على نهر كبير وداخلها عيون»⁹. ولكن هذه المدينة التي ذكرها البكري غير التي ذكرها اليعقوبي وهو يتكلم عن تلمسان وأحوازها أما البكري فكان اتجاه سياق كلامه من وهران نحو الشرق وليس العودة إلى الغرب وقال إنها مدينة مسورة أما قصر منصور بن سنان فهي مدينة غير مدينة بن السنان التي كان يقصد بها العرب مدينة عين تموشنت حالياً¹⁰. فوصف اليعقوبي هو الذي ذهب إليه

¹ - ابن خلدون: رحلته، ص 69.

² - ابن مريم: البستان، ص 164.

³ - التتبعي: نيل م 02، ص 87، كفاية، ص 336.

⁴ - مخلوف: شجرة النور، ص 234.

⁵ - ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 69.

⁶ - التتبعي: نيل م 2، ص 87، كفاية، ص 336.

⁷ - ابن مريم: المصدر نفسه، ص 164.

⁸ - اليعقوبي: البلدان، ص 196.

⁹ - البكري: كتاب المغرب، ص 71.

¹⁰ - المدني: كتاب الجزائر، ص 225.

الإدريسي في نزته فقال: « والطريق من تلمسان إلى مدينة تنس سبع مراحل، نخرج من تلمسان إلى قرية العلويين وهي قرية كبيرة عامرة على ضفة نهر ولهم بها جنات ومياه جارئة من عيون»¹. وذكرها في موطن ثان على الطريق من فاس إلى تلمسان فقال: « ومنها إلى العلويين مرحلة وهي قرية كبيرة على نهر يأتيها من القبلة وفواكها فاضلة وخيراتها شاملة»². وإسماعيل العربي يذكر مدينة العلويين ويقول إن نهر القبلة هو نهر تافنة في الطريق من فاس إلى تلمسان³.

فمن خلال هذه النصوص يمكننا أن نخلص إلى أن بلدة العلويين لم تكن بلدة واحدة فقط فمرة تذكر باسم المدينة ومرة بالقرية مما يرجح أن تكون عدة بلدات تسمى بهذا الاسم كون العلويين أحفاد الحسن بن علي رضي الله عنه قد انتشروا في عدة مناطق قرب تلمسان وفي غربها وشرقها.

وحسب الباحث بن رمضان شاوش قرية العلويين هي قرية عين الحوت⁴، وإذا كان النهر الموجود في قبلة المدينة هو تافنة حسب ما ذكر إسماعيل العربي فإن واد تافنة بالنسبة للقرية يبقى في غربها وليس في شرقها إي اتجاه القبلة، وأما بلدة عين الحوت فهي تقع على ضفة وادي سكاك⁵ شرقا أي في قبلتها، والطريق من فاس إلى تلمسان قد يمر على عين الحوت من جهة شمال تلمسان والطريق من تلمسان إلى مدينة تنس فهو يمر كذلك بعين الحوت . وما يمكن أن نخلص إليه هو أن عين الحوت هي قرية العلويين التي يكون أبو عبد الله الشريف قد سكنها وسمي بالعلوي أو العلويين كون العلويين قد دخلوا تلمسان بداية مع إدريس الأول سنة 173هـ/788م ثم إدريس الثاني سنة 199هـ/815م ومكث بها

¹ - الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 151.

² - الإدريسي: نفسه، ص 149.

³ - إسماعيل العربي: دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص 141.

⁴ - بن رمضان شاوش الحاج محمد: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 426. و لازالت هذه البلدة قائمة عامرة إلى يومنا هذا وهي تقع شمال تلمسان بنحو 7 كلم.

⁵ - سكاك أو اسكاك واد صغير يصب في واد يسر الذي يصب بدوره في واد تافنة، وموقعه شرق تلمسان أي شرق قرية العلويين فهو في قبلتها، محمود بوعياض، تحقيق تاريخ بني زيان هامش ص 151.

ثلاثة سنوات إلى غاية سنة 202هـ/817م وعقد عليها لابن عمه محمد بن سليمان الذي مد نفوذه نحو المناطق المجاورة وظهر الإمارات السليمانية لأبنائه الممتدة نحو واد شلف¹، ومحمد بن سليمان استقر بداية بعين الحوت وبقيت تلمسان من بعده لابنه إدريس². إضافة إلى هذه النصوص التاريخية والجغرافية هناك الآثار المادية للشواهد القبرية والأضرحة³.

وإذا كانت سنة وفاة أبي عبد الله الشريف 771هـ ومكانه بتلمسان فإن عام ميلاده هو 710هـ لكن المكان لم تنتقله المصادر مما يدفعنا إلى القول أنه قد يكون ولد بالعلويين التي نسب إليها بالعلوي ومن عين الحوت انتقل إلى تلمسان ونشأ بها وحتى وإن بقي بعين الحوت فهي من أحواز تلمسان غير بعيدة عنها ومنها كان استقرار سلفه ثم تعاقب خلفه.

ب- علماء بيت الشريف

كان لهذا البيت ثلاثة علماء شرفوه بعلمهم واجتهاداتهم فنقشوا أسماءهم في سماء حضارة تلمسان وهم:

1- شريف العلماء أبو عبد الله محمد الشريف

هو محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن علي بن محمد بن القاسم بن محمود ابن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب⁴ يكنى بأبي عبد الله الحسيني ويعرف بالعلوي⁵، ولد سنة 710هـ/1310م ببلدة ببلدة العلويين عين الحوت حالياً، نشأ بها وبتلمسان نظراً لقرب المسافة بينهما، أخذ القرآن

¹ - ينظر البيهقي: البلدان، ص - ص: 195 - 198.

- إسماعيل العربي: دولة الأدارسة، ص - ص: 137 - 146.

² - محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، ص 32.

³ - ضريح سيدي سليمان وهو سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي كرم

الله وجهه وفاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت الرسول صلي الله عليه وسلم.

- ضريح الشريف الحسيني مولاي عبد الله بن عبد الله بن منصور.

- ضريح سيدي محمد بن علي.

زيارة ميدانية لعين الحوت بتاريخ 06/رمضان 1431هـ /16/08/2010م

⁴ - ابن خلدون يحي: المصدر السابق، ج1، ص 120. التبتكتي: نيل م، ص 87، رقم: 557، وفي كفاية المحتاج، ص

336، رقم: 472- ابن مريم: البستان، ص 164.

⁵ - ابن خلدون عبد الرحمن: رحلته، ص 69.

الكريم عن الشيخ أبي زيد بن يعقوب¹ فأتى عليه حفظا وتجويدا وتعلم قواعد اللغة العربية والمداخل الأولية للعلوم الدينية على مشايخ تلمسان منهم محمد بن هدية المختص في الأدب والبلاغة² والولي الصالح عبد الله المجاصي الذي كان من أهل الحديث والزهد³ واستفاد من القاضي الشيخ التميمي⁴ وعمران المشدالي⁵ الذي أخذ عنه الفقه باعتباره أعلم أهل عصره بمذهب مالك، وأخذ كذلك عن الشيخ ابن النجار⁶ وعلماء آخرين من تلمسان⁷ وقد مثلت هذه هذه المرحلة من التعليم مرحلة التدرج ليتوجه نحو مرحلة ما بعد التدرج لتوسيع معارفه وتعميق فهمه فانتقل إلى مجلس ابني الإمام عبد الرحمن أبو زيد وعيسى أبو موسى للتفقه في أصول الفقه وعلم الكلام⁸ ثم لزم حلقة شيخ العلوم العقلية الشيخ الأبلي وفي هذا يقول

¹ - هو أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي من شيوخ تلمسان في تعليم القرآن وتربية النشأ، عاش من النصف الثاني للقرن 7هـ / 13م إلى النصف الأول من القرن 8هـ / 12م .

- ابن خلدون يحي: المصدر السابق، ج1، ص 19. - المقرئ: نفع م:5، ص 242.

² - ستلي ترجمته لاحقا في مبحث بيت ابن هدية.

³ - هو أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم بن الناصر المجاصي يعرف بصالح العلماء وعالم الصلحاء، اشتهر بمواعظه البليغة ودروسه القيمة، حج كثيرا وجاور مكة المكرمة وبها عرف بالبكاء لكثرة بكائه من خشية الله وجاور المصطفى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، توفي في ربيع الأول سنة 741هـ / 1340م بتلمسان، وقبره بعين وانزوتة وهي مقبرة من مخرج باب الجياد نحو الجنوب الشرقي بالعباد السفلي وبها عين تجري لا زالت باقية إلى يومنا هذا. - ابن مريم: البستان، ص 121. - المقرئ: نفع م:5، ص 230. - التتبيكتي: نيل م:1، ص 232.

⁴ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد التميمي فقيه وقاضي نزل تلمسان بعد حصارها الأول 689هـ / 1290م تولى قضاء وجدة ثم قضاء تلمسان، توفي بتلمسان في حدود سنة 745هـ / 1344م. - ابن خلدون: البيعة، ج1، ص 131.

⁵ - هو أبو موسى عمران المشدالي، ولد ببجاية سنة 670هـ / 1271م ودرس على يد علمائها، ثم قدم تلمسان وأكرم نزوله السلطان أبو تاشفين الأول وولاه التدريس بالمدرسة التاشفينية فكان اعرف أهل عصره بمذهب مالك، توفي بتلمسان سنة 745هـ / 1344م - ابن خلدون يحي: المصدر نفسه، ج1، ص 121.

⁶ - هو أبو عبد الله محمد بن يحي بن النجار الفقيه التعاليمي نخبه وقته وهو من بيت نباهة في الإمامة والعدالة مراكشي الأصل برز في العلوم العقلية والكتابات الشعرية، توفي بتونس سنة الطاعون الأكبر 749هـ / 1348م. - ابن خلدون يحي: نفسه ج1، ص 119.

⁷ - التتبيكتي: نيل م:2، ص 88، وفي كفاية المحتاج، ص 237.

⁸ - علم الكلام: علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل الجماعة. - ابن خلدون: المقدمة ج2، ص 557.

قد امتازبه علماء المغرب دون الاندلس الذين لم يكن لهم نفاذ . قاسم مريم: أضواء علي الحركة العلمية في الاندلس مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق العددان 75، 76 / 2001ص182

ابن خلدون: « واختص بأولاد الإمام وتفقه عليهما في الفقه والأصول والكلام ثم لزم شيخنا أبا عبد الله الآبلي وتضلع في معارفه فاستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه»¹.

بعد ذلك تأتي مرحلة الرحلة العلمية ليلتجه نحو تونس سنة 740هـ/1339م ليأخذ من علمائها محمد بن عبد السلام إمام الفقهاء والنحويين وهو بدوره أخذ من تلميذه بعدما كان يخلو به في بيته لتصوف من كتاب الإشارات وكتاب الشفاء لابن سينا، ومن تلاخيص أرسطو لابن رشد، ومن الحساب والهندسة والهيئة² والفرائض³، ثم يعود غربا نحو فاس ويجلس إلى علمائها ليأخذ عنهم ويتبادل معهم مختلف المعارف ومنهم محمد بن سليمان السطي⁴. من فاس يعود إلى تلمسان لينتصب للتدريس وبت العلم فأقبل عليه الطلبة من كل جهة إلى أن استولى السلطان المريني أبو عنان على تلمسان سنة 753هـ/1352م، فاختار أبا عبد الله الشريف لمجلسه العلمي ورحل به إلى فاس وهو غير راغب في هذه الرحلة، فذاع صيته واشتهر بعلمه وفتاويه بفاس⁵، ورغم هذه الحظية من السلطان والمنزلة العلمية لدى العلماء وشهرته عند العامة إلا أنه ضجر من غربته فردد الشكوى للسلطان فساعت

¹ - ابن خلدون: رحلته، ص 70.

² - علم الهيئة: هو تعيين الأشكال بالأفلاك وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والثابتة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة والموجودة لكل واحد منها، وهو فرع من العلوم الهندسية، وهو يبحث في جملة الأفلاك وحركات الأجرام السماوية وعن الأرض المغموور منها والمعمور ومقادير أجرام الكواكب وهو ما يعرف اليوم بعلم الفلك.

- ابن خلدون: المقدمة ج2، ص 601 وص 611.

- ابن الأقفان: إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد في أنواع العلوم، ت 749هـ/1348م، تحقيق وتعليق عبد المنعم محمد عمر، مراجعة أحمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، ب. ت، ص 202.

³ - ابن خلدون: رحلته، ص 70. - ابن مريم: البستان، ص 165.

⁴ - هو أبو عبد الله محمد بن سليمان بن علي السطي نسبة إلى قبيلة سطره بطن من أوربة بنواحي فاس أحفظ الناس لمذهب مالك يعرف بالفقيه المحقق الفرضي المدقق، حظى بالإمامة والخطبة عند السلطان المريني أبي الحسن، توفي سنة 749هـ/1348م. - ابن خلدون: الرحلة، ص 48.

- القلبي: توشيح الديباج ص 230.

- ابن القاضي: درة الحجال، ص 201.

- المقرئ: نفح م5، ص 240.

⁵ - بابا خويا الحاج المهدي: الإمام أبو عبد الله الشريف ت 771هـ وجهوده الأصولية والفقهية دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، إشراف شاهد البويشخي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس 1992-1993م/1413-1414هـ.

العلاقة بينهما وسجنه شهرا ثم أطلق سراحه¹ واعتذر له السلطان وأعادته إلى مجلسه العلمي بعد أن سمع استياء العامة لهذا الاعتقال، وعندما توفي السلطان سنة 759هـ/ 1350م عاد أبو عبد الله الشريف إلى تلمسان بدعوة من السلطان أبي حمو موسى الثاني فأكرمه حق الإكرام وزوجه ابنته وبنا له مدرسة سنة 765هـ/ 1364م عرفت بالمدرسة اليعقوبية، وبقي يدرس فيها إلى أن توفي في 4 ذي الحجة 771هـ/ 29 جوان 1369م ودفن عند قبر أبي يعقوب والد السلطان أبي حمو موسى الثاني وذلك بأمر من عنده تبركا له بجواره².

لقد بلغ الشيخ أبو عبد الله الشريف باجتهاده الدرجة العلمية الرفيعة والمنزلة العالية ولعل شهادة شيوخه أبلغ دليل على ذلك ومنها قول الشيخ الآبلي: «قرأ علي كثير شرقا وغربا فما رأيت أنجب من أربعة أعقلهم وأكثرهم تحصيلا أبو عبد الله الشريف»³، وإذا أشكلت عليه مسألة وظهرت دقتها يقول الآبلي: «انتظروا الشريف»⁴.

وهذا قول الشيخ ابن عبد السلام فيه: «ما أظن أن في المغرب مثل هذا»⁵ وقال القاضي أبو علي بن هدية⁶: «كل فقيه قرأ في زماننا هذا أخذ ما قدر له من العلم ووفق إلا أبا عبد الله الشريف فإن اجتهاده يزيد والله أعلم حيث ينتهي أمره»⁷. وهذه شهادة أخرى من

¹ - سبب هذا الاعتقال هو علم السلطان أبو عنان أن السلطان الزياني عثمان ابن عبد الرحمن أوصى الشريف على ولده وأودع له مالا عند بعض الأعيان من أهل تلمسان وأن الشريف مطلع على ذلك ولم يبلغه.

- ابن مريم: البستان، ص 165.

² - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 120. - ابن خلدون: الرحلة، ص 70. - التتبيكتي: نيل م: 2، ص

89، وفي كفاية المحتاج، ص 338. - ابن مريم: البستان، ص 166.

- الزركشي: تاريخ الدولتين، ص 105.

- ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص 368.

- الجبالي: تاريخ الجزائر، ج2، ص 211.

³ - التتبيكتي: نيل م، ص 93.

- كفاية المحتاج، ص 340.

- ابن مريم: البستان، ص 170.

⁴ - التتبيكتي، المصدر نفسه م2، ص 93.

⁵ - التتبيكتي: كفاية المحتاج، ص 340.

⁶ - أبو علي منصور بن محمد بن منصور بن هدية ترجمته ستكون لاحقا بمبحث بيت بن هدية وهو ممن رافق الشريف في الدراسة.

⁷ - التتبيكتي: نيل الابتهاج م2، ص 94.

أقرانه فهم لا يتكلمون في حضرته فهو أولى وأحق فقد نقل لنا التتبيكتي عن الفقيه المطغري¹ أنه قال: « أمر أبو عنان الفقيه المقرئ بإقراء التفسير بحضرة العلماء فأبى وقال: أبو عبد الله الشريف أحق به مني، فقال السلطان: أنت تعلم علوم التفسير، فقال: الشريف أعلم بها مني فلا يسعني الإقراء بحضرته، فعجبوا من إنصافه، ففسر الشريف بحضرة كافة العلماء ونزل السلطان عن سرير الملك وجلس معهم على الحصر فأتى بما أدهشهم حتى قال السلطان لما فرغ: إني أرى العلم يخرج من منابت شعره»².

ولقد تخرج عليه علماء أجلاء وترك ثروة علمية في مختلف العلوم والفنون في التفسير والفقه والأصول والمنطق والجدل وبوفاته ترك فراغا كبيرا حتى قال فيه السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني وهو يخاطب ولده عبد الله: « ما مات من خلفك وإنما مات أبوك لي لأنني أباهي به الملوك»³.

2- شهيد العلماء عبد الله الشريف

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني بن الإمام العلامة أبو عبد الله الشريف الذي بشره في منامه. ولد عام 748هـ/1348م بتلمسان ثم رحل مع أبيه إلى فاس وعمره خمس سنوات، قرأ القرآن على يد الشيخ ابن زيد⁴ ثم درس النحو على يد أبي عبد الله بن الحياتي⁵، وأخذ علم الحديث وصحيح البخاري على يد الشيخ الشيخ بن مرزوق الخطيب⁶، وأخذ الفقه عن الشيخ أبي عمران العبدوسي¹ والشيخ أحمد

¹ - عبد الله بن عمر المطغري من فقهاء وعلماء درعة بالمغرب الأقصى.

- ابن القاضي: درة الحجال، ص 317.

² - التتبيكتي: نيل م، ص 93. - كفاية المحتاج، ص 41. - ابن مريم: البستان، ص 171.

³ - التتبيكتي: نيل م، ص 99. - كفاية المحتاج، ص 345. - ابن مريم: البستان، ص 177.

⁴ - هو أبو عبد الله بن زيد كبير شيوخ فاس كان أستاذا في القراءة والنحو يختص بالشرفاء والعظماء لعلو قدره في النحو والقراءة. - التتبيكتي: نيل م، ص 242.

⁵ - أبو عبد الله محمد بن علي بن حياتي، ولد عام 718هـ نشأ بغيرناطة ثم انتقل إلى فاس وأصبح من علمائها وفقهائها، انفرد بالإمامة في النحو، توفي بفاس عام 781هـ. - ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص 375. - ابن القاضي: درة الحجال، ص 270، رقم: 781.

⁶ - كان ابن مرزوق الخطيب في هذه الفترة بفاس دخلها من الأندلس في بداية شعبان 754هـ وكان من المقربين والمستشارين للسلطان أبي عنان. - ابن الخطيب: الإحاطة م، ص 3، ص 104.

القباب²، والتفسير عن الشيخ أحمد الشماخ³، ثم لزم حلقة أبيه وأخذ عنه التفسير وعلم الأصول والجدل والمنطق والهندسة والتصوف⁴، وبهذا يكون عبد الله قد نال علما وفيرا فهما وحفظا لينتقل من التعلم إلى التعليم. بدأ يدرس في حياة أبيه ثم جلس مجلس أبيه بعد موته سنة 771هـ وفي هذا يقول التتبيكتي: «ثم جلس مجلس أبيه بعد موته وحضره من حضر مجلس أبيه ولم ينتقد عليه أحد منهم فجرى مذهبه نظرا ونقلا وتحقيقا واعترفوا بتقدمه»⁵، وبهذا أقبل عليه الطلبة من كل الأنحاء لغزارة حفظه للمسائل وتضلعه في الفقه وأكثر من ذلك منهجه التعليمي وطريقته التربوية في إيصال الفهم إلى المتعلم⁶.

بعد مدة زمنية يغادر عبد الله تلمسان ليتجه نحو غرناطة دون أن تشير المصادر إلى أسباب هذا السفر فيقيم بها للتدريس فترة زمنية ثم يعزم على العودة إلى تلمسان إلا أن أجله لم يؤخره إلى الوصول إلى تلمسان إذ توفي غريقا في البحر بعدما خرج من مالقا وذلك في صفر 792هـ/1390م⁷ وهو في كامل نضجه وعطائه بعد 45 ربيعا، فكان فقدان تلمسان لأحد أكبر علمائها ولو قدر له أن يعيش لترك وراءه ثروة علمية قد تكون أكبر من ثروة أبيه.

3- عالم الشرفاء عبد الرحمن الشريف

هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني يكنى بأبي يحيى الشريف ولد في آخر ليلة 19 رمضان 757هـ/1356م بعدما بشر به أبوه في منامه، وفي هذه الليلة

¹ - هو أبو عمران موسى بن محمد العبدوسي عالم ومفتي فاس، كان آية في معرفة المدونة، له مجلس لم يكن لغيره يحضره الفقهاء والمدرسون والعلماء، توفي سنة 776هـ/1374م. - مخلوف: شجرة النور، ص 234.

² - أبو العباس أحمد بن القاسم عرف بالقباب علامة فاس ومفتيها، فقيه محقق حافظ وقاضي توفي سنة 779هـ/1377م. - ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص 372.

³ - هو أحمد بن محمد الخزرجي اشتهر بابن الشماخ المراكشي نزيل فاس فقيه وخطيب أصولي منطقي. - التتبيكتي: نيل م: 1، ص 104.

⁴ - ابن خلدون: بغية، ج: 1، ص 120. - التتبيكتي: نيل م: 1، ص 241. كفاية المحتاج، ص 162. - ابن مريم: البستان، ص 117.

⁵ - التتبيكتي: نيل م: 1، ص 234.

⁶ - حاجيات: أبو حمو موسى الزياني، ص 169.

⁷ - التتبيكتي: نيل م: 1، ص 244، كفاية المحتاج، ص 163.

- ابن مريم: البستان، ص 120.

- مخلوف: شجرة النور، ص 234.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 2، ص 58.

بات عنده أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون وأبو يحيى السكّاك¹ فطلب منه كل واحد أن يسميه باسمه فسماه عبد الرحمن وكنّاه أبا يحيى²، وفي هذه الفترة كان الإمام بفاس ولكن سرعان ما عاد إلى تلمسان وبها نشأ عبد الرحمن، تعلّم وتفقه على يد أبيه وبعد وفاته درس على أخيه عبد الله وعلى أبي عثمان سعيد العقباني الفقه والأصول والتفسير، وأخذ الحديث والسيرة عن أبي القاسم بن رضوان³ حتى ارتفعت مكانته وبلغ درجات كبيرة في مختلف أصناف العلوم النقلية والعقلية⁴.

في سنة 784هـ/1382م مرض أخوه عبد الله فأمره بالجلوس في منصبه للتدريس فامتنع تواضعا له حتى أصّر عليه ذلك فتولى التعليم، فكان آية في التحقيق وحجة في إتقان العلوم، قال فيه الإمام ابن العباس⁵: «الإمام العلامة الأوحّد شريف العلماء وعالم الشرفاء آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن ابن العلماء الأئمة»⁶.

واصل مساره التعليمي وأخذ الكثير عنه وتخرّج عليه علماء أجلاء، وبعد أن عمّر 69 سنة توفي الشيخ عبد الرحمن الشريف، قال فيه ابن مرزوق الحفيد:

«توفي سيدنا الشريف العلامة أبو يحيى مع الفجر سادس وعشرين رجب عام ستة وعشرين وثمانمائة 826هـ/1422م»⁷.

¹ - أبو يحيى محمد بن السكّاك فقيه وعالم وقاضي الجماعة بفاس، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله الشريف التلمساني، توفي سنة 818هـ. - التبتكتي: نيل الابتهاج م:2، ص 150.

² - التبتكتي: نيل م:1، ص 276، كفاية المحتاج، ص 184.

³ - أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجار المالقي ولد بالأندلس وأخذ عن علمائها في مالقة ثم انتقل إلى غرناطة، ثم اتجه نحو فاس وأصبح من كتّاب سلاطين بني مرين وقد تنقل عبر ربوع بلاد المغرب الإسلامي، وكان صاحب براءة في الخط وجودة في فقه الوثائق والبلاغة في الخطاب والشعر توفي سنة 784هـ/1382م. - ابن خلدون: رحلته، ص 42.

- حاجيات: مقدّمة تحقيق البغية، ص 16.

⁴ - ابن مريم: البستان، ص 127.

- الحفناوي: تعريف الخلف ج:2، ص 09.

⁵ - هو محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس التلمساني عالم محقق مفتي صالح وحافظ متقن تخرج عليه الكثير وله تأليف كثيرة، توفي سنة 871هـ/1467م دفن بالعباد.

- ابن مريم: البستان، ص 223.

⁶ - التبتكتي: نيل م:1، ص 276، وفي الكفاية، ص 184. - ابن مريم: البستان، ص 127.

⁷ - التبتكتي: نيل م:1، ص 277، كفاية، ص 185.

- ابن مريم: البستان، ص 129.

كما وردت إشارات لعالم آخر من هذا البيت تتلمذ على يد ابن مرزوق الحفيد وهو ابن عبد الرحمن الشريف ذكره ابن مريم في بستانه فقال: « وقال تلميذه (لابن مرزوق الحفيد) أبو الفرج ابن أبي يحيى الشريف التلمساني»¹، لكن لم ترد أية معلومة أخرى غير اسمه واسمي أبيه وشيخه.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج:2، ص 11.

¹- ابن مريم: المصدر نفسه، ص 204.

المبحث الثاني: بيت أولاد الإمام

هو من البيوتات الراسخة في العلم انتقل إلى تلمسان وكانت له شهرته شرقا وغربا

أ- التعريف ببيت أولاد الإمام ونسبه

لماذا سمي هذا البيت بأولاد الإمام؟ وإلى من يعود نسبه؟ وكيف استقر بتلمسان؟

1- بيت أولاد الإمام... لماذا هذا الاسم؟

من البيوتات الراسخة في العلم والشامخة فيه بيت ابني الإمام، وعرف هذا البيت بأولاد الإمام¹ وأبناء الإمام² وابني الإمام³، فالاثنتين هما أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى، أبوهما محمد بن عبد الله كان إماما بأحد مساجد برشك⁴، فاشتهر بالإمام وعرف بهذه التسمية، فكان إماما للمدينة وهو الإمام الفقيه الخطيب⁵، فأبوهما كان إماما وجدهما كذلك كان إماما فكانت الإمامة متوارثة في هذا البيت ملازمة له فكانت شهرته بهذه الخطة وهي الإمامة والمقصود بها هنا ليس الإمامة الكبرى التي هي الخلافة وإنما إمامة الصلاة أو الإمامة الصغرى إن صح التعبير والتي يقول عنها ابن خلدون: «إنها أرفع الخطط الدينية كلها»⁶.

¹ - ابن فرحون: الديباج المذهب، م:1، ص 429.

² - التتبيكي: كفاية المحتاج، ص 178.

- ابن مريم: المصدر السابق، ص 123.

³ - ابن خلدون: رحلته، ص 46.

- التتبيكي: نيل الابتهاج م:1، ص 266.

⁴ - مدينة برشك كما ذكرها الإدريسي والوزان برشك هي مدينة قديمة بناها الرومان، وهي مدينة صغيرة على تل وهي على ضفة البحر وعليها سور تراب، تبعد عن مدينة شرشال غربا بعشرين ميلا (35 كلم) وتبعد عن تنس شرقا ستة وستون ميلا (105 كلم)، ومكانها اليوم بالقرب من مدينة قوراية غربا ولم يبق لها أثر وسورها هدم في زلزال 1531م، وكانت بها مزارع ذات خيرات كثيرة خاصة التين والشعير والكتان، وأهلها يشتغلون بحياكة الأقمشة وكانت تصدر منتوجها نحو الجزائر وبجاية وتونس. - الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 158.

- الوران: وصف إفريقيا، ج:2، ص 32.

- ابن رمضان وابن حمدان قالوا أن برشك هي التي تعرف اليوم بقوراية - ابن رمضان وابن حمدان: المرجع السابق، ج:1، ص:2، ص 250.

⁵ - يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج:1، ص 130.

⁶ - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ج:1، ص 274.

2- بيت أولاد الإمام ونسبه

ذكر ابن فرحون في ديباجه العلامة عبد الرحمن بن الإمام فقال: « هو أكبر الأخوين المشهورين بأولاد الإمام التنسي البرشكي التلمساني»¹، فنسب هذا البيت لم تشر إليه المصادر وإنما ذكرت النسبة وهي من ذلك التنسي البرشكي التلمساني، فالتنسي نسبة إلى مدينة تنس بحكم أنها كانت مدينة كبيرة، والبرشكي نسبة إلى مدينة برشك الصغيرة وهي من المدن القريبة من تنس، بل المحسوبة على ولاية تنس باعتبارها من مدن الإقليم الشرقي الخاضع للدولة الزينانية فالبلدية هي برشك والولاية تنس والعاصمة هي حاضرة تلمسان، فجاءت هذه النسبة البرشكي التنسي التلمساني².

وما يعرف عن هذه الأسرة أنها كانت أسرة علم وصلاح وإمامة، فيروي لنا يحيى بن خلدون نقلاً عن ثقة أن جد العالمين عبد الرحمن أبو زيد وعيسى أبو موسى كان من أولياء الله³ الأبرار، فقد كانت له قطعة أرض يغرستها خضرا لمعاشه فعمد إليها في إحدى الليالي لصان لحفر اللفت فأوثقتهما أرضها وأصبحت عبرة للسراق⁴، ومهما يكن من صحة هذه الرواية فالمعروف شرعا أن الصالحين قد تكون لهم كرامات قد حدثت فعلا، كما يمكن أن تكون من نسج التصور الصوفي الذي كثيرا ما نجده في كتب التراجم، ولكن ما هو معروف عن هذا البيت أنه بيت صلاح وتقوى وعلم.

¹ - ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 1، ص 429.

² - ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 7، ص 223 وص 228.

- ابن خلدون: بغية الرواد، ج: 1، ص 208.

- التنسي: تاريخ بني زيان، ص 129.

³ - أولياء الله: العارفون بالله من أهل الله سموا كذلك لأن الله تعالى تولاهم وتولى حفظهم لما فقدوا الدنيا ومن ثم رضي الله عنهم. - حنفي: الموسوعة الصوفية، ص 820، رقم: 136.

يقول الله تعالى: «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» يونس: 62

⁴ - ابن خلدون يحي: بغية الرواد، ج: 1، ص 130.

3 - أولاد الإمام من برشك إلى تلمسان

كان الإمام محمد بن عبد الله إماما لمدينة برشك مقيما بها ولما استولى عليها زييري بن حماد¹ سنة 683هـ / 1284م اتهمه بالتستر على وديعة من المال لبعض أعدائه وطالبه بها فانتهى الإمام منها فقتله لينزع المال من يده، فكانت المصيبة على بيت الإمام وضاعت الدنيا بما رحبت على ابنه بهذه البلدة فارتحلا في أواخر القرن 7هـ / 13م إلى تونس طلبا للعلم ثم عادا غربا وأقاما بالجزائر لامتناع برشك عليهما، ثم اتجها نحو مليانة وهي عاصمة مغراوة² والسلطان أبو يعقوب المريني محاصرا لتلمسان، ولما رفع الحصار عنها ارتحل الأخوان من مدينة مليانة نحو حاضرة تلمسان فدخلها واتصلا بالسلطان أبي حمو موسى الأول فقربهما واغتبط بهما وبنا لهما مدرسة عرفت باسمهما³ مدرسة أولاد الإمام وهذا في سنة 710هـ / 1310م وقد كانت أول مؤسسة تعليمية تتجز بالمغرب الأوسط⁴، وبداية من هذا التاريخ كان استقرار هذا البيت بتلمسان ليكون له دوره الحضاري بتلمسان حيث استقر بها وأثرها على بلاد المغرب الإسلامي خاصة وحتى نحو بلاد المشرق الإسلامي عامة.

ب- علماء بيت أولاد الإمام

هذا البيت بدوره أنجب علماء أجلاء انتقلوا إلي تلمسان وكان لهم إسهامهم الحضاري

الذي ذاع غربا وشرقا وهم:

¹ - هو زييري بن حماد المكلاطي المعروف بزيرم وهو تحريف للعامة من زييري إلى زيرم.

- ابن خلدون: العبر، ج: 07، ص 99.

² - الجيلاي: المرجع السابق، ج: 2، ص 164.

³ - ابن خلدون: رحلته، ص 46 - التبتكي: نيل الابتهاج، م: 1، ص 266، كفاية المحتاج، ص 178.

- ابن مريم: البستان، ص 123 - مخلوف: شجرة النور الزكية، ص 219.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 2، ص 11 - الجيلاي: المرجع نفسه، ج: 2، ص 164

⁴ - يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج: 1، ص 130.

- التنسي: تاريخ بني زيان، ص 139.

- حاجيات: أبو حمو موسى الزياني الثاني، ص 36.

1- إمام المدرسين عبد الرحمن بن الإمام

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام المكنى أبو زيد، تاريخ ميلاده لم تذكره المصادر لكن قد يكون مع العقد الثاني من النصف الثاني للقرن 7هـ / 13م باعتبار تاريخ الرحلة نحو تونس كان بعد سنة 683هـ وسن الرحلة عادة تكون في حدود العشرين سنة. نشأ بمدينة برشك، حفظ القرآن الكريم وأخذ المبادئ الأولية للتعليم عن أبيه باعتباره إماماً ومدرسا للمدينة، ولكن عندما وقعت له محنة قتل أبيه سنة 683هـ/1282م رحل إلى تونس في أواخر القرن 7هـ / 13م وجلس إلى علمائها يستمع إليهم ويأخذ عنهم مختلف العلوم الدينية ومنهم الشيخ أحمد بن موسى البطريني¹، والشيخ الهواري بن جماعة² وعلماء آخرين، لكن اضطراب المصادر في ضبط أسمائهم حال دون التحقيق في سيرتهم ومن ذلك ابن العطار عند التنبكتي³، وابن القطان عند ابن مريم⁴، بينما ابن خلدون لم يشر إلى ذلك⁵ ومخلوف ذكر ابن القصار⁶.

من تونس ولى وجهته نحو فاس وجوهرتها جامعة القرويين فجلس إلى علمائها ينتفع بهم ويأخذ عنهم ويتبادل معهم مختلف القضايا الإجتهدية ومنهم الشيخ محمد بن سليمان

¹ - هو أبو العباس أحمد بن موسى الأنصاري الشهير بالبطريني التونسي، شيخ شيوخ تونس وعمدة أهل التحقيق الفقيه الراسخ والقارئ الصالح الراوي المسند، مولده كان عام 668هـ / 1270م وتوفي سنة 710هـ / 1310م.

- الزركشي: المصدر السابق، ص 60 وص 113.

- التنبكتي: كفاية المحتاج، ص 359.

- مخلوف: شجرة النور، ص 205.

² - هو أبو يحيى أبو بكرين القاسم بن جماعة الهواري الفقيه العالم، أخذ عن أئمة المشرق والمغرب منهم ابن دقيق العيد وعنه أخذ ابن عبد السلام وغيره، له تأليف في البيوع، وفاته كانت سنة 712هـ / 1312م.

- الزركشي: المصدر نفسه، ص 63 وص 76. - مخلوف: شجرة النور، ص 205.

³ - التنبكتي: نيل الابتهاج، م: 1، ص 267، كفاية المحتاج، ص 178.

⁴ - ابن مريم: البستان، ص 123.

⁵ - ابن خلدون: رحلته، ص 46.

⁶ - هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي التونسي الشهير بابن القصار الإمام النحوي له عدة شروح، كان حيا بعد 790هـ / 1388م.

- القرني: توشيح الديباج، ص 53 وذكر بابن القصار.

- التنبكتي: كفاية المحتاج، ص 51 وذكر بالقصار.

السّطي، والشيخ علي بن عبد الرحمن اليفرنى الشهير بالطنجي¹ المختص في الفرائض والحساب، وكانت له الاستفادة الكبيرة من هذه الرحلة العلمية شرقا وغربا فحاول العودة إلى مسقط رأسه برشك فامتعت عليه ثانية بسبب تعنت حاكمها زيرم وإصراره على الرفض، فاتجه نحو الجزائر، فأقام بها يدرّس ويفيد أهلها بما منّ الله تعالى عليه من العلم. وبعد الجزائر تحول نحو مليانة سنة 705هـ/ 1306م وكان كاتبها منديل بن محمد² فقّده وأكرمه وأوكل له تعليم ابنه محمد، ثم ولاه خطة القضاء، وبعد رفع الحصار عن تلمسان رحل إليها صحبة الكناني واتصلا بالسلطان أبي حمو موسى الأول فاستقبلهما بكل حفاوة، وأكرم أبا زيد وأنزله حق منزلته وبنى له مدرسة للتعليم سنة 710هـ/ 1310م وهي الأولى بالمغرب الأوسط كما ذكرنا من قبل وسميت بمدرسة ابني الإمام، وهنا تستوقفنا هذه الالتفاتة الطيبة وهو أن تكريم العلماء يبدأ منذ حياتهم ولا نتذكرهم بعد موتهم فقط. وتعرف هذه المدرسة بالمدرسة القديمة ثم أضاف السلطان مرافق المدرسة ومنها سكنى الإمام³.

بهذه المدرسة انتصب الإمام عبد الرحمن للتدريس وكان إقبال الطلبة عليه كبيرا لسعة علمه وحسن منهجيته، وزيادة على مهنة التدريس اختصه السلطان الزياني بمجلسه للمشورة والفتوى، ولما أعاد السلطان أبو حمو موسى الزياني سيطرته على بلاد مغراوة أرسل الإمام عبد الرحمن ممثلا له بهذه المقاطعة وحاول زيرم التقرب من السلطان والتنازل على الولاية للأمان على نفسه وليكفر عما صدر عنه من ظلم واستبداد وصل به إلى حد قتل الإمام، وهنا وقف الإمام عبد الرحمن أمام القصاص فاستأذن السلطان في أخذ ثأره فأذن له ونفّذ فيه

¹ - هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن اليفرنى الشهير بالطنجي الفقيه الحافظ عالم الفرائض والحساب له تقييد على المدونة، توفي سنة 734هـ/ 1333م. - ابن القاضي: المصدر السابق، ص 404 رقم: 1268.

- مخلوف: شجرة النور، ص 218، رقم: 768.

² - هو منديل بن محمد الكناني ضابط جباية بني مرين وصاحب أشغالهم بهذه المنطقة.

- الجيلالي: المرجع السابق، ج: 2، ص 164.

³ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج: 1، ص 130. - التنسي: المصدر السابق، ص 139.

عن المدرسة ينظر:

- Rachid Bourouiba: L'art religieux musulman en Algérie , , p: 135.

- Atallah Dhina: Les états de l'occident musulman au XIII, XIV et XV siècles Institution Gouvernementales et Administratives - O.P.U , Alger , ENAL 1984, p: 316.

حكم القتل وكان ذلك سنة 708هـ / 1308م، واستمر ود العلامة مع السلطان حتى وفاته ثم تواصلت مع ابنه أبي تاشفين مدة سنتين إلى غاية سنة 720هـ / 1320م حيث كانت الرحلة نحو المشرق وهي مرتبطة بأداء فريضة الحج بالبقاع المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة وزيارة المسجد الأقصى، وفي هذه الزيارات تكون الفرصة لملاقات المشايخ ومباشرة العلماء، وقد لقي بها الفقهاء الأجلاء حسب رواية تلميذه أبي عبد الله محمد المقرئ¹ ومنهم جلال الدين القزويني²، جلس له وانتفع به في مختلف العلوم، كما ناظر العلامة المجتهد تقي الدين بن تيمية³ في بعض الأمور الاجتهادية. من المشرق يعود إلى بلاد المغرب ليطوف بحاضرة المرينيين فاس ويزور جوهرتها جامعة القرويين وعلمائها وفقهائها ومنها يعود ليستقر بتلمسان من جديد ويواصل مسيرته التعليمية بمدرسته، فانتصب للتدريس وشهرته قد زادت تألقا وارتقاء مما جعل توافد الطلبة عليه من كل جهة، وقد وفق في تكوين جيل من العلماء الأجلاء في مختلف العلوم، وفي هذه الفترة كان زحف السلطان المريني أبي الحسن على تلمسان حتى دخلها سنة 737هـ / 1337م، فعرف منزلة الشيخ عبد الرحمن بن الإمام فأكرمه ومكّنه من مواصلة رسالته التعليمية وقربه إليه حتى أنه شارك معه في واقعة طريف⁴، ثم عاد إلى تلمسان ومهنته النبيلة تكوين الفقهاء وصناعة العلماء.

ورغم منزلته العلمية ومكانته الرفيعة فإن المصادر لم تشر إلى مؤلفاته سوى بعض الشروح ولعل مرد ذلك يعود إلى انشغاله بالتعليم من جهة وبقضايا سياسية أحيانا، أو إلى

¹ - التبتكي: نيل الابتهاج، م: 1، ص 267، كفاية المحتاج، ص 178.

² - جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني قاضي قضاة القاهرة، شهير الذكر رفيع القدر، توفي سنة 739هـ /

1338م. المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص 394. - ماريا خسوس: تقديم المسند، ص 41.

³ - هو أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي من كبار أعلام عصره في العلوم الدينية حتى عرف بشيخ الإسلام، هو المجتهد المطلق لغزارة علمه وسرعة الحفظ وقوة الإدراك، تأهل للفتوى دون العشرين فكان ملما بالعلوم النقلية والعقلية وله اجتهادات وفتاوى في مختلف القضايا ترك مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم، ولد سنة 661هـ / 1262م ونشأ بدمشق إلى أن توفي بها سنة 728هـ / 1328م. - الحنبلي ابن عماد: شذرات الذهب، م: 3، ج: 6، ص 80.

⁴ - حدثت هذه الواقعة بمدينة طريف جنوب الأندلس في العودة القصوى مقابل طنجة في العودة الدنيا سنة 740هـ / 1339م بين الجيش الذي استنفره أبو الحسن وجيش النصارى من الإسبان والبرتغال إلا أن الغلبة كانت للنصارى وعاد أبو الحسن إلى بلده. - الناصري السلاوي: الاستقصا، م: 2، ص 32.

عامل الاستقرار في حياة الفرد فهو قد وصفته المصادر بـ « شيخ المالكية بتلمسان » و « العالم الفاضل للمغرب » و « صاحب الاجتهاد وترك التقليد »، وشهرته لم تسعها بلاد المغرب بل ذاعت ببلاد المشرق، كما قد يكون عدم التأليف استثناء في حياة بعض العلماء الذين تمكنوا من العلم تحصيلًا ومكنوه تعليمًا ولم يوفقوا تأليفًا. وبعد أن عمّر أكثر من ستة عقود وافاه أجله في سنة 743هـ / 1342م¹.

2- الإمام المدرس عيسى ابن الإمام

هو أبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله ابن الإمام تاريخ ميلاده لم تذكره المصادر وإنما أشارت إلى أن عيسى أصغر من عبد الرحمن، ولقد كان له مسار مشترك مع أخيه عبد الرحمن في النشأة والرحلة العلمية غربًا وشرقًا ثم في الحياة الوظيفية.

بعد وفاة أخيه سنة 743هـ / 1342م واصل عيسى رسالته التعليمية بتلمسان وهو مكرّم ومقرب من قبل السلطان المريني، وفي سنة 748هـ / 1347م رافق السلطان أبا الحسن إلى إفريقية، وبعد أن تمكن من بسط سيطرته على المغرب الأدنى أذن للشيخ عيسى ابن الإمام أن يعود إلى بلده، والعودة إلى مسقط الرأس هي مشدودة بحب فطري، إلا أن هذا الحب قد يزداد عندما يحرم من بلده ويهجر عنها، وهذا ما يتضح في حرمان زيري بن حماد أبناء الإمام من العودة إلى بلدهما ذنبهما في ذلك هو قتل أبيهما، فكان إشباع رغبة التمتع بالبلد ناقصًا وهذا يتضح من خلال شغف العالمين إلى بلدهما برشك، إلا أن الأجل لم

¹ - ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 1، ص 429، رقم: 320.

- ابن خلدون: رحلته، ص 48. - القرافي: توشيح الديباج، ص 128، رقم: 145.

- التتبيكتي: نيل الابتهاج، م: 1، ص 266، رقم: 290. كفاية المحتاج، ص 178، رقم: 241.

- ابن القاضي: درة الحجال، ص 329، رقم: 1002.

- ابن مريم: البستان، ص 123. - مخلوف: شجرة النور، ص 219، رقم: 775.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 2، ص 11.

- الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج: 2، ص 166، وذكر تاريخ الوفاة سنة 741هـ.

- نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص 22، ونقل تاريخ الوفاة عن الجيلالي سنة 741هـ.

يسعف عيسى لإتمام هذه المتعة فأقام يسيرا بمدينة برشك ومات بالطاعون الجارف سنة 749هـ / 1348م¹.

عرف بالإمامة والاجتهاد المطلق كأخيه، فتصفه المصادر « آخر فقهاء تلمسان»² و « جامع أشتات المعارف»³، فهو قد جمع كل ما تفرق من مختلف العلوم النقلية والعقلية ويوصف كذلك ب: « خاتمة الحفاظ بالمغرب»⁴ وذلك لسعة حفظه وموسوعة معارفه، ومما يعزّز هذه المنزلة العلمية والدرجة الرفيعة هو إقبال الطلبة عليه مع أخيه بتلمسان ثم أثناء إقامته بتونس مع السلطان أبي الحسن، فرغم قصر هذه الإقامة إلا أنها كانت مفيدة لأهل العلم من تونس وهذا ما ذكره مخلوف فقال: « وأخذ عنه في رحلته هاته فضلاء تونس منهم ابن خلدون»⁵.

ولقد مدح شاعر تونس أبو القاسم الرحوي السلطان أبا الحسن وذكر العلماء القادمين معه ومنهم موسى بن الإمام فقال فيه:

فلم يبق نأى ابن الإمام شماخة * على مدن الدنيا لأنف تلمسان⁶

¹ - ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 01، ص 429، رقم: 320.

- ابن خلدون: رحلته، ص 48.

- القرقي: توشيح الديباج، ص 128، رقم: 145.

- التتبيكتي: نيل الابتهاج، م: 1، ص 325، رقم: 365، كفاية المحتاج، ص 215، رقم: 304.

- ابن القاضي: درة الحجال، ص 375، رقم: 1171، وذكر وفاته سنة 750هـ.

- ابن مريم: البستان، ص 126.

- مخلوف: شجرة النور، ص 220، رقم: 776.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 02، ص 130.

² - التتبيكتي: كفاية المحتاج، ص 215، رقم: 304.

³ - التتبيكتي: نيل الابتهاج، م: 1، ص 210.

⁴ - مخلوف: شجرة النور، ص 220.

⁵ - مخلوف: نفسه، ص 220.

⁶ - ابن خلدون: رحلته، ص 43.

3- العالم إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام

هو أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام الفقيه الحافظ بن العلامة أبي زيد، وردت له ترجمة مقتضبة عند ابن مريم فهو صاحب علوم جمّة له فتاوى نقلها المازوني في نوازله والونشريسي في معياره. عاش بتلمسان ثم نزل فاس وبقي بها إلى أن وافاه أجله سنة 797هـ/ 1394م ودفن بباب الجيزين¹ بفاس².

4- العالم محمد بن إبراهيم بن الإمام

هو أبو الفضل بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن الإمام وقد اشتهر هو كذلك بابن الإمام كسلفه، فهم بيت علم وشهرة وجلال، فنشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى تونس في سنة 810هـ/ 1407م بعدها نحو القاهرة ومنها إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، وملاقة العلماء الفضلاء، ثم الوجهة المعلومة في رحلة المشرق لبلاد الشام التي دخلها سنة 812هـ/ 1409م فزار القدس الشريف والمسجد الأقصى ثم دخل دمشق حيث كان إقبال الطلبة عليه كبيرا، فقد تراحموا عليه لفضله وعلمه. من المشرق يعود إلى بلاد المغرب ليستقر بتلمسان على مهنة سلفه فينتصب للتدريس، وهذا تلميذه ابن مرزوق الكفيف يقول: «شيخنا الإمام العالم النظّار الحجة أبو الفضل ابن الإمام»³. ونقل التتبيكتي عن أبي العباس الونشريسي أنه قال: «هو شيخ شيوخنا له قدم راسخ في البيان والتصوف والأدبيات والشعر والطب»⁴. وقال القلصادي في رحلته: «أبو الفضل محمد بن الإمام... كان عالما بالمعقول»⁵.

¹ - باب الجيزين ويعرف بباب الجيسة وهي إحدى أبواب مدينة فاس في الجهة المقابلة للوادي، وما زالت الكلمة مستعملة في العامية إلى اليوم لكن العامة تقلب جيمها دالا فتقول ديزة كما تقول في كلمة جاز داز، وتعرف اليوم هذه الباب بباب الحمراء ويخارجه توجد روضة.

- ابن غازي: فهرس ابن غازي، ص 73. - عبد الوهاب بن منصور: مراجعة الأنيس المطرب، ص 387.

² - ابن مريم: البستان، ص 63.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج:1، ص 247.

³ - التتبيكتي: نيل الابتهاج، م:2، ص 199. كفاية المحتاج، ص 408.

⁴ - التتبيكتي: نيل الابتهاج، م:02، ص 199. كفاية المحتاج، ص 408.

⁵ - القلصادي: رحلته، ص 108.

وكانت إفادته لطلبته خاصة في علم البيان والأدبيات والفقہ وعلم التصوف والطب وهو أول من أدخل شامل بهرام¹. ورغم أنه كان صاحب فنون نقلية وعقلية ومشاركة جيدة في كل العلوم فهو لم يترك مصنفاً خاصة عدا كلام عام عن أبحاث في التفسير.

وبعد هذا المشوار من الرحلة والعطاء وافته المنية بتلمسان سنة 845هـ / 1441م².

وهناك علماء آخرون من هذا البيت لكن لم ترد ترجمتهم في المصادر وكان الإقتصار على ذكر أسمائهم كما أشار إلى ذلك أبو العباس الونشريسي ومنهم:

5- الشيخ الصالح أبو محمد عبد الحق بن أبي موسى.

ثم قال ولم يبق لهما الآن (بداية القرن 10هـ/16م)³ بتلمسان إلا صاحبنا وتلميذنا الطالب الخير الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي الفضل⁴.

¹ - شامل بهرام: هو تصنيف يعرف بالشامل في فروع المالكية لبهرام بن عبد الله النميري المالكي القاضي بمصر، توفي سنة 805هـ / 1403م.

- البغدادي: هدية العارفين، م/05، ص 244.

² - القلصادي: رحلته، ص 108.

- التتبيكتي: نيل، م:2، ص 198، رقم: 223. كفاية المحتاج، ص 408، رقم: 533.

- ابن مريم: البستان، ص 220.

- ابن القاضي: درة الحجال، ص 276، رقم: 812.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج:2، ص 164.

- مخلوف: شجرة النور، ص 254، رقم: 922.

- نويهض: معجم، ص 74.

³ - من كتبه فهرسة الونشريسي ووفيات الونشريسي وكان تأليفهما في حدود سنة 912هـ / 1506م قبل وفاته بسنتين. - محمد حجي: تقديم المعيار، ص هـ.

⁴ - أبو العباس الونشريسي: نقلا عن التتبيكتي، نيل الابتهاج، م:1، ص 270.

- ابن مريم: البستان، ص 127.

المبحث الثالث: بيت ابن زاغو

أنجب هذا البيت علماء أجلاء شاركوا في حضارة تلمسان في مختلف الميادين:

أ- التعريف ببيت ابن زاغو ونسبه

لماذا بيت ابن زاغو؟ وما هو نسبه؟ وكيف استقر بتلمسان؟

1- التعريف ببيت ابن زاغو

من البيوتات التي كانت لها مساهمة علمية في حضارة تلمسان بيت ابن زاغو، وقد عرف بهذه التسمية نسبة إلى عالمها أحمد بن محمد الذي عرف باسم ابن زاغو¹، وذكره الزركشي بابن زاغ²، وقبل هذا نكر يحي بن خلدون: «علي بن محمد بن زاغو»³ الذي قد يكون أخا أحمد وهما ابنا محمد الذي يكون قد عاش خلال القرن 8هـ/ 14م وأبوه عبد الرحمن هذا قد يكون جد أحمد بن زاغو عاش منذ القرن 7هـ/ 13م، قال ابن مرزوق الخطيب: «أبو زيد عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن زاغ»⁴. ثم قال ابن مرزوق الخطيب: «كان أبو زيد هذا فاضلا دينيا، كنت أبيت عنده وكان صديق والدي ومعاشره»⁵، والصدقة والمعاشرة قد يستنتج منها أنه قد يكون في سن والده الذي هو من مواليد 681هـ 1282م وتوفي 741هـ/ 1340م وعليه فشهرة هذا البيت بدأت من هذا القرن 7هـ/ 13م إلى أن برزت مع أحمد بن زاغو خلال القرن 9هـ/ 15م.

¹ - القلصادي: رحلته، ص 102.

- القرافي: توشيح الديباج، ص 41، رقم: 33.

- التتبيكتي، نيل، م: 1، ص 122، رقم: 106 - كفاية، ص 60، رقم: 58.

- ابن القاضي: درة الحجال، ص 36، رقم: 93.

- ابن مريم: البستان، ص 41.

² - الزركشي: تاريخ الدولتين، ص 140.

- الشفشاوني: دوحة الناشر، ص 110.

³ - يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج: 1، ص 121.

⁴ - ابن مرزوق الخطيب: المناقب المرزوقية، ص 223.

⁵ - ابن مرزوق الخطيب: المناقب المرزوقية، ص 223.

وزاغو قد تكون خفيفة على اللسان عند نطقها عوض الوقف على السكون زاغ ومن هنا يمكن أن نأخذ بالاسمين زاغ وزاغو.

2- نسب ابن زاغو والبيت المغراوي

إذا كانت نسبة بيت ابن زاغو تعود إلى زاغو وأبنائه الذين اشتهروا باسم جدهم فإن نسب هذا البيت قد قال عنه القلصادي في رحلته وهو يتكلم عن أحمد بن زاغو فقال: « له نسب أشهر من الشمس في السماء وحسب كاتساق عقد النجوم في بحر الظلماء»¹، وهذا كون أحمد بن زاغو يعرف بالمغراوي فيكون نسبه إلى قبيلة مغراوة البربرية، إذ هي من شعوب زناتة كانت لها شهرة في التاريخ، ومغراوة هم بنو يصلتين بن مسرا فهم إخوة يفرن ومواطنهم بالمغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان ولهم مراكز مع إخوانهم بني يفرن بالحصنة وجنوب أوراس وكان لهم في العصر الإسلامي ملك بفاس وسجلماسة وتلمسان وطرابلس وغيرها². ورئاسة زناتة كانت لمغراوة بعد الفتح الإسلامي³، وعلى هذا يكون بيت ابن زاغو بيت بربري من قبيلة مغراوة من زناتة، وهي من القبائل التي برزت في العصر الإسلامي منذ الفتح إلى عهد حضارة الدولة الزيانية ومساهمة أبنائها في تفعيل وتنشيط الحياة السياسية والثقافية.

3 - ابن زاغو بيت عريق بتلمسان

لقد ذكر القلصادي في رحلته أن شيخه أحمد بن زاغو هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني، فالمغراوي نسبا والتلمساني إقامة، وهذا البيت من بيوتات تلمسان القدامى حسب ما ذكر ابن مرزوق الخطيب فقال: « دار الفقيه القاضي الصالح أبي زيد عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن زاغ من كبار بيتات⁴ تلمسان القدامى

¹ - القلصادي: رحلة القلصادي، ص 102.

² - ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 131.

- ابن خلدون: كتاب العبر، ج:7، ص 02.

³ - ابن خلدون: كتاب العبر، ج:7، ص 02.

⁴ - هكذا جاءت مكتوبة.

أهل علم ورياسة وخطط مرعية»¹، إذن تاريخ استقرار هذه الأسرة بتلمسان قديم وقدمها قد يعود إلى حين بروز قبيلة مغراوة بعد الفتح الإسلامي وانتقال السيادة على مدينة تلمسان من الزعامة اليفرنية برئاسة أبي قرّة اليفرنى² إلى الزعامة المغراوية برئاسة محمد بن خزر بن صولات المغراوي الخزري في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وهو الذي بايع إدريس الأول سنة 173هـ / 789م³.

وما يمكن أن نخلص إليه هو أن بيت ابن زاغو من البيوتات العريقة بتلمسان كان لها إسهام حضاري عبر العهد الإسلامي بالمغرب الأوسط بصفة عامة وتلمسان بصفة خاصة على عهد بني زيان وهذا ما يتضح من خلال تتبع مسار علمائها.

ب- علماء بيت ابن زاغو

أ نجب علماء أجلاء شهرتهم كانت متفاوتة من عالم لآخر

1- الفقيه عبد الرحمن بن زاغ

هو أبو زيد عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن زاغ لم تشر إليه المصادر التاريخية العامة ولا مصادر السير والتراجم فكل ما لدينا نتف عن حياته ذكرها ابن مرزوق الخطيب⁴، فهو قد عاش من النصف الثاني للقرن 7هـ/13م إلى النصف الأول من القرن 8هـ/14م باعتباره صديق معاشر لوالده وصهره فزوجة عبد الرحمن هي خالة ابن مرزوق الخطيب، وعبد الرحمن هذا كان من علماء تلمسان وقضااتها، يقول ابن مرزوق: «الفقيه القاضي أبي زيد عبد الرحمن بن زاغ وكان يومئذ من العدول»⁵، وإشارة أخرى حيث قال: «وأخوه الفقيه

¹ - ابن مرزوق الخطيب: المناقب، ص 223.

² - أبو قرّة اليفرنى تزعم حركة الثورة ضد حكم الولاة بإفريقية وخرج عن الخلافة سنة 129هـ وبقي أربعين سنة يسلم عليه بالخلافة وملك كثير من بلاد المغرب وبلاد مغيلة بجبل ونشريس من عمل تاهرت وبالمغرب مما يلي تامسنا، مفاخر البربر، ص 192.

³ - ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 25.

- مفاخر البربر، ص 192.

⁴ - ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص 223.

⁵ - ابن مرزوق: المناقب، ص 237/ الورقة 90.

أبو عمر ميمون»¹. ومن أبناء عبد الرحمن محمد وكل ما تم الوقوف عليه هو اسمه فقط، ومن أبنائه علي وأحمد وهما حفيدا أبي زيد عبد الرحمن.

2- الولي الصالح علي بن زاغو

هو أبو الحسن علي بن محمد بن زاغو ذكره يحي بن خلدون وقال عنه: «من كبار الأولياء المشهورين»² ثم قال: «وله الآن (في حدود سنة 774 هـ 1372 م وسنة 775 هـ/ 1372 م)»³، خلف بالبلد أي بتلمسان وأثنى خيرا على هذا الخلف فهو أهل عدل وثقة وصاحب خير سواء من حيث التدين والأخلاق الفاضلة أو من حيث العلم والمعرفة، ثم ختم كلامه عن هذا الفقيه الصالح المتبذل المرحوم بالدعوة الصالحة له ولخلفه وسلفه فقال: «بارك الله فيهم»⁴. أما معلومات أخرى عن سنوات الولادة والوفاة والنشأة والتعليم والمشايخ فهي لم ترد والمصدر الوحيد الذي أشار إلى هذا النزر القليل من هذا العالم هو يحي بن خلدون دون غيره⁵.

3- العالم الفقيه أحمد بن زاغو

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ولد بتلمسان في حدود سنة 782 هـ/ 1380 م فنشأ بها وأخذ عن علمائها ومنهم سعيد العقباني وعبد الرحمن الشريف، فحصل مختلف العلوم النقلية والعقلية خاصة وأن هذين الشيخين قد برزا في مختلف هذه العلوم فكان صاحب تكوين جامع وشامل. أما عن رحلته العلمية خارج تلمسان فلم تذكرها المصادر⁶ وقد كانت هذه الرحلة ضرورية لتدعيم التكوين العلمي وتبادل المفاهيم والشروح نحو حواضر المغرب الإسلامي ونحو المشرق الإسلامي وارتباطها بفريضة الحج.

¹ - ابن مرزوق: المناقب، ص 298.

² - يحي بن خلدون: البيغية، ص 121.

³ - هو التاريخ المرجح لتأليف بغية الرواد، عبد الحميد حاجيات: مقدمة التحقيق، ص 50.

⁴ - يحي بن خلدون: نفسه، ص 121.

⁵ - نفسه: ص 121.

⁶ - القلبي: توشيح الديباج، ص 41، رقم: 33. - التتبعي: نيل الابتهاج، م: 2، ص 122، رقم: 106.

- كفاية المحتاج: ص 60، رقم: 58. - ابن مريم: البستان، ص 41.

وعن مستواه العلمي فقد نال الدرجة العليا وبرز في علم التفسير وعلم الحديث وأصول الفقه والمنطق والتصوف وهذه شهادة تلامذته وعلى رأسهم علي القلصادي حيث قال في رحلته: « شيخنا وبركتنا الإمام المصنف المدرس المؤلف أعلم الناس في وقته بالتفسير، وأفصحهم في التعبير، أخذ مذهب الإمام مالك وفاق نظراءه وأقرانه في دلائل السبل والمسالك إلى السبق في الحديث والأصول، وقدمه راسخة في التصوف مع الذوق السليم والفهم المستقيم»¹.

درس بالمدرسة اليعقوبية وانتفع منه الطلبة وتخرج عليه علماء أجلاء بفضل إخلاصه وتفانيه في عمله خاصة وأنه كان من العلماء العاملين الصالحين إذ كان القدوة في التصوف والزهد سلوكاً وتأليفاً، فهو الناسك العابد المقبل على الآخرة المعرض عن الدنيا العال عن زخرفها، فهو لا يأخذ منها إلا حسن الثوب وجمال الهيئة، فكان صاحب الهمة العالية والفضائل السامية، له تأليف في مختلف العلوم والفنون.

وبعد أن عمّر 63 سنة تعرّض الشيخ أحمد بن زاغو لمرض وبائي مات على إثره يوم الخميس وقت العصر 14 ربيع الأول 845هـ / 2 أوت 1441م صلي عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة ودفن بعين وانزوتة² بطريق العباد³.

4- العالم محمد بن أحمد بن زاغو

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن زاغو وهو ابن الإمام أحمد بن زاغو، من فقهاء وعلماء تلمسان، أخذ عن والده وغيره من علماء تلمسان، ولقد جاءت ترجمته في المصادر مقتضبة جداً ومحدودة لم تتعرض لمولده ونشأته وتعلمه ونشاطه،

¹ - القلصادي: رحلته، ص 102 و 103.

² - عين وانزوتة: كانت مقبرة بها في العباد السفلي وهي في الجنوب الشرقي لتلمسان، كانت بها عين تجري ولا زالت باقية إلى يومنا هذا. - ابن خلدون يحي: البغية، ص 107 و 122.

³ - الزركشي: المصدر السابق، ص 140. - التبتكتي: نيل م: 1، ص 124، كفاية المحتاج، ص 62، رقم: 58.

- ابن مريم: البستان، ص 43. - ابن القاضي: درة الحجال، ص 36، رقم: 93.

- مخلوف: شجرة النور، ص 254، رقم: 921. - نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص 156.

أشارت إلى رحلته نحو المشرق لأداء فريضة الحج، جلس للعلماء واستفاد منهم في مختلف العلوم الإسلامية، وبعد عودته من الحجاز توفي سنة 849هـ / 1445م حسب ما ذكره الونشريسي في وفياته¹.

وسنة الوفاة هذه جاءت بعد وفاة والده بأربع سنوات مما يعني أنه لم يعمر كثيراً فقد مات كهلاً².

¹ - ابن القاضي: درة الحجال، ص 277، رقم: 814.

- التنبكتي: نيل م: 2، ص 206، رقم: 636. كفاية المحتاج، ص 413، رقم: 545.

- نويهض: المرجع السابق، ص 157.

² - كهل: هو من جاوز الثلاثين من عمره وقارب الخمسين، الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص 950.

المبحث الرابع: بيت بن هدية

بيت بن هدية وهو من البيوتات التي سجّلت أسماءها في سجّل حضارة تلمسان الزيانية، حيث أدت واجبها في هذه المساهمة التاريخية ويمكننا تتبعها من خلال النقاط التالية:

أ- التعريف ببيت بن هدية ونسبه

لماذا اسم بن هدية؟ وما هو نسبهم؟ وكيف قدموا إلى تلمسان؟

1- التعريف ببيت بن هدية

بيت بن هدية عرف بهذا الاسم " بن هدية" نسبة للجد الثاني للعالم محمد بن منصور بن علي بن هدية الذي توفي سنة 735 هـ / 1334م¹، ولعلّ فضل وطيبة هذا البيت عامة وهذا العالم خاصة، هو الذي جعل هذا الاسم يترسّخ وينقش في ذاكرة تلمسان الزيانية، وما قول الشاعر ابن حمادو² إلا دليل على ذلك:

لما رأوك هدية من ربهم * سموك بابن هدية فأجادوا³

ومن هنا كانت شهرة هذا البيت باسم بن "هدية" فالى من يعود نسب هذا البيت؟

2 - بيت بن هدية والنسب القرشي

عرف العالم الفقيه محمد بن منصور بن هدية القرشي من ولد عقبة بن نافع الفهري⁴، وعليه فنسب هذا البيت يعود إلى عقبة بن نافع الفهري القائد الفاتح رضي الله عنه، فهو من بني فهر وبنو فهر بطن من كنانة، فهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ويقال إنه من

¹ - ابن مريم: البستان، ص 235.

- المقرئ: نفح م: 5، ص 234.

- الحفناوي: تعريف الخلف ج: 2، ص 421.

² - ابن حمادو التلمساني من شعراء تلمسان عاش خلال القرن 8هـ/14م. يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج: 1، ص 116.

³ - يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج: 1، ص 116.

⁴ - يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج: 1، ص 116.

- المقرئ: نفح الطيب، م: 5، ص 234.

- ابن مريم: البستان، ص 25.

قريش¹، وقريش قبيلة من كنانة غلب عليهم اسم أبيهم ف قيل لهم قريش على ما ذهب إليه جمهور النسّابين²، وفهر أبو قبيلة من قريش وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة³، وبيت بن هدية هو من أصل عربي فهري قرشي كناني. وقد أجمعت على هذا النسب كل المصادر التي أشارت إلى هذا البيت وكذا المراجع التي نقلت عنها من خلال العالم الفقيه أبي عبد الله بن هدية بما لا يدع مجالاً للريب في هذا النسب.

3- البيت العريق بتلمسان: بن هدية

لقد ذكر المقرّي في نفعه نقلاً عن جده أبي عبد الله المقرّي أن سلف أبي عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية نزلوا قديماً بتلمسان⁴، وقبله ذكر ابن مرزوق الخطيب أبا عبد الله بن هدية فقال: «أبو عبد الله بن هدية... وهو من ولد عقبة بن نافع الفهري القرشي قديم الاستيطان بتلمسان وخلف ولدا خلفه»⁵ لكن دون تحديد زمن هذا القدم فهو مفتوح قد يعود إلى بداية عهد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب مع القرن الأول الهجري/ القرن السابع الميلادي من 50هـ/ 670م إلى 64هـ/ 683م⁶ إلى عهد الولاية مع محمد بن يزيد مولى قريش من 97هـ/ 716م إلى 100هـ/ 719م⁷ كما يمكن أن يعود إلى القرن 5هـ/ 11م مع هجرة القبائل العربية نحو بلاد المغرب، وفي كل الأحوال فإن استقرار هذا البيت بتلمسان عريق، ومنذ هذا الزمن وهم مستقرون بتلمسان إلى زمن ق 8هـ/ 14م. كما ذكر أبو عبد الله

¹ القلقشندي: نهاية الأرب، ص 394.

² القلقشندي: المصدر نفسه، ص 397.

³ القزويني الحسيني: أسماء القبائل وأنسابها، ص 218.

⁴ المقرّي: نفع الطيب، م: 5، ص 234.

⁵ ابن مرزوق الخطيب: المناقب المرزوقية، ص 175.

⁶ ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، ص 50.

- الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم، محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1، 1414هـ/ 1994م، ص 41.

⁷ الرقيق القيرواني: المصدر نفسه، ص 59.

المقري وهو يتكلم عن شيخه الفقيه بن هدية: « خلفه بها إلى الآن»¹ ولازال هذا اللقب تحمله بعض العائلات بتلمسان إلى يومنا هذا.

ب- علماء بيت بن هدية

ثلاثة علماء من هذا البيت أهداهم الله تعالى لتلمسان فكانوا اسما على مسمى وساهموا بنشاطاتهم المختلفة.

1- الكاتب القاضي محمد بن هدية

هو أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي الفقيه العالم الخطيب الكاتب القاضي، نشأ بتلمسان مع النصف الثاني من القرن 7هـ/13م وأخذ عن علمائها وكان له التحصيل الجيد والفهم الحسن للفقهاء والأدب وكان من أئمة اللسان لفصاحته وبلاغته، فتولى منبر الخطبة بالجامع الأعظم من أجادير فبرز خطيبا مصقعا بليغا متقنا في مذاهب القول، كل هذا أهله لتولي منصب القضاء، حيث كان صاحب سيرة حسنة فيه، ولما كان ذو بصر بالوثائق عينه السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول² كاتباً له وأصبح من مستشاريه المقربين إذ أنزله فوق منزلة الوزراء فهو لا يقضي شيئاً من أمور دولته إلا مشورته، ولما ثقل لسانه دعا ابنه منصور فقال له أكتب هذين البيتين فإني قد نظمتها على هذه الحالة:

إلهي مضت للعمر سبعون حجة † جنيت بها مما جنيت الدواهيا³

وعبدك قد أمسى رهين⁴ ذنوبه † فجد لي برحمتي منك نعم الدواهيا⁵

وبعد هذا المرض الذي ألزمه الفراش وافته المنية في أواسط سنة 735هـ/1335م وهذا بعد أن عمّر أكثر من 70 سنة، إذ قال في شعره: « الهى مضت للعمر سبعون حجة» أي

¹ - المقري: المصدر السابق، م: 5، ص 234.

² - حكم السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول من 718هـ/1318م إلى 737هـ/1337م.

- التنسي: نظم الدر، ص 289.

³ - الدواهيا: جمع دوه، وهو دعاء الربيع. - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص 1122.

⁴ - في البغية ليحي بن خلدون، ج: 1، ص 116: "رهين". وفي النفع للمقري م: 5، ص 235: "عليل".

⁵ - يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج: 1، ص 116. - المقري: نفع الطيب، م: 5، ص 235.

سبعون سنة مما يرجح أن ميلاده كان مع منتصف العقد السابع من القرن السابق سنة 665هـ/1266م.

وقد شهد جنازته السلطان أبو تاشفين وكانت جنازته عظيمة، وقد خلف بعض المصنفات منها "تاريخ تلمسان" و"شرح الرسالة"¹.

2- الفقيه القاضي منصور بن هدية

هو أبو علي منصور بن محمد بن منصور بن علي بن هدية، نشأ وعاش بتلمسان خلال القرن 8هـ/14م وأخذ عن علمائها البارزين ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى والشيخ الأبلي وكان هذا رفقة كبار علماء تلمسان أمثال أبي عبد الله الشريف، حيث يروي عبد الله الشريف عن أبيه أنه سمع الفقيه المحدث القاضي أبا علي منصور بن هدية القرشي يقول: «كل فقيه قرأ في زماننا هذا أخذ ما قدر له من العلم ووفق إلا أبا عبد الله الحسن بن علي فإن اجتهاده يزيد والله أعلم حيث ينتهي أمره»².

فقد كان الشيخ منصور فقيها ومحدثا وقاضيا، فقد خلف أباه بعد وفاته فقام بالقضاء خير قيام وتولى الخطابة بالجامع الأعظم بأجادير، وهذه إشارة عابرة ذكرها يحيى بن خلدون في بغيته³ وأكدها ابن مرزوق الخطيب⁴. وعن تاريخ وفاته قد يكون قبل سنة 775هـ/1373م باعتبار أن يحيى بن خلدون قال في نهاية ذكره للفقيه منصور بن هدية: «رحمة الله

¹- يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج:1، ص 116.

- المقرئ: نفح الطيب، م:5، ص 234.

- ابن مريم: البستان، ص 225.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج:2، ص 421.

- Bargès: Complément, p: 77.

- نويهض: معجم المؤلفين، ص 336.

²- ابن مريم: البستان، ص 171.

³- يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج:1، ص 116.

⁴- ابن مرزوق الخطيب: المناقب المرزوقية، ص 227.

عليه¹ وهذا يوحي بوفاته قبل هذا التاريخ الذي هو التاريخ المرجح لتأليف كتاب بغية الرواد².

3- الحافظ علي بن هدية

هو أبو الحسن علي بن منصور بن محمد بن منصور بن علي بن هدية فهو ابن العالم الفقيه منصور وحفيد الفقيه العالم محمد بن هدية، فقد ورث العلم والدين عن أبيه وجده وعدّ هو كذلك من علماء تلمسان فهو صاحب السلف الصالح، أشار إليه يحي بن خلدون إشارة مقتضبة فقال عنه: «الفقيه أبو الحسن علي خطيب الجامع الأعظم الآن على هدي سلفه الصالح من الدين والعلم والفضل ونزاهة الهمة، صدر من صدور الدراية والتدريس والخلق العظيم حفظه الله»³. فقد خطب بالجامع الأعظم لكن هل هذا الجامع هو بأجادير أو جامع تكرارت، ولكن المرجح أن الجامع المقصود هو جامع أجادير إذ قال: على هدي سلفه. ولقد كان صاحب فضل ونزاهة وعلو الهمة، وكان صدرا من صدور الدراية، فهو حافظ ومرجع أساسي يرجع له لضبط الأمور العلمية. وتولى التدريس وكان صدرا من صدوره، وخلقه كانت عظيمة فكان صاحب علم وعمل، وقد ختم يحي ابن خلدون كلامه بعبارة "حفظه الله" مما يدل على أنه كان حيا بتاريخ تأليف البغية 775هـ/ 1373م⁴.

¹ - يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج:1، ص 117.

² - حاجيات: مقدمة تحقيق بغية الرواد، ص 50.

³ - يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج:1، ص 117.

⁴ - يحي بن خلدون: نفسه، ج:1، ص 117.

المبحث الخامس: بيت ابن عبد النور

من البيوتات الأخرى التي أدلت بدلوها في بناء الصرح الحضاري بتلمسان بيت ابن عبد النور وكانت مشاركته من خلال النشاطات المختلفة لعلمائه .

أ- التعريف ببيت ابن عبد النور ونسبه

لماذا إسم ابن عبد النور ؟ والى من يعود نسب هذا البيت؟ وكيف استقر بتلمسان؟ ذلك ما يمكن تتبعه من خلال النقاط الآتية.

1- التعريف ببيت ابن عبد النور

عرف هذا البيت نسبة للعالم محمد بن عبد الله بن عبد النور الذي عاش ما بين النصف الثاني للقرن 7هـ / 13م إلى النصف الأول من القرن 8هـ / 14م¹، وقد كان لهذا البيت دور في تسجيل اسمه ضمن البيوتات التي أنجبت ثلة من العلماء أسهموا في تنشيط وتفعيل الحياة العلمية بتلمسان، وجدّ هذا البيت عبد النور قد عاش خلال القرن 7هـ / 13م، فالى ما يعود نسب هذا البيت؟.

2- بيت ابن عبد النور والنسب الصنهاجي

اشتهر هذا البيت بابن عبد النور وهو جدّ العالم محمد بن عبد الله وقد عرف كذلك بالندرومي نسبة لندرومة² وقد قال ابن خلدون عبد الرحمن عنه: «أبو عبد الله محمد بن عبد

¹ يحي بن خلدون: البغية، ج:1، ص 121.

- عبد الرحمن بن خلدون: رحلته، ص 58.

- ابن القاضي: درة الحجال، ص 202، رقم: 593.

- التتبيكتي: نيل الابتهاج، م:2، ص 59، رقم: 539.

: كفاية المحتاج، ص 313، رقم: 454.

² ندرومة: مدينة لطيفة بديعة تستند على السلسلة الجبلية الممتدة من جبل فلاوسن ضمن سلسلة جبال ترارة تبعد عن البحر بنحو 11 كلم وعن الغزوات بـ 18 كلم وعن تلمسان 60 كلم وهي ترتفع عن البحر بـ 420م.

- البكري: المصدر السابق، ص 80.

- الإدريسي: المصدر السابق، ص 254.

- المدني: كتاب الجزائر، ص 242.

النور من أعمال ندرومة ونسبه في صنهاجة¹، إذن فالمكان الأصلي لهذا البيت ندرومة ونسبه يعود إلى قبيلة صنهاجة²، دون ذكر البطن الذي ينتمي إليه خاصة وان صنهاجة من آخر قبائل بربر البرانس وهم قد انتشروا في كل أنحاء بلاد المغرب، لكن تقسيم المؤرخين لهم إلى طبقتين أو جيلين أو جهتين، فالطبقة الأولى أو الجيل الأول لمكانة وهم بإفريقية والأندلس وجغرافيا تعرف بصنهاجة الشرق أو الشمال، أما الطبقة الثانية أو الجيل الثاني لمسوفة ولمتونة وجغرافيا تعرف بصنهاجة الغرب أو الجنوب أو الصحراء³، والمرجح أن من سكن ندرومة من الجيل الثاني خاصة وأن المرابطين دخلوها سنة 490هـ/1097م⁴ وقد استقرت بها قبائل من المغرب الأقصى منها صنهاجة⁵، إذن بيت ابن عبد النور ذو نسب بربري برنسي صنهاجي.

3- بيت ابن عبد النور من ندرومة إلى بتلمسان

اشتهر بيت ابن عبد النور من خلال نشاط العالم الفقيه القاضي محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي، الذي عاش بندرومة وبرز بفقهه وعلمه، وعندما استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ/1336م ولي الإمام محمد بن عبد النور قضاء عسكره⁶، ومن هنا يمكن القول بما هو مؤكد أنه بداية من هذا التاريخ كان ابن عبد

¹ - عبد الرحمن بن خلدون: رحلته، ص 58.

² - صنهاجة: من أوفر قبائل البربر وهم ثلاث أمم البربر، هم أبناء صنهاج من بطون البرانسي من ولد برنس بن بر، وصنهاج هو ابن عاميل بن زعزاع بن قيمتا بن سدور بن مولان بن مصلين بن يبيرين ابن مكسيلة بن دقيوس بن حلال بن شرو بن مصرايم بن حام. - ابن خلدون: العبر، ج:6، ص 201.

- القلقشندي: نهاية الأرب، ص 317.

³ - ابن خلدون: العبر، ج:6، ص 241.

⁴ - حاجيات: الجزائر في التاريخ -عهد المرابطين، ص 298 وص 562.

⁵ - أهلها ينتمون إلى قبائل المغرب الأقصى كأسر الغماري والصنهاجي والزرهوني والحيايني والسعيدى والوزانى والعبدى والحوزي. عبد الوهاب بن منصور: مراجعة روض القرطاس، ص 508.

⁶ - ابن خلدون عبد الرحمن: رحلته، ص 58.

- ابن خلدون يحي: بغية الرواد، ج:1، ص 122.

- ابن القاضي: درة الحجال، ص 202، رقم: 593.

- التتبعتي: نيل الابتهاج، م:2، ص 59. كفاية المحتاج، ص 314.

- المقري: نفع الطيب، م:5، ص 230.

النور بتلمسان مستقرا بها فهو قد درس بها وبرز بها مع بداية القرن 8هـ/ 14م على يدي الشيخين ابني الإمام، إذ كان له نبوغ وذكاء مكناه من التحصيل العلمي، وهذا ما دفع بالإمامين إلى اقتراح اسمه على السلطان أبي الحسن المريني فقربه وولاه قضاء عسكره بتلمسان وكان له خلف بها.

ب- علماء بيت ابن عبد النور

أنجب هذا البيت ثلاثة علماء أجلاء كانت لهم مشاركة حضارية ويمكننا تتبع حياتهم ومنجزاتهم كالتالي:

1- الفقيه القاضي محمد بن عبد النور

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي الصنهاجي، تاريخ ميلاده لم تذكره المصادر، نشأ بندرومة وتعلّم على مشايخها ثم انتقل إلى تلمسان وأخذ عن علمائها وعلى رأسهم الأستاذان ابنا الإمام أبو زيد عبد الرحم وأبو موسى عيسى، وكان له التحصيل الجيد والفهم العميق لمختلف العلوم النقلية والعقلية وهذا بتقدير وتزكية من أستاذه، وفي هذا يقول عبد الرحمن بن خلدون: «وكان من جلة أصحابهما»¹.

عن الرحلة العلمية لم تشر المصادر إلى رحلته نحو حواضر المغرب الإسلامي، وذكرت رحلته نحو المشرق وكانت محطته بمصر حيث التقى بالقاهرة جلال الدين القزويني وحلبته² وعمق معارفه³، وعادة ما تكون الرحلة نحو المشرق مرتبطة بأداء شعيرة الحج ليعود بعدها إلى تلمسان وأصبح يعدّ من كبار علمائها وفقهائها، وفي هذا يقول يحيى بن خلدون عنه: «الشيخ الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد النور من الفقهاء المدرسين وأهل

¹ - ابن خلدون: رحلته، ص 58.

² - حلبة: جلوس القوم على الركبتين، وحلبة هي الدفعة من الخيل في الرهان وخيل تجمع للسباق، والمقصود هنا الحلقة العلمية والدفعة المتخرجة. فيروز آبادي: قاموس المحيط، ص 72.

³ - المقرئ: نفع الطيب، م: 5، ص 238.

الفتيا والدين المتين»¹. وعندما استولى أبو الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ/1336م بحث عن علمائها وسأل عن أجلاتها فأشار عليه ابنا الإمام بالشيخ ابن عبد النور لنبوغ تحصيله وتمكّنه من مختلف العلوم والفنون، فقرّبّه إليه ومكّنه من منصب قضاء عسكره وأصبح من مستشاريه المقربين، ثم رافق السلطان في رحلته نحو تونس سنة 748هـ/1347م وفي السنة الموالية 749هـ/1348م حل بتونس وباء الطاعون الجارف وكان ممن هلكوا فيه الشيخ محمد بن عبد النور² ودفن بالزلاخ³.

2- القاضي علي بن عبد النور

هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد النور وهو أخ العالم القاضي محمد ابن عبد النور، نشأ بتلمسان وأخذ وتكون على علمائها، حتى عدّ من فقهاؤها لكن منزلته العلمية لا ترقى إلى درجة أخيه محمد فهو أقل مستوى، وفي هذا يقول عبد الرحمن بن خلدون عنه: «وكان قد خلف بتلمسان أخاه عليا رفيقه في دروس ابن الإمام، إلا أنه أقصر باعا منه في الفقه»⁴، أما ابن مريم في بستانه وهو يميل إلى التعظيم والمبالغة فقال عنه: «كان زهنا ورعا من أكابر العلماء التلمسانيين»⁵.

تولى قضاء تلمسان بداية نائبا عن أخيه محمد ثم مستقلا بعد موته سنة 749هـ/1348م وفي هذه السنة رجع الأمير أبو عنان من تلمسان إلى فاس مغتتما الاضطرابات التي حصلت في المغربين الأدنى والأوسط ليخضع طاعة أبيه ويستتفر معه مقربيه ومنهم علي ابن عبد النور حيث ولّاه قضاء مكناسة وبقي في هذا المنصب إلى بداية عهد السلطان

¹ - يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج:1، ص 121 وص 122.

² - يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج:1، ص 122. - عبد الرحمن بن خلدون: رحلته، ص 58.

- التتبيكتي: نيل الابتهاج، م:2، ص 59، رقم: 539. كفاية المحتاج، ص 313، رقم: 454.

- المقري: نفع الطيب، م:5، ص 235.

- نويهض: المرجع السابق، ص 330.

³ - ابن القاضي: درة الحجال، ص 202، رقم: 593.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون: رحلته، ص 58.

⁵ - ابن مريم: البستان، ص 207.

أبي زيان محمد سنة 763هـ / 1362م وهو في كفالة الوزير عمر بن عبد الله¹، حينها اعتزل القضاء وسرحه الوزير فخرج حاجا سنة 764هـ / 1363م بأهله وولده وهو في حالة مرضية، ولما دخل بيت الله الحرام وأشرف على الكعبة الشريفة وشرع في طواف القدوم صعق مغشيا عليه وطيف به على تلك الحال، فوافاه أجله في الطواف ودفن بمكة المكرمة².

3- العالم محمد بن علي بن عبد النور

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد النور قال عنه يحيى بن خلدون بعد ذكر دفن أبيه علي بمكة المكرمة: «وله الآن بمصر ولد من أعلام فقهاء المالكية هو أبو عبد الله محمد»³. فهو من علماء المالكية بمصر، وقد ترك أبوه وصية عنه لأمير الحج يبلغها إلى أمير مصر يبلغها الخاصكي⁴ بإحسان خلافته، فولّي وظائف الفقهاء دون تحديد الوظيفة كالتدريس أو القضاء أو الإمامة فالمهمّ أنه كان يجري له مرتب شهريا، ولكن يبدو أن هذه الوظيفة لم تكن مرموقة وذات دخل مريح، حيث فكّر في عمل آخر، قال عنه ابن خلدون عبد الرحمن: «وكان له عفا الله عنه كلف بعمل الكيمياء⁵». ثم ارتحل من مصر إلى بغداد

¹ - هو عمر بن عبد الله الياباني وزير الدولة الذي تغلب على أمورها واستبد برأيه في تسيير شؤونها.

- ابن خلدون: كتاب العبر، ج:7، ص 421.

- الناصري: الاستقصا، م:2، ص 127.

² - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج:1، ص 122.

- عبد الرحمن بن خلدون: رحلته، ص 59.

- ابن مريم: البستان، ص 144.

³ - يحيى بن خلدون: البغية، ج:1، ص 122.

⁴ - هو يبلغا بن عبد الله الخاصكي الناصري من كبار أمراء المماليك، كان نائبا للشام في فترة حكم برقوق قام بالثورة

وتولى الحكم لبعض الوقت ثم قبض عليه. - ابن خلدون: رحلته، ص 59 وص 246.

⁵ - ابن خلدون: رحلته، ص 59.

وعمل الكيمياء هنا هو صناعة تتحلل تهدف إلى قلب المعادن إلى مواد أخرى، فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهباً والنحاس والقصدير فضة، ويحسبون أنها من إمكانات الطبيعة ولهم في علاج ذلك طرق مختلفة لاختلاف مذاهبهم في التدبير ومنها كذلك تزوير النقود، فهي تدليس وتزوير. عن هذا الموضوع ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ج:2، ص 682.

ومنها نحو الشمال إلى ماردين¹، واستقر عند صاحبها إلى أن هلك هناك بعد سنة 790هـ/1388م².

ألقاب وبيوتات أخرى:

هناك ألقاب أخرى نجدها في كتب التراجم عاشت بتلمسان لكن لا تنتمي لأسرة واحدة ومنها من لم يستقر كل أفرادها بتلمسان ومن ذلك:

التنسي: وهؤلاء نسبوا إلى بلدهم "تنس" ومنهم:

- أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي: صاحب رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب، توفي بتلمسان سنة 670هـ/1272م³ وقيل سنة 680هـ/1281م⁴.

- أبو الحسن بن يخلف بن عبد السلام التنسي: من علماء تلمسان وهو أخ إبراهيم، اتهم بالتواطئ مع المرينيين أثناء الحصار الأول فخرج إلى السلطان أبي يعقوب فبالغ في بره وواحتفائه إلى أن مات ودفن بالعباد سنة 689هـ/1290م⁵.

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي: مؤرخ الدولة الزيانية وصاحب نظم الدر والعقبان، توفي سنة 899هـ/1494م⁶.

الونشريسي: نسبة لجبال الونشريس.

¹ - ماردين: مدينة من بلاد الجزيرة شمال العراق وهي في جهة الشمال من الموصل وغرب حران، تابعة لدويلات إيلخانية واليوم هي تابعة لتركيا. - حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص 221 وص 227 وص 347.

² - ابن خلدون: رحلته، ص 59.

³ - مخلوف: شجرة النور، ص 288، رقم: 765. - نويهض: المرجع السابق، ص 84.

⁴ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج: 1، ص 114.

⁵ - يحيى بن خلدون: المصدر نفسه، ج: 1، ص 114.

⁶ - التتبيكتي: نيل م: 2، ص 260، رقم: 700، كفاية المحتاج، ص 453، رقم: 606.

- ابن مريم: البستان، ص 247.

- محمود بوعياض: تقديم تحقيق تاريخ بني زيان، ص 9.

- **الحسن بن عطية التجاني الونشريسي**: من فقهاء وعلماء مكناس وهو من قبيلة بني تجين من المغرب الأوسط، دخل إلى المغرب الأقصى مع أبيه الشيخ عطية واستقر بها، توفي عام 781هـ / 1379م¹.
- **يونس بن عطية التجاني الونشريسي**: وهو أخ الحسن، رحل مع والده عطية إلى حوز مكناسة تولى بها التدريس والقضاء، توفي سنة 816هـ / 1413م².
- **حسن بن عثمان بن عطية التجاني الونشريسي**: وهو ابن أخ السابقين، عاش بالمغرب الأقصى بحوز مكناسة وعد من علمائها وقضااتها، توفي بفاس سنة 788هـ / 1386م³.
- **عمر بن عثمان بن عطية التجاني الونشريسي**: وهو أخ حسن ولد بمكناسة، وبها نشأ وتعلم حتى عد من علماء اللغة العربية، توفي بفاس سنة 853هـ / 1431م⁴.
- **أحمد بن يحيى الونشريسي**: أبو العباس صاحب المعيار وحامل لواء المالكية على رأس المائة التاسعة، هو من أهل تلمسان وانتقل سنة 814هـ / 1411م إلى فاس إلى أن توفي بها سنة 914هـ / 1509م⁵.
- **ابنه عبد الواحد الونشريسي**: وهو الفقيه والأديب والقاضي، ولد بفاس ونشأ بها، تولى بها القضاء ثمانية عشر عاما ثم أصبح مفتيها إلى أن توفي سنة 955هـ / 1549م⁶.

¹- التتبعتي: نيل م: 1، ص 180، رقم: 164. - الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 1، ص 387.

²- التتبعتي: نيل م: 2، ص 331، رقم: 784. - نويهض: المرجع السابق، ص 346.

³- التتبعتي: نيل م: 1، ص 171. - المقري: نفح، م: 5، ص 352.

⁴- التتبعتي: كفاية، ص 227، رقم: 316. - الحفناوي: المرجع نفسه، ج: 2، ص 123.

⁵- الشفشاوني: دوحة الناشر، ص 48، رقم: 32. - ابن القاضي: درة الحجال، ص 49، رقم: 130. - التتبعتي: نيل م: 1، ص 144. - ابن مريم: البستان، ص 53.

⁶- التتبعتي: نيل م: 1، ص 322، كفاية المحتاج، ص 203، رقم: 301. - المقري: نفح م: 5، ص 204.

- الحفناوي: نفسه، ج: 1، ص 70.

المازوني: نسبة إلى مدينة مازونة

- أبو عمران موسى بن عيسى بن يحيى المازوني: الفقيه المدرس قاضي مازونة، له عدة مؤلفات منها مؤلف خاص يفقه القضاء سماه "الرائق في تدريس الناشئ من القضاة وأهل الوثائق"، وله ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، عاش خلال القرن 9هـ/15م بـمازونة، ولم يستقر بغيرها ومات بها¹.

- أبو زكرياء يحيى بن موسى المازوني: ابن الشيخ السابق الفقيه القاضي، من أعيان المالكية في عصره، نشأ في بلدته مازونة ثم انتقل إلى تلمسان وأخذ عن علمائها، تولى قضاء مازونة ثم انتقل إلى تلمسان، اشتهر بتأليفه لكتاب النوازل سماه "الدرر المكونة في نوازل مازونة"² وله مؤلفات أخرى، مات بتلمسان سنة 883هـ/1478م³.

السنوسي: ومن هؤلاء العلماء:

- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي: الحسني من جهة جدته لأمه إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، وهو كبير علماء تلمسان وشيخ زهادها، برز في التفسير والحديث وعلم التوحيد، ويتجلى ذلك من خلال مؤلفاته المتنوعة في العقيدة والتفسير والفقه والتصوف والمنطق والحساب، ولد عام 832هـ/1428م وتوفي سنة 895هـ/1490م وأشارت المصادر إلى أخيه من والده والذي كان شيخا صالحا زاهدا⁴.

¹- التتبيكتي: نيل م: 2، ص 302، رقم: 745، كفاية، ص 482، رقم: 646.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 2، ص 448.

²- حقق هذا الكتاب حساني مختار ونشره مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ط: 1، 2004.

³- التتبيكتي: نيل م: 2، ص 340، رقم: 798. كفاية، ص 509، رقم: 690.

- الحفناوي: المرجع نفسه، ج: 1، ص 220. - نويهض: المرجع السابق، ص 281.

⁴- التتبيكتي: نيل م: 2، ص 251، رقم: 699. كفاية، ص 445، رقم: 605.

- ابن مريم: البستان، ص 237. - ابن القاضي: درة الحجال، ص 204، رقم: 607.

- الحفناوي: نفسه، ج: 1، ص 207.

- **محمد بن محمد بن يحيى السنوسي**: وقد عرف بالوجدجي، عاش في القرن 10هـ/16م بتلمسان وهو من العلماء المتأخرين، كان ولياً صاحب كرامات وأشار صاحب البستان أنه أخذ عن والده محمد بن يحيى السنوسي التوحيد والفقهاء¹.

- **أحمد بن سعيد بن محمد بن إبراهيم السنوسي**: فقيه مالكي عاش خلال القرن 9هـ/15م ونشأ وتعلم بمستغانم² ثم رحل نحو المشرق وتولى قضاء دمشق³.

شقرون:

- **محمد بن صالح شقرون التلمساني**: عاش خلال القرن 8هـ/14م وكان من أصل أندلسي نسبة لجزيرة شقر بالأندلس⁴ وكان من جملة كتاب أبي حمو موسى الزياتي الثاني لمنزلته العليا في الشعر والأدب، كان حياً سنة 765هـ/1364م⁵.

- **أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني المعروف بشقرون**: فقيه مالكي وقارئ ومحدث، وهو من تلاميذ ابن غازي عاش من القرن 9هـ/15م إلى القرن 10هـ/16م، له عدة مؤلفات منها "الجيش الكمين في الكر على من يكفر عامة المسلمين" توفي بفاس سنة 929هـ/1523م⁶.

- **محمد بن هبة الله الوجدجي المعروف بشقرون التلمساني**: وهو من كبار علماء المالكية في وقته، وقد عرف بمالك الصغير، له مشاركة في عدة علوم نقلية وعقلية، تولى

¹ - ابن مريم: المصدر السابق، ص 265.

² - مستغانم: مدينة ساحلية قديمة بناها الأفارقة غرب مصب واد شلف بنحو 25 كلم وهي ذات حضارة منذ القدم ثم ازدهرت في العهد المرابطي حيث جدها يوسف بن تاشفين من مكان يدعى مشتي غانم ثم نما عمرانها وأصبحت تعرف بمستغانم في العهد الزياني والمريني حيث بنا الحسن المريني مسجدها الكبير سنة 740هـ/1340م. - البكري: المغرب، ص 69. - الإدريسي: نزهة، ص 171. - الوزن: وصف إفريقيا ج:2، ص 32.

- المدني: كتاب الجزائر، ص 237.

³ - نويهض: المرجع السابق، ص 179.

⁴ - بن رمضان شاوش محمد بن حمدان الغوثي: إرشاد الحائر إلى آثار أديار الجزائر، طبع وإشهار داود بريكسي، تلمسان الجزائر ط:1، 1422هـ/2001م، م:1، ج:2، ص 299.

⁵ - ابن خلدون يحيى: بغية الرواد، ج:2، ص 143.

⁶ - القرفي: توشيح الديباج، ص 89، رقم: 85. - التبتكتي: كفاية المحتاج، ص 146، رقم: 180.

الإفتاء بتلمسان ثم رحل نحو فاس وعظم شأنه عند السلطان السعدي الغالب بالله¹، وتولى التدريس داخل قصره ثم قلده الفتوى والرئاسة العلمية بمراكش، له عدة مؤلفات وتوفي بفاس عام 983هـ/1575م².

- محمد بن محمد شقرون بن أحمد المقرئ التلمساني: من علماء الأصول والحديث عد من كبار علماء المالكية في وقته، درس بالجزائر إلى أن توفي بها سنة 1084هـ/1677م³.

¹ - هو أبو محمد عبد الله بن المهدي الغالب بالله حكم من 965هـ/1557م إلى سنة 981هـ/1573م. - الناصري:

الاستقصا م:2، ص 246 وص 256

² - ابن القاضي: درة الحجال، ص 239، رقم: 665. - ابن مريم: البستان، ص 261. - مخلوف: شجرة النور، ص 285، رقم: 1086.

³ - نويهض: معجم، ص 189.

الباب الثاني
دور علماء البيوتات في الحياة العامة
بتلمسان

الفصل الأول
دور العلماء في الوظائف العامة

لقد كان لبيوتات العلماء أدوار هامة من خلال الوظائف التي مارسوها سواء في النشاط التعليمي أو في خطة الإمامة والخطابة والفتوى أو في خطة القضاء، فساهموا في تفعيل حركية هذه النشاطات مستفيدين من المؤسسات المنجزة ومؤدين لواجبهم الحضاري للدولة الزيانية

المبحث الأول: دور العلماء في التعليم

إن النشاط التعليمي هو القاعدة الأساسية لتربية الأجيال وتلقينها المعارف والعلوم ونشرها بين أفراد المجتمع وهو العامل الأساسي في تكوين العلماء في مختلف التخصصات حتى يقدر على دفع عجلة الحركة الفكرية والعلمية لتقود الأمة نحو التطور والازدهار الحضاري . وتلمسان لم تشهد نشاطا تعليميا مزدهرا ومنظما إلا في العهد الزياني، إذ اهتم السلاطين بالعلماء وتنافسوا في بناء المدارس واختيار العلماء المدرسين وجروا عليهم النفقات وما رحلة يغمراسن بن زيان إلى تنس إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم التنسي سنة 666 هـ / 1268 م إلا دلالة على عظيم الاهتمام بهذا القطاع حيث قال له:

"ما جئتك إلا راغبا فيك أن تنتقل إلى بلدنا وأن تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج"¹ وكان لبيوتات العلماء أدوار بارزة في تنشيط الحركة التعليمية والتي يمكن تتبعها من خلال الأدوار الثلاثة:

أ- من نشأة الدولة الزيانية إلى منتصف القرن 8هـ/14م

كان النشاط التعليمي في المؤسسات التعليمية من المساجد والمدارس إضافة إلى الكتاتيب والزوايا.

ومن المساجد العريقة جامع أجادير الذي بناه الأدارسة سنة 174هـ/790م والجامع الأعظم الذي بناه المرابطون بعد 475هـ/1082م ثم النقلة النوعية في المنجزات العمرانية بإنشاء أول مدرسة بالمغرب الأوسط في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول، وهي مدرسة أولاد الإمام أو المدرسة القديمة سنة 710هـ/1310م ثم أضاف لها مسجد أولاد الإمام، بعدها

¹ - التنسي: تاريخ بني زيان، ص: 126.

كانت المدرسة الثانية التي بناها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بعد 718هـ/1318م وكان الإشعاع التعليمي ينطلق من هذه المؤسسات ويمكن تتبعه من خلال أدوار العلماء .

1- ابنا الإمام عبد الرحمن وعيسى والمدرسة الأولى بالمغرب الأوسط

يكنى عبد الرحمن بأبي زيد المتوفى سنة 743هـ/ 1342م وعيسى بابي موسى المتوفى سنة 749هـ/1348م وكانت بداية مشوارهما التعليمي بالجزائر مع بداية القرن 8هـ/14م وكانت إفادتهما لأهل الجزائر كبيرة، ثم انتقلا إلى مليانة سنة 705هـ/1306م وبها درس ابن كاتبها محمد بن منديل ليرحلا بعدها نحو تلمسان وبها استقبلهما السلطان أبو حمو موسى الأول وأكرم إفادتهما وبنى لكل واحد منهما مسكنا وأسّس المدرسة سنة 710هـ/1310م وهي الأولى بالمغرب الأوسط وبها انتصب للتدريس حتى أن هذه المدرسة عرفت باسمهما، وقد مثلّ التدريس بهذه المدرسة مرحلة التعليم العالي حيث كانت تدرس العلوم الدينية، والنحو، والآداب، والعلوم الاجتماعية، والعقلية بنوع من التعمق والتفصيل¹ خاصة مع ابني الإمام إذ كان لهما الفضل في تجديد طرق التدريس:

- طريقة التدريس: كانت الطريقة المنتشرة هي اختيار كتاب معين في صنف العلم المراد دراسته فالطالب يقرأ والأستاذ يتولى الشرح والتحليل للطلاب لكن مع ابني الإمام تجددت الطريقة بالتدريس بالطريقة الحوارية التي نقلها من تونس إلى تلمسان بالسؤال والجواب، فكان لهما الفضل في التأسيس لإعمال الفكر للمسائل الفكرية لمختلف المواد حتى لا يكون الاقتصار على الحفظ فقط وهذا الحوار والتحليل بتنشيط الطلاب للوصول إلى استنتاجات علمية تحت إشراف وتوجيه الأستاذ².

- مواد التدريس: درسًا مختلف العلوم الدينية، واللغوية، والعقلية لكن يبدو أنهما اختصا في علوم الفقه والأصول والتفسير والحديث فكان إقبال الطلبة عليهما كبيرًا.³

¹ - حاجيات: الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة . العدد: 26، السنة 1975 م، ص: 138.

- فيلالي: المرجع السابق، ج: 02، ص: 352،

- بلعرج عبد الرحمن: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك مذكرة ماجستير إشراف الدكتور مبخوت بودواية قسم التاريخ جامعة تلمسان 2007 - 2008.

² - ابن خلدون: المقدمة، ج: 02، ص: 523، - فيلالي: المرجع السابق، ج: 02، ص: 353 .

³ - القرني: توشيح الديباج، ص: 131.

- **طلبتهما** : كان لهما الفضل والشرف في الإشراف على تخرج كبار علماء تلمسان إذ هما وضعا القاعدة الأساسية للنشاط التعليمي بتلمسان ومن هؤلاء العلماء الكبار الذين استفادوا منهما:

- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي توفي 759 هـ / 1358 م .
- أبو عبد الله محمد المقرئ توفي 759 هـ / 1358 م .
- أبو عبد الله محمد الشريف توفي 771 هـ / 1370 م .
- أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب توفي 781 هـ / 1379 م .
- أبو عثمان سعيد العباني توفي 811 هـ / 1408 م .
- أبو عبد الله اليحصبي: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسن اليحصبي المعروف بابن الياروني واليحصبي نسبة لبني يحصب¹ ولد ونشأ بتلمسان وأخذ عن العالمين ابني الإمام ثم انتقل إلى مدينة الجزائر، وقد انفرد بمعرفة مختصر ابن الحاجب الفقهي وله عليه شرح وقد حاز رئاسة العلم بالجزائر. وتاريخ وفاته غير معلوم إلى أن ابن فرحون ذكر في نهاية ترجمته: "وهو باق بالحياة نفع الله به"² وكان فرغ ابن فرحون من تأليف الديباج سنة 761 هـ / 1360 م مما يعني أن اليحصبي توفي بعد هذه السنة.

2- مدرس تلمسان وغرناطة أبو عبد الله المقرئ

أبو عبد الله المقرئ الجد، بعد تحصيله العلمي على مشايخ تلمسان ومجالسته للعلماء في رحلته العلمية، انتصب للتدريس بتلمسان وكان هذا مع بداية العقد الرابع في حدود سنة 730 هـ / 1329 م لكن تعليمه بتلمسان كان عابرا، إذ أن المصادر لم تشر إليه إلا بكلمة

- التبتكي: نيل الابتهاج، ج: 01، ص: 269، كفاية المحتاج، ص: 179 .

¹- بنو يحصب بكسر الصاد بطن من زيد الجمهور من حمير من القحطانية والنسبة إليهم اليحصبي بالفتح.

- القلقشندي: نهاية الأرب، ص: 449 .

²- ابن فرحون: الديباج، ج: 02، ص: 313 .

- بن رمضان: باقة السوسان، ص: 429 .

مدرّس¹. ودرّس بفاس حيث بنى له السلطان أبو عنان المدرسة المتوكلية²، أما عن رحلته إلى الأندلس واستقراره بغرناطة في أوائل جمادى الثانية 756 هـ / 1355 م وبها انتصب للتدريس وكان له الفضل أن أخذ عليه كبار علمائها وفي هذا يقول حفيده أبو العباس في نفحه: " وقد أخذ عنه رحمه الله تعالى جماعة أعلام مشهورين³ منهم:

- لسان الدين بن الخطيب ذو الوزارتين المتوفى سنة 776 هـ / 1374 م.
- ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون صاحب كتاب التاريخ المتوفى 808هـ/1405م.
- أبو عبد الله بن زمرك: هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي أبو عبد الله الغرناطي عرف بابن زمرك ولد سنة 733 هـ / 1332 م ونشأ بغرناطة وطلب العلم عن مشايخها كلسان الدين ابن الخطيب وأبي عبد الله المقرّي حيث قال التنبكتي فيه: "وانتفع بالقاضي المقرّي"⁴ ثم ارتحل نحو حواضر المغرب الإسلامي حتى أصبح عالما خطيبا وكاتبا ماهرا وأديبا وشاعرا، وقد تولى الكتابة والوراثة عن ابن الأحمر بعد ابن الخطيب، وكانت وفاته بعد سنة 795هـ/1393م⁵.
- أبو عبد الله محمد القيجاطي: هو محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الكتاني القيجاطي الغرناطي نشأ بغرناطة وأخذ عن علمائها ومنهم الإمام المقرّي وكان له التحصيل الكبير في مختلف العلوم وقد برز في علم القارلت حتى قال عنه صاحب النفح: "الأستاذ العلامة أبو عبد الله القيجاطي الآية في علم القارلت"⁶ وقد كانت وفاته سنة 811هـ/1408م⁷.

¹ يحيى بن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 121.

² قدوري الطيب: المرجع السابق ص: 552.

³ المقرّي: نفح الطيب، م: 05، ص: 340.

⁴ التنبكتي: كفاية المحتاج، ص: 375.

⁵ التنبكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 146 رقم: 587 . - كفاية المحتاج، ص: 374 رقم: 499.

- المقرّي: نفح الطيب، م: 07، ص: 145.

- محلوف: شجرة النور، ص: 233 رقم: 838.

⁶ المقرّي: النفح، م: 05، ص: 340 .

⁷ التنبكتي: النيل، م: 02، ص: 145 رقم: 586 . كفاية، ص: 373 رقم: 498

• إبراهيم بن موسى الشاطبي: هو إبراهيم ابن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق أخذ عن علماء غرناطة وعلماء المغرب ومنهم الشيخ أبو عبد الله المقرئ وقد اجتهد ووصل حتى عدّ من جهابذة العلم صاحب القدم الراسخة في سائر الفنون والمعارف. فهو الفقيه الأصولي المفسر المحدث اللغوي النحوي البياني الثقة للورع الصالح المتبع للسنة والمتجنب للبدعة له تأليف عدة منها الموافقات في الأصول، كتاب المجالس شرح فيه آيات وأحاديث البيوع للبخاري له شرح جليل على ألفية ابن مالك وكتاب عنوانه الإتقان في علم الاشتقاق وكتاب في أصول النحو. توفي بغرناطة سنة 790هـ/1388م¹.

• محمد بن علي بن علاق: هو أبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم بن علي بن علاق استفاد من الشيخ المقرئ بغرناطة وقد جمع الله تعالى له العلم الوفير والفهم الغزير حتى أصبح من حفاظ غرناطة وخطبائها وقاضي الجماعة بها له عدة شروح في الفقه وفتاوى نقل بعضها صاحب المعيار توفي عام 806هـ/1403م².

• أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد الرندي: ولد سنة 733 هـ / 1333 م شيخ العلماء والزهاد بفاس وإمام الصلحاء والعباد الفقيه العارف بالله أخذ وانتفع عن الإمام المقرئ لكن المصادر لم تشر إن كان أخذ عنه بغرناطة أم بعد ارتحاله إلى فاس بعد سنة 756 هـ / 1355 م، ومن هنا عدّ ابن عباد الرندي من علماء فاس، له تأليف عدة وخاصة في التصوف منها شرح الحكم العطائية حسن التصرف في طريقة الإمام الشاذلي توفي عام 792هـ/1390م³ قال فيه صاحب النفع: "إنه ممن يفتخر مولاي الجدّ رحمه الله تعالى بكون مثله تلميذا له"¹.

– ابن القاضي: درة الحجال، ص: 274 رقم: 799 .

– القرني: توشيح الديباج، ص: 200 رقم: 216 .

¹– ابن القاضي: درة الحجال، ص: 94 .

التبكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 33، رقم: 17 . كفاية المحتاج، ص: 91، رقم: 109 .

²– التبكتي: النيل، م: 02، ص: 144، رقم: 584 . كفاية، ص: 372، رقم: 496 .

– مخلوف: شجرة النور، ص: 247، رقم: 888 .

³– التبكتي: النيل، م: 02، ص: 139، رقم: 583 . كفاية، ص: 369، رقم: 495 .

وبهذا كان أبو عبد الله المقري مدرسا بارزا بتلمسان وبغرناطة خصوصا وأن بصماته واضحة على تلامذته وخاصة على إبراهيم بن موسى الشاطبي بتخصصه في الفقه وأصوله.

3- نموذج المربين والمدرسين أبو عبد الله الشريف:

بعد تحصيله العلمي عن علماء تلمسان ورحلته العلمية شرقا وغربا عاد إلى تلمسان ليستقر به المقام وينتصب للتدريس في حدود بداية سنة 741 هـ / 1340 م، وقد تفرغ كلية له واهتم به أكثر من أي نشاط آخر وقد كان صاحب مؤهلات تربوية وتعليمية فكان له شأن كبير في تربية الطلبة وتكوين العلماء وقد كان تعليمه بتلمسان على مرحلتين:

• المرحلة الأولى: امتدت نحو 12 سنة من عودته من الرحلة العلمية بعد سنة 741 هـ/1340 م إلى غاية رحلته نحو فاس سنة 753 هـ/1352 م².

• المرحلة الثانية: امتدت نحو 10 سنوات وتبدأ من عودته من فاس 759 هـ/1358 م بعد وفاة السلطان المريني إلى تلمسان بدعوة من سلطانها أبي حمو موسى الثاني والذي أكرمه حق الإكرام وبنى له مدرسة سنة 765 هـ/1464 م عرفت بالمدرسة اليعقوبية وبقي يدرس بها إلى غاية وفاته سنة 771 هـ/1369 م³.

و قد اعتمد في نشاطه التربوي والتعليمي على الأسس التالية:

- كسب الطالب:

يرى أبو عبد الله الشريف أن من أولويات النجاح العملية التربوية والتعليمية هو كسب الطالب وذلك بالتقرب منه وتفهمه والانشراح له وإحاطته بعناية الأبوة التربوية والعلمية من

- المقري: النفع، م: 05، ص: 341 .

- مخلوف: شجرة النور، ص: 238، رقم: 856 .

¹- المقري: النفع، م: 05، ص: 341 .

²- ابن خلدون: رحلته، ص: 70 .

- ابن مريم: البستان، ص: 165 .

- يحيى بوعزيز: مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر 2004 ص: 141

³- يحيى بن خلدون: البغية، ج: 01، ص: 120. - التبتكتي: النيل، م: 02، ص: 89، كفاية، ص: 338 .

- بوعزيز: مدينة تلمسان، ص: 143 .

خلال الاهتمام بشؤونه الاجتماعية ومن ذلك ما نكره التتبعي: " دخل عليه طالب فصيح فأعطاه وفرا، ثم دخل عليه مرة بفاس فسأله فذكر له أنه قرأ القرآن بالقرويين فما أعطاه أحد شيء فتأسف الشيخ لحاله، ففي الغد بعث أربعة من طلبته بأربعة قراطيس د لهم وقال لهم أحضروا مجلسه فإذا قرأ فارموا القراطيس بين يديه ففعلوا فأخذها الطالب ودعا لهم فعرف الناس حاله فانثالت عليه العطايا"¹ وكذلك مما ذكرته المصادر عنه: " سأله السلطان يوما عن مسألة أبي الحاجب الأصلي فقال له إنما يفهم هذه المسألة الطالب الفلاني وكان محتاجا فطلبه السلطان فقبل: إنه بسجلماسة فوجه لعاملها أن يعطيه نفقة وكسوة ويوجهه فوصل في أسرع وقت فبين المسألة بين يدي السلطان فسئل عن استفادها فقال: " من سيدي أبي عبد الله الشريف"².

هذه الرعاية من الأستاذ لطلبته وفتته إلى ملك قلوبهم، فأحبهم وأحبوه فكانت الملازمة والاتصال فوصلوا إلى التحصيل الكثير والفهم الجيد.

- توجيه الطالب نحو ميوله:

لم يكن الشيخ أبو عبد الله الشريف يجبر طلبته نحو تخصصات محددة وإنما كان يتركهم ويوجههم نحو العلوم التي يرغبون فيها فكل تخصص إلا به سعادة وهو ما يعبر عنه باللذة العلمية فكان يرتب كلا في منزلته ويترك كل واحد ورغباته وميولاته ومبدأه في ذلك قوله: "من رزق في باب فليزمه"³ وهذا ما مكنه من تفجير طاقات طلبته في مختلف أصناف العلوم والفنون. كل ورغبته وميوله إذ أن دافع الرغبة في التخصص معين ومحفز لطلب العلم والاستزادة منه دون كل ولا ملل .

- المرافقة الدائمة للطالب وإنصافه:

- ¹ - التتبعي: النيل، م: 02، ص: 92 . كفاية، ص: 339 .
- ابن مريم: البستان، ص: 169 .
² - التتبعي: النيل، م: 02، ص: 92 . كفاية، ص: 339 .
- ابن مريم: البستان، ص: 169 .
³ - التتبعي: النيل، م: 02، ص: 92 . كفاية، ص: 340 .
- ابن مريم: البستان، ص: 170 .

إن حبَّ العمل يدفع صاحبه إلى التفاني في واجبه والإخلاص فيه فيجتهد قدر المستطاع دون أي تقصير أو تهاون وهذا ما تجده عند الشيخ أبي عبد الله الشريف كما تصفه المصادر: كان أعز الناس عنده الطلبة فيلقاهم ببشاشة وطلاقة، فكان جميل العشرة بسأما منصفا حسن المجلس وسهولة فيضه وحلاوته، عذب الكلام ممتع للمتلقى برونق وطلاوة¹ فتعامله مع الطلبة كان تعاملًا نموذجيًا قوة للمربين والمدرسي يحمل كلام طلبته على أحسن وجوهه ويبرزه في أحسن صورة كان منصفا في البحث والمناظرة فمجلسه مجلس نزاهة ودراسة وتحقيق يفصل في كل مسألة ويدقق ويوجه الأسئلة إلى طلبته ويشجعهم على الإجابة ثم يكمل ما تبقى، فينصفهم في الوقت فكان يقسمه على الطلبة بالرمزية فسعادته مع طلبته فهو لا يؤثر على الطلبة غيره² كل هذا حفاظا على ربط تجاوب الطلبة وشد انتباههم حتى ينصتون جيدا ويستقبلون كلامه بكل تركيز فيكون التحصيل الجيد والفهم العميق.

بهذه المرتكزات استطاع الشيخ أبو عبد الله الشريف في مهمته التربوية والتعليمية وهذا ما عبر عنه عبد الرحمن بن خلدون في رحلته فقال: " انتصب لتدريس العلم وبثه فملاً المغرب معارف وتلاميذ"³.

وقد كانت الاستفادة منه كبيرة وتخرج عليه الكثير من الطلبة النجباء والعلماء الأجلاء منهم:

- ابنه أبو محمد عبد الله توفي سنة 792 هـ / 1390 م .
- الإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي توفي سنة: 790 هـ / 1388 م وقد انتفع به كثيرا، وخاصة في علم الأصول من خلال التعيد والتفريع فكان كتابه الموافقات في الأصول

¹ - التبتكتي: النيل، م: 02، ص: 95 . كفاية، ص: 342 .

- ابن مريم: البستان، ص: 173 .

² - التبتكتي: النيل، م: 02، ص: 96 . كفاية، ص: 343 .

- ابن مريم: البستان، ص: 174 .

³ - ابن خلدون: رحلته، ص: 70 .

- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد الرندي توفي سنة 792 هـ / 1390 م واستفاد منه كثيرا .
- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك توفي سنة 795 هـ / 1392 م .
- أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون توفي 808 هـ/1405 م .
- محمد بن يوسف القيسي: يكنى بأبي عبد الله ويعرف بالثغري الإمام العالم استفاد من الشيخ أبي عبد الله الشريف كثيرا حتى أصبح من كتاب السلطان أبي حمو موسى الزباني وقد عرف بالأديب والشاعر الكبير كان حيا سنة 776هـ/1374م¹ وله قصائد في احتفالية المولد النبوي الشريف وفي وصف تلمسان².
- محمد بن أبي البركات بن السكاك: يكنى بأبي يحيى واشتهر بابن السكاك ولما كان التنبكتي قد نكره في نيله بأبي البركات فإنه في كفايته نكره بأبي غالب أخذ عن الشيخ أبي عبد الله الفقه، والأصول، والتفسير فاستبحر في مختلف العلوم حتى عدّ من العلماء والأئمة تولى قضاء سبة ثم قضاء الجماعة بفاس له شرح للشفاي وكتاب في الأدعية وآخر سماه نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما عليهم من حقوق أهل البيت عليهم السلام³.
- إبراهيم المصمودي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى المصمودي، الصنهاجي من صنهاجة الغرب قرب مكناسة بها ولد ونشأ وأخذ عن علماء فاس وخاصة شريف العلماء أبي عبد الله ثم انتقل إلى تلمسان ولازمه بالمدرسة اليعقوبية حتى وفاته لينتقل بعدها إلى المدرسة التاشفينية للأخذ عن العلامة سعيد العقباني، حبه مذاكرة العلم لا يسمع بكبير في العلم أو منفرد بفن إلا اجتمع به وذاكره، فكان أعلم أهل وقته بالسير

¹ - التنبكتي: النيل، م: 02، ص: 152، رقم: 594 . كفاية، ص: 378، رقم: 507 .

- ابن مريم: البستان، ص: 222 . - بن رمضان: باقة السوسة، ص: 498 .

² - عن قصائده ينظر المقرئ: النفع، م: 04، ص: 263 . أزهار الرياض، ج: 02، ص: 329 .

³ - التنبكتي: نيل، م: 02، ص: 150، رقم: 590 . كفاية، ص: 377، رقم: 503 .

- ابن مريم: البستان، ص: 127 .

وأخبار السلف الصالحين، فقد أقبل على العلم والعبادة معا مجتهدا زها ورعا مثابرا على البر حتى عرف برئيس الصلحاء والزهاد والأئمة العباد صاحب كرامات مشهورة توفي عام 805هـ / 1403 م¹.

• يحيى السراج: هو أبو زكرياء يحيى بن أحمد السراج الفقيه المحدث الصالح انتهت إليه رئاسة الحديث في وقته وقد أخذ عن علماء فاس ومنهم الشيخ أبو عبد الله الشريف حيث قرأ عليه بفاس كتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي ومختصر المدونة للبرادعي وبعض الصحيح للبخاري ومسلم وبعض الموطأ وقد أجاز له أبو عبد الله الشريف هذه الكتب كما أخذ عنه المنطق وله فهرسته² وكانت وفاته بفاس سنة 803 هـ / 1401 م³.

كانت هذه عينة من طلبته ناهيك عن آخرين ومنهم ابناه عبد الله وعبد الرحمن اللذان لهما حلقاته في الفقه والتفسير وعلم الأصول والجدل والمنطق والهندسة والتصوف.

4- مدرس المغرب الإسلامي ابن مرزوق الخطيب

درس الشيخ ابن مرزوق الخطيب بداية بمدرسة العباد وهذا بعد سنة 735 هـ / 1334 م وهو لا زال يغترف من علم ابني الإمام والآبلي، ومحطته التالية في التدريس كانت بعد رحلته إلى الأندلس، حيث درس بغرناطة بالمدرسة الرسمية عند السلطان أبي الحجاج في الفترة الممتدة من 753 هـ / 1352 م إلى 754 هـ / 1353 م⁴.

¹ - التبتكي: نيل، م: 01، ص: 42، رقم: 22 .

- ابن مريم: البستان، ص: 64 .

- مخلوف: شجرة النور، ص: 249، رقم: 899 .

² - مخطوط فهرسه السراج، و: 168 نقلا عن بابا خويا، المرجع السابق، ص: 71 .

³ - التبتكي: النيل، م: 02، ص: 235، رقم: 791 . كفاية، ص: 506، رقم: 683 .

- ابن القاضي: نرة الحجال، ص: 448، رقم: 1456 . وذكر سنة وفاته 805 هـ .

⁴ - المقري: نفح، م: 05، ص: 392 .

من غرناطة ينزل إلى مدينة فاس ليتولى التدريس عند السلطان أبي عنان من سنة 754 هـ / 1353 م إلى غاية 758 هـ / 1357 م¹ وفي الفترة الأخرى عند السلطان أبي سالم من 760 هـ / 1359 م إلى 762 هـ / 1361 م² بعد ذلك كانت وجهته تونس حيث كلفه السلطان أبو إسحاق بالتدريس بمدرسة الشماعين وتسمى مدرسة الشماعية³ وبقي يعلم بها من سنة 765 هـ / 1364 م إلى سنة 772 هـ / 1371 م أي إلى غاية رحلته إلى الإسكندرية⁴ ومنها نحو القاهرة ليكرمه سلطانها الأشراف ويعينه في هيئة التدريس بأشهر مدارسها في الفترة الممتدة من سنة 773 هـ / 1372 م إلى أن توفي سنة 781 هـ / 1379 م⁵ ومن هذه المدارس التي درس بها مدرسة الشيوخونية والصرغتمشية والنجمية⁶.

وفي كل هذه المحطات برز من أكبر المدرسين وهذا لغزرة علمه وحسن أسلوبه وطريقة حواراه في إيصال المعلومات إلى الطلبة . ومن المواد التي كان يدرسها العلوم الدينية بصفة عامة وخاصة المواد التي برز فيها كالأصول والتفسير والحديث والفقه إضافة إلى فنون أخرى .

و قد تخرج عنه الكثير، من أشهرهم:

- 1- ابن فرحون الديباج المذهب، م: 02، ص: 294 .
- 2- ابن خلدون: التعريف، ص: 53 .
- 3- أنشأت هذه المدرسة على عهد مؤسس الدولة الحفصية أبي زكرياء يحيى الأول 627هـ/1228م إلى 647هـ/1249م وهذه قريبة من سوق الشماعين القديم بوسط تونس، الزركشي تاريخ الدولتين، ص: 24-32-71.
- Ata Allah dhina: les Etas de l'occident Musulman au XIII , XIV et XV Siècle institution gouvernementales et Administratives – Office des publication universitaires Alger Enal 1984 P: 310.
- 4- المقري: المصدر نفسه، م: 05، ص: 408 .
- 5- ابن خلدون عبد الرحمن: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، منشورات دار الكتب اللبناني للطباعة والنشر 1979 ص: 56.
- المقري: فح الطيب م: 5، ص: 414
- 6- ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، م: 03، ج: 06، ص: 272 . وهذه المدارس هي مفتوحة للمذاهب السنية الأربعة لتدعيم موقف الدولة ضد مذهب الشيعة وقد أنشأت على عهد الأيوبيون ثم صار المماليك على نهجهم، ينظر: ابن خلدون: رحلته، ص: 199 .
- المقريزي أحمد بن علي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية مكتبة الثقافة الدينية، ط: 02، القاهرة 1987، ج: 02، ص: 362 .
- الفلقشندي أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1985، ج: 04، ص 35 .

• **لسان الدين بن الخطيب**، هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الوزير والمؤرخ والأديب، ولد بمدينة لوثة¹ في 25 رجب 713 هـ / 1312 م نشأً بغرناطة ودرس على مشايخها فكانت استفادته كبيرة فهما وحفظاً فعظم شأنه فعينه السلطان أبو الحجاج في منصب كاتب، ثم ولاة الوزارة، وبقي مع السلطان الغني بالله على هذين المنصبين حتى لقب بذي الوزارتين الكتابة والوزارة إلى غاية سنة 760هـ/1359 م حيث رحل إلى فاس عند السلطان أبي سالم إلى غاية سنة 763 هـ / 1362 م ومنها عاد إلى منصبه إلى غرناطة ولكن علاقته فسدت مع السلطان فرحل نحو سبتة، ومنها إلى تلمسان سنة 773 هـ / 1372 م ومنها يعود إلى المغرب عند السلطان عبد العزيز ثم خليفته السعيد بالله ثم ابنه أحمد بن إبراهيم الذي اعتقله بإيعاز من سلطان غرناطة الغني بالله ووجهت له تهمة الزندقة والإلحاد وقُتل في أواخر 776هـ/1374م ولما كانت بعض المصادر تشير إلى تتلمذ بن الخطيب على الخطيب بصفة عامة فإن المقري تناولته بصفة خاصة كأحد شيوخه وأساتذته وأُفرد له ترجمة خاصة² وفترة التتلمذ غير مضبوطة فالعلاقة بينهما بدأت بالأندلس من موقعة طريف 740 هـ / 1339 م ثم أثناء تدريسه بغرناطة لكن أهم فترة هي التي كانت بالمغرب عند الملك أبي سالم من سنة 760هـ/1359م إلى 762هـ/1361م³ ورغم صغر الخطيب عن ابن الخطيب بسنين إلا أن حصول التتلمذ يعود إلى فارق دراسة ابن مرزوق الخطيب عن ابن الخطيب بالمشرق وقد قال فيه: " خلوب اللسان طيب الحديث مقدر الألفاظ عارف بالأبواب غاص المنزل بالطلبة منقاد

¹ - لوثة Loja مدينة أندلسية طيبة على نهر سنجل غرب غرناطة نحو 100 كلم وجنوب غرناطة نحو 60 كلم - الحموي: معجم، م: 05، ص: 26 .

- مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامي، ص: 175 .

² - المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 390 .

³ - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 03، ص: 125 .

- المقري: نفسه، م: 05، ص: 07 .

- ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، م: 03، ج: 06، ص: 244 .

- ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص: 372 .

الدعوة، بارع الحفظ أنيقه عذب التلاوة متنوع الرواية مشارك في الفنون من أصول وفروع وتفسير¹.

• **أبو العباس أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني**، ولد عام 740هـ/1339م وتوفي سنة 710هـ / 1407م هو إمام عالم وقاض فاضل له تأليف عديدة وشروح كثيرة منها "شرح ألفية ابن مالك" وأنوار السعادة في أصول العبادة وأنس الفقير وعز الحقيير وهو تراجم لرجال التصوف وكتاب الوفيات² درس على الخطيب بفاس التي رحل إليها سنة 759هـ/1358م وبقي بها 18 عام³ أي إلى غاية 772هـ/1371م وفي هذه الفترة درس ابن مرزوق بفاس من 760هـ/1359م إلى 762هـ/1361م وقد أخذ عنه ابن قنفذ الحديث وغيره⁴ وكانت وفاته سنة 809هـ/1406م⁵.

• **أبو القاسم بن أحمد البرزلي**، ولد عام 740هـ / 1339م وأخذ عن علماء تلمسان وفاس ثم رحل إلى تونس وأصبح مفتيها وحافظها وإمام الجامع الأعظم فهو أحد البارزين والحافظين للمذهب المالكي له ديوان كبير في الفقه والفتاوى وهو يقول في مشيخته: "وممن أخذت عنه الشيخ الفقيه الرحالة الراوية المحدث أبا عبد الله محمد ابن مرزوق الخطيب قرأت عليه شيئاً من الصحيحين والشافئيين⁶" وكانت وفاته في سنة غير مضبوطة ما بين 841هـ / 1437م إلى سنة 844هـ / 1440م⁷.

¹ - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 03، ص: 104 .

² - التتبعي: نيل، م: 01، ص: 110 . الكفاية، ص: 53 .

³ - التتبعي: نيل، م: 01، ص: 110 . الكفاية، ص: 53 .

⁴ - مخلوف: شجرة النور، ص: 250 . محمد الفاسي وادولف فور: مقدمة أنس الفقير، ص: ث .

⁵ - الزركشي: المدر السابق، ص: 123 .

- عادل نويهض: مقدمة تحقيق الوفيات، ص: 12 .

⁶ - ابن مريم: البستان، ص: 150 .

⁷ - مخلوف: نفسه، ص: 245 .

• **محمد بن أحمد بن محمد بن علوان:** يعرف بالمصري والتونسي عالم صالح وله أخذ عن ابن مرزوق في تونس في الفترة الممتدة ما بين 765 هـ / 1364 م إلى 772 هـ/1371م¹.

• **عبد الله بن محمد الشريف التلمساني،** المتوفى سنة 792 هـ/1390م أخذ من علوم الحديث بفاس في الفترة الممتدة ما بين 760 هـ/1359 م إلى 762 هـ/1361م².

• **أبو عبد الله بن زمرك،** المتوفى سنة 795 هـ / 1393 م تتلمذ على ابن مرزوق الخطيب وأخذ عنه الكثير من العلوم بغرناطة ما بين سنتين 753 هـ / 1352 م إلى 754 هـ / 1353م³.

وهناك علماء آخرين كان لهم شرف الأخذ والاستفادة من ابن مرزوق كخطيب كحفيدته

وغيره.

ب- دور العلماء في التعليم من منتصف القرن 8 هـ/14م إلى منتصف القرن 9 هـ/15م

هذه الفترة الزاهية التي ازدادت ازدهارا وتطورا بإنجاز المؤسسات الجديدة ومنها

المرينية:

أبو الحسن المريني وبنائه لمسجد العباد وبجانبه مدرسة العباد 747 هـ/1346م أبو عنان المريني وتأسيسه لمسجد سيد الحلوى وبجانبه مدرسة سيد الحلوى سنة 754 هـ/1354م أما الزيانية فهي بناء مدرسة اليعقوبية سنة 765 هـ/136م من قبل السلطان أبي حمو موسى الثاني وتشجيعه للعلماء. هذا فضلا عن بنائه لمسجد إبراهيم المصمودي، فكل هذه المؤسسات كانت مراكز للإشعاع المعرفي والتعليمي ودور البيوتات كان من خلال أنوار علمائها.

¹ - التبتكي: نيل، م: 02، ص: 156 .

- مخلوف: نفسه، ص: 243 .

² - التبتكي: نيل، م: 01، ص: 241 .

- ابن مريم: البستان، ص: 117 .

³ - المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 134 وص: 177 .

1- أستاذ المدرسة اليعقوبية عبد الله الشريف:

إذا كان التحصيل العلمي لعبد الله الشريف قد تم تحت إشراف وتوجيه ومتابعة أبيه فإن بداية حياته العلمية في نشاط التعليم قد تمت كذلك تحت إشراف والده إذ يمكن القول: إن تربصه في التعليم قد تم تحت إرشاده في حياته ليجلس مجلس أبيه بعد وفاته سنة 771 هـ / 1370 م وتابع طلبة أبيه تعلمهم عليه سالكا مسلك أبيه بل شهدوا له بتقدمه¹ فكان إقبال الطلبة عليه كبيرا من تلمسان وفاس وبجاية لتبحره في مختلف العلوم ومنهجه التعليمي وفق توجيهات أبيه حتى يتمكن من إيصال الفهم إلى المتعلم وذلك بسهولة الإلقاء وخفض الجناح حتى يكسب الطالب².

وقد درس بداية بالمدرس اليعقوبية ثم انتقل إلى حلقة الجامع الأعظم ثم انتقل إلى غرناطة وأقرأ هناك ثم عاد إلى تلمسان إلا أن أجله وافاه في البحر.

وقد كان يراعي تقسيم الوقت بين طلبته بالرملية كما يراعي توزيع العلوم إذا كان في الصيف يتناول العلوم العقلية من أصول، وبيان، وعربية . أما المواد الأخرى من العلوم النقلية فتكون في فصل الشتاء ومن الطلبة الذين أقبلوا عليه واستفادوا منه وبرزوا:

• **أبو بكر بن عاصم:** هو محمد بن محمد بن محمد أبو بكر عرف بابن عاصم الفقيه القاضي الرئيسي الوزير المعظم ولد في 12 جمادى الأولى 760 هـ / 1359 م نشأ بغرناطة وأخذ عن علمائها كأبي إسحاق الشاطبي وعبد الله الشريف التلمساني الذي استفاد منه الكثير في مختلف العلوم. له تأليف عدة منها تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام اعتمدها العلماء وشرحوها، وأرجوزة في علم الأصول: "نيل المنى في اختصار الموافقات" وقصيدة كنز المفروض في الفرائض وقصيدة إيضاح المعاني في قلعة الداني وأرجوزة الموجز في النحو . وفاته كانت في 11 شوال 829 هـ / 1426 م³.

¹ - التتبعتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 243 .

² - حاجيات: أبو حمو موسى الزياتي الثاني، ص: 169 .

³ - القرافي: توشيح، ص: 108، رقم: 120 .

- التتبعتي: نيل، م: 02، ص: 161، رقم: 604 . كفاية المحتاج، ص: 378، رقم: 508 .

- مخلوف: شجرة النور، ص: 247، رقم 891 . ونكره بأبي عبد الله وهو أبو محمد عبد الله الشريف .

• **أبو القاسم بن رضوان:** هو أبو القاسم بن محمد بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي الأندلسي، هو الكاتب الأعظم والوزير الأكرم استفاد من الشيخ الشريف عند قدومه إلى غرناطة وكانت وفاته سنة 780هـ/1378م¹.

• **أبو الحسن علي المغربي:** هو علي بن ثابت القرشي العالم الفقيه الأزهد أخذ عن علماء تلمسان منهم ابن مرزوق الخطيب وانتفع بالشيخ عبد الله الشريف بالمدرسة اليعقوبية حيث قال عنه: "انتفعت به في أصول الفقه أكثر من أبيه لحسن تقريبه وبسطه"². نزل مؤلفات كثيرة وصلت إلى ثمانية وعشرين في أصول الدين والحديث والتاريخ والطب، توفي في ذي القعدة 829 هـ / 1426م³.

• **محمد بن مرزوق الحفيد:** المتوفى سنة 842 هـ 1438 م الذي استفاد من علماء تلمسان وعلى رأسهم عبد الله الشريف الذي ترك بصماته واضحة في تكوين الحفيد خاصة في الفقه وفي الأصول وفي منهجه التعليمي.

هذا إضافة إلى علماء آخرين من تلمسان وفاس وبجاية.

2- الطريقة الحوارية وسعيد العقباني

بعد أن تعلّم وجالس كبار العلماء ونال التحصيل الكبير والفهم السديد لمختلف العلوم والفنون كان من اهتماماته الأولى في الحياة الوظيفية التدريس فانتصب له مدركا لرسالته النبيلة في تكوين الرجال والمحافظة على تواصل واستمرارية الدور الحضاري للأمة وقد درس بتلمسان وبجاية ووهران وسلا ومراكش وقد كان الفضل له في تكوين كبار علماء تلمسان منهم:⁴

• ابنه قاسم العقباني: توفي سنة 854 هـ 1450 م الذي أخذ تكوينه القاعدي عن أبيه في مختلف العلوم والفنون .

¹ - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 422، رقم: 1345 .

² - التتبعي: نيل . م: 01، ص: 377 .

³ - مخلوف: نفسه، ص: 252، رقم: 913 .

⁴ - بوعزيز يحيى: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي بيروت 1995، ج: 02

- ابن مرزوق الحفيد توفي سنة 842 هـ / 1438 م والذي استفاد منه كثيرا ومن غيره من علماء تلمسان حتى كان الجامع بين المنقول والمعقول بأوفر محصول.
 - إبراهيم بن موسى المصمودي الصنهاجي توفي سنة 805هـ/1403م إضافة إلى أخذه عن كبار العلماء بتلمسان كأبي عبد الله الشريف كبير مدرّسي تلمسان فإنه تمكن من تعميق وترسيخ علمه على الشيخ سعيد العقباني¹.
 - أبو يحيى عبد الرحمن الشريف توفي 826 هـ / 1423 م أخذ عن أبيه محمد وأخيه عبد الله ثم عمق معارفه على سعيد العقباني في الفقه والأصول والتفسير².
 - أبو العباس أحمد بن زغوا توفي سنة 845 هـ / 1441 م ويعدّ سعيد العقباني كبير شيوخه الذي يعود له الفضل في تعليمه وتكوينه خاصة في الفقه والأصول والمنطق³.
 - أبو عبد الله محمد المجاري: هو أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي الإمام القارئ الرحالة الدروي أخذ عن كبار شيوخ حواضر المغرب الإسلامي ببجاية كأبي القاسم المشدالي وبتونس الفقيه ابن عرفة وبتلمسان الإمام سعيد العقباني أخذ عنه واستفاد منه كثيرا. توفي سنة 862هـ/1459م ومن كتبه برنامجية المسمى برنامج المجاري⁴.
- هذا إضافة إلى طلبة آخرين تخرجوا عليه وهناك من لم يتمكنوا من ملازمته إلا أنه كان له الفضل في إجازتهم منهم:
- محمد بن عقاب الجذامي: توفي سنة 851 هـ 1447 م الذي أجازته الشيخ سعيد العقباني في العلوم النقلية بعد أن أخذ عن علماء تونس وأصبح من الأئمة المحققين⁵.

المواد المدرسة:

¹ - التبتكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 204 .
 - ابن مريم: البستان، ص: 106 .
² - التبتكتي: كفاية المحتاج، ص: 184 .
 - ابن مريم: البستان، ص: 128 .
³ - التبتكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 122 .
⁴ - أبو الأحنفان: تقديم برنامج المجاري، ص: 05 .
⁵ - مخلوف: شجرة النور، ص: 246، رقم: 884 .

- علم الفرائض: وكان يدرّسه من كتاب أبي القاسم أحمد بن محمد الحوفي الإشبيلي " ت. 588هـ/1192م "الموسوم بكتاب الحوفي لفرائض، فقد شرح محتواه ومكّن الطلبة من مبادئه¹.

- علم الأصول: وشرح له كتاب ابن الحاجب الأصلي².

- علم المنطق: واعتمد في ذلك على دراسة كتاب جمل الخونجي لفضل الدين الخونجي المتوفى سنة 646هـ/1248م³.

- الحساب والجبر: وذلك بشرح أرجوزة ابن الياسمين "ت. 601هـ/1204م "في الجبر والمقابلة وكتاب تلخيص أعمال الحساب لابن البنا المراكشي "ت. 721هـ/1320م"⁴.

طريقة التدريس:

تميز بمستواها العالي وأدائها الجيد فكان يحرص على الشرح المفصل لمضمون الكتاب ثم يناقشه مع طلبته بطريقته الحوارية حفاظا على شد انتباه طلبته وتوجيه تركيزهم نحو النقاط الأساسية ليصل إلى إملاء ملخصات من حافظته⁵ كما كان يتدرج في سير مراحل الدرس حسب قدرات فهم الطلبة مراعيًا في ذلك الفروق الفردية بين طلبته وحريصا على الحيوية التي تبعد الملل وتثري النشاط وفي هذا يقول: " يا ولدي أشياخنا الذين أخذنا عنهم يقولون عند إقرائهم لتلامذتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: " سيروا بسير الضعفاء " .⁶

¹- المجاري: المصدر السابق، ص: 129 .

²- الأنصاري: فهرست الرصاع، ص: 114 .

³- المجاري: نفسه، ص: 134 .

⁴- المجاري: المصدر السابق، ص: 129 .

- أحمد جبار، محمد أبلّاغ : حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد

الخامس الرباط، ط: 01، 2001، ص: 89 .

⁵- الأنصاري: فهرست الرصاع، ص: 114 .

⁶- الأنصاري: المصدر السابق، ص: 115 .

3- سليل المدرسين عبد الرحمن الشريف

يعرف ويكنى بأبي يحيى تكوّن على أبيه وأخيه وهو ثالث علماء بيت الشريف في سنة 784 هـ / 1382 م مرض أخوه عبد الله فأمره بالجلوس في موضعه للتدريس فامتتع تواضعا لأخيه وأبيه ولكن عندما أصرّ عليه أخوه تولى التدريس فكان حجة في إتقانه وآية لسلفه إذ تفرغ كلية للتعليم فهو لم يشتغل بوظيفة أو نشاط آخر حيث أفنى عمره في التعليم إذ درس نحو 42 سنة¹ وتخرج عليه علماء أفاضل منهم:

- **أبو زيد عبد الرحمن الجادري:** هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المديوني ثم الجاديري الفقيه الفاسي العالم المؤقت إذ اختص في علم الوقت² وقد أخذ عن عبد الرحمن الشريف ضمن بعثة طلبة فاس واستفاد منه خاصة في المنطق والحساب وهذا ما مكنه من ملازمة هذا الاختصاص حتى ألف فيه من ذلك " روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار" وكتاب "اقتطاف الأنوار" بين فيه العمل بآلة الاستطراب³ والحساب والجداول الخاصة بعلم الهيئة وكتاب آخر تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام . مولده في سنة 777 هـ / 1375 م ووفاته كانت في سنة 840هـ/1437م⁴.

- **أبو عبد الله محمد القيس:** توفي بعد 776هـ/1347م وقد أخذ عن والد عبد الرحمن وأخيه ورغم منزله العملية ومرتبته الوظيفية إذ كان كاتباً عند السلطان أبي حمو موسى

¹- التتبعي: نيل، م: 01، ص: 277 . كفاية، ص: 185 .

- ابن مريم: البستان، ص: 129 .

-الحفناوي، تعريف الخلف، ج: 02، ص: 11 .

²- علم الوقت: يعرف بأزمة الأيام والليالي وأحوالها ومنفعته في أوقات العبادات وتوخي وجهتها والطوالع والمطالع

للبروج الكواكب، ابن الاكفاني: المصدر السابق، ص: 206.

³- الإسطرلاب ك من أهم آلات الرصد التي اعتنى المسلمون بصناعتها والإسطرلاب كلمة يونانية بمعنى ميزان النجم أو مرآة النجم ومن اليونان أخذها المسلمون وأدخلوا عليه تحسينات بحث لم يعد قاصراً على رصد الكواكب والنجوم بل أصبح يستعمل في مواقيت الصلاة والتعرف على جهة القبلة ومعرفة الشرق والغرب وقد كان آلة تعليمية بامتياز وآلة حسابية لحل مسائل علم الفلك، أحمد عبد الرزاق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 - 1991م ص: 75- موسوعة تاريخ العلوم العربية إشراف: رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربية مؤسسة عبد الحميد شومان ط2 بيروت 2005 ج1 ص: 244

⁴- القرني: توشيح الديباج، ص: 102، رقم: 107. التتبعي: كفاية المحتاج، ص: 186، رقم: 251 .

الثاني إلا أن تواضعه للعلم دفعه للاستزادة من حلقة الشيخ عبد الرحمن الشريف مع بداية نشاطه التعليمي سنة 784هـ/1382م¹ هذا إضافة إلى علماء آخرين سبق التطرق لهم.

- أبو الفضل بن مرزوق الحفيد: توفي سنة 842هـ/1438 م.
- أبو العباس أحمد بن زاغو توفي سنة 845هـ/1441م وقد نقل لنا التتبكتي شهادة أبي يحيى المطفري فقال: "حضرت مجالس العلماء شرقا وغربا فما رأيت ولا سمعت مثل أبي عبد الله وولديه"².

4- خبير المعلمين ابن مرزوق الحفيد

بعد رحلته العلمية والتكوينية مغربا ومشرقا يعود إلى تلمسان بعد سنة 790هـ/1388م فينتصب للتدريس والعطاء بعد الأخذ إلى غاية 816هـ/1416م حيث يتوجه نحو البقاع المقدسة ليعود بعد ذلك إلى تلمسان ويواصل مهنته الشريفة بكل حزم وعزم ليثبت جدارته وكفاءته، فينفذ عليه الطلبة من كل أنحاء المغرب الإسلامي واستمر في التدريس حتى وفاته أي نحو 50 سنة قضاها في التعليم وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء الأجلاء ومن تلامذته³:

- عبد الرحمن الثعالبي: هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي من مواليد 786 هـ / 1385 م بجنوب شرق الجزائر أخذ عن علماء الجزائر وبجاية ثم تونس وبها أخذ عن ابن مرزوق الحفيد الحديث من موطأ مالك وعلم القارطت وأجازه وأذن له وقد قال عنه: "وقدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق فأقام بها وأخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطأ"⁴ وواصل رحلته العلمية نحو المشرق ليعود إلى الجزائر وينصب للتدريس والتأليف حيث يذكر أن له أكثر من سبعين كتابا على رأسها "الجواهر

¹ - التتبكتي: كفاية المحتاج، ص: 378، رقم: 507 .

- ابن مريم: البستان، ص: 223 .

² - التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 276.

³ - التتبكتي: نيل، م: 02، ص: 17.

⁴ - التتبكتي: المصدر السابق، م: 02، ص: 176. ابن مريم البستان، ص: 206 .

الحسان في تفسير القرآن" وتولى الخطابة بجامعة الأعظم بالجزائر ثم تولى قضاء الجزائر وتخلّى عنه إلى أن جاءت المنية سنة 875هـ/1471م.¹

• **عمر القلشاني:** نشأ ببجاية وأخذ عن أبيه ثم انتقل إلى تونس وبها أخذ عن الحفيد صحيح البخاري ثم تولى التعليم ثم ارتقى إلى منصب القضاء فأصبح قاضي تونس وكانت وفاته سنة 848هـ/1444م.²

• **نصر الزواوي:** عالم صالح يعدّ من أكبر تلاميذ ابن مرزوق الحفيد أخذ عنه بتلمسان مختلف العلوم الدينية ثم رحل نحو المشرق وأقام بالقدس الشريف نحو 20 سنة إلى أن توفي ودفن بها عام 826 هـ/1422 م.³

• **الحسن بن مخلوف الراشدي:** هو الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي أبو علي اشتهر بأبركان ومعناه بالبربرية " الأسود " أخذ عن علماء تلمسان وعلى رأسهم الإمام إبراهيم المصمودي والإمام ابن مرزوق الحفيد فاستفاد منهما كثيرا حتى أصبح يعدّ من العلماء وممن أخذ عنه الإمام القلصادي والسنوسي والحافظ التنسي وكان له إسهام في التأليف منه "المشعر المهياً في ضبط مشكل رجال المؤطأ" و " الزند الواري في ضبط رجال البخاري " و " فتح المبهم في ضبط رجال مسلم " و " الثاقب في لغة ابن الحاجب " وكانت وفاته سنة 867هـ/1464م.⁴

¹ - التتبيكتي: نفسه، م: 01، ص: 282، رقم: 306 .

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 73.

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981، ج: 01، ص: 83 . - - عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص: 167 .

- الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج: 4، ص: 272 .

² - السخاوي: الضوء اللامع، م: 03، ج: 06، ص: 138 .

- القلصادي: رحلته، ص: 161 .

- اتتبيكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 342، رقم: 381 .

³ - ابن مريم: البستان، ص: 295 .

- نويهض: المرجع نفسه، ص: 167 .

⁴ - القلصادي: رحلة، ص: 108 . التتبيكتي: نيل، م: 01، ص: 174، رقم: 168 .

- ابن مريم: البستان، ص: 74 .

- إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني: ولد عام 796هـ/1394م تعلم وتفقّه ببجاية ثم رحل نحو تونس ليعود منها إلى قسنطينة وبها أخذ عن ابن مرزوق الحفيد عندما حط بها وهو متوجه نحو البقاع المقدسة للمرة الثانية سنة 819هـ/1416م حيث إستفاد من علم الأصول والمنطق والبيان والفقّه له إسهام في التصنيف منها " تفسير القرآن الكريم " وشرح ألفية ابن مالك و"تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل " وفاته كانت سنة 857 هـ / 1453 م¹.
- أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن الندرومي: ويعرف بابن الأستاذ الندرومي أخذ عن الحفيد بتلمسان ثم رحل نحو القاهرة وتصدر للإقراء حيث أصبح من كبار علماء القارط قرعة وتعلّما، كما له إحاطة بعلم المنطق، من مؤلفاته "كفاية العمل " اختصر فيه شرح ابن مرزوق الحفيد على جمل الخونجي كان حيا بعد 830 هـ 1427 م².
- يحيى المازوني هو يحيى بن أبي عمران موسى عيسى المازوني: فقيه وقاضي تلمسان أخذ عن علماء تلمسان أبرزهم ابن مرزوق الحفيد الذي انتفع به في شتى العلوم فبرز مع كبار علماء تلمسان وكان له إسهام في التصنيف أشهرها الموازن المسموعة " الدر المكونة في نوازل مازونة " جمع فيه فتاوى العلماء المتأخرين ومنها فتاوى شيخه الحفيد توفي الإمام المازوني سنة 883هـ/1478م.³ بالإضافة إلى تلاميذ آخرين عوّا من كبار العلماء في بلاد المغرب الإسلامي وهذا ما يدل على عظمة الرجل من خلال:

- نويهض: نفسه، ص: 14 .

¹- التتبيكتي: النيل، م: 01، ص: 45، رقم: 24 .

- الحفناوي: المرجع السابق، ج: 01، ص: 247 .

²- التتبيكتي: نيل، م: 01، ص: 125، رقم: 108 .

- ابن مريم: البستان، ص: 44،

- الحفناوي: نفسه، ج: 01، ص: 32 .

- نويهض: المرجع نفسه، ص: 329 .

³- التتبيكتي: نيل، م: 02، ص: 340، رقم: 798 .

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 220 .

- موسوعية ابن مرزوق الحفيد: إذ أنه درّس مختلف العلوم العقلية والنقلية والتي برز فيها وهي تتجلى في مصنفات تلامذته .

- تفسير القرآن الكريم لإحاطته بعلومه وتضلعه اللغوي والنحوي .

- علوم الحديث إذ كان حافظاً وقد أجاز على كتب الصحاح ومنها صحيح مسلم وصحيح البخاري وموطأ الإمام مالك

- فقه المذاهب عامة ومالك خاصة.

- القراءات.

- المنطق.

- منهجه التعليمي وكان قد تأثر في ذلك بأستاذه أبي عبد الله الشريف وسعيد

العقباني إذ تقرب من الطلبة فكسبهم وتواصل معهم بالحوار والمناقشة فالشرح والتحليل وصولاً إلى الاستنتاج.

- خبرته الطويلة إذ أنه درّس نحو خمسين عام فتمكن من أساليب الشرح والتبسيط

لتقريب الفهم وترسيخه في ذهن الطالب فكان عالماً أستاذاً مدرّساً.

5 - التوزيع السنوي عند أحمد بن زاغو

أبو العباس أحمد بن محمد بن زاغو أخذ عن شيوخ تلمسان الكبار كما سبق ذكر ذلك، كسعيد العقباني وعبد الرحمن الشريف. ثم تولى التدريس في المدرسة اليعقوبية مجتهد بكل إخلاص وهذا مع بداية القرن 9 هـ / 15 م واستمر في التعليم إلى غاية وفاته نحو 40 سنة وكان له برنامج خاص للتوزيع السنوي¹.

- في فصل الشتاء: تدريس مواد الفقه والحديث والتفسير.

- في فصل الصيف: تدريس الأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة.

¹ - الفلصادي: رحلته، ص: 104 . ابن مريم: البستان، ص: 43 .

- في يوم الخميس والجمعة: التصوف قصد تزكية النفوس ومن الطلبة الذين كان لهم الفضل في الاستفادة منه:

- أبو زكرياء يحيى بن موسى المازوني: توفي 883 هـ / 1478 م إضافة إلى أخذه عن الشيخ ابن مرزوق الحفيد فإنه استفاد كذلك من الشيخ أحمد بن زغو واستمتع به كثيرا.¹
- محمد بن عبد الله التنسي: توفي 899 هـ 1494 م وقد أخذ عن شيوخ تلمسان ومنهم أحمد بن زغو واستفاد منه في مختلف العلوم النقلية والعقلية حتى أصبح حافظ تلمسان لكثرة حفظه وتحقيقه ودقته².
- أحمد بن محمد بن زكري: يعرف بالمانوي التلمساني، ولد بتلمسان ونشأ بها مات أبوه وتركه صغيرا لأمه وعندما نضج أدخلته ليتعلم النسيج حتى أصبح حائكيا وعندما رآه الشيخ أحمد بن زغو أعجبه صوته لتلاوة القرآن ونكائه لطلب العلم فقال له: " مثلك يشتغل بالعلم لا الحياكة " ³ فاتصل بأمه وسألها عن أجرته في الطراز فقالت نصف دينار فقال لها أعطيك نصف دينار مسبقا في كل شهر واتركيه يتفقه فرضيت فاتجه مباشرة نحو طلب العلم فأخذ عن الشيخ أحمد بن زغو فضلا عن قاسم العقباني وابن مرزوق الكفيف وبعد تعلمه أصبح من الفقهاء العلماء أصوليا فروعيا، ومفسرا ببيانها، ومنتقيا حتى عدّ من كبار علماء تلمسان. اشتغل بالتدريس وأخذ عنه خلق كثير منهم ابن مرزوق حفيد الحفيد الذي استفاد منه في علم الأصول والبيان وللشيخ ابن زكري تأليف كثيرة منها في القضاء والفقه والعقيدة ومنظومة في 1500 بيت في علم الكلام أسماها " محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد " و" بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب " وشرح الورقات لإمام الحرمين في أصول الفقه⁴.

¹- التتبيكتي: كفاية المحتاج، ص: 509، رقم: 690 . الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 221 .

²- التتبيكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 260 . كفاية المحتاج، ص: 453 . ابن مريم: البستان، ص: 248

- محمود بوعياذ: تقديم وتحقيق تاريخ بني زيان، ص: 15

³- التتبيكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 137 .

⁴- التتبيكتي: نفسه، م: 01، ص: 136، رقم: 124 .

- ابن مريم: البستان، ص: 38 .

• أبو الحسن علي القلصادي توفي سنة 891 هـ / 1486 م وقد اشتهر بكتاب رحلته الموسوم بتمهيد الطالب ومنتهى الـرغب إلى أعلى المنازل والمناقب¹ وفيه يذكر زيارته لتلمسان سنة 840 هـ / 1436 م وجلس إلى علمائها ومنهم أحمد بن زغو حيث استفاد منهم في مختلف العلوم² وخاصة في التفسير إذ يقول: " كان أعلم الناس في وقته في التفسير وأصحهم في التعبير أخذ بمذهب الإمام مالك وفاق على نظراءه وأقرانه في دلائل سبل الممالك إلى سبق في الحديث والأصول قدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم والفهم السليم " ³ كانت هذه تلة من العلماء الذين ترك الشيخ بن زغو بصماته واضحة فيهم .

ج- دور العلماء في منتصف القرن 9هـ/15م إلى سقوط الدولة الزيانية

في هذه المرحلة الأخيرة من حياة الدولة الزيانية تميزت بإنجاز مؤسسة تعليمية واحدة هي مدرسة الحسن أبركان والتي أسسها أبو العباس أحمد العاقل سنة 865هـ/1462م، ونشاط علماء البيوتات كان كالتالي:

1- المدرس المجتهد قاسم العقباني

أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني وهو من العلماء البارزين المجتهدين عكف على التعليم بتلمسان فدرس مختلف العلوم فأسمع وأمتع ما أراد من الكتب التي أقرها في تدريسه

- في الفقه: مختصر المدونة لابن أبي زيد ومختصر خليل .
- في الأصول: شرح مختصر والده الذي هو لابن الحاجب الأصلي .

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 01، ص: 87 .
¹- أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي: رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجبان الشركة التونسية للتوزيع 1978.
²- القلصادي: رحلة، ص: 102 .
³- القلصادي: نفسه، ص: 103 .

- في التصوف: درس حكم بن عطاء الله¹ وهو يعرف بزعيم المتصوفين هذا إضافة إلى مختلف الكتب في شتى الفنون² ومن طلبته الذين استفادوا منه:
- يحيى المازوني توفي سنة 883 هـ / 1478 م إضافة إلى استفادته من علماء سابقين تتلمذ على أستاذه قاسم العقباني في مختلف العلوم وخاصة في القواعد والمباني³.
 - الحافظ التنسي توفي سنة 899 هـ / 1494 م وهو بدوره استفاد من العلماء السابقين وعمق معارفه على الشيخ قاسم العقباني في مختلف العلوم النقلية والعقلية.
 - أبو الحسن علي القلصادي توفي سنة 891 هـ / 1486 م وهو ممن جلس إلى الشيخ قاسم واستفاد منه فقال فيه: " انفرد بفني المعقول والمنقول واتحد في علم اللسان والبيان وهو فيما عدا ذلك يفوق الصدور ويفيض على مزاحمته البحور " ⁴.
 - أحمد بن محمد بن زكريا توفي سنة 899 هـ / 1493 م وهو بدوره كانت استفادته كبيرة من الشيخ قاسم العقباني⁵

2- العارف بالنوازل محمد العقباني

الفقيه العالم البارح الذي استفاد من سلفه ومن كبار علماء تلمسان، ومن المهمات التي انبرى لها: التدريس حيث برز برسوخه الفقهي الذي مكنه من الاجتهاد فهو الذي يوصف بالعارف "بالنوازل" فكانت استفادة طلبته من الفقه كبيرة إضافة إلى نزعه الصوفية

¹ ابن عطاء الله السكندري: كنيته تاج الدين وينسب إلى الاسكندرية التي ولد وعاش بها إلى ان غادرها إلى القاهرة بعد وفاة شيخه أبي العباس المرسي سنة 686 هـ الذي تلقى عليه الطريقة الشاذلية وقد اشتهر بالعلوم الظاهرة والمعارف الباطنة وهو الإمام في التفسير والحديث والأصول وهو من أبرز ممثلي التصوف المصري في القرن السابع الهجري من مصنفاة: "الحكم العطائية" و" المناجاة العطائية" والتنوير في إسقاط التدبير... والحكم العطائية تعد من عيون النثر الصوفي. و قد نالت الكثير من اهتمامات الشراح منها: غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية لبن عباد الرندي المتوفى سنة 792 هـ وشرح الحكم العطائية لأحمد زروق الفاسي المتوفى سنة 899 هـ وأحكام الحكم لابراهيم المواهي المتوفى سنة 908 هـ. توفي ابن عطاء الله بالقاهرة سنة 709 هـ، الحفني عبد المنعم: "الموسوعة الصوفية" ص: 501

² التتبعي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 13.

³ التتبعي: كفاية المحتاج، ص: 281.

⁴ القلصادي: رحلته، ص: 106-107.

⁵ ابن مريم البستان، ص: 38.

التي مكنته من صقل سلوك الطلبة وتوجيههم التوجيه القويم¹ ومن طلبته الذين استفادوا منه:

• **أحمد بن يحيى الونشريسي أبو العباس:** ولد عام 834 هـ / 1430 م بجبال الونشريس ونشأ بمدينة تلمسان وأخذ عن علمائها منهم محمد العقباني الذي استفاد منه في مختلف العلوم، وخاصة الفقه، واجتهاداته ودرايته بالنوازل حتى أصبح حامل لواء المالكية على رأس المائة التاسعة وقد اشتهر بكتاب المعيار المعرب وفضل شيخه فيه كبير إذ هو الذي وجهه نحو فقه النوازل فجمع فتوى علماء المغرب في " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب " وكانت وفاته سنة 914هـ/1508م².

• **أحمد بن حاتم:** هو أحمد بن حاتم السطي من مواليد عام 851 هـ / 1447 م أخذ عن علماء تلمسان ومنهم محمد العقباني ثم توجه نحو تونس وجلس لعلمائها ثم بعدها طرابلس وياشر علمائها وأخير نزل بالقاهرة، ووفاته غير مذكورة³.

• **يحيى بن يدير:** هو يحيى بن يدير بن عتيق التدلسي كما نكره التتبكتي⁴ بينما ابن القاضي ذكر بن يدير التلمساني الأندلسي⁵ هو الفقيه العالم قاضي توات⁶ أخذ عن علماء تلمسان ومنهم الشيخ محمد العقباني حتى أصبح فقيها وعالما وتولى التدريس ومن تلامذته الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وفاته كانت بقسنطينة عام 877هـ/1472م⁷.

¹ - التتبكتي: كفاية المحتاج، ص: 432 .

² - التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 145 .

³ - القرني: توشيح الذباج، ص: 29 .

- التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 142 .

⁴ - التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 339، رقم: 797 .

⁵ - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 448، رقم: 1458 .

⁶ - توات إقليم صحراوي ممتد بين تلمسان شمالا وبلاد السودان جنوبا . الوزن: وصف إفريقيا، ج: 02، ص: 151 .

⁷ - التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 339 .

- ابن القاضي: درة الحجال، ص: 448 .

3- العالم المدرس إبراهيم العقباني

وهو ممن برزوا كأسلافه السابقين ضمن علماء تلمسان صاحب التحصيل الوفير والفهم الغزير انتصب للتدريس بتلمسان وممن أخذوا عنه أحمد الونشريسي صاحب المعيار كما أخذ عن ابن أخيه أحمد وقد استفاد منه كثيرا وقال فيه " سئل شيخنا القاضي أبو سالم سيدي إبراهيم العقباني " ¹ فقد أثنى عليه الكثير وجمع بعض فتاويه في معياره.

4- الفقيه المدرس ابن مرزوق الكفيف

بعد رحلته العلمية من تلمسان نحو الجزائر وبجاية وتونس كان له التحصيل لمختلف المعارف الدينية ليعود إلى تلمسان سنة 901هـ / 1495 م وينتصب الشيخ الكفيف للتدريس على نهج سلفه وقد درس مختلف العلوم الدينية وممن استفادوا منه:

- أحمد بن محمد بن مرزوق: توفي سنة 925 هـ / 1519 م وهو ابنه المعروف بحفيد الحفيد تعلم وأخذ عنه مختلف العلوم الدينية فكان له التواصل على نهج سلفه العلماء الأجلاء ².
- محمد بن أحمد بن مرزوق: توفي بعد سنة 920 هـ / 1514 م وقد اشتهر بالخطيب فهو الخطيب الثاني والمعروف بالسبط فهو ابن حفصة بنت الحفيد وابن أخت الكفيف فقد تتلمذ على خاله وكان له الفضل في التحصيل لمختلف العلوم الدينية ³.
- محمد بن عباس: توفي بعد 920هـ/1514م هو محمد بن محمد بن العباس التلمساني الشهير بأبي عبد الله فقيه وعالم نحوي درس عن علماء تلمسان وانتفع بالشيخ الكفيف

¹- أحمد الونشريسي: المعيار المعرب، ج: 04، ص: 302 .

²- القرني: توشيح الدباج، ص: 34 .

- التبتكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 146 .

- ابن مريم: البستان، ص: 52 .

³- التبتكتي: نيل، م: 02، ص: 274 .

- ابن مريم البستان، ص: 258 .

- مخلوف: شجرة النور، ص: 275 .

في الفقه والنحو وكانت رحلته نحو فاس وأخذ عن ابن الغازي¹ ليعود إلى تلمسان وله مصنفات منها مجموع في النحو وشرح كتاب مورد الضمان².

- أحمد بن يحيى الونشريسي توفي 914هـ/1509م أخذ عن علماء تلمسان كما سبق. ذكر ذلك عن العقبايين وعن المرازقة ومنهم ابن مرزوق الكفيف الذي انتفع به هو كذلك، وأخذ عنه مختلف العلوم الدينية³ وممن أجازهم ابن مرزوق الكفيف ابن غازي.
- محمد بن أحمد بن غازي: هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي الفاسي ولد بمكناس عام 841 هـ /1437 م تعلم بها وبفاس حتى أصبح خطيب ومدرس فاس وقد تخرج عليه الكثير من طلبة فاس فقد كان قارءاً ومحدثاً وفقهياً ومؤرخاً ونحوياً وعروضياً من مؤلفاته "شفاء الغليل في حل مقفل مختصر خليل و"بغية الطلاب في شرح منية الحساب" وتاريخ الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"⁴.

5- آخر المرازقة بن مرزوق السبط

هو المعروف بالخطيب الثاني وسبط الحفيد وهو من كبار علماء تلمسان في أوائل القرن 10هـ/16م ومن المهام التي تولاها التعليم درس بداية بفاس ثم انتقل إلى تلمسان وممن كان لهم شرف الأخذ عنه:

-
- ¹ - ابن مريم: البستان، ص: 295 .
 - التتبيكتي: النيل، م: 02، ص: 275، رقم: 716 .
 - ² - لناظمه " الشيخ محمد بن محمد الشريسي الخراز في فن الرسم وضبط حروف القرآن على قراءة الإمام نافع وهناك دليل الحيران على مورد الضمان لإبراهيم بن أحمد المارغيني، دار الكتب والمطبوعات الجميلة الجزائر 1988 م، ص: 05.
 - ³ - التتبيكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 144، رقم: 130.
 - ابن مريم: البستان، ص: 53 .
 - الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 66 .
 - ⁴ - محمد بن أحمد بن غازي: فهرس ابن غازي التعلل برسم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد، تحقيق محمد الزاهي دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الدار البيضاء 1399 هـ / 1979 م، ص: 174 .
 - التتبيكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 271 .
 - كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين وتراجم مصنفي الكتب العربية مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط: 01، 1414 هـ/1993م، ج: 03، ص: 107.

- **عبد الوهاب الزقاق:** هو عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق التيجيبي الفاسي ويكنى بأبي محمد، كان عالماً، متقناً، حافظاً، آية في الحفظ والفهم. وهذه الصفة امتازت بها أسرته ولد عام 905 هـ / 1500 م ونشأ بفاس وأخذ عن علمائه وعند قدوم ابن مرزوق الخطيب السبط إلى فاس كان يقرأ خليل وألفية ابن مالك والتفسير والحديث فأخذ عنه عبد الوهاب الزقاق وأجازه في ذلك. إضافة إلى هذا كانت لعبد الوهاب الزقاق مشاركة في الأدب والطب إلى أن توفي سنة 961 هـ / 1554 م¹ وعبد الوهاب الزقاق هو الوحيد الذي ذكر لأحد تلامذة ابن مرزوق الخطيب السبط بفاس دون ذكر آخرين².
- **أبو عبد الله محمد ابن العباس:** وهو الذي يعرف بابن العباس الصغير حفيد ابن العباس الكبير. فقيه وعالم من علماء تلمسان، كان متقناً في مختلف العلوم لهما متصوفاً أخذ عن علماء تلمسان وعن الشيخ ابن مرزوق السبط الذي قال عنه: "أخذت منه الشفا لعياض والبردة والشقراطسية وعجالة المستوفز المستجاز لجد جده الخطيب وتفسير القرآن وصحيح البخاري"³. كما وصفه شيخه فقال: "وأخر علماء قطرنا الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الحائز قصب السبق في ذلك وخصوصاً علم الحديث فإنه حصل له بالفرض والتعصيب صدر الحفاظ المبرزين وإمام الجهابذة النقاد المتفنين السيد الأفضل الأعدل الأكمل"⁴ وقد عمّر إلى غاية بداية العقد الثاني من القرن الحادي عشر هجري سنة 1011هـ/1602م.⁵ وقد اقتصر المصادر على ذكر هذين العالمين فقط، فهل الإقبال على الشيخ ابن مرزوق السبط كان قليلاً؟ أم أنه يدل على تراجع النشاط التعليمي بتلمسان؟ أم أن المصادر اكتفت بذلك فقط؟

¹ - التبتكتي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 306، رقم: 333 .

² - ابن مريم: البستان، ص: 258 .

³ - ابن مريم: البستان، ص: 263 .

⁴ - ابن مريم: البستان، ص: 258.

⁵ - ابن مريم: البستان، ص: 263 .

6- المتفنن في التعليم سعيد المقرئ

وهو ممن تمكنوا من افتكاك منزلة الرفيعة بين علماء تلمسان وقد اشتغل بالتدريس خاصة وأنه كان ملما جامعا للعلوم النقلية والعقلية متفننا في تعليمها يعرف كيف يشد انتباه طلبته ليصل بهم إلى التحصيل العلمي وقد تخرج عليه علماء أجلاء منهم:

• أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ المتوفى سنة 1041 هـ / 1632 م بالقاهرة وهو ابن أخيه صاحب النفع والمؤلفات الكثيرة وقد استفاد منه في مختلف العلوم ومنها علوم الحديث فقال في رحلته: "وقد رويت جامع البخاري عن عمي الشهير في الأقطار سعيد المقرئ مفتي المغرب"¹. وفي قصيدة أجاز فيها أولاد مفتي الشام الشيخ عبد الرحمن العمادي² أقر فيها أخذه لجامع البخاري عن عمه فقال:

وقد أخذت جامع البخاري *** عن عم الحائز للفخار³

كما أشاد في موطن آخر استفادته من عمه لمختلف العلوم فقال:

كسيدنا مفتي تلمسان عمنا سعيد *** فكم نلنا معارفه قطفا⁴

وفي قصيدة أخرى أجاز فيها الشيخ تاج العارفين العثماني التونسي⁵ أشاد فيها بعمه

وما انتفع به فقال:

و أقر بها عن عمنا العالم الرضى *** سعيد جزاه الله عن نفعنا أجرا⁶

• محمد بن أحمد بن مريم الشريف الملبتي المديوني:

¹ - المقرئ: رحلته، ص: 78 .

² - أبناء عبد الرحمن العمادي الثلاثة هم عماد الدين مقتي الحنفية "1004 هـ - 1068 هـ" وهو أكبرهم وشهاب الدين الفاضل الشاعر 1007 هـ - 1078 هـ وهو أوسطهم وإبراهيم الأديب المشهور 1012 هـ - 1078 هـ وهو أصغرهم وأحبهم إلى أبيه . بن معمر محمد: تحقيق رحلة المقرئ هامش، ص: 166 .

³ - المقرئ: رحلته، ص: 166 .

⁴ - المقرئ: رحلته، ص: 193 .

⁵ - أبو عبد الله محمد تاج العارفين ابن أبي بكر العفاني العثماني التونسي من سلالة عثمان بن عفان رضي الله عنه واستمرت إمامة جامع الزيتونة والخطابة في بيته بين بنيه 173 وله مصنفات كان حيا سنة 1037 هـ / 1627 م .

مخلوف: شجرة النور، ص: 293، رقم: 1124 .

⁶ - المقرئ: رحلته، ص: 154 .

وهو الفقيه المؤرخ الولي الصالح صاحب كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ورغم أنه ترجم لـ 182 عالماً وولياً بتلمسان إلا أننا لا نجد ترجمة وأفية له فهو قد نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها ومنهم سعيد المقرئ الذي استفاد منه في مختلف العلوم الدينية، وتاريخ وفاته غير مذكور فقد كان حياً في سنة 1025هـ/1616م¹.

و قد أشارت المصادر التي ترجمت لسعيد المقرئ إلى هذين الطالبين فقط دون غيرهما مما يدل على تراجع النشاط التعليمي في هذه الفترة.

¹ - الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 175 .

- طالب عبد الرحمن تقديم البستان، ص: 02 .

المبحث الثاني: دور العلماء في الإمامة الخطابة والفتوى:

المقصود بالإمامة هنا ليس الإمامة الكبرى التي هي الخلافة وإنما إمامة الصلاة، أو الإمامة الصغرى إن صح التعبير والتي يقول عنها ابن خلدون: " إنها أرفع الخطط الدينية الشرعية كلها"¹ وبهذا فالإمام هو الذي يؤم الناس في المساجد والتي هي على صنفين كما وصفها ابن خلدون:

الصنف الأول: مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات المشهودة وأمرها راجع إلى الخليفة أو إلى من يفوض إليه من سلطان أو وزير أو قاضي فينصب لها الإمام في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والخسوفين والإستسقاء .

الصنف الثاني: وهي مساجد دون العظيمة مختصة بقوم أو محلة وأمرها راجع إلى الجيران ولا تحتاج إلى نظر الخليفة ولا السلطان² وهي ما يمكن اعتباره اليوم مساجد الأحياء تختص بالصلوات الخمس فقط أما الكبرى فهي التي تقام بها صلاة الجمعة والتي تكون بها الخطبة، وهي موعظة جامعة بكلمات يسيرات فيها ترغيب وترهيب تكون بليغة مرتبة مبنية الموضوع يعالجه فيه أمرا ونهيا³.

والفتيا تكون للخليفة وردها إلى من هو أهل لها وإعانتة على ذلك ومنع من ليس لها لأنها من مصالح المسلمين في أديانهم⁴.

ولقد كان لعلماء البيوتات العلمية دور بارز في التصدي للإمامة والخطبة والفتيا وهذا ما يمكن تتبعه من خلال الفترات التالية:

¹ - ابن خلدون: المقدمة، ج: 01، ص: 274 .

² - ابن خلدون: المقدمة، ج: 01، ص: 274 .

³ - سحنون ابن سعيد التتوخي: المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس، ضبط نصها وخرج أحاديثها محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة سنة 2004، م: 01، ص: 204 .

⁴ - ابن خلدون: المقدمة، ج: 01، ص: 275 .

أ- من نشأة الدولة الزيانية إلى منتصف القرن 8 هـ / 14 م

وكان بروز ثلاثة علماء من البيوتات هم:

1- بركة المرازقة والسلطان يغمراسن

الشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق كان يوم الناس في مسجد مرسى الطلبة وهذا المسجد غير معروف في المصادر عدا ما ذكره ابن مرزوق الخطيب¹ ومن هنا يمكن أن نستنتج أن المسجد ليس جامعا أعظم أو كبيرا وإنما هو مسجد صغير مصلى للحي الذي لا يرجع أمره إلى نظر الخليفة ولا لسلطان وإنما راجع إلى الجيران، وقد كان الشيخ ابن مرزوق الخطيب يوم هذا المسجد واجتهد في هذه الوظيفة حتى ارتفع شأنه وأصبح المسجد يعرف باسمه "مسجد ابن مرزوق"² بل أكثر من ذلك كان السلطان يغمراسن بن زيان يزوره في المسجد ويصلي ورعه³ رغبة منه في ملاقة شيخ المرازقة تيمنا وتبركا به.

ولقد بقي على هذا الدور إلى أن لقي الله تعالى حيث كانت وفاته بعدما صلى الصبح بمرسى الطلبة وتوجه إلى بيته وذلك في أوائل شهر رجب من سنة 681هـ/1284م⁴.

عدا هذه المعلومات لم ترد أخبار أخرى عن الشيخ ابن مرزوق في إمامته هذا المسجد أو خطبته به .

¹ - ابن مرزوق الخطيب: المخطوط السابق، و: 07.

المناقب المرزوقية، ص: 103 .

² - ابن مرزوق: المناقب، ص: 153

³ - ابن مرزوق الخطيب: المخطوط نفسه، و: 07 - المناقب المرزوقية، ص: 154

⁴ - ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص: 166 .

2- إمام جامع أجادير محمد بن هدية

هو الفقيه العالم الخطيب، هكذا اشتهر حيث تمكن في التبحر في الفقه وامتاز بفصاحته وبيانه وبلاغته وفي هذا يقول يحيى بن خلدون: " هو الفقيه الخطيب من أئمة اللسان والأدب " ¹ هذه القدرات أهلته لتولي منصب إمامة الجامع الأعظم من أقادير فبرز خطيبا بليغا متفننا في مذاهب القول ² فكان الإقبال عليه في المسجد كثير وشهرته وصلت إلى السلطان الزياني أبي تاشفين عبد الرحمن الأول فقربه منه ورقاه إلى مهمات أخرى كالقضاء والاستشارة .

ولقد كانت للشيخ محمد بن هدية دلالات على غرارة علمه، و عمق فهمه، وحسن مسيرته وفضله على أهل أقادير خاصة وأهل تلمسان عامة .³ ولكن هذه الخطب لم يبق لها أثر في المصادر، عدا نكرها إذ لم يكن تدوينها جاري العمل به أو التفكير فيها لحفظها وتعميم الاستفادة منها .

3- خطيب مسجد العباد محمد بن مرزوق

هو عم ابن مرزوق الخطيب والذي نكره في المناقب فقال: " عمي الحاج الصالح أبو عبد الله"⁴ فعلمه وصلاحه دفع السلطان أبا الحسن المريني إلي تعيينه في منصب إمامة وخطبة مسجد العباد العظيم حيث نكره ابن خلدون عبد الرحمن فقال: " وكان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم بالعباد"⁵ وكلمة على عادتهم لها عدة دلالات منها أنه كان خطيبا من قبل أي قبل سنة 735هـ/1335م بمسجد آخر قد يكون مسجد العزلة⁶ ومن هنا

¹ - ابن خلدون يحيى: بغية الرواد، ج: 01، ص: 116 .

² - ابن خلدون يحيى: المصدر نفسه، ج: 01، ص: 116 .

- المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 235 .

³ - الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 02، ص: 421 .

- نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص: 336 .

⁴ - ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص: 188 .

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص: 51 .

⁶ - مسجد العزلة هو مسجد بسفح الجبل بالعباد

فأفراد الأسرة كانوا يتداولون على إمامة مساجد تلمسان لمكانتهم العلمية ومنزلتهم الاجتماعية.

ب- من منتصف القرن 8 هـ/14م إلى منتصف القرن 9 هـ/15م

في هذه المرحلة برز أربعة خطباء من البيوتات، كان لهم الدور المهم في توجيه النشاط المسجدي بتلمسان وهم:

1- خطيب جامع أجادير منصور بن هدية

هو أبو علي منصور بن محمد كان فقيها ومحدثاً¹ خلف أباه بعد وفاته في إمامة الجامع الأعظم بأقادير .و هذا بداية من سنة 735 هـ / 1335 م² واستخلاف أبيه يدل على تمكن هذا البيت من العلم والعمل فهم قد جمعوا بين التحصيل العلم والسلوك العملي فكانت ثقة ورضا الناس متواصلة لعلماء هذا البيت وهاهو ابن مرزوق يستشهد به في سند الرواية فيقول: " وأخبرني القاضي الخطيب الصدر أبو علي منصور بن هدية " ³ فقد كان خطيباً حافظاً فصفة الصدر هي دالة على غرارة علمه وعلو همته ومكانته .

2- خطيب الخطباء ابن مرزوق الخطيب

بعد عودته من المشرق في رحلته الثانية إلى المغرب سنة 737هـ/1337م أقام بتلمسان وتولى الخطابة بمسجد العباد وأما إقامتهم فكانت بتلمسان إلى غاية سنة أربعين حيث رحل إلى فاس وفي هذا يقول: "وفي سنة سبع وثلاثين عدت إلى المغرب وأقامت بتلمسان أخطب بالعباد وأدخل في داخل البلد، بمسجد مرسى الطلبة من مسجد ابن النعمة وبمسجد سوقة إسماعيل وغيرها"⁴ .ومن العباد بدأ يبرز ابن مرزوق بفصاحة لسانه وبيان

- ابن مرزوق المناقب المرزوقية، ص: 135.

- وقد يكون هذا المسجد الذي كان موجود قبل بناء مسجد العباد وكان المسجد من خلال اسمه مخصصاً لمن أراد أن يعتزل المجتمع فهو للخلوة والتعبد .

¹- ابن مريم:البيستان، ص: 171 .

²- يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج: 01، ص: 117 .

³- ابن مرزوق:المناقب المرزوقية، ص: 227 .

⁴- ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص: 304 .

خطبه وجزيل عباراته حتى وصفه يحيى بن خلدون فقال: "الخطيب المصقع¹ ذو وجهة عند السلطان"²

فهو البليغ المتفنن في مذاهب القول كان في خطبه يثني على السلطان أبي الحسن ويشيد بذكره فأصبح من مقربيه ومن خاصته³.

ومن المنابر الأخرى التي خطب عليها منبر جامع الحمراء دار ملك السلطان أبي الحجاج⁴ وجامع غرناطة وكان يتناوب في الخطبة مع قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف⁵ ومع أبي عبد الله اللوشي⁶ ومع الألبيري⁷ وهذا لمدة ثلاثة أعوام⁸ قد تكون ما بين فترة 1350هـ/750م إلى سنة 1353هـ/753م بعدها توجه نحو جامع ملقا وخطب به⁹ ومنه عاد إلى المغرب باستدعاء من سلطانها أبي عنان فأكرمه ولزم حضرته¹⁰ وبعده أبي سالم ولكن لم نجد له أثرا عن توليه الإمامة والخطابة بالمغرب.

¹ - المصقع: الخطيب البليغ العالي الصوت من لا يرتج عليه في كلامه ولا يتتعتع . فيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 665.

² - ابن خلدون يحيى: بغية الرواد، ج: 01، ص: 115.

³ - ابن مرزوق: المخطوط، و: 93، ابن الخطيب: الإحاطة، م: 03، ص: 104.

⁴ - عن الملك أبي الحجاج (1334هـ/734م-1354هـ/755م) ينظر لسان الدين بن الخطيب: اللّمة البديرة في الدولة النصرية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان ط: 3: 1400هـ/1980م ص: 102.

⁵ - أبو القاسم محمد الشريف الحسني صاحب النسب الشريف سبتي النشأة وغرناطي المستقر تولى كتابة الإنشاء في دولة بني نصر ثم خطة القضاء والخطابة، له عدة مصنفات منها "رعي الحجب المستورة عن محاسن المقصورة" توفي سنة 760 هـ ابن الخطيب الإحاطة، م: 02، ص: 181، 186.

- ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 02، ص: 248، رقم: 518.

⁶ - هو أبو عبد الله محمد بن يوسف اليحصبي اللوشي الفقيه الخطيب البليغ المقرئ المحدث الرواية ولد أواخر سنة 692 هـ خطيب المسجد الأعظم من غرناطة النصرية، ابن الخطيب: الإحاطة نصوص جديدة تحقيق عبد السلام شاقور، ص: 90 نقلا عن سلوى الزاهري: تحقيق المناقب المرزوقية، ص: 308.

⁷ - محمد بن عبد العزيز الغسالي الألبيري مفتي البشارة وعليه كانت تدور أحكامها وكان صاحب صلاة غرناطة وهو من الخطباء البلغاء ابن الخطيب: الإحاطة نصوص جديدة، ص: 31 نقلا عن سلوى الزاهري: المرجع السابق، ص: 308.

⁸ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 308 .

⁹ - ابن مرزوق: نفسه، ص: 308 .

¹⁰ - نفسه، ص: 308 .

ومن المحطات الأخرى التي تولى بها ابن مرزوق الخطبة جامع الموحدين¹ بتونس سنة 1364هـ/765م² والمسجد هذا كان المسجد الرسمي عند الموحدين وكذلك عند الحفصيين حيث يقول ابن مرزوق: "ووليت خطابة جامع ملكها"³ وبقي بتونس وهو يخطب من سنة 1364هـ/765م إلى سنة 1370هـ/772م قبل أن يتوجه إلى مصر وقد ذكر لنا ابن مرزوق عدد المنابر التي خطب عليها بثمانية وأربعين منبرا حيث قال: "أفلا يراعى لي ثمانية وأربعين منبرا في الإسلام شرقا وغربا وأندلسا"⁴ وفي المناقب قال: "حتى لقد ارتقيت خمسين منبرا من حواضر الإسلام"⁵ وفي مسنده قال: "فارتقيت أحدا وخمسين منبرا في بلاد شتى من أقصى المغرب ووسطه وعود الأندلس والراب وإفريقية، فما من قاعدة وحضرة ملك في هذه البلاد إلا وعلوت على منبرها وأخلصت الدعاء لمقلدها"⁶ ومهما يكن من عدد عدد المنابر 48 أو 50 أو 51 منبرا فهو قد خطب كثيرا ولقب بالخطيب . أما عن خطبه فلم تحفظ لنا المصادر لا القليل ولا الكثير منها.

3- منهج الفتوى عند سعيد العقباني

أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني وهو كبير علماء بيت عقبان ومن كبار علماء تلمسان الراسخين في العلم المتبحرين في فهمه تولى الإمامة والخطابة مع السلطان وحاشيته وعامة الناس إذ كان حضور خطبته حضورا مشهودا لغرارة علمه وفصاحة لسانه وإعجاز بيانه وإخلاصه وورعه فكسب ثقة سلاطين وقلوب العامة⁷ ومن المساجد التي تولى الخطابة

¹ - جامع الموحدين ويسمى كذلك بمسجد الشماعين كما ذكرته ماريّا في دراسة المسند، ص: 28 ويسمى بالشماعين لقربه من سوق الشماعين بوسط تونس وقربه من مدرسة الشماعين، الزركشي: تاريخ الدولتين، ص: 71 .

Ata Allah Dhina: Les Etats De L'occident Musulman P: 310 .

² - ابن خلدون: التعريف، ص: 55 .

- المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 414 .

³ - المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 408 .

⁴ - المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 415 .

⁵ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 139، 140 .

⁶ - ابن مرزوق: المسند، ص: 487 .

⁷ - التتبعي: نيل الإبتهاج، ج: 01، ص: 204 .

- ابن مريم: البستان، ص: 107 .

بها الجامع الأعظم بتلمسان حيث قال عنه يحيى بن خلدون: "وهو الآن يخطب بالجامع الأعظم بتلمسان"¹ وكان هذا في حدود سنة 775هـ/1373م.

تصدى الشيخ سعيد العقباني للإفتاء وذلك لمنزلته العلمية ورتبته الاجتهادية فله القدرة على استحضار النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في تأصيل الفتوى وقد تقيد بمذهب مالك في ذلك² وقد بلغ في فتواه درجة شيخ الشيوخ قال عنه الونشريسي في معياره "سأل شيخ شيوخنا القاضي أبو عثمان العقباني"³ وكان منهج فتواه يعتمد على الأسس التالية⁴:

- تأصيل الفتوى بالدليل والتعليل.

- التقيد بمذهب الإمام مالك.

- احترام آراء العلماء السابقين.

- الوقوف على المشهور من الأقوال دون الضعيف.

- الوسطية والاعتدال.

- التيسير والابتعاد عن التشديد.

وهنا يحضر قول الإمام سفيان الثوري: "إنما العلم عندنا الرخص عند الثقة فأما

التشديد فكل إنسان يحسنه"⁵.

¹- ابن خلدون: بغية الرواد، ج: 01، ص: 123.

²- ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 01، ص: 345.

³- الونشريسي: المعيار، ج: 04، ص: 89.

⁴- المازوني: الدرر المكنونة، ج: 2، ص: 24، ص: 33، ج: 3، ص: 228.

- الونشريسي: المعيار، ج: 6، ص: 119، 118، 43.

⁵- هاشم عبد ياسين المشهداني: سفيان الثوري وأثره في التفسير دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 2006 ص: 231.

4- عميد المفتين ابن مرزوق الحفيد

لقد بلغ الشيخ ابن مرزوق الحفيد المنزلة الرفيعة والدرجة الكبيرة في العلم والمعرفة، واشتهر مغربا ومشرقا حتى عرف بشيخ الشيوخ، وشيخ الإسلام، وإمام المسلمين والإمام المشهور¹.

وكذلك عرف بإمام المسلمين² ويمكن لنا أن نتساءل عن إمامته وخطبته من خلال كلمة "الإمام الخطيب" فهل كلمة إمام يراد بها إمامة المصلين أم قد يراد بها معنى آخر فالمصادر لم تذكر عبارة صريحة عن إمامته للناس، ومن هنا يمكن اعتبار مدلول الإمامة هنا تقدم الناس وترأسهم في العلم، وبالنسبة للخطابة كذلك لم ترد عبارة صريحة عن خطبته عدا بعض الإشارات الخفيفة ومنها "فارس الكراسي والمنابر"³ وعبارة أخرى وردت في موضوع تأليفه: " فخر خطباء الإسلام"⁴ وله خطب عجيبة⁵ فهل كتبها وألقاها؟ أم ألقاها ارتجالا دون كتابتها؟ أو ألقاها دون إلقائها وضاعت؟. نجهل ذلك!

¹ - التتبعي: نيل الإبتهاج، م: 2، ص: 171.

- كفاية المحتاج، ص: 391.

² - التتبعي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 172.

- كفاية المحتاج، ص: 391.

³ - التتبعي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 172.

- كفاية المحتاج، ص: 391.

- ابن مريم: البستان، ص: 201.

⁴ - ابن غازي: فهرس ابن غازي، ص: 174.

⁵ - التتبعي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 85.

- كفاية المحتاج، ص: 397 لم يذكرها.

- ابن مريم: البستان، ص: 211.

أما عن فتاويه فقد ورتت في الدرر المكنونة ليحيى المازوني فتاوي كثيرة في الطهارة والصلاة والذبائح والحنث والبيوع والبنائيات والسواقي والبساتين¹ وأغلبها نقلها الونشريسي في معياره .

ج- من منتصف القرن 9 هـ / 15 م إلى سقوط الدولة الزيانية

برز في هذه الفترة أربعة علماء: ثلاثة من بيت العقبايين وواحد من بيت المقريين

هم:

1- المفتي المجتهد قاسم العقباني

لقد بلغ المنزلة العالية في التحصيل العلمي والفهم العميق حتى وصل إلى درجة الاجتهاد في المذهب المالكي، وخارج المذهب.² ولم تشر المصادر إلى توليه الإمامة والخطابة تصريحاً في زمان ومكان محدد. وإنما أشادت بإمامته في العلم والفضل وهذا وصف المصادر له: "الإمام أبو الفضل وأبو القاسم شيخ الإسلام ومفتي الأنام الفرد العلامة الحافظ القدوة المجتهد المعمر، ملحق بالأحفاد بالأجداد"³ ويفهم من هذه الأوصاف أنه صاحب اجتهاد تصدر الفتوى فهو مفتي الأنام ومفتي الأمة، علامة المحققين، صدر الأفاضل، وابن القاضي يؤكد هذه المنزلة فيقول: "كانت الفتوى تدور عليه بتلمسان"⁴ وفتاواه كانت بصيغ كثيرة منها الملقاة مباشرة للسائل ومنها المكتوبة في كتب النوازل ومنها ما كانت عبارة عن مناظرات مع علماء عصره كالإمام ابن مرزوق الحفيد الذي خالفه في بعض فتواه مثل مسألة الفقراء الصوفية، إذ كانت فتوى الشيخ قاسم العقباني تبريراً لبعض ما صدر عنهم من أقوال وأفعال بينما ابن مرزوق الحفيد خالفه في ما ذهب إليه مدعماً رأيه بأقوال علماء

¹ - أبو زكريا يحيى المغيلي المازوني: " الدرر المكنونة في نوازل مازونة " مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر رقم 1342- تحقيق حساني مختار في ثلاثة أجزاء، نشر مخبر المخطوطات، قسم علم المكتبات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر 2004.

² - التتبعتي: نيل، م: 02، ص: 12 .

- ابن مريم: البستان، ص: 147 .

³ - التتبعتي: نيل، م: 02، ص: 13 .

كفاية المحتاج، ص: 281.

⁴ - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 423، رقم: 1355 .

الأندلس وفاس والقيروان¹ ومن هنا صنف الحفيد زعيم السلفية السنية، و قاسم العقباني زعيم المتصوفين².

2- مفتي النوازل محمد العقباني

لم تشر المصادر إلى تولي الفقيه العالم محمد العقباني الإمامة والخطابة بمسجد محدد وإنما أشارت إلى إمامته في الفقه والعلم حتى إن منزلته العلمية مكنته من الفتوى إذ يعد من الذين لهم دراية بالنوازل أو فقه النوازل³ فهو خبير بها وصف بالعارف بالنوازل وقد جمع له الونشريسي في معياره فتاوى كثيرة تخص الأحوال الشخصية والنزاعات الزوجية⁴ وهي تدل على سعة اطلاعه وغرارة علمه، وشجاعته، وجرأته العلمية في التصدي للحالات النازلة، وهنا تبرز حقيقة العالم الفقيه في الفتوى بالترخيص والتيسير وفق النصوص الشرعية وفتوى أخرى هي محفوظة في النوازل التواتية⁵ ووصول فتاويه إلى منطقة توات لها من الدلالة ما تشير إلى انتشار فتاويه في أقصى جنوب المغرب الأوسط في حدوده مع السودان الغربي .

3- الإمام البارع إبراهيم العقباني

هو الفقيه العالم صاحب التحصيل الوفير والفهم الغزير خلف والده في الفتوى حيث أشارت المصادر إلى منزلته العلمية ودرجته الرفيعة حتى إنها قالت: " حصل وبرع وألف

¹ - ابن مريم: البستان، ص: 211 .

- المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 430 .

² - البوعبدلي المهدي: أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر العصور الأصالة، العدد: 26، سنة 1975، ص: 127 .

³ - النوازل جمع نازلة لغة: الشدة تنزل بالقول وإصطلاحا هي الواقعة الجديدة التي تتطلب حكما شرعيا ليس فيه نص من الكتاب ولا من السنة ولا الإجماع ولا فتوى سابقة . عبد الله معصر: تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1428 هـ / 2007 م، ص: 134.

⁴ - الونشريسي. المعيار المعرب، ج: 04، ص: 302.

⁵ - مخطوط النوازل التواتية خزانة بكرابي بتمنيط أدرار بدون رقم، و: 02 . نقلا عن رفاف: المرجع السابق، ص: 15.

وأفتى¹ وقد جاءت فتاواه في كتب النوازل ومنها ما ذكرها يحيى المازوني في نوازله² وأخرى ذكرها الونشريسي في معياره.³

والشيخ إبراهيم العقباني هو الشيخ الرابع في بيت العقباني الذين برزوا بعلمهم وتحصيلهم المعرفي. فكان لهم التأهيل للفتوى والقدرة على التصدي للوقائع الجديدة التي كانت تطرأ على تطور المجتمعات وتستدعي حكماً شرعياً مؤسسا ومؤصلاً لحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعترض المسلمين في حياتهم اليومية.

4- كبير المفتين سعيد المقرئ

وهو من العلماء البارزين في أسرة المقرئين إذ حافظ على منزلتهم العلمية ودرجتهم الرفيعة فهو بدوره تمكن من التصدي للفتوى في سن مبكرة وعمره 23 سنة وقد بقي مفتياً لتلمسان نحو 60 سنة أي في الفترة الممتدة من سنة 951هـ/1544م إلى سنة 1011هـ/1602م كما ذكر ذلك مخلوف في شجرتة: "مفتيها (تلمسان) نحو من 60 سنة"⁴.

وقد تولى الخطبة بجامعها الأعظم حيث واصل مخلوف كلامه فقال: "وخطيب جامعها الأعظم خمسا وأربعين سنة"⁵ ومدة 60 سنة في الفتوى و45 سنة في الخطابة لها من الدلالة على بروز تفوقه العلمي وبقاء مكانته الاجتهادية على صدارة علماء تلمسان حتى أنه وصل إلى درجة الرئاسة العلمية قال ابن القاضي: "ووصل إلى درجة رئاسة بلده"⁶.

¹ - التبتكي: نيل الإبتهاج، م: 01، ص: 56.

- كفاية المحتاج، ص: 105.

- ابن مريم: البستان، ص: 57.

² - المازوني: المصدر السابق، ج: 02، ص: 20.

³ - الونشريسي: المصدر نفسه، ج: 01، ص: 177.

⁴ - مخلوف: شجرة النور، ص: 295.

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 426.

⁵ - مخلوف: نفسه، ص: 295.

- الحفناوي: نفسه، ج: 01، ص: 426.

⁶ - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 432.

لكن ما يؤسف له أن هذه الخطب والفتاوى ضاعت، فهل يعود ذلك إلى عدم تسجيلها؟ أم سجلت ولم تحفظ؟ لكن الأكيد أنها كانت تعمل على رفع الحرج عن الناس قصد تيسير شؤون دينهم ودنياهم .

وما يستنتج من هذا المبحث أن علماء تلمسان سجلوا إسهاماتهم في كتب النوازل بامتياز وبصفة عامة وعلماء البيوتات بصفة خاصة حيث تصدوا للفتوى بكل صدق وأمان، وكان المرازقة في المرتبة الأولى وبعدهم العقبانيون ثم المقريون والشرفاء.

المبحث الثالث: دور العلماء في القضاء

منصب القضاء هو من المناصب المهمة في هرم الدولة عموديا إذ هو ممن يدخل تحت الخلافة أفقيا قصد المحافظة على التوازن الاجتماعي والاستقرار الأمني في تطور المجتمعات وفي هذا يقول ابن خلدون: "وأما القضاء فهو من الوظائف داخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمودها"¹.

إذن: القضاء من أشرف الخطط بعد الخلافة يتولاها قضاة من قبل السلطان لمن يراه صاحب كفاءة ومقدرة علما وصلاحا وشخصية وكان سلاطين بني زيان يعينون من كبار العلماء من هو أنسب لهذه الخطة حفاظا على استقرار الدولة، ومراعاة مصالح العباد.

وعلماء البيوتات تقلدوا مناصب القضاء وبرزوا فيها وخاصة علماء بيت العقباني الذين اقتصوا بالقضاء حتى أنهم توارثوا هذا المنصب إذ المصادر تذكر كل واحد منهم بالإمام القاضي، بالإضافة إلى علماء آخرين من البيوتات الأخرى .

أ- من نشأة الدولة الزيانية إلى منتصف القرن 8 هـ / 14 م .

وفي هذه الفترة برز ثلاثة قضاة من بيوتات العلماء كان لهم الشأن الكبير في إدارة

المنازعات القضائية والفصل فيها:

¹- ابن خلدون: المقدمة، ج: 01، ص: 275 .

1- القاضي محمد بن هدية وقوته في الحق:

هو العالم الخطيب الكاتب القاضي وزيادة على كونه تولى الإمامة بالجامع الأعظم من أجادير عينه السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول في منصب القاضي حيث تولى النظر في الخصومات والنزاعات الحاصلة بين أفراد المجتمع وقد تجلّت مقدرته في هذا المنصب حيث أشارت المصادر إلى توليه هذا المنصب دون تفاصيل أخرى، إلا أنها أكدت على نجاحه وتفوقه، إذ نال رضى العامة وإعجاب السلطان به قال عنه يحيى بن خلدون: "نو بصر بالوثائق مشهود الفضل والدين، وولي القضاء ببلده فأحسن السيرة رحمه الله"¹ وذكر المقرئ: "قاضي جماعتها... أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي"² وجاء وصف النباهي له دقيقا دالا على قوته وحزمه في وظيفته فقال: "ومن قضاة مدينة تلمسان الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي كبير قطره في عصره نباهة، وجاهة، وقوة في الحق وصرامة"³ وابن مرزوق الخطيب أكد هذا وقال " أبو عبد الله بن هدية أحد قضاة العدل"⁴ وذكر ابن مريم في بستانه: "وقاضي الجماعة وكاتب سلطانها أبو عبد الله بن منصور بن هدية القرشي"⁵.

كل هذا يدل على مكانة الشيخ محمد بن هدية وتمكّنه من هذه المهمة فإشارة يحيى بن خلدون والنباهي وابن مرزوق تعتبر إجماعا على توفيقه وحزمه وصرامته وهي من الصفات المطلوبة في مثل هذا المنصب ناهيك عن العلم والصلاح، فهذه الصفات عندما تجتمع في شخصية قوية تتمكّن من الحسم والفصل في النزاعات بكل عدل ونزاهة .

و من جملة المحاكمات التي سجلتها المصادر محاكمة القاضي بن هدية للشاعر ابن خميس حيث اتهمه بالكفر والزندقة في رسالته المسماة " العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس " أرسلها إلى حاكم مدينة فاس ابن الفضل يحيى بن عتيق العبدي وقد تمت محاكمته ابن خميس بفاس من قبل الفقيه القاضي الشريف أبي البركات محمد بن علي الحسني

¹ - يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج: 01، ص: 116 .

² - المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 235 .

³ - المكتبة الإلكترونية: قرص مضغوط WWW.ALMOSTAFA.COM To PDF

- النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص: 101 .

⁴ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 175 .

⁵ - ابن مريم: البستان، ص: 156 .

ومشاركة القاضي بن هدية فيها وأرت هيئة المحكمة في فلسفة شعر ابن خميس زندقة وضلال وكفر واضح من هنا وجب الحكم عليه بالإعدام¹.

2- قاضي العسكر محمد بن عبد النور

العالم البارع في مختلف العلوم والفنون بعد استلاء أبي الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ/1336م كان من العلماء الذين اختارهم وقربهم إليهم إذ عينه في منصب قضاء عسكره وهذا الاختيار لم يكن صدفة، وإنما كان بناء على إشارة من العالمين ابني الإمام عبد الرحمن وعيسى لأهليته العلمية ومقدرته الشخصية، والمنصب الذي تولاه هو منصب القضاء العسكري²، وهذا يدل على الاختصاص في شؤون قضاء العسكر وهو تطور في جهاز القضاء والفصل بين القضاء المدني والقضاء العسكري نظرا لخصوصيات كل جهة، وقد أثبت ابن عبد النور مقدرته في إدارة شؤون القضاء العسكري حيث نجد شهادة يحيى بن خلدون تزكيه فيقول: " ولي قضاء بلده فحمدت سيرته عدلا وحسن خلق " ³ فهذه الشهادة تترجم عدله وإنصافه في قضاء العسكر، وما يؤكد نجاحه وتفوقه في مهمته هو تقريبه من السلطان الذي جعله من خاصته ومقريبه .

3- استقلالية القضاء وأبو عبد الله المقري

استفاد كثيرا من مشايخه ورحلاته التي أثرت زده المعرفي، وصقلت ملكاته فأهلته لتولي مناصب عدة منها منصب القضاء، فبعد أن تمكن أبو عنان من خلع أبيه والإعلان عن نفسه سلطانا للمغرب سنة 749هـ/1348م كان من مقربيه الشيخ أبو عبد الله محمد

¹ - عن تفاصيل المحاكمة وخلفياتها ينظر:

- المهدي بوعبدلي: أبو عبد الله محمد ابن خميس التلمساني مجلة الاصاله العدد 49 50 -سبتمبر أكتوبر 1977ص:08
- طاهر توات : ابن خميس شعره ونثره ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1991 ص:47 وطبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ط1 2007ص:64

² - عبد الرحمن بن خلدون: رحلته، ص: 58 .

- المقري: نفح الطيب، م: 05، ص: 235 .

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 02، ص: 269 .

³ - يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج: 01، ص: 121 .

المقري فسارح إلى عزل قاضي فاس المعمر أبي عبد الله بن عبد الرزاق¹ وتولية الشيخ المقري وبهذا أصبح المقري قاضي الجماعة بفاس² وقد بقي الشيخ المقري في منصب القضاء سبع سنوات من سنة 749هـ/1348م إلى سنة 756هـ/1355م وعن سيرته في قضائه يتكلم عنه ابن الخطيب فيقول: "فاستقل أعظم الاستقلال وأنفذ الحكم وألان الكلمة، وآثر التسديد وحمل الكل، وخفض الجناح، فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة"³ ثم يدخلنا ابن الخطيب إلى عمق جلسة المحكمة وينقل الصورة بوصف وجيز ودقيق عن حالة القاضي الذي يصبر في تدقيق التحقيق والرزانة في الاستماع إلى الخصوم بكل رقة وحكمة تحريا في البحث عن الحقيقة حتى يتسنى له الحكم العادل فيقول في ذلك: " حضرت بعض مجالسه للحكم فرأيت من صبره على اللدد⁴ وتأنيه⁵ للحجج رقة بالخصوم ما قضيت منه العجب"⁶.

وعن تقييم أدائه في القضاء نورد شهادة أخرى للنباهي بعد أن لقيه بالأندلس، أبرز فيها مكانته وقدرته الوظيفية وقوة وثبات شخصيته فيقول: " كان هذا الفقيه رحمه الله في غرارة الحفظ وكثرة مادة العلم عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبيرة، فلما تقع مسألة إلا

¹ - ابن خلدون: رحلته، ص 72 .

- أبو عبد الله ابن عبد الرزاق محمد بن علي الجزولي المعروف بابن أبي الحاج من فقهاء فاس وخطبائها توفي سنة 755 هـ / 1354 م ، ابن خلدون: رحلته، ص 72 .

² - ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 02، ص: 245.

- ابن خلدون: رحلته، ص: 68 .

- ابن مريم: البستان، ص: 156 .

و قاضي الجماعة هو أسمى المناصب القضائية إذ أن صاحبه يتولى الإشراف علي القضاء في جميع أنحاء البلاد ويسند لذوي الكفاءة العالية وهو يتولى التكلم باسم جماعته

البوكيلي فائزة: الحياة العلمية في الأندلس في العصر المرابطي أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ جامعة محمد الخامس السنة الجامعية 2004/2005 ص: 397

³ - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 195 .

- المقري: النفع، م: 05، ص: 208 .

⁴ - اللدد: الخصم الشديد الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق وهو عدول عنه، فيروز أبادي: القاموس المحيط، ص: 287 .

⁵ - ووردت عبارة وتأنيه للحجج، المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 209 .

⁶ - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 195 .

- المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 209 .

ويأتي بجميع ما للناس فيها من الأقوال ويرجح ويعلل، ويستدرك ويكمل قاضيا ماضيا عدلا جذلا¹.

ورغم هذه الجدارة والاستحقاق في البقاء في هذا المنصب إلا أننا نجد السلطان أبا عنان عزله وولّى مكانه الفقيه أبا عبد الله الفشتالي² ولقد عزا ابن خلدون هذا العزل إلى كون أبي عنان قد سخط عنه لنزعتة الملوكية³ والتدخل في شؤون القضاء أو المساس بمبدأ الاستقلالية التي كان المقري حريصا عليها، ويعلق أبو الأجنان على هذه المحنة فيقول: " وبذلك يستهدف المقري إلى محنة ليخرج منها قوي العزيمة سليم الصدر غير متأسفا على ما فرط من يده والدليل هو ما سيتضح لنا قريبا من عزوفه عن المناصب السلطانية ورغبته عنها " ⁴ ولعلّه كان يجنح نحو التخلي عن هذا المنصب إعفاء لنفسه مما قد يتحمل تحت الإكراه وقد ذكر النباهي هذا الموقف وقال: " وقام بوظائف القضاء أجمل قيام ثم إنه كره الحكم بين الناس، وتبرّم من حمل أمانته ورم الفارر عنه لنفسه فتنشّب في انتظامه وتوجّه عليه الإنكار من سلطانه ثم إنه ترك بعد عناء شديد لشأنه"⁵.

ثم يشير أبو الأجنان إلى سكوت المصادر عن توليته قضاء مدينة هنين معتمدا في ذلك على الظهير⁶ يتضمن إسناد منصب القضاء إليه في مرسى مدينة هنين ويعلن ما يستحقه من الرعاية الموجبة إقرار للعدل وإرضاء الله سبحانه وتعالى، وتاريخ هذا الظهير غير مدون ولكن يتوقع أن يكون بعد عزله عن قضاء الجماعة بفاس لسخط وغيظ أبي عنان

¹ - النباهي: المصدر السابق، ص: 128 .

² - أبو عبد الله محمد ابن أحمد الفشتالي الفاسي الإمام الفقيه الفردي الموثق قاضي الجماعة بفاس توفي سنة 777هـ/1375م، النباهي: المصدر السابق، ص: 128،

- ابن القاضي: درة الحجال، ص: 267، رقم: 775،

- مخلوف: شجرة النور، ص: 235، رقم: 847 .

³ - ابن خلدون: رحلته، ص: 72 .

⁴ - أبو الأجنان محمد بن الهادي:الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني الدار العربية للكتاب، بن عروس تونس 1988 ، ص: 81 .

⁵ - النباهي: المصدر السابق، ص: 128 .

⁶ - مخطوط بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا يحتفظ بوثيقة هذا الظهير للوحة 289 من المجموع رقم 1140 نقلا عن أبي الأجنان: المرجع السابق، ص: 81.

والحط من مكانته ثم يسترجع إلى عدم وجود إثبات لتولي المقرئ هذا المنصب فعلا بهنين ويقول: إنه يكون اعتذر عن مباشرته¹ ولن سكوت المصادر عن هذه التولية يدل على عدم قبول المقرئ هذا التعيين لأنه رآه إجراء تأديبيا إذ كيف ينزل من قضاء حاضرة كبيرة كفاس إلى مدينة صغيرة كهنين. وهو بهذا يبرهن على الثبات على موقفه. ولن كلفه ما كلفه فهو لا يخشى في الله لومة لائم.

ثم تذكر لنا المصادر إن السلطان ولاء قضاء عسكره إلى أن مرض سنة 1358هـ/1358م وتوفي سنة 758هـ/1359م²

ب- من منتصف القرن 8هـ / 14 م إلى منتصف القرن 9هـ / 15 م

وفي هذه الفترة برز خمس قضاة من بيوتات العلماء تداولوا على خطة القضاء خلفا لأسلافهم وكانوا مجتهدين ومخلصين فيه وهم:

1- القاضي المنصف عبد الرحمن بن زاغ

أشار إليه ابن مرزوق الخطيب في مجموعه أو مناقبه فقال: " وكنا قد نزلنا يوم وصلنا دار الفقيه القاضي أبي زيد عبد الرحمن بن زاغ، وكان يومئذ من العدول " ³ ثم أضاف: " وكان قد تزوج خالتي ابنة عم والدتي وجدنا حالهم من السعة " ⁴ و الرواية هنا لأبيه إذ كان هو في رحم أمه في حدود سنة 711هـ/1311م.

ومن خلال هذه الإشارة يفهم أن أبا زيد عبد الرحمن بن زاغ قد تولى القضاء وتم الشهود له بالعدل والإنصاف وكان ثقة في عمله لرسوخه في العلم وإخلاصه في عمله وورعه وصلاحه⁵.

¹ - أبو الأُجفان: نفسه، ص: 82 .

² - ابن خلدون: رحلته ص: 69.

- التنبكتي نيل م 2 ص: 77.

³ - ابن مرزوق الخطيب: المناقب المرزوقية، ص: 237 .

⁴ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 237 .

⁵ - ابن مرزوق: نفسه، ص: 142 .

2- القاضي العادل علي بن عبد النور

أبو الحسن علي بن عبد النور من أكابر علماء تلمسان تولى قضاء تلمسان وكان بداية نائباً لأخيه محمد وبعد وفاته سنة 749هـ/1348م خلفه في منصب قضاء العسكر على عهد أبي الحسن وعندما رحل أبو عنان من تلمسان إلى فاس كان علي بن عبد النور أحد مرافقيه وعندما خلع أبو عنان أباه ونصب نفسه ملكاً عين علي بن عبد النور في منصب قضاء مكناسة وبقي في هذا المنصب إلى غاية سنة 763هـ/1362م في بداية عهد السلطان أبي زيان محمد وهو في كفالة الوزير عمر بن عبد الله الذي سيطر على دواليب الدولة واستبد برأيه، حينها اضطرت الأوضاع وما بقيت للشيخ علي بن عبد النور الرغبة في مواصلة العمل في هذا المنصب واستقال عنه بعد أربعة عشر سنة من العمل إضافة إلى سنوات أخرى بقضاء تلمسان وبجهة أخرى، وحسب رواية يحيى بن خلدون فإن عبارة " ويكثر من حواضر المغرب " ¹ فهي تدل على أكثر من مكناسة وتلمسان فقد يكون تولى هذا المنصب في حواضر أخرى ثم قيم مسيرته المهنية وقال: " فعدل وجالس الملوك " ² وبعد هذه الفترة توجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ورزق بحسن الخاتمة إذ توفي بها سنة 764 هـ / 1363 م ³ .

3- منصور بن هدية وخلافته لأبيه

العالم الفقيه المحدث فضلا عن إمامته وخطابته بالجامع الأعظم بأجادير فقد تولى قضاء تلمسان خلفاً لأبيه بعد وفاته سنة 735هـ/1335م وشهادة يحيى بن خلدون تدل على حسن سيرته وعدله وإنصافه إذ يقول: " ولبي القضاء بعد أبيه فقام به خير قيام " ⁴ وخلافته لأبيه لها من الدلالة ما يبرز حسن سيرة بيت بن هدية وكفاءة علمائه في إدارة شؤون قضاء

¹ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج: 01، ص: 122 .

² - يحيى بن خلدون: نفسه، ج: 01، ص: 122 .

³ - ابن خلدون: نفسه، ج: 01، ص: 122 .

- عبد الرحمن بن خلدون: رحلته، ص: 58 .

- ابن مريم: البستان، ص: 144 .

⁴ - ابن خلدون: بغية الرواد، ص: 116 .

تلمسان¹ وما يفهم من سكوت المصادر عن الاستمرار في هذا المنصب قد يوحي إلى بقاءه فيه ولنا سلمنا بهذا الرأي فمعنا هذا أنه قد بقي في منصب القضاء نحو 35 سنة هي مدة معتبرة تمكّن فيها من المحافظة على حسن السيرة عدلا بين المتخاصمين ورضا من العامة وثقة من الخاصة وعلى رأسهم سلاطين بني زيان.

4- قاضي المالكية ابن مرزوق الخطيب

علم الأعلام فخر المغرب على المشرق ابن مرزوق الخطيب إذ كان قد تولى عدة مهمات ببلاد المغرب فإن منصب القضاء لم يتوله إلا في آخر حياته عندما رحل إلى القاهرة بعد الاضطرابات التي حصلت له وكان استقباله استقبالا حارا من قبل ملكها الأشرف² الذي أنزله حق منزلته وأكرمه حق الإكرام وفضلا على إمامته وتدريسه نصبه في منصب قاضي للمالكية إذ كان القضاء مخصصا حسب المذاهب السنية الأربعة الكبرى ومنها قضاء المالكية إذ حصل الشرف لابن مرزوق الخطيب أن تولى منصب قاضي المالكية وهذا المنصب لا يرشح له إلا الراسخون في العلم وقد استمر في هذا المنصب حتى وفاته سنة 781هـ/1379م لكن تاريخ بداية توليه هذا المنصب لم تذكره المصادر³ وقد استمر على هذا المكان تكريما واحتراما وتقديرا لمنزلته فكانت، هذه إشارة وردت في المصادر فقط وحتى كتاب المناقب المرزوقية توقف على تدوينه في أوائل سنة 763هـ/1361م⁴.

¹ - ابن خلدون: بغية الرواد، ص: 117 .

- ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص: 227 .

- ابن مريم: البستان، ص: 171 .

² - الملك الأشرف هو أبو المفاخر شعبان بن حسن بن محمد بن قلوون حكم من سنة 754 هـ / 1363 م إلى سنة 778هـ/1376م.

- ابن خلدون: كتاب العبر، ج: 05، ص: 453.

³ - التتبعي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 116.

- ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، م: 02، ج: 06، ص: 272.

- ابن مريم: البستان، ص: 186.

- المقرئ: المصدر السابق، م: 05، ص: 414.

⁴ - المناقب المرزوقية، ص: 311.

5- عميد القضاة سعيد العقباني

أول نجباء بيت العقباني الفقيه العالم الفاضل السعيد العقباني من كبار علماء تلمسان الذي عادة ما كانت تسند لهم وظيفة القضاء، وقد أسند له هذا المنصب وتولاه في مدن عدة ومدة زمنية طويلة وقال عن نفسه: " ابتليت بالقضاء قريبا من خمسين سنة في بلاد مختلفة"¹ وقد تولى هذا المنصب بداية ببجاية أيام السلطان أبي عنان ما بين 749هـ/1348م إلى 759هـ/1358م ثم تولاه بوهران وتلمسان وهنين وسلا ومراكش² في مدة خمسين سنة كما ذكر ذلك، أما ابن مريم في بسنانه فقد قال: " له في ولاية القضاء ما ينيف عن أربعين سنة"³.

و طول هذه المدة في خطة القضاء ببلاد مختلفة من المغرب شرقا وغربا له من الدلالة ما يبرر مكانة الرجل علما وحنكة وخبرة من خلال النقاط الآتية:

- صاحب تكوين علمي كبير فقها وأصولا ودراية بالأحكام الشرعية ودراية بمختلف العلوم.
- ثباته وحسن سيرته صدقا وأمانة واستقامة.
- نزاهة وشجاعة وجرأة في الحق إحقاقا للحق وإبطالا للباطل قصد العدالة والأمان قال عنه ابن خلدون: " فحمدت سيره عدلا وجزالة"⁴
- طول مدة قضائه أكسبته خبرة ودراية كبيرة بشؤون القضاء وتقلبات المتخاصمين وبهذا يمكن اعتبار الشيخ سعيد العقباني كبير القضاة أو شيخ القضاة فهو خبير قضائي .
- تمكنه من الرياضيات والمنطق أهله للمحاجة والمناظرة .
- و نجاحه في خطة القضاء يمكن تفسيره بالعوامل الآتية:

¹- الوثنريسي: المعيار، ج: 06، ص: 44 .

²- يحيى بن خلدون بغية الرواد، ج: 01، ص: 123 .

³- ابن مريم: البستان، ص: 106 .

⁴- ابن خلدون: المصدر السابق، ج: 01، ص: 123 .

- إخلاصه في العمل بمنهج الوسطية والابتعاد عن التعصب والهوى وترك الطمع والمصالح الشخصية .

- استفادته من خبرة القضاء بحضوره مجلس غيره مثل حضور مجلس قضاء الفشتالي¹ بفاس واستفادته من طريقته في القضاء² .

- حرصه على مبدأ استقلالية القضاء للوقوف على الحق والتحاكم إلى النص دون السماع أو الخضوع لتدخلات الولاة أو السلطان .

ج- من منتصف القرن 9هـ/15م إلى سقوط الدولة الزيانية

وفي هذه الفترة كان البروز الواضح لبيت العقبانيين في تولي مناصب القضاء وهذا ما يدل اختصاصه في القضاء، وقد برهن على كفاءته ومقدرته في إدارة شؤون القضاء والحسم فيها ومن علمائه:

1- أصغر القضاة قاسم العقباني

العالم بن العالم الشيخ قاسم العقباني إضافة إلى اشتغاله بالتدريس تولى القضاء في سن مبكرة بتلمسان فذكرته المصادر فقالت: " ولي قضاء تلمسان في صغره ورأى أمله من ذريته في كبره " ³ وهذا يعني أنه تمكن من التحصيل الوفير والفهم الغزير في وقت مبكر وحسنت سيرته، وهذا المنصب عاة ما يتولاه كبار العلماء بعد سن النضج والاكتمال بعد الأربعين، وهو قد تولاه في صغره مما يدل على كفاءته ومقدرته، ثم إن هذه التولية تؤكد مدى حسن سيرة ابنه وعده في قضائه فلو لم يكن كذلك لما ولي هو بعده خطة القضاء ونكره

¹ - سبق ذكره وهو الذي خلف القاضي محمد المقرري في قضاء الجماعة بفاس توفي سنة 777 هـ / 1375 م .

- مخلوف: شجرة النور، ص: 235 .

² - محمد العقباني: تحفة الناظر، ص: 30 .

³ - التتبعاتي: نيل الإبتهاج، ج: 02، ص: 13 .

- كفاية المحتاج، ص: 281.

- ابن مريم: البستان، ص: 148 .

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 99 .

مخلوف بـ: " قاضي الجماعة بتلمسان " ¹ وقد اقتصر المصادر على هذه الإشارة فقط دون تفاصيل أخرى عن مدته ومكانه هل بقي بتلمسان أو تولى القضاء بمدن أخرى وطبيعة سيرته في عمله أو نماذج من أحكامه ولكن عموماً كانت سيرته حسنة وهذا بشهادة ابن مريم في بستانه: " وكانت أخلاقه رضي الله عنه حسنة مرضية قل أن نرى مثلها " ² .

2- القاضي محمد العقباني

الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم العقباني وبدوره كان على خط سلفه علماً وصلاً ووظيفة، إذ تولى قضاء تلمسان حيث ذكرته المصادر بإيجاز فقالت: "ولي قضاء الجماعة بتلمسان" ³ وترجمته جاءت بصفة عامة وجيزة جداً لم تتجاوز خمسة أسطر و52 كلمة.

ولكن ما يمكن التأكيد عليه هو تعاقب أهل هذا البيت على منصب القضاء، وهو يعني مدى قدرتهم وكفاءتهم في إدارة القضاء وحسن الفصل في قضاياها المختلفة. وفي الأخير أشارت المصادر إلى عزله عن منصب القضاء وتولية عمه إبراهيم مكانه دون ذكر سبب هذا الإجراء ⁴.

¹ - مخلوف: شجرة النور، ص: 255 .

² - ابن مريم: البستان، ص: 148 .

³ - التتكتي: نيل الإبتهاج، ج: 02، ص: 232 .

- كفاية المحتاج، ص: 431 .

- ابن مريم: البستان، ص: 244 .

⁴ - التتكتي: نيل الإبتهاج، ج: 01، ص: 56 .

- كفاية المحتاج، ص: 431 .

- ابن مريم البستان، ص: 57 .

3- القاضي القدير إبراهيم العقباني

أبو سالم إبراهيم العقباني وهو سليل أبيه وجدّه كان عالماً فاضلاً، فزيادة على تدرّيسه تولى بنفسه منصب القضاء وقد أشارت المصادر إلى عزل ابن أخيه محمد وتوليّه مكانه وهذا ما يؤكد تعاقبهم في مناصب القضاء، إذ اختصوا به لقدرتهم علماً وكفاءة وقد ذكرته بـ: "قاضي الجماعة بها تولى القضاء بعد عزل بن أخيه العلامة محمد بن أحمد بن قاسم"¹. و ترجمته هو كذلك جاءت وجيزة إلا أنها ختمت بتقييم يدل على حسن سيرته وتمكّنه من وظيفته قال التنبكتي: " قد تولى قضاء تلمسان وكان شكورا " ² وابن مريم نكره هو كذلك فقال: " تولى قضاء تلمسان وكان مشكورا " ³ فشكورا يعني هو شاكر لله تعالى أما مشكور فهو شكر الناس له وشاكر لنفسه والخالصة في كل الأحوال كانت سيرته حسنة طيبة في مساره المهني القضائي .

¹ - التنبكتي: نيل الإبتهاج، ج: 01، ص: 56 .

- كفاية المحتاج، ص: 105 .

- ابن مريم: البستان، ص: 57 .

² - التنبكتي: نيل الإبتهاج، ج: 01، ص: 54 .

- كفاية المحتاج، ص: 105 .

³ - ابن مريم: البستان، ص: 57 .

الفصل الثاني دور العلماء في الحركة العلمية

زيادة على نشاط علماء البيوتات في التعليم، و خطة الإمامة وخطة القضاء . كان لهم إسهام في الحركة العلمية بإنتاج علمي في مختلف العلوم النقلية والعقلية منه ما هو شروح ومختصرات ومنه ما هو إبداعي يعبر عن مستوى اجتهادهم العلمي بالاطلاع على ما كتب ممن سبقوهم ثم التجديد في شتى المواضيع كان لهم السبق المعرفي أحيانا، كما نشطوا الحركة العلمية بمناظرات علمية وبحوارات شفوية ومكتوبة في مسائل مختلفة لم تصل إلى درجة الإجماع فأبرزوا قوة الاستدلال في الطرح المعروض فكانت مساهماتهم راقية في تنشيط المشهد العلمي الذي يمكن تتبع حركته من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: دور العلماء في التأليف

لقد كان لعلماء البيوتات إنتاج علمي وفكري سعوا من خلاله إلى ترك آثارهم بالمساهمة في الحركة العلمية، والتي من أبرز مظاهرها التأليف فهو صورة صادقة للمشهد العلمي للمجتمع ورصد أمين لمعارفه، فهي تعكس المستوى العلمي للمجتمع فكانت مشاركة أعلام البيوتات في التأليف. والذي يمكن فهم مواضعه بصفة عامة حسب التقييم الجاري به العمل من علوم نقلية وعقلية، إن علماء البيوتات كان لهم الفضل في ترك مؤلفات تحفظ ذكرهم في مواضيع مختلفة، طبيعة هذه المؤلفات وحالتها موجودة أو مفقودة منشورة ومحقة أم لا زالت خاما في حالة مخطوط، ذلك ما يمكن تتبعه من خلال القرون الثلاثة للدولة الزيانية من منتصف القرن 7هـ / 13م إلى منتصف القرن 10هـ / 16م¹.

1- عن موضوع حركة التأليف في العهد الزياني ينظر قريان عبد الخليل: حركة التأليف بتلمسان في العهد الزياني (633—962هـ/1235-1554م) دورية قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية العدد التجريبي ديسمبر 2008ص:149

أ- مؤلفات علماء البيوتات من نشأة الدولة الزيانية إلى منتصف القرن 8هـ/14م:

لقد تميزت هذه المرحلة بمصنفات متنوعة من التاريخ إلى الفقه وأصوله إلى المنطق والجدل إلى التصوف، وهي تبرز مستوى علماء البيوتات. ولكن منها من ضاع ومنها ما هو محفوظ ومحقق كمرجع أساسي للدراسات والأبحاث، وعلماء هذه المصنفات هم:

1- تاريخ تلمسان ومحمد بن منصور بن هدية

الفقيه العالم الخطيب الكاتب أبو عبد الله محمد بن هدية إضافة إلى إمامته وتوليته خطة القضاء كانت له إسهامات أخرى أشار إليه المصادر، وهي التأليف ومن مصنفاته "تاريخ تلمسان" و"شرح الرسالة" فيحيى بن خلدون قال: "له تواليف جمّة في فنون شتى"¹ دون ذكر أي عنوان أما ابن مريم والمقري فلم يشيرا إلى مؤلفاته² ومصنّف تاريخ تلمسان لم يبق منه إلا العنوان وحسب بن رمضان وبين حمدان فإن الكتاب قد ضاع أثناء الحصار الطويل لتلمسان الذي دام أكثر من ثماني سنين³ 698هـ/1299م إلى سنة 706هـ/1307م وهذا الحكم يبدو أنه غير معلل، فهل افتراض عام علما أن العالم بن هدية قد عاش بعد الحصار 29 سنة وقد يكون تاريخ تأليفه بعد الحصار لكن ما يمكن نكره هو أن المصادر اللاحقة التي كتبت عن تلمسان وعلمائها لم تشر له عدا النباهي الذي نكرها وقال: "ذا حظ وافر من علم العربية واللغة والتاريخ"⁴ وهنا يجدر بنا أن نقف إلى جانب تساؤل الأستاذ حاجيات عمّا إذا كان يحيى بن خلدون قد عرف مصنف تاريخ تلمسان لابن هدية خاصة وأنه أقدم من البغية⁵ كما ورد الكتاب "تاريخ تلمسان" منسوباً إليه في دليل المخطوطات بمكتبة برلين وقد

1- يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج: 01، ص: 116 .

2- ابن مريم: البستان، ص: 225 .

- المقري: نفح الطيب، م: 05، ص: 234 .

3- بن رمضان وبين حمدان: المرجع السابق، ص: 144 .

4- النباهي: المصدر السابق، ص: 102 .

5- حاجيات: مقدمة تحقيق بغية الرواد، ص: 56 وص: 73 .

راسل الشيخ الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله المكتبة وكان جوابهم: لا يملكون شيئاً من ذلك¹.

كما نكرت الأستاذة الزهوي أن الأستاذ عبد العزيز الساوري عثر مؤخرًا على كتابي لمحمد بن هدية الأول بعنوان " مشرع الخاتم على مشروع الخاتم " مخطوط بلاسكوريال بدأ تأليفه أبو عبد الله وبعد وفاته أكمله ابنه أبو علي² أما الكتاب الثاني فهو موسوم " العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس " يعكف على تحقيقه محمد علال سيناصر عضو أكاديمية المملكة المغربية وسيصدر عن دار الغرب الإسلامي³ وقد استفتح لهذه الرسالة بقوله:

عجبا لها أذوق طعم وصالها *** من ليس يأمل إن يمر ببالها

وأنا الفقيد إلى تعلقة ساعة *** منها وتمنعي زكاة جمالها⁴

وعلق النباهي إلى آخر الرسالة من نظم ونثر شرحا حسنا أتى فيه بفنون العلم وضروب الأدب مما يدل على براعته⁵.

1- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج: 03، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1990 ص: 283، 284.

2- الزهوي: هامش المناقب المرزوقية، ص: 142 .

3- الزهوي: نفسه، ص: 142 .

4- النباهي: المصدر السابق، ص: 102 .

5- النباهي: المصدر نفسه، ص: 102 .

2- الفقه المقارن وأبو عبد الله المقرئ

ساهم أبو عبد الله المقرئ في إثراء المكتبة العربية الإسلامية بمصنفات شتى، و في مختلف العلوم والفنون¹، لكن يبدو أن أغلبها في عداد التراث الضائع ومن هذه المصنفات:

- كتاب القواعد قال عنه ابن الخطيب اشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية ضمنها كل أصيل من الدري والمباحثة² وقيل: إن اشتمل على 1200 قاعدة وقال عنه الونشريسي: "إنه كتاب غزير العلم كثير الفوائد لم يسبق إلى مثله"³ وقال فيه الشيخ الفاضل الطاهر بن عاشور⁴ إن أعلى تصانيفه قيمة كتاب القواعد الفقهية فهو عجيب الاختراع بعيد المنزع قصد فيه إلى استخلاص المبادئ الكلية التي أقيمت على النظريات الفقهية في كل باب وقارن بين قواعد فروع كل مذهب من المذاهب الأربعة⁵ وهذه القواعد هي: "كل كلي هو أخص من الأصول وسائر المعاني العقلية العامة، وأعم من العقود وجملة الضوابط الفقهية الخاصة... وهي الأصول القريبة لأمهات مسائل الخلاف الفقهي وقد غاص في بحث مسائل مقاصد الشريعة الإسلامية وأسرار الأحكام الفقهية وربط الفروع

1- ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 203 .

- التبتكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 83 .

- المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 284 .

2- ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 203 .

- المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 284 .

3- بنعلي محمد بوزيان: من نوادر المخطوطات التعريف بالمقرئ لأبي العباس الونشريسي .- دعوة الحق مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية والشؤون الثقافية والفكر تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط المملكة المغربية، العدد: 331، السنة 38 جمادى الأولى جمادى الثانية، 1418 هـ أكتوبر 1997، ص: 125 .

- المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 284 .

4- هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد طاهر بن عاشور التونسي رئيس المفتين بتونس وشيخ جامعة الزيتونة وفروعا " 1287 هـ / 1879 م - 1393 هـ / 1973 م له أكثر من 17 مصنف في العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها على رأسها كتاب تفسير القرآن الكريم " التحرير والتنوير " .

- خالد أحمد الشامي: بيان موقف شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير مركز إحياء التراث آل البيت تونس 1425 هـ / 2005، ص: 17 وص: 34 .

5- أبو الأجدان: الإمام أبو عبد الله المقرئ، ص: 104

بالقواعد وبين ما نشأ من الخلاف المذهبي على الاختلاف في أصل هذه القواعد¹ والكتاب المخطوط بمكتبة اسكوريال² وقد تم تحقيقه لنيل درجة الدكتوراه³.

• كتاب: "عمل من طب لمن حب"⁴ ألف سنة 753هـ/1352م وهو من صنف التأليف للمبتدئين الذي تم فيه مراعاة تفاوت مستوى الطلبة الذين لم يتعمقوا في الدراسة ولم تسبق لهم دراية واسعة وجاء متنوع المواضيع⁵:

القسم الأول: اشتمل على أحاديث شريفة متعلقة بالأبواب الفقهية.

القسم الثاني: الكليات الفقهية في 525 كلية ضابطة لمسائل الفقه في غاية الإفادة فهي تلخيص لأهم الأحكام وأصلحها في المذهب المالكي على المشهور والصحيح فهو قد قنن الفقه لتيسير تناول أهم مسائله فهي تعين الطلبة على استيعاب الفروع وحفظ المسائل وتمهيد الطريق لمن أراد أن يتوسع.

القسم الثالث: ويتضمن قواعد الأصول وعددها مائتين واشتملت على قواعد فقهية وأخرى أصولية صاغها بعد استنتاجها من الفروع المعهودة.

القسم الرابع: الألفاظ الحكيمة المستعملة في الأحكام الشرعية وهو عبارة عن مدخل للاصطلاحات الفقهية من الأقوال والحكم المأثورة عن طائفة من الأعلام.

• كتاب المحاضرات: ضمنه آداب المحاضرة ومجالس المناظرة وتراجم، وتناول عقيدة التوحيد وهو يرد على المتصوفة الذين يعتقدون أنهم هم العارفون الواصلون القريبون من الله وكان تأليفه سنة 757هـ/1357م⁶.

1- أبو الأجنان: المرجع السابق، ص: 102 و 104 .

2- نفسه، ص: 105 والمخطوط بمكتبة اسكوريال تحت رقم: 1158 .

3- محمد الدردابي: دكتوراه في الدراسات العليا الإسلامية من دار الحديث الحسنية بالرباط بالمغرب - وأحمد بن عبد الله بن حميد حقق قسم العبادات لنيل دكتوراه في الفقه المقارن من جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة 1404هـ/1983م.

- أبو الأجنان: المرجع نفسه، ص: 105 .

4- الكتاب مخطوط بالخزانة العامة بالرباط وسابقا المكتبة الوطنية للمملكة المغربية تحت رقم 1258 د .

5- المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 285 .

- لأبو عبد الله المقري: الكليات الفقهية، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجنان،، الدار العربية للكتاب 1997، ص: 19 .

6- المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 285 .

- بنعلي بوزيان: المرجع السابق، ص: 127 .

• الحقائق والرقائق: وهو من كتبه القيمة التي اشتهر بها موضوعها التصوف وفيه خلاصة المعرفة، و صفوة العلم، ونقاوة العمل، مزج فيه بين حقائق العبادة والعمل ورقائق وزبدة التذکر¹ وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ عبد القادر زمامة² وقال عنه الونشريسي: " بديع المنزع لطيف الإشارة وهو كثير بأيد الناس في تلمسان وفاس"³.

وله كتب أخرى في التصوف منها "إقامة المريد ورحلة المتبتل" وكتاب "التحف والطرف" وأخرى متنوعة مختصر ابن الحاجب الفقهي، والجامع لأحكام القرآن⁴ شرح جمل الخونجي⁵ في المنطق . نظم الآلي في سلوك الأمالي، وهو برنامج ضمنه شيوخه الذين أخذ أخذ عنهم⁶ وكتاب المحرك لدعاوي الشر من أبي عنان⁷ قصائد شعرية في مختلف الأغراض الأغراض أورد ابن الخطيب نماذج منها⁸.

-
- 1- ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 203 .
 - التبتكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 83 .
 - المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 284 إلى ص: 328 .
 2- عبد القادر زمامة: أبو عبد الله المقري وكتاب الحقائق والرقائق مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج: 01، المجلد الحادي والأربعين يناير 1966 م رمضان 1385 هـ، ص: 313 .
 3- بنعلي بوزيان: المرجع السابق، ص: 127 .
 4- ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 203 .
 - ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 02، ص: 246 .
 5- هو محمد الخونجي الشافعي أفضل الدين كتاب بعنوان "الجمل في مختصر نهاية الأمل" في المنطق توفي سنة 624هـ/1227م.
 -حاجي خليفة: كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون دار الكتب العلمية بيروت 1992 ، ج: 01، ص: 602 .
 6- المقري نفع الطيب، م: 05، ص: 310 .
 - الكتاني: فهر الفهارس، ج: 02، ص: 682 .
 7- المقري: نفسه، م: 05، ص: 310 .
 8- ابن الخطيب: الإحاطة، م: 02، ص: 204 .
 - القرني: توشيح الديباج، ص: 233 .
 - التبتكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 83 .
 - كفاية المحتاج، ص: 333 .
 - المقري: نفسه، م: 05، ص: 328 .

وما يلاحظ على هذه المؤلفات أنها إبداعية عملا بدعوة شيخه الأبلي في التتديد بكثرة التآليف الرديئة والعمل على إصلاح منهج التآليف، وهذه الرداءة فسرهما الشيخ أبو عبد الله المقري:¹

- الابتعاد عن التعامل مع الأصول من المصادر الأساسية القرءان الكريم والسنة النبوية
- اكتفاء الناس بمال قاله العلماء بما هو موجود ثم تدوينها في كتب .
- استباحة النقل من المختصرات الغربية أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها .
- تركوا الرواية فكثرت التصنيف وانقطعت سلسلة الاتصال حتى قال عنها "تقييدات للجهلة بل مسودات المسوخ"²

3- أصول الفقه عند أبي عبد الله الشريف

علامة تلمسان وإمام المغرب وقاضيه، عالم الشرفاء، وشريف العلماء من العلماء الراسخين المجتهدين وقد كان أنموذجا في التعليم بل كان مدرسة كاملة، وفضلا على هذا المجهود في التعليم كانت له مشاركة في إثراء المكتبة العربية الإسلامية ومن هذه المصنفات.

- في أصول الفقه: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول³ وقد ربط فيه بين الأصول والفروع إذ بين علاقة الأصول بالفروع وركز فيه على المسائل الأصولية التي وقع فيها الخلاف بين الأصوليين وانعكاسها على الفروع وقد حققه الأستاذ عبد الوهاب

¹- الونشريسي: المعيار، ج2، ص479

- المقري: المصدر السابق، م2، ص275

²- الونشريسي: نفسه، ج2، ص480

- المقري: نفسه، م2، ص275

3- التبتكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 95.

- كفاية المحتاج، ص: 342، وذكر بمفتاح الأصول .

- ابن مريم: ابلستان، ص: 173. وذكر العنوان بمفتاح الأصول .

عبد اللطيف¹ وقال عنه: من أجود المصنفات في علم أصول الفقه. أذفه على منهج جيد مرتب منظم قوى العرض دقيق النظر يعني بما خلت المؤلفات في هذا العلم فهو تطبيق للمسائل الفقهية على الأصول والأدلة الكلية فهو على طريقة الفقهاء لا على طريقة المتكلمين وجمع فيه بين منهج الحنفية والشافعية والمالكية في هذا الفن².

- في العقيدة: أذف كتابا في القضاء والقدر أجاد فيه وقدّر الحق حق قدره وشرح الأمور الغامضة³ وهو من ضمن الكتب المفقودة⁴.
- في المنطق: شرح مختصر نهاية الأمل للخونجي وقد أوضح الغاية من هذا التأليف فقال: " ولما لم تكن الأمانة للفكر في حماقته مست الحاجة إلى قانون يعصم الجنان من مقولاته كما يعصم النحو اللسان في مقولاته ولما كان مختصر الإمام الأوحى العالم الفذ أفضل الدين الخونجي رضي الله عنه قد بلغ في الغاية إلى حيث لا يعدل به ... فشرحت هذا المختصر شرحا يستوعب معاني وإيضاح مشكلاته وتحقيق مبادئه"⁵.
- تأليف في المعاوضات وهو مفقود⁶.
- مئارات الغلط في الأدلة⁷: وهو يصنّف ضمن موضوعات المنطق فهو رسالة في الجدل وقد قسمه إلى بابين:

1- أبو عبد الله أحمد بن أحمد المالكي التلمساني مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول حقه وخرج أحاديثه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف أستاذ بكلية الشريعة بجامعة الأزهر دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1403 هـ / 1983 م .

2- عبد الوهاب: تقديم مفتاح الوصول، ص: ي .

3- التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 96 . - كفاية المحتاج، ص: 341 .

- ابن مريم: البستان، ص: 172 .

4- بابا خويا: المرجع السابق، ص: 68 .

5- مخطوط بخزانة ابن يوسف بمراكش والزاوية الحمداوية بالرشيديية بالمغرب نقلا عن بابا خويا: المرجع السابق ص: 66 .

6- التتبكتي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 96 .

- بابا خويا: المرجع نفسه، ص: 68 .

7- مخطوط بخزانة ابن يوسف بمراكش بالمغرب ضمن مجموع تحت رقم 168 وقد حقه المصطفى الوضيبي .

- الشريف التلمساني: مئارات الغلط في الأدلة تحقيق مصطفى الوضيبي، د. الفكر والحضارة بكلية الآداب بالمدرسة العليا للأساتذة مراكش مطبعة التيسير الدار البيضاء، المغرب 1991 .

الباب الأول: الغلط اللفظي سواء اللفظ المفرد أو اللفظ المركب ولفظ المتردد بين الأفراد والتركيب.

الباب الثاني: تناول فيه الغلط المعنوي سواء من جهة المعنى في التأليف الجزئي أو في التأليف القياسي فهو يقصد بكل هذا الغلط في الأدلة العقلية والفقهية ومقصده من هذا التأليف تعليمي للكشف عن أوجه الغلط قال في مقدمته: " الغلط في البرهان وغيره من سائر الأدلة والحجج، إما أن تكون من جهة اللفظ أو تكون من جهة المعنى"¹ وهو يستدل في شرحه ككل نوع من الأمثلة العقلية والفقهية فهذا الكتاب هو رسالة في صناعة الجدل ذات غاية تعليمية وقد تميز في تأليفه بالتسلسل المنهجي في الانتقال بين المواضيع ويرتب الأفكار بعيد عن التعقيد والاستطراد ليصل إلى استنتاجات علمية وبهذا كان له السبق في هذا التصنيف.

تقديمه للكتب:

كان من عادة العلماء تقديم بعضهم لبعض ويأخذون بما هو جار العمل به عند تقديم الكتاب من أستاذ جليل لمؤلف الكتاب ومن ذلك العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب كان إذا ألف كتابا بعثه إلى الشيخ أبي عبد الله الشريف وعرضه عليه ويطلب منه أن يكتب عليه بخطه مبديا لرأيه وملاحظاته فيه²

ب- مؤلفات علماء البيوتات من منتصف القرن 8هـ/14م إلى منتصف القرن 9هـ/15م:

وقد تميزت هذه الفترة بكثرة الشروح لمختلف العلوم النقلية في الفقه وعلم الفرائض، وعلم الأصول، و علم الحديث، والسيرة النبوية وفي النحو والبلاغة وشروح البردة وكذا شروح

1- الشريف التلمساني: مئارات الغلط في الأدلة، ص: 14 .

- بابا خويا: المرجع السابق، ص: 67 .

2- التتبعي: نيل الإبتهاج، م: 02، ص: 97 .

- ابن مريم: البستان، ص: 175 .

للعلوم العقلية في المنطق والرياضيات دون أن ننسى محاولة ابن مرزوق الخطيب في التأريخ لسيرة سلفه ولسيرة السلطان أبي الحسن المريني ويمكننا تتبع هذه المصنفات كما يلي:

1- المؤرخ والمحدث ابن مرزوق الخطيب:

ترك ابن مرزوق الخطيب ثروة علمية من مصنفات في شتى أصناف العلوم والفنون ومنها:

• مخطوط في سيرة سلفه:

هذا المخطوط بدون عنوان ولا مقدمة يتخلله بتر في صفحاته عدد أو لفة 96 ورقة.

- خط مغربي حسن - من 12 إلى 14 كلمة في السطر .

- أربعة وعشرون سطر في الورقة.

- حجمه 20 سم x 28.5 سم.

- تاريخ تأليفه في أوائل سنة 763 هـ / 1362 م حين كان مسجوناً بفاس،

- نسخ للمرة الأولى 20 جمادى الثانية 870 هـ ليويسف بن عبد الرحمن الهبيري

ونسخ للمرة الثانية في 8 شعبان 1003 هـ بيد عبد الله أحمد بن عثمان التيجاني 1و

قد تم تحقيق هذا المخطوط من قبل الأستاذة سلوى الزهوي وهو موسوم بالمناقب

المرزوقية² موضوعه سيرة سلف بني مرزوق من نسب أسرته وسيرة أجداده وأعمامه

وسيرته الذاتية إلى غاية سنة 763 هـ 1362 م وهي الفترة التي كان فيها بسجن فاس

ألف هذا الكتاب.

1- نسخة من المخطوط بالمكتبة الخاصة .

- مكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم: 20 .

2- أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (ت. 781 هـ) المناقب المرزوقية دراسة وتحقيق الأستاذة سلوى الزاهري منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط: 1، 1429 هـ / 2008 م .

يتضمن الكتاب تراجم الشيوخ جديّه ووالده وأعمامه، وهو يقتصر على المهم من الأخبار، والعمل هذا لم يكن مبوباً وإنما كتب على عجل في السجن ويضم عموماً¹.

- الباب الأول: في النسبة والقبيل الذي يرجع إليه في فصلين .
- الباب الثاني: ترجمة حياة جده لأبيه محمد ابن مرزوق المتوفى سنة 681هـ/1282م في 20 فصل .
- الباب الثالث: يتناول فيه الحديث عن أبيه أحمد وهو يضم 18 فصلاً.
- الباب الرابع: جده لأمه إبراهيم بن يخلف التنسي المتوفى سنة 680هـ/1281م في 14 فصلاً.

- الخاتمة: وخصصها لترجمته الذاتية مولدة ونشأته، ورحلته، ومن لقيهم من الأولياء إلى غاية 763هـ/1361م² وعن مصادر كتابة هذا فهو لم يعتمد على المصادر المكتوبة بل قد اعتمد على المصادر الشفهية عن طريق الرواة " كحدثني " أو " أخبرني " أو عن طريق المشاهدة والمعينة ك: " لقيت ب... " أو " سمعت عن ... " أو " وكنت في ... " وكل هذا باستحضار الذاكرة لما اطلع عليه من وثائق وكتب ورسائل وصلته من شيوخه وأصدقائه.

وعلى العموم فهو يزودنا بمادة علمية تاريخية منها ما هي جديدة كشؤون الحياة اليومية من المأكل والمشرب والملبس ومنها ما هو مؤكد في المصادر المكتوبة المشهورة كبغية الرواد لابن خلدون خاصة ما تعلق بتراجم بعض علماء ومشايخ تلمسان³ فهي متطابقة تدفعنا إلى التساؤل هل اعتمد ابن خلدون يحيى وابن مرزوق الخطيب على كتاب واحد ككتاب "تاريخ تلمسان" للشيخ بن هدية ؟ لا نملك الإجابة الكاملة عن هذا التساؤل،

1- الزهري: المناقب، ص: 98 وص: 115 .

2- أبو عبد الله المناقب المرزوقية، من ص: 01 إلى ص: 133، القسم الأول: دراسة القسم الثاني من ص: 139 إلى ص: 311 تحقيق سلوى الزاهري

3- ينظر جدول المقارنة بين تراجم البغية والمناقب الزاهري: المناقب، ص: 107 .

ولكن جزء من الإجابة قد أشار إليه ابن مرزوق الخطيب حين تكلم عن دوافع هذا التصنيف التعليمية والتربوية على منهج السير والمناقب كسابقته فقال: " كان بعض أصحابنا قد تعرض لهذا الغرض فصنّف فيه، لكن لم يحصل بيدي منه شيء: وذكر القاضي الخطيب أبو علي منصور بن الفقيه القاضي أبي عبد الله بن هدية القرشي أنه جمع شيئاً من ذلك، ولو حصل بيدي شيء من هذا لكفاني عن التعرض لذلك"¹.

ثم نطرح سؤالاً آخر هل اعتمد يحيى بن خلدون على المناقب ؟ خاصة وأن المناقب قد تم تأليفه سنة 763هـ/1361م أما البغية فقد كان تأليفها في حدود سنة 775هـ/1373م وعليه فإن قيمة المناقب المرزوقية لا تقل قيمة عن معاصريه من المؤرخين الذين أرخوا لتاريخ بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 8هـ/14م خاصة وأنه يؤرخ لسلفه ولمن عاصره من السلاطين والعلماء والأولياء مع الاستطراد في بعض التفاصيل والدقائق عن أسرته ومجتمعه فهو يقدم مادة علمية جديدة عن التاريخ الاجتماعي وعاداته اليومية وثقافته الصوفية وأعلام تلمسان إذ أشار أثناء الكلام عن جده إلى 18 عالماً وعن أبيه 23 عالماً وجده لأمه 9 علماء وفي المجموع لأكثر من 50 عالماً، والتاريخ الاقتصادي من خلال النشاط الحرفي والتجاري والتواصل الحضاري بين حواضر المغرب الإسلامي وخاصة بين تلمسان وفاس من خلال تراجم العلماء. إذن المناقب المرزوقية يضاف إلى المصادر القيمة للمغرب الإسلامي خلال القرن 8هـ/14م، بل يمكن القول إن المصادر الأخرى كابن خلدون، التنسي، التنبكتي، ابن مريم والمقري قد تكون استفادت منه.

- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ألفه في رمضان سنة 772هـ/1371م² حينما كان بتونس وليس كما ذكر ابن القاضي بالأندلس³ وهو كتاب نفيس يؤرخ فيه للسلطان المريني أبي الحسن من خلال سيرته وصفاته وأعماله⁴.

1- ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص: 142 .

2- ماريا خصوص: دراسة المسند، من ص: 59 إلى ص: 77.

3- ابن القاضي جدوة الاقتباس، ص: 226.

4- هذا المؤلف هو الذي حققته ماريا خيسوس بيغيرا سنة 1980 م وطبع سنة 1981 م / 1401 هـ بالجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع تحت سلسلة إصدار المكتبة الوطنية.

- عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من استجازني من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز¹ وهو عبارة عن فهرسة للمشايخ الذين استمع إليهم وجالسهم في كل حواضر ومدن بلاد المغرب الإسلامي والمشرق من بلاد مصر إلى الحجاز إلى الشام، ولكن للأسف الشديد فإن النسخة الموجودة مبتورة ومتلاشية وبعض الأوراق بها خرم تكاد لا تقرأ².
- جني الجنتين في فضل الليلتين أي ليلة القدر وليلة المولد النبوي الشريف وهو كتاب عظيم ينبئ على الاطلاع الواسع الذي يتمتع به ابن مرزوق الخطيب³.
- برح الخفاء في شرح الشفا: و هو شرح بكتاب الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض المتوفى سنة 544هـ/1149م⁴ ورغم أنه لم يكمل هذا العمل إلا أنه استبحر فيه وقد أهداه ابن مرزوق للسلطان أبي الحسن المريني⁵ و كان الإقبال عليه كبيرا من أهل العدوتين والثناء والإطراء على مؤلفه ومنهم قول لسان الدين ابن الخطيب:

أزاهير رياض *** أم شفاء العياض

سدد الله ابن مرزوق *** إلى تلك الأمراض⁶

-
- 1- ابن الخطيب: الإحاطة، م: 03، ص: 105.
 - المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 392.
 - كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين، ج: 03، ص: 107.
 - البغدادي اسماعيل باشا: هدية العارفين، م: 06، ص: 170.
 - جاءت العبارة " من سمعت عنه" عوض " من استجازني " .
 - 2- نسخة بالمكتبة الحسنية، ملحق القصر الملكي - الرباط المغرب، تحت رقم: ضمن مجموع 7579 .
 - 3- الكتاني: فهرس الفهارس، ج: 01، ص: 522، وذكر موجود في مكتبتنا .
 - الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج: 02، ص: 134 . وذكر موجود بمكتبة خاصة بفاس .
 - ماريا: دراسة المسند، ص: 51، ذكرت يوجد بالرباط .
 - 4- ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص: 280 .
 - 5- ابن مرزوق: المسند، ص: 277 .
 - التنبكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 117 .
 - الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء عند العرب والمتعربين والمستشرقين، ط: 03 حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، بيروت 1970 م / 1390هـ، ج: 03، ص: 226 .
 - 6- ابن الخطيب: الإحاطة، م: 03، ص: 127 .

و قال في قصيدة أخرى:

كفاء إعجازا كتاب الشفا *** والصبح لا ينكر عند الوضوح

يا خير مشروح وفي واكتفا *** منه ابن مرزوق بخير الشروح¹

- تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام² كتاب عمدة الأحكام عن سيد الأنام لتقي الدين المقدسي³ وهو عبارة عن تصانيف حسنة في الحديث وشرح ابن مرزوق هذا جاء أحسن من الشروح السابقة⁴ بفوائد جلييلة، وزيادات نفيسة⁵، مخطوطات من هذا العمل الضخم الذي يقع في خمس أجزاء موجودات في تركيا⁶ ومصر⁷.
- شرح الأحكام الصغرى: وهي لعبد الحق الاشبيلي⁸ خاص بعلوم الحديث قام ابن مرزوق الخطيب بشرحه⁹.
- إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب: وهو شرح لفروع ابن الحاجب¹⁰.

1- ابن الخطيب: المصدر نفسه م: 3، ص: 127
 2- ابن فرحون: الديباج المذهب، ج: 02، ص: 296 .
 - المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 418 .
 3- إمام ومحدث ولد سنة 541 هـ، حنبلي عاش بالقدس وبدمشق توفي سنة 600 هـ، البغدادي: هدية العارفين م: 05، ص: 589 .
 4- منها شرح ابن دقيق العيد: عالم مصري (625 - 702 هـ) البغدادي: المصدر نفسه، م: 06، ص: 140 . وشرح تلميذه عمر الفاكهني (654 / 734 هـ) البغدادي: المصدر نفسه، م: 05، ص: 789 .
 5- ابن فرحون: الديباج، م: 02، ص: 296 .
 - ابن القاضي: جدوة الاقتباس، ص: 227 .
 - حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون دار الكتب العلمية بيروت، 1992 م، ج: 02، ص 164 .
 6- خزانة آية صوفيا رقم: 1331 نقلا عن الزاهري: المناقب، ص: 83 .
 7- خزانة القاهرة تحت رقم: 292 نقلا عن الزهري المناقب، ص: 83 .
 8- عبد الحق الاشبيلي عالم أندلسي نزيل ببجاية خطب ودرس بها (582/510 هـ) . - الغبيري: عنوان الدراية، ص: 73 .
 9- التبتكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 117 .
 - ابن مريم: البستان، ص: 189 .
 - المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 418 .
 - الزركلي: الأعلام، ج: 06، ص: 226 .
 10- التبتكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 117 .
 - ابن مريم: البستان، ص: 189 .

- شرح صحيح البخاري¹.

و له مؤلفات أخرى لا يعرف منها إلا العناوين ومنها²

- كتاب الإمامة.

- ديوان خطب وقصائد.

- الأربعين المسندة في الخلافة والإمامة.

- إيضاح المرشد فيما تشمل عليه الخلافة من الحكم والقواعد.

- تحفة الطرف إلى الملك الأشرف وقد ألفه في حق الملك الأشرف شعبان بن الحسن لكرم

ضيافته ورعايته له ولأهله، فخصص قسما لوصف ممالك مصر فهم أفضل خلق

المعمورة وعلى رأسهم الملك الأشرف كما خصص قسما آخر عن خصائص أقاليم

مصر³.

2- شارح المنقول والمعقول سعيد العقباني:

الإمام العالم القاضي سعيد العقباني على كثرة انشغالاته التعليمية والقضائية والفتوى

فإنها لم تشغله عن التأليف وقد ترك آثاره في العلوم الدينية وعلوم اللغة والكلام والعلوم

العقلية . ومن هذه المؤلفات:

- شرح العقيدة البرهانية في أصول الدين⁴ و يندرج موضوع هذا الشرح في علم الكلام الذي

الذي قال عنه ابن خلدون: " وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة

1- الكتاني فهرس الفهارس، ج: 01، ص: 521 .

2- المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 417 .

- الكتاني: فهرس الفهارس، ج: 01، ص: 521 .

- الزركلي: الأعلام، ج: 06، ص: 226 .

- Barges: Complement P: 108

3- حاجي خليفة: كشف الظنون، ج: 01، ص: 104 .

- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج: 02، ص: 134 .

4- ابن فرحون: الديباج، م: 01، ص: 345 .

- ابن القاضي: درة الرجال، ص: 431 .

- التنبكتي: نيل الابتهاج . م: 01، ص: 204 .

- ابن مريم: البستان، ص: 106 . - توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية الجزائرية في مجموع تحت رقم: 2761 .

العقلية والرد عن المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد¹ ومن هنا فهو يتناول دليل وجود الإله، والدعوة إلى توحيدهِ وعدم الشرك به وبالتالي إنكار تعدد الآلهة وجاءت براهينه منطقية لإثبات هذه الأفكار².

- تفسير القرآن الكريم لم يكن تفسيره كاملاً للقرآن الكريم وإنما فسر أجزاء منه ومنه تفسير سورة الفتح، سورة الأنعام، سورة الفاتحة وتقييماً لهذا التفسير نكرت المصادر: "وقد أتى فيها بالعجاب وفوائد جليّة، ولكن هذه التفاسير يبدو أنها مفقودة"³.
- شرح الحوفي⁴ في الفرائض⁵: موضوعه علم الفرائض الذي يبين فروض الوراثة وتصحيح السهام لفريضة تقييم التركة عدداً وقد أبرز سعيد العقباني مكانة علم الفرائض في الشريعة الإسلامية إذ تولى الله تعالى تقسيمها بكل تفصيل وتدقيق وشرح أركانها بالاستدلال المنطقي والبراهين الرياضية والمعالجات الحسابية وذلك نظراً لإمامه بالعلوم النقلية والعلوم العقلية وخاصة الرياضيات منها، وقد قيمت المصادر هذا الشرح فقال ابن فرحون: "لم يؤلف عليه مثله"⁶ ونقل عنه التتبكتي وابن مريم⁷.

1- ابن خلدون: المقدمة، ج: 02، ص: 557 .
 2- رفاف: المرجع السابق، ص: 78 .
 3- ابن فرحون: المصدر نفسه، ج: 01، ص: 345 .
 - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 341 .
 - التتبكتي: نيل الابتهاج، م: 01، ص: 204 .
 - ابن مريم: البستان، ص: 106 .
 4- أبو القاسم أحمد بن محمد بن خلف الحوفي فقيه حافظ عالم فرضي له تعاليق في الفرائض، كتاب الفرائض: تأليف كبير ووسيط صغير توفي سنة 588 هـ / 1112 م، مخلوف: شجرة النور الزكية، ص: 159 .
 5- ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 01، ص: 345 .
 - ابن القاضي: درة الحجال، ص: 431 .
 - التتبكتي: نيل الابتهاج، م: 01، ص: 204 .
 - ابن مريم: البستان، ص: 106 . توجد نسخة لهذا المخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 1312 ونسخة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم: 5312 نقلاً عن رفاف المرجع نفسه، ص: 66 .
 6- ابن فرحون: الديباج، م: 01، ص: 345 .
 7- التتبكتي: نيل الابتهاج، م: 01، ص: 204 .
 - ابن مريم: البستان، ص: 106 .

- شرح كتاب التلخيص¹ هو شرح لكتاب التلخيص لابن البنا² وعنوانه "تلخيص في علم الحساب"³ فهو يندرج في علم الرياضيات والحساب إذ يحتوي على رموز العمليات المختلفة، ورموز لأنواع الكسور والرسوم الهندسية من العدد المعلوم إلى التناسب وتطبيقاته وقد اجتهد في كل هذا الشيخ سعيد العقباني بالتدليل في شرحه بالبرهان للإزالة كل شك والتحقق من صحة القضايا والعلاقات⁴.
- شرح قصيدة ابن ياسمين في الجبر والمقابلة⁵: شرح هذه القصيدة وهي عبارة عن أرجوزة في الجبر لابن الياصمين⁶ وقد كانت من مقررات برامج التعليم في بلاد المغرب الإسلامي الإسلامي إذ كثيرا ما نجد نكرها في المصادر وهي تتضمن أنواع المعادلات والعمليات البسيطة من الضرب والقسمة ولكن هذا المخطوط لا زال في عداد المخطوطات المفقودة⁷.

1- ابن فرحون: المصدر نفسه، م: 01، ص: 345 .

- ابن القاضي: المصدر السابق، ص: 431 .

- ابن مريم: البستان، ص: 106 . نسخة منه في مكتبة اسكوريال بإسبانيا تحت رقم: 935، نقلا عن رفاف المرجع نفسه، ص: 70 .

2- أبو العباس أحمد بن محمد الشهير بين البنا المراكشي (654 هـ / 1256 م - 721 هـ / 1321) عالم الرياضيات متفنن في عدة علوم ترك عدة مؤلفات في الأصول والتفسير والرياضيات ومنها تلخيص في علم الحساب - أحمد جبار محمد أبلأغ: حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط المملكة المغربية مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط: 01، 2001، ص: 20 .

3- أحمد جبار محمد أبلأغ ابن البنا المراكشي، ص: 89 .

4- رفاف: المرجع السابق، ص: 72 .

5- ابن فرحون المصدر نفسه ، م: 01، ص: 345 .

- ابن القاضي: رة الحجال، ص: 431 .

- ابن مريم: البستان، ص: 106 .

6- هو عبد الله بن محمد الإدريسي الشهير بابن الياصمين من علماء فاس اشتهر بمؤلفاته الرياضية وقصائده العلمية توفي سنة 601 هـ / 1203 م .

- مجهول: مخطوط القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم نقلا عن رفاف: المرجع نفسه، ص: 72 .

7- رفاف: المرجع السابق، ص: 73 .

- شرح ابن الحاجب الأصلي¹: وهو يندرج في علم الأصول والجدل وهو شرح جيد لكتاب ابن الحاجب² الموسوم بـ: "منتهى السؤل والأمل في علم الأصول والجدل وهو في عداد المخطوطات المفقودة"³.
- شرح جمل الخونجي⁴: وهو يندرج في علم المنطق وقد شرح هذا الكتاب "الجمل في مختصر نهاية الأمل" لمحمد الخونجي المتوفى سنة 648هـ/1250م وهذا المخطوط مفقود⁵.
- شرح البردة⁶: وهي في أدب المديح النبوي، وكما يسميها البعض قصائد المولديات وهي وهي الموسومة بـ "الكواكب الذرية في مدح خير البرية" لمحمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي المسيلي الجزائري المتوفى 696هـ/1297م⁷.

1- التتبكتي: نيل الابتهاج، م: 01، ص: 204. - ابن مريم: البستان، ص: 106
 2- هو عثمان بن عمر بن الحاجب عالم فقيه مالكي من علماء مصر اشتهر بعلمه في الأصول والنحو ومن مصنفاته الكافية في النحو والشافية في الصرف، توفي سنة 664 هـ / 1248 م. - ابن فرحون: الديباج، م: 02، ص: 78.
 3- رفاف: المرجع نفسه، ص: 80.
 4- ابن القاضي: درة الحجال، ص: 431.
 - ابن مريم: البستان، ص: 106.
 5- رفاف: المرجع نفسه.
 6- التتبكتي: نيل الابتهاج، م: 01، ص: 204. - ابن مريم: البستان، ص: 106
 7- الهادي حسني محمد: أعظم مادح لأعظم ممدوح مقال بجريدة الشروق اليومي العدد: 2859 الخميس 25-02-2010 الموافق لـ 11 ربيع الأول 1431 هـ أقلام الخميس، ص: 15.

3- كبير الشراح ابن مرزوق الحفيد:

لقد ترك لنا ابن مرزوق الحفيد ثروة علمية كبيرة في شتى العلوم الفنون وهي نحو 40 مؤلفاً¹ وقد أشارت الأستاذة سلوى الازهري إلى ابن مرزوق الحفيد ومؤلفاته المتعددة منها نحو 14 مصنف² ولكن هذه الثروة ضاعت في مجموعها ولم يبق سوى بعض المخطوطات منها:

• المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل:

و مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر³

- مجلد بنوعية جيدة مع نقوش بقياس 26 x 22 سم.

- الصفحات 293 = 1 - 294 = 2x147 صفحة

- السطور: 28 سطر في الصفحة وما بين 14 إلى 17 كلمة في الصفحة .

- شكل الخط مغربي نوع جيد .

أما مضمونه فهو شرح مختصر خليل 4 في الفقه من كتاب الطهارة والأفضية، أهل الفتيا الصفات والشروط .

• حاشية على مختصر سعد لسعد التافازي على تلخيص المفتاح:

مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر¹ مجلد في حالة حسنة كتب بتاريخ 20 ذي القعدة 1167 هـ .

1- التتبكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 180 .

- المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 429 .

- ابن مريم: البستان، ص: 210 .

- البغدادي: هدية العارفين، م: 06، ص: 191 .

- الكتاني: فهرس الفهارس، ج: 01، ص: 524 . - مخلوف: شجرة النور، ص: 253 :

- Barges : Complément . P: 315

2- الازهري: المناقب المرزوقية، ص: 90 .

3- المكتبة الوطنية بالجزائر قسم المخطوطات تحت رقم: 1136 . - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم: ق: 265

4- خليل بن إسحاق: صدر علماء القاهرة وحامل لواء مذهب مالك في زمانه توفي سنة 749 هـ / 1348 م .

- ابن فرحون: الديباج المذهب، م: 01، ص: 357 .

- القياس 23.2 x 18.5 سم .
 - الصفحات 79 صفحة .
 - عدد السطور 33 سطر والكلمات من 13 إلى 22 كلمة في السطر .
 - شكل الخط مغربي قريب من الجيد .
- أما مضمونه فهو يتناول علم البلاغة وحسن البيان والصناعة وهو حاشية على مختصر سعد وهو تأليف نثري وليس أرجوزة أو رجزا كما ذكر في بعض المصادر.²
- **المفاتيح المرزوقية في حل أقفال وخبايا الخزرجية:**³
 - مخطوط مجلد بنوعية مقبولة.
 - القياس: 22 × 26 سم.
 - الصفحات 206 = 2 × 103 صفحة.
 - السطور 32 سطر من 15 إلى 19 كلمة في السطر.
 - شكل الخط مغربي قريب من الجيد.
- وقد ذكرته المصادر بعنوان المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية⁴ أما المراجع فذكرته بالمفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية⁵ والخزرجية نسبة لمحمد بن أبي زيد الخزرجي⁶ وهي مساهمة أدبية عبارة عن رسالة أدبية في علم العروض

1- المكتبة الوطنية بالجزائر: قسم المخطوطات رقم: 2253 .

2- التبتكي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 180 .

3- مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر: قسم المخطوطات رقم: 2970 ..

4- التبتكي: نيل، م: 02، ص: 180 .

- المقري: نفح، م: 05، ص: 429 .

- الزركلي: الأعلام، ج: 06، ص: 226 .

5- نويهض: معجم، ص: 191 .

- الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج: 02، ص: 215 .

6- محمد بن أبي زيد الخزرجي من علماء تلمسان له مساهمات فقهية وأدبية توفي سنة 657 هـ / 1259 م .

- الحفناوي: تعريف الخلف، ج: 02، ص: 168 .

شرحها من قبل أحمد بن قنذ القسنطيني سماها " بسط الرموز الخفية في عروض الخرجية"¹ ثم جاء شرح ابن مرزوق الحفيد أكثر عمقا واتساعا للعروض والقوافي .

• المقنع الشافي:

مخطوط مجلد بنوعية مقبولة كتب بتاريخ 23 شعبان 1300 هـ 28 جوان 1883م²

- القياس: 18 × 21 سم .

- الصفحات: من 01 إلى 38 ورقة × 2 = 76 - 1 = 75 صفحة .

- السطور 24 سطر والكلمات من 12 إلى 14 كلمة في السطر .

- شكل الخط: مغربي بنوعية جيدة بحبر أسود ملون بالأحمر .

عن مضمونه فهو أرجوزة في الميقات مرتبة حسب الأشهر الشمسية بالأسماء الأوربية وما يقابلها بالأسماء العربية ضمنت نحو 1700 بيت يذكر كل شهر وخصائصه المناخية والنباتية والفلكية وخصائص الحياة اليومية كأوقات الصلاة وظروف التعلم .

• إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم:

مخطوط مجلد بنوعية جيدة³

- القياس: 12 × 18 سم .

- عدد الصفحات: 2 × 74 = 148 صفحة .

- السطور معدل 15 سطر في الصفحة ومعدل 10 كلمات في السطر .

- شكل الخط: مغربي بنوعية جيدة بحبر أسود ملون بالأحمر .

موضوعه يعالج النسب الشريف بالانتماء إلى الشجرة العطرة الطاهرة لآل بيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم والنسب هذا ليس من قبل الأب فحسب بل كذلك من قبل الأم

1- الحفاوي: تعريف الخلف، ج: 01، ص: 32 .

- كحالة: معجم، ج: 03، ص: 97 .

- الزركلي: الأعلام، ج: 06، ص: 226 .

2- مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر قسم المخطوطات، رقم: 2165 .

3- مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر: قسم المخطوطات رقم: 2067 .

- المخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: د 1783 .

معتمدا على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية خاصة أن الموضوع قد شغل بال الكثير من العلماء إذ كانت له أهمية في قيام الدول وتاريخها في الفترات المتعاقبة على تاريخ المغرب الإسلامي والمخطوط قد حققته الأستاذة مريم لولو وقارنته بكتاب آخر بنفس العنوان " إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم " لمحمد المراكشي أصلا والقسنطيني دار المعروف بالأكمه (739هـ/807هـ)¹.

• شرح البردة²

و هي ثلاثة شروح منها الأصغر والأوسط " الإستعاب لما من البيان والإعراب" ثم جاء الشرح الأكبر المسمى ب: " إظهار صدق المودة في شرح البردة" كل بيت شرحه بستة فنون من شرح المفردات وشرح المعنى وتركيب الجمل خواص الكلمة المستعملة ثم البيان البديع والإعراب والإشارات الصوفية 3 وتم تحقيق جزئين⁴.

1- محمد المراكشي الأكمه: (739 هـ / 807 هـ) إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم ويليه محمد ابن مرزوق (766 هـ / 842 هـ) إسماع الصم في إثبات الشرف للأم دراسة وتحقيق مريم لولو مطبعة الشرق وجدة المغرب، ط: 02، 2006 م .

2- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم: ك 1365 .

- التبتكي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 180

- ابن مريم البستان، ص: 210 .

- المقرئ: نفح الطيب، م: 05، ص: 429 .

- الزركلي: الأعلام، ج: 03، ص: 226 .

3- الفاسي العابد محمد: فهرس مخطوطات خزانة القرويين قدم وترجم له ابنه الفهري الفاسي دار الكتاب الدار البيضاء المغرب، ط: 01، 1999 هـ / 1971 م، ج: 01، ص: 291 . - حاجي خليفة: كشف الظنون، ج: 02، ص: 1333، وذكر أنها لابن مرزوق الخطيب .

- كحالة: معجم المؤلفين، ج: 03، ص: 97 .

4- حقق الجزء الأول منه رشيد بوطاكا بكلية الآداب بالرباط 1997 أما الجزء الثاني منه فقد حققه محمد الكوار بكلية نفسها سنة 1994 نقلا عن لولو مريم دراسة إسماع الصم، ص: 34 .

• المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية¹

ذكرها المقري بالغاية القرطاسية في شرح الشقراطيسية² وهي شرح لما جاء من تعاليم الفضيلة والعدل والحق لسقراط³.

• رجزان في علم الحديث⁴

رجز كبير سماه "الروضة" ورجز مختصر سماه "الحديقة" ومما جاء فيه وهو يصف أهل تلمسان:

و من بها أهل ذكاء وفطن *** في رابع من أقاليم قطن

يكفيك أن الداودي⁵ بها دفن *** مع ضجيعه ابن غزلون⁶ الفطن⁷

• نهاية الأمل في شرح جمل الخونجي:

يتناول فيها هذا الشرح لجمل الخونجي في علم المنطق وآداب البحث⁸

• اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة⁹

1- التتبكتي: المصدر السابق، م: 02، ص: 180 .

- ابن مريم: البستان، ص: 210 .

2- المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 429 .

- مخلوف شجرة النور، ص: 253

3- سقراط فيلسوف يوناني (469 - 399 ق.م) لم يترك أثرا مكتوبا لكن سجل حياته وتعاليمه تلميذه أفلاطون،

الموسوعة العربية الميسرة إشراف محمد شفيق غريال دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة: 1965، ص: 253

4- التتبكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 180 .

- مخلوف: شجرة النور، ص: 253 .

5- الداودي: هو أحمد بن نصر من أئمة المالكية بالمغرب كان بطرابلس وبها شرح الموطأ ثم انتقل إلى تلمسان وبها شرح

صحيح البخاري وله كتب أخرى توفي ودفن بتلمسان عند باب العقبة سنة 402 هـ / 1012 م [في الجهة الشرقية من

تلمسان قرب أقادير] ابن فرحون: الديباج، م: 01، ص: 166 .

6- أبو جعفر أحمد بن غزلون من علماء تلمسان توفي عام: 524 هـ / 1130 م دفن مع الداودي - ابن خلدون: بغية

الرواد، ج: 01، ص: 125 وهامشه في، ص: 158 حاجيات .

7- المقري: نفع الطيب، م: 05، ص: 433 .

8- التتبكتي: نيل الابتهاج، م: 180،

- حاجي خليفة: كشف الظنون، ج: 02، ص: 1984 .

9- مخطوط بالخرزانة العامة بالرباط، رقم: ك 429، ونسخة أخرى رقمها: 2983 .

وهي أجوبة على مسائل في الفقه والتفسير وغيرها جاءت أسئلة عن أبي يحيى بن عتبية¹.

• المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج²

وهي أجوبة على مسائل نحوية ومنطقية وردت عليه من قاضي الجماعة ابن سراج الغرناطي³.

• نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين:

وهو شرح لحقيقة صفات وخصال أولياء الله المتقين ورد فيه عن المبتدعين في الدين⁴.

• الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي:

وهو كتاب فقهي عن طهارة الروم للكتابات الدينية وخاصة المصاحف⁵.

• النص الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص:

جاء في ستة كراريس رد فيها على فتوى الإمام قاسم العقباني في مسألة الفقراء الصوفية وتبرير ما صدر عنهم من أقوال وأفعال فخالفه وعارضه الإمام ابن مرزوق الحفيد⁶ ومن هنا هنا صنف الحفيد زعيم السلفية السنية وقاسم العقباني زعيم المتصوفين⁷.

• مناقب إبراهيم المصمودي:

تناول فيه المناقب والخصال الحميدة لشيخه العالم الزهد إبراهيم مصمودي⁸

1- المقرئ: نفع الطيب، م: 05، ص: 429 .

2- التبتكتي: نيل، م: 02، ص: 180 .

3- المقرئ: نفع، م: 05، ص: 129 .

4- ابن مريم: البستان، ص: 225 .

5- هو مفتي وقاضي الجماعة بقرناطة زار تلمسان وناظر الإمام ابن مرزوق الحفيد توفي سنة 849 هـ .

6- التبتكتي: نيل، م: 02، ص: 198 .

7- ابن مريم: البستان، ص: 225 .

8- الزركلي: الأعلام، ج: 06، ص: 226 .

9- التبتكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 180 .

10- المقرئ: نفع، م: 05، ص: 421 .

11- البغدادي هدية العارفين، م: 06، ص: 192 .

12- التبتكتي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 181 .

13- المقرئ: نفسه، م: 05، ص: 430 .

14- البوعبدلي المهدي: أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ الأصالة: العدد 26، سنة 1975، ص: 127 .

15- التبتكتي: نيل، م: 02، ص: 180 .

16- المقرئ: نفسه، م: 05، ص: 430 .

• تفسير سورة الإخلاص:

جاء هذا التفسير لسورة الإخلاص بطريقة حكيمة كما يفعل المشايخ العلماء¹ وهناك مصنفات أخرى تشير المصادر على أنه لم يكمل تأليفها وهي

• المتجر الربيع والسعي الرجيح والمحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح:

وهو شرح لصحيح البخاري ويشير الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي على أنه وقع على هذا الشرح في جزئين بمكتبة الجامع الجديد في الجزائر ويقول إنه من أوسع الشروح وأغزرها مادة وأجزلها مباحث فهو يغنى عن الشروح الكاملة .

• روضة في شرح التهذيب².

• التحرير والاستيفاء والتنزيل لألفاظ الكتاب³.

• النقول: لخصه الإمام الـرعي وهو عالم فقيه ونحوي توفي سنة 853 هـ / 1449

ومضمونه في الفقه والنحو إذ هما من مواضيع اهتمام الإمام الـرعي بهذا التخصص⁴.

• إيضاح المسالك في ألفية ابن مالك: وهو مجلد في غاية الإتقان وصل فيه إلى اسم الإشارة والموصول⁵.

• شرح شواهد شراح الألفية: وهو مجلد يشرح فيه شراح ألفية ابن مالك وصل فيه إلى باب كان وأخواتها⁶.

– ابن مريم البستان، ص: 211 .

1- التبتكي: نيل، م: 02، ص: 180 .

– المقري: المصدر السابق، م: 05، ص: 430 .

– ابن مريم البستان، ص: 211 .

2- التبتكي: نفسه، م: 02، ص: 180 .

– المقري: نفسه، م: 05، ص: 430 .

– كحالة: معجم، ج: 03، ص: 97 .

3- التبتكي: نفسه، م: 02، ص: 180 .

– ابن القاضي: درة الحجال، ص: 290 .

4- التبتكي: نيل، م: 02، ص: 180 .

– ابن مريم: البستان، ص: 211 .

5- التبتكي: نيل، م: 02، ص: 180 .

– ابن مريم البستان، ص: 211 .

6- التبتكي: نيل، م: 02، ص: 180 .

• عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد: وهذا الكتاب كان نموذجا لمن كتب بعده في العقيدة¹.

• الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات: إضافة إلى هذه المصنفات هناك آثار أخرى منها: خطب وفتاوى مفيدة على مختلف المسائل قال فيها التتبكتي: " أجوبة وفتاوى على المسائل المنوعة فقد سارت بها الركبان شرقا وغربا بدوا وحضرا ذكر المازوني والونشريسي منها جملة ووفرة في كتابيهما"². ولنا أخذنا بالمنهج الإحصائي فهو بهذا كبير المصنفين في عصره وأغلبية مصنفاته هي شروح فكان كبير الشراح.

ج- من منتصف 9هـ/15م إلى سقوط الدولة الزيانية:

تراجعت مصنفات علماء البيوتات في هذه المرحلة الأخيرة وهي بذلك تساير الحركية العامة لهذه الفترة وما بقي استمر على نهج الشروح والمختصرات.

1- استمرار الشروح مع أحمد بن زاغو:

من العلماء البارزين في وقته بتلمسان فكان أعلم الناس بالتفسير وصاحب السبق في الحديث والأصول وله فهم مستقيم وتعبير فصيح كان انشغاله الكبير بالتدريس بالمدرسة اليعقوبية حيث تخرج عليه علماء أجلاء، لكن هذا لم يشغله عن التأليف إذ كان يدرس في أيام الأسبوع من السبت إلى الأربعاء أما يومي الخميس والجمعة فيخصصهما للتصوف قصد تزكية النفس وتطهيرها من جهة ومن جهة أخرى يتفرغ للتأليف وبهذا ترك ثروة علمية إذ قالت عنه المصادر له تأليف كثيرة 3 ومن هذه المصنفات:

1- ابن مريم البستان، ص: 211 .

2- التتبكتي: نيل، م: 02، ص: 180

3- ابن مريم البستان، ص: 211 .

2- مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر قسم المخطوطات رقم: 1335 . المجلد الأول، الورقة: 02، الوجه والورقة: 61، الوجه والظهر: الورقة: 151 .

3- ابن مريم: البستان، ص: 42 .

- في التفسير: تفسير سورة الفاتحة بدأ فيه بمقدمة في التفسير والتذييل عليه في ختم التفسير وهو في غاية الحسن، كثير الفوائد.¹
 - في علم الفرائض: شرح التلمسانية في علم الفرائض سماه منتهى التوضيح في علم الفرائض والواحد الصحيح.²
 - الفقه والأصول: شرح التلخيص لوالده في الفقه وجاء كذلك بمختصر الشيخ خليل من الأفضية إلى آخره ولخص فروع ابن الحاجب وكذلك في الأصول.³
- كما له اهتمام بالتصوف فكرا وسلوكا وتأليفا إذ جاءت مؤلفات أخرى في هذا التخصص .
- التصوف: شرح حكم ابن عطاء الله لابن عباد ولطائف المنن وشرح ولخص المغفرة لابن يحيى الشريف وجاء كذلك بشرح المختصر لإحياء علوم الدين للغزالي الذي قام به البلالي⁴ و لكن يبدو أن كل هذه المصنفات لا زلت في خبر المفقودة، كما أشار ابن مريم إلى فتاويه الكثيرة في النوازل للمازوني والمعيان للونشريسي⁵.

2- محمد ابن أحمد بن قاسم العقباني وكتاب الحسبة:

أبو عبد الله محمد العقباني الإمام العالم الفقيه القاضي زيادة على نشاطه التعليمي واشتغاله بالقضاء كانت له مشاركة في الإنتاج العلمي.

1- التبتكتي: نيل الابتهاج، م: 01، ص: 123.

- كفاية المحتاج، ص: 61 .

- ابن مريم: البستان، ص: 42 .

2- التبتكتي: نيل الابتهاج، م: 01، ص: 123 .

3- التبتكتي: نفسه، م: 02، ص: 123 .

4- نفسه، م: 01، ص: 123 .

5- ابن مريم: البستان، ص: 42 .

فمصادر التراجم كالتتبعي وابن مريم لم تشر إلى مصنفاته عدا ذكر، كان فقيها عارفا بالنوازل وله ملكة في التصوف¹.

أما كتابه الذي اشتهر به وذكرته المصادر المتأخرة هو كتاب " تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر"².

وقد نشرت مجلة الدراسات الشرقية هذا الكتاب وحققه الأستاذ علي الشنوفي³.

وقد أُلّف هذا الكتاب بعد المناكر والبدع التي شاعت، وقد يكون هذا رغبة من السلطان الزباني محمد الثالث المتوكل على الله (866هـ/1462م - 873هـ/1468م) الذي كانت تجمعه به قرابة كبيرة وهذا من باب واجب تغيير المنكر وسبله المشروعة.

وجاء الكتاب في ثمانية أبواب:

الباب الأول: المصادر الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الباب الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الباب الثالث: من يغير المنكر وشروطه .

الباب الرابع: طرق تغيير المنكر .

الباب الخامس: مراتب تغيير المنكر .

الباب السادس: طرق الكشف عن المنكر .

1- ابن القاضي: ذرة الحجال، ص: 279 .

- التتبعي: نيل الابتهاج، م: 02، ص: 232 . - كفاية المحتاج، ص: 432 .

- ابن مريم: البستان، ص: 224 .

2- البغدادي: هدية العارفين، ج: 02، ص: 201 .

- كحالة: معجم المؤلفين، ج: 08، ص: 202 .

- الزركلي: الأعلام، ج: 06، ص: 231 .

3- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العبباني التلمساني: تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي أستاذ مبرز، ب.ط، ب.ت .

- نشرته مجلة الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسي بدمشق، ج: 19، سنة: 1967 .

الباب السابع: وهو المقصود من هذا التأليف ما يقع فيه الاحتساب من المنكرات سواء في الشوارع أو الأحياء أو في الأسواق وعند أصحاب الحرف.

الباب الثامن: لقد خصه لمعاملة أهل الذمة.

وختمه بالأصل في ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو ما اصطلح على تسميته بالحسبة¹.

وبهذا فإن هذا الكتاب يعتبر من أهم الكتب التي ألفها في هذا الاختصاص أثناء هذه الفترة فهو يعكس الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كان عليها المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15 م.

وقد أشار العابد الفاسي في فهرسته إلى مختصر الفقه المالكي لمحمد العقباني وناسخه أحمد الحامدي سنة 1041هـ/1631م².

وما يمكن استخلاصه: إن علماء البيوتات لم تشذ عن حركية التأليف، بل هم الذين صنعوا مشهدها، فأبدعوا في شتى العلوم والفنون بداية ثم تراجع الإبداع بانتشار الشروح والمختصرات وهذا يدل على تدهور مستوى التفكير والاتجاه نحو الاستهلاك العلمي بحثا عن السهل من خلال النقل دون إحكام العقل في البحث والدراسة فكان الابتعاد عن الاجتهاد والركود في حركة التأليف وعدم تطورها حتى ساد الاعتقاد أن منزلة الاجتهاد لم يبلغها أحد بعد الأئمة الأربعة² وانتشار الشروح والمختصرات على نطاق واسع اعتقادا منهم بعصمة من سبقوهم وكأنها حقائق مطلقة وكان تقديسها والولوع بشرحها حتى قيل: "نحن خليليون إن ضلّ ضللنا"³ بهذا فإن وظيفة العقل أصبحت معطلة لا نقدا ولا تصحيحا، وإنما النقل عما

1- الحسبة: هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين .

- ابن خلدون: المقدمة، ج: 01، ص: 280 .

2- محمد العابد الفاسي: فهرسة مخطوطات القرويين، ج: 04، ص: 179 .

2- الوئشريسي: المعيار، ج: 2، ص: 170 .

3- التتبكتي: النيل، م: 1، ص: 186 .

كتب فقط دون تمحيص ولا غريفة ولا ملاحظة فالعقل كبل وألزم بتقليد القدامى حتى أن الخروج عنهم أصبح نوعا من الخروج عن الملة.

والاهتمام كان منصبا على العلوم النقلية بالدرجة الأولى اما الاهتمام بالعلوم العقلية فكان ضئيلا وكأنه من باب النافلة وليس من باب الفرض وبهذا وقع خلل في الحركة العلمية ومرد ذلك قد يعود إلى الاضطرابات السياسية والنزاعات العسكرية التي شهدتها بلاد المغرب وانعكست سلبا على هذه الحركة.

كما أن البعض اكتفى بالثقافة الشفوية، والشفهية وعزف عن التدوين مع الاقتصار على مصنفات المشاركة.

وما يؤسف له أن الكثير من هذه المصنفات ضاعت بفعل الحروب والفتن الداخلية والخارجية .

المبحث الثاني: في المناظرات العلمية

من النشاطات العلمية التي ميزت هذه الفترة المناظرات العلمية التي جرت بين العلماء في المجالس العلمية التي كثيراً ما كان سلاطين بني عبد الواد يشرفون عليها قصد تشجيع التنافس العلمي، واستقطاب العلماء من كل بلاد المغرب.

والمناظرة هي التحوار العلمي الشفوي والكتابي لإبراز نظرة العلماء في قضايا أثارت اهتمام العامة والخاصة، وهذه المناظرات تعرف بحدّة الجدل بين كبار العلماء وفق آداب ومقاييس علمية مضبوطة تناولها ابن خلدون في مقدمته فقال عن الجدل: "وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرّد والقبول متّسعا وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب المرسل عنانه في الاحتجاج. ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، احتاج الأئمة أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرّد والقبول"¹ ثم تعرض إلى آداب وأحكام الجدل والمناظرة فقال:

"وكيف يكون حال المستدلّ والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوماً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال. ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب، في الاستدلال، التي يتّوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه"².

ولقد كان لعلماء البيوتات الدور البارز في تنشيط هذه المناظرات والتفوق فيها وقد كانت على عدة مستويات وجهات قصد حفظ آرائهم والدفاع عنها بالحجج والبراهين والأطراف المتحاوره هي داخلية محلية بالمغرب الأوسط وخارجية مع المغرب الأقصى

¹ - ابن خلدون: المقدمة، ج: 2، ص: 556.

² - نفسه، ج: 2، ص: 556.

والمشرق الإسلامي ومع غير المسلمين وهي تظهر مستوى علماء تلمسان في منافسة علماء المغرب والمشرق ومن هذه المناظرات:

1- المناظرات المحلية:

1.1- مناظرة عبد الرحمن بن الإمام وعمران المشدالي

تمت هذه المناظرة في مجلس بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن¹ يرويه لنا القاضي أبو عبد الله المقرئ وسجلها لنا الونشريسي في معياره².
موضوع المناظرة: الفقيه ابن القاسم بين التقليد والاجتهاد
الفقيه ابن القاسم³ تلميذ الإمام مالك وناشر مذهبه بمصر.

عبد الرحمن بن الإمام قال: إن ابن القاسم مقلد مقيد النظر بأصول مالك.
عمران المشدالي قال: إنه مطلق الاجتهاد وأصبح له مخالفته لبعض ما يرويه أو يبلغه عنه ما ليس من قوله وأتى بنظائر كثيرة وقال: فلو تقلد بمذهبه لم يخالفه لغيره.
عبد الرحمن بن الإمام: اجتهاده مخصوص بالنظر إلى مذهب مالك مثل الإمام المزني بالنظر إلى مذهب الشافعي.

أبو موسى عمران: هذا مثال والمثال لا يلزم صحته فصاح أبو زيد وقال لا أبي عبد الله أبي عمر: تكلم لا أعرف ما قاله هذا الفقيه الذي أنكره من كلام أهل العلم إنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل.

قال أبو موسى للسلطان: هذا الكلام أصولي محقق. فتدخل الإمام أبو عبد الله المقرئ وهو حديث السن: ما أنصفتما الرجل فإن المثل كما تؤخذ من جهة التحقيق تؤخذ على جهة التقريب¹.

¹ - أبو تاشفين عبد الرحمن حكم من 718 هـ/1318م إلى 737 هـ/1337م.

² - الونشريسي: المعيار، ج: 11، ص: 383.

³ - هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم ولد سنة 132 هـ صحب مالك عشرين عاماً فهو من أشهر تلامذته ومن أعظم الأئمة بعد مالك بمصر وبفضله انتشر المذهب في المغرب وقد جمع بين العلم والزهد، لم يرو أحد الموطأ عن مالك أثبت من ابن القاسم وهو من كبار رواة المدونة وقد شهد له أئمة الحديث كالإمام البخاري والإمام الدار قطني والإمام النسائي بالثقة والصلاح وحسن الضبط توفي بالقاهرة سنة 191 هـ.

- ابن فرحون: الديباج، م: 1، ص: 409- ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص: 150.

فهذه المناظرة تدل على الجو العلمي الذي كان يشرف عليه سلاطين بني زيان سعياً منهم لتشجيع المناقشة العلمية لاستقطاب العلماء من كل حذب وصوب من جهة كما تدل من جهة أخرى على الاطلاع الواسع للعلماء لمختلف العلوم وأصنافها وعلى مناقب العلماء.

2.1- ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني بين السلفية والصوفية:

موضوع المناظرة: مسألة الفقراء الصوفية²

قاسم العقباني: أيد صنيع الصوفية الفقراء وساندهم فيما ذهبوا إليه وبرر ما قاموا به.

ابن مرزوق الحفيد: خالفه في فتواه وعارضه في رأيه وألف كتاباً في سبعة كراريس سماه: "النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص".

إلا أن طبيعة هذه الأعمال التي قام بها الصوفية الفقراء لم تشر إليها المصادر، لكن ما يستشف من كلمة "فقراء" قد تحملنا على القول أن القضية مرتبطة بجمع المال.

وبهذا اعتبر الإمام ابن مرزوق الحفيد زعيم السلفية السنية أما الإمام قاسم العقباني فهو زعيم المتصوفين³.

وقد استمر هذا الصراع بين السلفية والمتصوفين إذ نجد أن ابن مرزوق الحفيد أيده علماء الأندلس والقيروان وفاس، أما قاسم العقباني فقد أيده الإمام محمد بن يوسف السنوسي وألف كتاباً سماه "نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير"⁴.

وهذه المناظرة تعكس الخلاف الفكري الذي ساد بين علماء تلمسان منقسمين في ذلك إلى تيار سلفي يتزعمه فقهاء السنة كالفقيه محمد بن هدية والفقيه عمران المشدالي وابن مرزوق الحفيد، وتيار صوفي منهم أصحاب نزعة التصوف الفكري الفلسفي كابن خميس

¹ - الونشريسي: المعيار، ج: 11، ص: 383. - القرني: توشيح الديباج، ص: 130.

² - التبتكتي: نيل، م: 2، ص: 181 - المقرئ: نفع، م: 5، ص: 430.

³ - البوعبدلي: مجلة الأصالة ع: 1975/26، ص: 127.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 90.

التلمساني وأصحاب التصوف السلوكي التربوي كالإمام قاسم العقباني والإمام محمد السنوسي.

2- المناظرة مع المغرب الأقصى:

1.2- مناظرة سعيد العقباني مع ابن القباب وموضوع مسائل الإيلاء¹

جرت هذه المناظرة بين الإمام سعيد العقباني وفتيحه الحضرة الفاسية أبي العباس بن القباب² وملخص هذه المناظرة:

قال أحمد القباب: رجعة المولي لا تصح إلا بالوطء.

قال سعيد العقباني: الحالف بالطلاق ليدخلن الدار إذا طلق عليه بالإيلاء ثم ارتجع فإنه لا ينفعه الوطء إذا لم يدخل الدار ولا يضره ترك الوطء إذا دخلها وكذا في غير مسألة في يمينه المؤجلة بأكثر من أربعة أشهر إذا طلق عليه قبل انقضاء الأجل فارتجع ولم يوطأ حتى مضى الأجل بالجملة.

قال أحمد القباب: المولي في مذهب مالك رضي الله عنه لا رجعة له إلا بالوطئ إلا أن يكون له عذر من مرض أو سجن أو نحو ذلك فيصح ارتجاعه، لكنها رجعة مترقية. فإن صح المريض أو أطلق المسجون وأصابا ثبتت الرجعة، وإن امتنع من الإصابة بانته منه إن كانت عدتها قد انقضت وحلت مكانها للأزواج إن لم يكن خلا بها وإن خلا بها وتوافقا على عدم الإصابة بانته منه واعتدت للخلوة على المشهور من المذهب، ولا رجعة له عليها في عدة الخلوة وهذا كله منصوص في المدونة.

¹ - الإيلاء: هو يمين على ترك الجماع بشرائط مخصوصة، فهو حلف بيمين يلزم بالحنث فيها حكم على ترك وطء الزوجة أكثر من أربعة أشهر.

- داودي: المرجع السابق، ص: 371- معصر عبد الله: المرجع السابق، ص: 32.

² - أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن يكنى أبا العباس فتيحه الحضرة الفاسية وقاضي جبل الفتح، تولى الفتيا بفاس وله مصنفات متنوعة توفي سنة 1376هـ/1376م. أول من ترجم له ابن الخطيب: الإحاطة، م: 1، ص: 187 وذكره بابن القباب ونقل عنه ابن فرحون في الديباج، م: 1، ص: 162 وذكره بالقباب- ابن قنفذ: الوفيات، ص: 372 وذكره بالقباب.

- القرني: توشيح الديباج، ص: 33 وذكره بابن القباب.

- التكتبي: نيل الابتهاج، م: 2، ص: 100، كفاية المحتاج، ص: 49 وذكره بالقباب.

سعيد العقباني: الإيلاء قسمان: إيلاء لا طريق لارتفاع حكمه من المولي إلا بالوطء وإيلاء لا يرتفع حكمه بالوطء بل لارتفاع حكمه سبب آخر غير الوطء مثال الأول أن يقول والله لا أطوك، ومثال الثاني أن يقول والله لا أطوء ثمانية أشهر حتى يقدم زيد أو حتى أخرج من هذه البلدة أو أشبه ذلك¹.

وتتواصل المناظرة بينهما وكل فقيه يحتاج بالبراهين، ومصادرها الموطأ والمدونة وأقوال تلاميذ الإمام مالك كالإمام ابن القاسم والإمام أشهب وأقوال الفقيه ابن الحاجب كما يقارن الإمام سعيد العقباني بما يوافق الشافعية وهي تبرز سعة الاطلاع وسرعة استحضار الدليل وقوة المحاجبة، إضافة إلى ذلك فإن هذا الحوار يعكس واقع العلاقات الأسرية في بلاد المغرب الإسلامي.

2.2- مناظرة سعيد العقباني مع ابن القباب وموضوع صندوق التعاون لدفع الضرائب:

جماعة من تجار البز بمدينة سلا بالمغرب الأقصى اتفقت على إخراج درهم عن كل بضاعة يشتريها واحد منهم لتضع عند من يثقوا به وعند الحاجة إليها يستعان بها لدفع المغارم المخزنية، فاشتكى الحالة من ذلك واستفتوا الإمام سعيد العقباني وهو قاضي سلا، فأجابهم: أما الحالة لم أر لهم في هذا حقاً وأما التجار فمنعتهم أن يجبروا أحداً على ذلك وأبحت ذلك لمن أره منهم. ثم استفتوا الإمام القباب بالرباط فأجاب بمنع التجار لأنهم تواطؤوا على الحاكة، فوقعت مناظرة كتابية بينهما وعقبها مناظرات أخرى جمعها الإمام القاضي سعيد العقباني في كتاب سماه "لب اللباب في مناظرة القباب" وأوردها المازوني في درره نحو 33 صفحة² والونشريسي في معياره نحو 29 صفحة³ وملخص هذه المناظرة:

سعيد العقباني: هل هذه الدرهم المخرجة عن ثمن البضاعة المشتراة تستوجب نقصاً لأثمان الحاكة أم لا، مع علمهم بما أقدم التجار وأن البائع منهم لا يبيع إلا بعد استفتاءه لحقه من السلعة، والمشتري حسب رغبته فما الذي يشوب بيعاً وقع مستوفياً شروطه وأركانه ولو

¹ - المازوني: الدرر المكنونة، ج2، ص:635. الونشريسي: المعيار: ج5، ص:326.

² - المازوني: الدرر المكنونة، ج2، ص ص:662-695.

³ - الونشريسي: المعيار: ج5، ص ص:297-326.

كان ثمن البضاعة غالباً أو رخيصاً. ومن هنا ففقه المسألة يظهر في أن البائعين لا حق لهم في ذلك الدرهم المخرج ولا في منع التجار المشتريين من توظيفه على أنفسهم لأن البيع وقع صريحاً بثمن مسمى وعليه سلم البائع منهم بضاعته ورضي بذلك، فلا صحة له بعد ذلك وبسط القول في التحقيق في المسألة وفق مقدماتها.

أحمد القباب: التجار تواطؤوا على زيادة في ثمن البضاعة فألحقوا الضرر بالحاكة وإلحاق الضرر بالمسلم حرام ومن هنا لا يجوز للتجار أن يتواطؤوا وقد قال الإمام مالك: لا ينبغي للنفر أن يجتمعوا فيقولوا لا نزيد في الثمن على كذا.

سعيد العقباني: إنه لا دليل على أن التجار تواطؤوا على أن لا يزيدوا في السلع ذلك غير مسلم وإنما اتفقوا على إخراج درهم من كل سلعة يشتريها أحدهم.

أحمد القباب: لا يمكن التسليم بعدم التواطؤ بل إن كل تاجر يضع حساباً للدرهم المدفوع عند شرائه فيحاول أن ينقصه من ثمن السلعة وفي هذه مضرة واضحة للبائع.

سعيد العقباني: إذا سلمنا بمضرة البائعين فليتواطأ هؤلاء البائعون أيضاً ليدفعوا هذا النقص عن أنفسهم على أن لا يبيعوا إلا بزيادة هذا الدرهم¹.

أحمد القباب: لو سألنا أهل المعرفة في هذه المسألة لقالوا: أن التعامل يقع على الباعة دون التجار.

ثم يتواصل الحوار بين العالمين وكل طرف يقدم حججه الشرعية والعقلية لإثبات صحة قوله.

سعيد العقباني: لا أسلم أن التجار يمتنعون من الزيادة والواقع أنهم على الرغم من التزامهم بإخراج هذا الدرهم يتزايدون فيما بينهم إذن فأين الامتناع من الزيادة المزعومة.

أحمد القباب: إن البائعين مضطرون للبيع وتواطؤ التجار ثابت فكيف نبيح لهم ذلك.

¹ - المازوني: المصدر السابق، ج:2، ص:673. الونشريسي: المصدر السابق: ج:5، ص:304.

سعيد العقباني: لو قال التجار: إننا لا نشترى سلع هؤلاء الحاكة بقليل ولا بكثير ولو ماتوا جوعاً فهل كان يحل لأحد أن يلزمهم شراء تلك السلع، فإن لم يكفوا بشرائها وهذا ما تتطلبه عقود البيع والمعاملات فكيف يلزمون بثمن معين.

أحمد القباب: إن البائعين ضعفاء مضطرون للبيع بأي ثمن وجدوا والمشترون لهم فضول أموال إلا ما يوافق أغراضهم بالأثمان التي يستيقنون منها جلب الأرباح ومن بواعث المواساة دعا إليها الإسلام أن لا يجحفوا بحقوقهم في البيع¹.

سعيد العقباني: إن أمر المواساة شيء والبياعات شيء آخر لا نرى أن المسافرين قد يبيعون في حالة الحاجة بأثمان رخيصة وتمضى عقودهم عند جميع الفقهاء ولا يقول واحد منهم أن المشتري قد ظلمهم، وأيضاً لو تصورنا أن البائعين قد اتفقوا على إخراج درهم عن كل سلعة يبيعونها أفلا يكون المشترون ملزمين شرائها بهذا الثمن الذي يريده البائعون؟ وهل يسلم المعارض في هذه الصورة بأن الدرهم المخرج هو ملك المبتاع أم أنه يزعم أنه ملك للبائع، فإن قال لاحق للمبتاع فيه فقد نقض حجته في مسألة النزاع ون قال أنه حقه فقد وافقنا في جهة نظرنا وهذا هو المطلوب.

ثم يقول إن نظرنا بالقصد صاحب المخزن فهو يقول بلسان حاله إنك أيها المشتري قد اشتريت سلعة تريح فيها وأنا أحملك بجيشي وسيفي من الأيدي العوادي فأعطيني نصيباً من ذلك الربح أقيم به سيوفاً تحميك إلى أن يختم كلامه:

سكت رضي الله عنه عن جواب هذا الكلام لأنه رأى فيما تقدم له يغني عن جواب هذا، والله سبحانه الموفق للصواب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا².

إن الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها:

- آداب الحوار واحترام وتواضع العالمين لبعضهما البعض.

¹ - المازوني: المصدر السابق، ج:2، ص:683. الونشريسي: المصدر السابق، ج:5، ص:315.

² - المازوني: الدرر، ج:3، ص:695. الونشريسي: المعيار، ج:5، ص:326.

- اهتمام العلماء بفن الجدل والمناظرة قصد معالجة قضايا المجتمع وفق مقاصد الشريعة.
 - الاطلاع الواسع للفقهاء على القواعد الشرعية والضوابط الفقهية للمسألة مع محاولة الاجتهاد فيها.
 - المستوى العلمي العميق في معالجة مسألة المناظرة من كل جوانبها قصد الفصل النهائي في حكم المسألة.
 - إعمال العقل في تفاصيل المسألة مع مراعاة مصالح كل الأطراف حرصاً على تحقيق مقاصد الشريعة.
 - التحرر الفكري والنشاط الذهني لفقهاء المغرب.
 - تفوق الإمام سعيد العقباني لطول بآعه في الجدل مع استحضار الحجج والبراهين مع الجزم والحسم في رأيه مثل قوله:
- "فإنه من أفتى ها هنا بمنع الجار من ذلك وأن حق الحاكة يتعلق بتلك الدرهم فقد أخطأ خطأ فاحشاً"¹.

وبهذا فهو يقم المعارضين بقوة الأدلة الشرعية والعقلية الدامغة.

¹ - المازوني: الدرر، ج2، ص:669. الونشريسي: المعيار: ج5، ص:303.

3- المناظرة مع المشرق الإسلامي

مناظرة ابني الإمام لابن تيمية:

في سنة 720هـ/1320م رحلا الشيخان عبد الرحمن وعيسى ابنا الإمام إلى المشرق وكان لهما لقاء مع شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية المتوفى سنة 728هـ/1327م وناظره فقالت المصادر:

"قال تلميذهما الإمام المقرئ وقد سمعت أنا عليهما وناظرا تقي الدين بن تيمية فظهرا عليه"¹ دون أن تشير المصادر إلى موضوع المناظرة.

وقد كان تقي الدين بن تيمية من كبار الفقهاء المجتهدين في عصره وهو عصر المماليك² وآرؤه الفقهية اجتهادية خالف فيها علماء المذاهب السنية الأربعة يقول فيه الذهبي: "كان قوالاً للحق نهائاً عن المنكر وكان يحتج للمسائل المفردة بالقرآن والحديث، والقياس ويبررها ويناظر عليها ويطيل الحديث"³.

¹ - القرافي: توشيح الديباج، ص: 129. - التنبكتي: نيل، م، 1، ص: 267، كفاية المحتاج: ص: 178.

ابن خلدون لم يشر إلى هذه المناظرة في رحلته رغم أهميتها مما يفتح باب التساؤل لماذا أعرض عن ذكرها وتعتمد في إغفالها. رحلته: ص: 46.

² - دول المماليك أو الدولة التركية تاريخياً تنقسم إلى المماليك البحرية (648هـ/1250م - 784هـ/1382م) والمماليك الجراكسية أو البرجية (784هـ/1382م - 923هـ/1517م)، والسلطان الحاكم في هذه الفترة هو الناصر محمد بن قلاوون (693هـ/1295م - 741هـ/1341م). حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص: 310.

³ - الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية القاهرة، د/ت، ج: 17، ص: 542.

ومن المسائل التي اجتهد فيها الشيخ ابن تيمية مسألة الطلاق الثلاث في لفظ واحد لا يقع¹ وكان لها صدى كبير سنة 720هـ/1320م وهي السنة التي ارتحلا فيها ابنا الإمام إلى مصر، ومن هنا يرجح أن يكون موضوع المناظرة هو الطلاق الثلاث حيث عقد مجلس لابن تيمية بحضرة ممثل السلطان محمد بن قلاوون والقضاة والمفتون من المذاهب الأربعة وعاتبوه على فتواه وكان الحكم بسجنه² وابنا الإمام قد يكونا قد دافعا عن رأيهما من قول جمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة ومنهم الإمام مالك وقالوا: إن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثاً وتبين له المرأة بينونة كبرى فلا تحل لزوجها المطلق إلا إذا تزوجت زوجاً آخر غيره. ودليل ترجيح موضوع الطلاق الثلاث للمناظرة هو العبارة التي أضافتها المصادر بعدما ظهرا عليه في المناظرة هي: "وكان ذلك من أسباب محنته"³.

فانتصار ابني الإمام عليه رُد في تأكيد أن اجتهادات ابن تيمية خرجت عن ما كان عليه جمهور العلماء والفقهاء فكان جزاؤه السجن، كما أن هذا الانتصار رُد في شهرتهما بالمشرق فذاع صيتهما وأصبحا مقصداً للعلماء والطلبة⁴.

¹ - طلاق الثلاث: وهو ما كان بعد تطليق ثلاث طلاقات واستيفاء الطلقتين اللتين يملكهما الرجل من زوجته وكان الحلف بالطلاق عاما بين الناس ورآه ابن تيمية أنه أسلوب من القسم وتنفيذ عليه الأحكام المتعلقة بالطلاق، وقال إنه على الحالف أن يحنث إذا خالف قوله وعمل بخلافه وتلزم عليه كفارة اليمين من غير وقوع الطلاق، وكانت هذه الفتوى تعارض القول المشهور بين الفقهاء وأحدثت اضطراباً عاماً وتم حظر الفتوى، كما كان ابن تيمية يقول بأن المطلق بالثلاث بكلمة واحدة لا تلزمه إلا طلاقاً واحدة - الندوي أبو الحسن: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: دار العلم دمشق 2002، ج: 2، ص: 112.

- داودي عبد القادر: المرجع السابق، ص: 291-294.

² - ابن تيمية تقي الدين أحمد: مجموع فتاوى ابن تيمية... جمع وترتيب عبد الرحمن لنجدي مطابع الرياض، السعودية 1381 هـ، ص: 194-225.

- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل الدمشقي: البداية والنهاية مكتبة المعارف ط: 6 بيروت 1985، ج: 14، ص: 97.

³ - القرافي: المصدر السابق، ص: 129. 1

التبكتي: النيل، م 1، ص: 267، كفاية المحتاج، ص: 178.

⁴ - التنسي: تاريخ بني زيان، ص: 139

- التبكتي: نيل الابتهاج، م: 1، ص: 267.

4- المناظرة مع غير المسلمين:

موضوعها: عموم الرسالة المحمدية:¹

جرت هذه المناظرة بمراكش بين الإمام سعيد العقباني ويهودي باحث في العلوم الإسلامية.

اليهودي: ما دليلكم على عموم رسالة نبيكم.

سعيد العقباني: بعث الرسول صلى الله عليه وسلم للأحمر والأسود.

اليهودي: هذا خبر أحاد لا يفيد إلا الظن والمطلوب هو القطع.

سعيد العقباني: قال تعالى "وما أرسلناك إلا كافة للناس"².

قال اليهودي: هذا لا يكون حجة إلا على القول بصحة تقدم الحال على صاحبها المجرور، وأنا لا أقول بصحته.

وهذه المناظرة لم تكملها المصادر وكل ما يمكن أن يستخلص منها:

- حوار الأديان وتعايشها.
- التسامح الديني عند علماء المسلمين والاستماع إلى غير المسلمين.
- التحاور بالآداب واحترام كل طرف للطرف الآخر.
- اطلاع اليهود على اللغة العربية والعلوم الإسلامية بحثاً عن الحقيقة أم قصداً للمجادلة.

¹- التنبكتي: كفاية المحتاج، م: 1، ص: 161.

²- سورة سبأ، الآية: 28.

الفصل الثالث
دور علماء البيوتات
سياسيا واجتماعيا واقتصاديا

إن دور علماء البيوتات لم ينحصر في الوظائف العامة كالتعليم والإمامة والقضاء والمشاركة في الحركة العلمية تأليفاً ومناظرة، بل امتد نحو الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويمكن تتبع ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: الدور السياسي لعلماء البيوتات

إن مكانة ومنزلة علماء البيوتات جعلتهم محلّ تقدير واحترام لدى السلاطين، فقربوهم قصد الاستفادة من رصيدهم العلمي في الكتابة¹ والاستشارة والسفارة وهذا منذ القرن 7هـ/13م إلى القرن 9هـ/15م وهذه الأدوار حسب المراحل التاريخية.

1- محمد بن هدية كاتباً ومستشاراً

قال عنه النباهي: "كبير قطره في عصره نباهة وجاهة وقوة في الحق وصرامة وكان أثيراً لدى سلطانه"².

وهو السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول (718هـ/1318م - 737هـ/1337م) فقد اختاره واصطفاه وجعله من خصائه لا لشيء إلا لعلمه ونباهته وكفاءته فكان:

1.1- كاتباً للسلطان:

قال عنه يحيى بن خلدون: "من أئمة اللسان والأدب ذو بصر بالوثائق... وكتب الرسائل عن الملوك الأوائل"³ وقد سبقه ابن مرزوق الخطيب وقال عنه: "أبو عبد الله بن هدية أحد قضاة العدل وأئمة اللسان والأدب ونفوذ الأحكام والبصر بالوثائق"⁴ فهو إمام اللسان ذو دراية كبيرة باللغة ونحوها وآدابها وصاحب البيان والفصاحة، والاختصاص الآخر الذي تميز به عن غيره هو "ذو بصر بالوثائق" من حيث أنواعها وأصنافها الموثيق الرسمية

¹ - عن موضوع العلماء والكتابة الديوانية ينظر: البوكيلي فائزة: المرجع السابق، ص: 406.

² - النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص: 101.

³ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج: 1، ص: 116.

⁴ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 175.

البيعات والعقود والمراسلات الرسمية إضافة إلى وثائق أخرى من تبريكات وتهنئات والبشائر والمهادات والتعازي. وقال النباهي "قلده مع قضائه كتابة سره"¹.

فهو الذي يحفظ أسرار الدولة ويضبطها، يحفظ السجلات والأختام والتوقيع عليها.

وبهذا ينظم محاسن الخلافة وتستقيم أمورها وكل هذا يتطلب من الكاتب إجادة الخط فهو يحلي الكتب كما ينبغي أن يكون ذا صبر ورزانة إذ لا يتسرع في الكتابة حتى لا تكون الزلة أو السقطة وكذا عدم التسرع في القرعة فيفسد الفهم، ولعل الكاتب محمد بن هدية ممن كانوا يتصفون بهذه الخصال حيث قال فيه النباهي: "كاتباً بليغاً ينشئ الرسائل المطولة في المعاني الشاردة ذا حظ وافر من علم العربية واللغة والتاريخ"² فرسائل بن هدية لم تكن رسائل عادية وإنما رسائل قوية المبنى عظيمة المعنى فهي نادرة قل ما نجد مثلها، ولكن المصادر للأسف لم تحفظ لنا ولو أنموذجاً واحداً.

2.1- مستشاراً للسلطان

زيادة على هذه الخطة كان من المقربين للسلطان يخصه بالمشورة وقد عبر عن هذا النباهي بكل دقة فقال: "وأنزله من خواصه فوق منزله وزرائه فصار يشاوره في تدبير ملكه، فقلما كان يجري شيئاً من أمور السلطنة إلا عن مشورته وبعد استطلاع نظره"³ ثم يقيم هذه الاستشارة فيقول: "وكان أصيل الرأي، مصيب العقل مذكراً للسلطان بالخير معيناً عليه"⁴ فهو يعد من خلال هذه الشهادة من البطانة الصالحة للخليفة حظي بالمكانة الرفيعة التي تميز بها فالسلطان لا يقطع أمراً إلا بعد مشورته وقد صور هذه المكانة ابن مرزوق الخطيب فقال: "ونال هذا القاضي بالوجاهة والظهور، ما لم ينله غيره رحمة الله على الجميع"⁵، فهو كان فوق منزلة الوزراء حتى عبر عن هذا عبد العزيز فيلالي: "القاضي ورئيس الوزراء ابن

¹ - النباهي: المصدر السابق، ص: 101.

² - النباهي: المصدر نفسه، ص: 102.

³ - النباهي: المصدر نفسه، ص: 101.

⁴ - النباهي: نفسه، ص: 101.

⁵ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 176.

هدية القرشي (ت 737هـ/1337م) الذي كان يتمتع بنفوذ سياسي وأدبي واسع النطاق في الدولة الزيانية¹.

وبهذا برع محمد بن هدية في كتابته وأخلص في استشارته فكان نعم الكاتب ونعم المستشار.

2- ابنا الإمام والاستشارة:

إن المكانة العلمية للعالمين الشامخين الراسخين جعلتهما محلّ تقدير واحترام لدى السلاطين، إذ لم يستغنوا عن مشاورتهما فهذا السلطان أبو حمو موسى الأول (707هـ/1308م - 718هـ/1378م) يقربهما ويختصهما لمشورته وأكثر من ذلك فقد فوض الإمام عبد الرحمن ليكون ممثلاً له بمسقط رأسه ببرشك، وهذا في حدود سنة 708هـ/1308م، فاستقرت هذه البلاد على طاعتها لبني زيان بفضل حزم وثقة الإمام عبد الرحمن، وهذه المكانة من القرابة والثقة والاستشارة استمرت مع خليفة السلطان أبي حمو، ابنه أبي تاشفين وبقياً في مشورته لمدة سنتين إلى غاية سنة 720هـ/1320م حيث رحل نحو المشرق².

وعندما استولى السلطان المريني على تلمسان سنة 737هـ/1337م اختصها بمشورته فقال عنهما ابن خلدون في رحلته: "وأدنى مجلسهما وأشاد بتكريمهما ورفع محلها على أهل طبقتهما"³.

وكان الإمام عبد الرحمن ينصح بالحق للسلطان في ذلك ما رواه لنا تلميذه المقرئ: "كان أبو زيد رحمه الله من العلماء الذين يخشون الله، حدثني أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان أن والده أمير المؤمنين أبا الحسن ندب الناس إلى الإعانة بأموالهم على الجهاد

¹ - فيلالي عبد العزيز: المرجع السابق، ج: 2، ص: 407.

² - ابن خلدون: رحلته، ص: 47.

³ - التتبيكي، نيل، م 1، ص: 268، ابن مريم: البستان، ص: 123.

- الجيلالي عبد الرحمن: المرجع السابق، ج: 2، ص: 166.

³ - ابن خلدون: رحلته، ص: 47.

فقال له أبو زيد: لا يصلح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي فيه ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه¹.

وهذه القرابة جعلتهما يشاركان في موقعة طريف سنة 741هـ/1340م واستمرا في استشارتهما له إلى أن وافتهما المنية².

3- أبو عبد الله المقرئ وسفارته بالأندلس:

بعد أن تمكن أبو عنان من خلع أبيه والإعلان عن نفسه سلطاناً للمغرب كان أبو عبد الله المقرئ من المقرئين، بل أكثر من ذلك من كتابه إذ هو الذي ندبه السلطان لكتابة البيعة فكتبها وقرأها على الناس في يوم مشهود³.

بعدها وليّ خطة القضاء، وفي سنة 756هـ/1355م بعثه السلطان أبو عنان سفيراً له بالأندلس، وبقي بها سنتين عند السلطان ابن الأحمر وامتنع عن الرجوع إلى فاس إلى أن تدخل السلطان أبو عنان لدى سلطان الأندلس، والذي توسط له وأرسل معه جماعة من علماء غرناطة وفوا به على ابن عنان طالبين الشفاعة فقبل وعفا عنه⁴.

وما يمكن استنتاجه من مهمة المقرئ بالأندلس أنه لم يكن مرتاحاً للسلطان أبي عنان وكان يفضل الاستقلال عنه، وتوسط سلطان الأندلس وشفاعة علماء غرناطة له من الدلالة ما يبرز مكانة ومنزلة العالم أبي عبد الله المقرئ وكأني بالسلطان ابن الأحمر يريد أن يحتفظ به لدولته.

¹ - ابن مريم: البستان، ص: 164.

- القرافي، توشيح الديباج، ص: 133.

² - ابن خلدون: رحلته، ص: 48.

³ - ابن خلدون: رحلته، ص: 68.

التبكي: نيل الابتهاج، م: 2، ص: 76.

⁴ - ابن خلدون، نفسه، ص: 69.

التبكي: نفسه، م: 2، ص: 77.

4- ابن مرزوق الخطيب سفيراً ومصالحاً بين الزيانيين والمرينيين

أثناء حصار السلطان المريني أبي الحسن لتلمسان سنة 737هـ/1337م قرب إليه ابن مرزوق الخطيب وخصه بمنزلة مميزة وفي هذا يقول ابن الخطيب: "وصرف وجهه إلى المغرب فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن اشتمالاً وخصه بنفسه وجعله مفضي سره وإمام جمعته وخطيب منبره وأمين رسالته"¹ واستمرت هذه القرابة حيث شارك معه في موقعة طريف سنة 741هـ/1340م² التي انهزم فيها المسلمون.

بعد هذه المشاركة الجهادية لابن مرزوق ينقله أبو الحسن من الميدان العسكري إلى الميدان الدبلوماسي حيث أرسله سفيراً له إلى ملك قشتالة الفونسو الحادي عشر، فعقد معه صلحاً وافتك منه الأسرى بعد فدائهم على رأسهم ابن السلطان أبو عمر تاشفين الذي أصابه مس من الجنون خلال مدة أسره، وكانت وجهتهم نحو بجاية ومنها نحو قسنطينة³.

وقد نجح ابن مرزوق في هذه المهمة وأظهر مقدرته الدبلوماسية في تمثيل السلطان والدفاع عن مصالح دولته.

وبعد انقلاب أبي عنان على أبيه أبي الحسن عاد ابن مرزوق إلى تلمسان معبراً عن رفضه لهذا التمرد بحكم علاقته الوطيدة مع أبي الحسن ليقوم بالعباد مستقر أسرته، وكانت تلمسان يومئذ قد استرجعها بنوزيان تحت حكم أبي سعيد عثمان وأخيه أبي ثابت⁴ اللذان فكرا في وساطة ابن مرزوق مع أبي الحسن من أجل الصلح وفي هذا يقول:

¹ - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 3، ص: 104.

² - ابن مرزوق: المخطوط السابق، و: 93، المناقب، ص: 305.

³ - ابن مرزوق: المسند، ص: 467، ص: 495، المناقب، ص: 305.

- ابن خلدون، رحلته، ص: 61.

⁴ - حكم هذان السلطان في آن واحد من 749هـ/1348م إلى سنة 753هـ/1352م حتى استيلاء السلطان المريني أبي عنان على تلمسان.

-التتسي: تاريخ بني زيان، ص: 150 و ص: 289.

"وفي تلمسان رغب مني سلطانها أبو سعيد عثمان وأخوه أبو ثابت محاولة الصلح مع السلطان أبي الحسن الذي أرسلت له وتتقل من تونس إلى الجزائر عازماً على هذا الصلح، ولكن سعوا إلى نقضه وإذائتي وسجنت تسعة أشهر وكابدت ما يعظم الله أجره، وبقي أهلي مدة يعتقدون وفاتي"¹.

وعن تفسير هذا الموقف تقول المصادر أن أبا سعيد هو الذي أرسله للصلح دون أن يعلم أبو ثابت، ولما علم هذا الأخير بالخبر أنكره على أرضه وأرسل جنوده لإلقاء القبض عليه وسجنه².

وكانت هذه المرة الأولى التي سجن فيها إلى أن تداركه الله بلطفه ورحمته وأطلق سراحه ورحل نحو الأندلس سنة 760هـ/1349م وقدم على سلطانها أبي الحجاج الذي أنزله موقع السفراء³.

وما يلاحظ على ابن مرزوق أنه دائماً مستعد للمهمات الدبلوماسية والخيرية، وفشل هذا الصلح مرده ليس لضعف الوسيط وإنما هو صراع السلاطين على العرش وتقلباتهم التي ذهب ابن مرزوق ضحيتها ودفع ثمن ذلك سجنه تسعة أشهر.

5- بيت العقباني مصالِحاً بين الزيانيين والحفصيين:

فضلاً عن الدور الوظيفي في الإمامة والتدريس والقضاء خاصة وتنشيط الحركة العلمية تأليفاً ومناظرة، كان لعلماء بيت العقباني مساهمة سياسية خيرية تمثلت في السعي إلى فض النزاع بين سلاطين بن زيان وسلاطين بني حفص ومحاولة التقريب بينهم وإرساء قواعد حسن الجوار.

¹ - ابن مرزوق: المخطوط السابق و: 94، المناقب: 307، المسند، ص: 497.

² - ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص: 53.

- التنبكتي: نيل الابتهاج، م: 2، ص: 112.

³ - ابن مرزوق: المخطوط، و: 95، المناقب، ص: 308.

1.5- قاسم العقباني واستقبال السلطان الحفصي أبي فارس:

إن توسط المغرب الأوسط للمغربين الأدنى والأقصى جعله عرضة للهجمات من كل جهة فما أن زال الخطر المريني غرباً حتى داهم تلمسان الخطر الحفصي شرقاً، إذ استطاع السلطان الحفصي عبد العزيز أبو فارس أن يبسط سيطرته على تلمسان سنة 827هـ/1424م ثم اتجه نحو فاس فدانت له ثم التحقت بها غرناطة، فأصبح المغرب الإسلامي تحت سيطرة الحفصيين¹.

أمام هذا الوضع جاء تدخل العلماء للتخفيف من حدة الصراع بين الأقطار المغاربية ونشر روح الأخوة والمعايشة الطيبة فالتقى وفد عن علماء تلمسان بالسلطان الحفصي أبي فارس ومن ضمن هؤلاء العلماء القاضي قاسم بن سعيد العقباني واللقاء كان عند زيارة أبي فارس لتلمسان سنة 830هـ/1426م²، وكانت هذه مبادرة منهم قصد امتصاص شحنة الصراع وإطفاء نار الفتنة بين الأخوة الأعداء.

2.5- محمد العقباني موفداً عن السلطان المتوكل على الله الزياني:

إذا كان جده قاسم العقباني قد مهد للتقارب بين بني حفص وبني زيان من خلال استقباله للسلطان الحفصي، فإن محمد العقباني كان ساعياً إلى ترجمة التقارب والتصالح على أرض الواقع إذ ترأس وفد للصلح بين عرش تونس وعرش تلمسان³.

بداية من جمادى الأولى 866هـ/1461م تولى العرش الزياني أبو ثابت محمد المتوكل على الله، وهذا الخليفة لم يكن بالعادي عند الحفصيين الذين كانوا يراقبون تطور الأوضاع بتلمسان عن كثب، وعندما أراد أن يبسط سيادة دولته ويفرض سيطرته على تلمسان، قرر سلطان تونس أبو عمرو عثمان غزو تلمسان لتأديب المتوكل، وعندما علم هذا

¹ - الزركشي، المصدر السابق، ص: 126.

² - الأنصاري: المصدر السابق، ص: 31.

³ - بوعزيز يحي: علماء أسرة العقباني ودورهم في التوفيق بين عرشي تونس وتلمسان - مجلة الحياة الثقافية تصدر عن وحدة المجلات بوزارة الشؤون الثقافية تونس عدد: 1984، 32، ص: 81.

الأخير باقتراب الجيش الحفصي من تلمسان سارع إلى إرسال وفد لمبايعة السلطان الحفصي يرأسه خال السلطان أبو الحسن علي بن حمو بن أبي تاشفين والشيخ أبو العباس أحمد بن الحسن والقاضي محمد العقباني، وقد استظهروا للسلطان الحفصي عقداً أمضاه أعيان تلمسان يؤكد صلاحية الوفد في إبرام الصلح مع التزام الأمير المتوكل به، وطلبوا منه التوقف عن غزو تلمسان مقابل مبايعة السلطان أبي عمرو عثمان فما كان على السلطان الحفصي إلاّ القبول بهذا الولاء والعودة إلى تونس في شهر صفر 867هـ/1462م¹.

3.5- محمد العقباني سفير تلمسان بتونس:

تأكيداً لحسن نية أمير تلمسان وتثبيتاً لأواصر الصداقة أرسل المتوكل القاضي محمد العقباني سفيراً له لدى سلطان تونس في جمادى الثانية 868هـ/1364م يمثله أحسن تمثيل حاملاً معه هدية إلى السلطان أبي عمرو عثمان الذي كان مريضاً فأقام عنده نحو خمسة أشهر حتى شفي وخرج السلطان وابتهج بالهدية وأمر بالاحتفال بهذا الحدث السعيد. بعدها كانت عودة السفير محمد العقباني إلى تلمسان ومعه هدية سلطان تونس عربونا لاستمرار هذه الصداقة بين تونس وتلمسان².

4.5- محمد العقباني مفاوضاً لسلطان تونس:

بنو حفص شأنهم شأن بني مرين لا يهدأ لهم بال وتلمسان مستقرة تستعيد عافيتها منتصرة لنفسها فما هم عرب بني عامر وسويد يتحركون للإطاحة بالمتوكل بتحريض ودعم من الحفصيين، ومعهم أبو زيان عبد الواحد بن أبي حمو الذي عينه سلطان تونس أميراً جديداً على تلمسان ثم لحق بهم السلطان أبو عمرو عثمان ووصلوا إلى تلمسان على رأس قوة عسكرية في ربيع الثاني سنة 871هـ/1466م فحاصروها ثم بدأوا في ضرب سورها وقاوم

¹ - الزركشي: المصدر السابق، ص: 153.

- الجيلالي: المرجع السابق، ج: 2، ص: 199.

- بوعزيز: المرجع السابق، ص: 84.

² - الزركشي: المصدر نفسه، ص: 155.

سكان تلمسان هذا الغزو وتقاتلوا معهم حتى لا تسقط تلمسان، وأمام هذا الخطر الداهم لجأ أمير تلمسان المتوكل إلى الحل الدبلوماسي فأرسل وفداً لمفاوضة السلطان الحفصي يرأسه محمد بن أحمد العقباني فطلبوا الأمان والعفو واعتذروا وسلموا له عقد تجديد البيعة، وأكثر من ذلك هو إقدام المتوكل على تزويج ابنته للأمير أبي زكرياء يحي الحفصي دون خطبة وكأنها هدية من تلمسان إلى سلطان تونس مقابل رفع الحصار، فما كان على السلطان أبي عمرو إلا قبول هذا العرض ورفع الحصار عن تلمسان ورجع إلى تونس سنة 872هـ/1467م واستمر المتوكل على طاعة بني حفص حتى توفي سنة 873هـ/1468م¹.

ما يستخلص من كل هذه المواقف أن اضطلاع محمد العقباني بهذه المهمات الدبلوماسية له من الدلالات البارزة على شخصية هذا العالم وهي:

- قوة شخصية القاضي محمد العقباني فهو صاحب شجاعة ونباهة ووجاهة.

- غرارة علمه واطلاعه الواسع وقوة حفظه.

- حنكته الدبلوماسية وحسن التحاور والتفاوض.

- أصالة عقله ورجاحة رأيه.

كل هذه الخصال أهلته للنجاح في مهماته الدبلوماسية بإزالة الخلاف والنزاع بين العرشين وإبعاد الحرب التي كانت تتخرقوى بلدان المغرب وتفتح الباب لأعدائهما من الخارج.

¹- الزركشي: المصدر السابق، ص: 158.

- حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج: 3، ص: 434.

- فيلاي: المرجع السابق، ج: 1، ص: 73.

المبحث الثاني: الدور الاجتماعي لعلماء البيوتات

فضلاً عن النشاطات السابقة كانت لعلماء البيوتات مشاركة اجتماعية مساهمة في خدمة المجتمع التلمساني ومن هذه الخدمات، الشفاعة عند السلطان لرفع المظالم وبناء المساجد وخدمة أضرحة أولياء الله الصالحين، وقد انفرد بهذا الدور بيت المرزقة حسب ما أشارت إليه المصادر في مواطن محدودة، ويمكن تتبع هذا النشاط تاريخياً:

1- ابن مرزوق الجد شافعاً عند السلطان:

أبو عبد الله محمد بن مرزوق (ت 681هـ/1282م) وقد حظي بثقة كبيرة لدى السلطان يغمراسن بن زيان الذي كان يزوره في مسجده بحي مرسى الطلبة، وبالمقابل كان محل تقدير واحترام كبير من قبل سكان تلمسان، إذ كان يقصده الناس ليشفع لهم عند السلطان يغمراسن بن زيان لرفع تظلماتهم¹.

وهذه قصة يوردها لنا ابن مرزوق في مناقبه فيقول "أخبرني جماعة لا أحصيهم كثرة، وهي من القضايا المتواترة المعروفة عند قداماء أهل تلمسان أن سبب اشتهاره [ابن مرزوق الجد] هو أن ولدا سعى فيه قوم من بني ورنيد لدى السلطان يغمراسن بما يوجب سفك دمه وأخذ مالهم ظلماً فسجن الولد، فجاءت أمه وهي ملتفة شكت إلى الشيخ ابن مرزوق أمرها فدعا لها، فقالت له ما أريد دعاء وإنما أريد منك أن تكلم لي السلطان فقال: مالي وللسلطان؟ ومن أين أعرفه، ويعرفني؟ وإنما أشفع فيه لسلطان السلاطين... فلم يرضها ذلك وكان ذلك آخر النهار، فباتت عنده في الدار، فلما انتصف الليل سمعوا ضجة بباب الدار وقرعاً ينادي أين سيدنا أبو عبد الله؟ فخرج فوجد الوزراء وحجاب السلطان وكبراء أهل دولته ومعهم ولد المرأة فقالوا له: السلطان يقبل بيدك ويسلم عليك، ويقول لك: "ادع لي ولن أذنت لنا في الوصول إليك وصلت إليك" ويقول لك: اعذرنا في جهلنا بقدرك " ولن مثلك بين أظهرنا،

¹ - ابن مرزوق: المخطوط السابق و: 5

- المناقب، ص: 152.

ونحن لا نعرف قدره" فقال لهم: "ومن أنا حتى يقال لي هذا؟ ولعلّ السلطان وهمّ" فقالوا له: يا سيدنا! بينما هو نائم، إذا رجل قد وقف له، وقال: قم، اطلق الرجل الذي تكلم فيه أبو عبد الله بن مرزوق... وقال لك: إن كان هو هذا، وإلاّ عرفنا بمن هو. فقال لهم: نعم، هو فصاح بوالدته، فاعتنقت ولدها وذهب كريبها"¹.

فهذه القصة تدل على المكانة الاجتماعية للشيخ أبي عبد الله ابن مرزوق كيف كان يقصده الناس ليشفع لهم لتفريح كرياتهم وذلك لورعه وزهده وصلاحه، وكيف كان يتعفف عن ملاقاته السلطان، والسلطان يحرص على زيارته ويجتمع به خاصة بعد هذه القصة إذ يروي لنا ابن مرزوق فيقول: "وهذه الحكاية كانت سبباً لمعرفة السلطان به، وكذلك سائر الناس فإن السلطان أبا يحيى رحمه الله كان يعمر به المجالس، نفعه الله بذلك"² هذا ما يفسر زيارة السلطان يغمراسن مسجد مرسى الطلبة رغبة في الجلوس إلى الشيخ ابن مرزوق والتبرك به وطلباً لدعوته الصالحة.

2- بيت ابن مرزوق وخدمة ضريح الشيخ أبي مدين:

كان العباد ولا يزل إلى يومنا هذا قبلة الزائرين للوقوف على ضريح شيخ الشيوخ وسيد العارفين أبي مدين شعيب، ومن هنا كان لابد من إشراف على خدمة ضريحه واستقبال ضيوفه وتوجيههم. وقد تعاقبت أسر كثيرة على هذه الخدمة ومنها أسرة بني مرزوق، وقد ذكر عبد الرحمن بن خلدون أن أسلاف ابن مرزوق كانوا نزلاء الشيخ أبي مدين بالعباد ومتوارثين خدمة تربته من لدن جدّهم خادمه في حياته³.

والجد الأكبر للأسرة هو مرزوق الذي سبق التطرق له، وقد دخل تلمسان أيام حصار لمتونه لها ما بين 472هـ/1079م إلى 475هـ/1082م والشيخ أبو مدين توفي سنة 594هـ/1195م بوادي يسر⁴ ودفن بالعباد ومن هنا فخدمة الشيخ لا يمكن أن تكون في

¹ - ابن مرزوق: المناقب، ص: 151 و152.

² - نفسه، ص: 153، و154.

³ - ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص: 50.

⁴ - التنبكتي: نيل الابتهاج، م: 1 ص: 212 ووادي يسر ذكره البكري بإسرة شرق تلمسان يوجد واد سطفيسيف وهو الذي يصب في وادي إسر والذي بدوره يصب في واد تافنة الذي ينتهي إلى البحر. البكري: كتاب المغرب، ص: 77.

تلمسان، فقد تكون في بجاية أو في طريقه إلى مراكش والخادم ليس هو الجد مرزوق وإنما ابنه أبو بكر محمد الذي عاش خلال القرن 6هـ/12م¹.

إن خدمة ضريح الشيخ أبي مدين شعيب ثابتة ومن خدامه:

1.2- الشيخ أبو عبد الله بن مرزوق (ت 681هـ/1282) وخدمة ضريح الشيخ أبي مدين:

الشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق تولى سدانة² ضريح الشيخ أبي مدين شعيب، وقد نكره ابن مرزوق الخطيب أنه من أصحاب الشيخ أبي مدين، لبس من جميعهم واللباس هنا هو لبس خرقة الشيخ وهي دالة على انتقال مشيخة صحبة الشيخ إليه، ومن هنا أصبح من أصحاب الشيخ أبي مدين شعيب وهو الذي يشرف على خدمة ضريح الشيخ أي: "مقدم الضريح" وقال حفيده "وأما مشايخه في طريق القوم وسلوكهم وعلوم الآخرة، فأخذ عن جماعة من أصحاب سيدي أبي مدين وهو كان المقدم على أتباعه"³.

وهذه الخدمة يتولى فيها الحجابة لاستقبال الزوار وتوجيههم وتقديم المساعدة لهم، وبقي ملازماً لهذه الخدمة وتاريخ هذه الفترة لم يذكره ابن مرزوق الخطيب وإنما حسب ترتيب الأخبار التي أوردها عن جده تكون في الفترة الأخيرة من حياته عندما بلغ درجة كبيرة من الطاعات والقربات إلى الله تعالى.

2.2- أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق (ت بعد 747هـ/1346م) وخدمة ضريح

الشيخ أبي مدين

إذا كان محمد بن مرزوق قد أخذ بعض المعارف والعلوم عن أبي عبد الله المقرئ (ت 759هـ/1359م) فهذا الأخير يذكر أن محمداً بن مرزوق المعروف بأبي عبد الله يعد من مشيخته في التصوف فهو لبس خرقة التصوف من خدام الشيخ أبي مدين شعيب ومنهم

¹ - المقرئ: نفع الطيب م: 5، ص: 412.

² - السدانة: خدمة الكعبة وبيت الأصنام في الجاهلية وفي الإسلام خدمة الكعبة وتولي أمرها وفتح بابها وإغلاقها ومن هنا جاءت خدمة أضرحة الأولياء الصالحين - ابن منظور: لسان العرب م: 2، ص: 123.

³ - ابن مرزوق: المخطوط السابق و: 18، المناقب، ص: 171.

محمد بن مرزوق¹ وهذه إشارة إلى أن محمد بن مرزوق كان من الذين خدموا ضريح الشيخ أبي مدين شعيب.

3.2- أحمد بن محمد بن مرزوق (ت 741هـ/1341م) وخدمة ضريح الشيخ أبي مدين

يذكر أحمد المقرّي الجد أن من شيوخه الذين لبس عنه خرقة التصوّف وأخذ عنهم خدمة ضريح الشيخ أبي مدين من استقبال زوره وتوجيههم وإرشادهم أبا العباس أحمد بن مرزوق². ومن النصوص الأخرى الدالة على خدمة أحمد بن مرزوق للولي الصالح نص ابن قنفذ القسنطيني: "ولقي جدي هذا [جد ابن قنفذ] أبا العباس بن مرزوق تلميذ بلال³ وعاشه في داره بتلمسان مدة وكان عند أبي العباس بن مرزوق عكاز الشيخ أبي مدين وأتحف جدي منه بجزء ورأى له بركة عظيمة، ويغلب على ظني أنه كانت عند أبي العباس ابن مرزوق المرقعة⁴ التي نزعته عن الشيخ بعد وفاته والله أعلم⁵ وقد لبس الخرقة وهو ينتمي لطائفة الزكراويين⁶ وأبو العباس هذا كان من تلاميذ الشيخ الصالح بلال الذي اختص في خدمة الشيخ أبي مدين وكان سالماً على طريقته وبعده تولى أحمد بن مرزوق خدمة الشيخ الصالح وذلك برعاية وصيانة ضريحه واتباع طريقته. وتبليغها لمن بعده⁷ وبقاء عكاز الشيخ ومرقعته ومرقعته عنده يدل على المنزلة الكبيرة، والدرجة العالية في تفاني أبي العباس بن مرزوق في خدمة ضريح الشيخ شعيب وإلا لما تمكن من الحصول على العكاز والمرقعة.

¹ - المقرّي: نفع الطيب، م: 5، ص: 242.

² - المقرّي نفسه، م: 5، ص: 242.

³ - بلال: يعرف بلال الحبشي من خدام الشيخ أبي مدين شعيب خدمه في حياته واستمر في خدمة ضريحه إلى أن توفي بالعباد وقبره مزار وهو عالم مدرس ومحقق - ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 93.

⁴ - المرقعة: لباس كثير الرقع يتخذ الصوفية شعاراً على زهدهم وتقشفهم في الحياة.

⁵ - ابن قنفذ: المصدر نفسه، ص: 94، ابن مرزوق: المناقب، ص: 207.

⁶ - الزكراويون: هم طائفة أبي زكرياء يحيى الحاجي (ت بداية ق 8م/14م) وهي تنظيم ينتمي لمدرسة أبي مدين الغوث أنوار إبراهيم: التعليم والمعرفة والكتاب، دراسة تاريخية مقارنة للمغرب المريني وإفريقية الحفصة إلى منتصف القرن 8هـ/14م أطروحة لنيل الدكتوراة جامعة محمد الخامس الرباط، السنة الجامعية 1423/1424هـ - 2002/2003

⁷ - ابن قنفذ: المصدر السابق، ص: 93، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص: 211

3- أبو عبد الله بن مرزوق وبناء مسجد العباد:

أبو عبد الله عم الخطيب توفي بعد سنة 747هـ/1346م من أعماله الثابتة هو إشرافه على بناء مسجد العباد بتكليف من السلطان أبي الحسن المريني وفيه يحول ابن مرزوق الخطيب: "وأما الجامع الذي بناه حذاء ضريح شيخ المشايخ وقنوة الأئمة المتأخرين من المتصوفين أبي مدين شعيب ابن الحسن رضي الله عنه، فهو الذي عز مثاله واتصفت بالحسنى والوثاقة أشكاله. أنفق فيه مقداراً جسيماً، ومالاً عظيماً، وكان بناؤه على يد عمي وصنو أبي الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق وعلى سيدي"¹ وتاريخ هذا البناء لم يذكره ابن مرزوق وابن خلدون عندما تكلم عن عودة ابن مرزوق الخطيب من المشرق إلى المغرب سنة 735هـ حيث قال: "ثم رجع سنة خمس وثلاثين إلى المغرب ولقي السلطان أبا الحسن بمكانه في تلمسان وقد شيد بالعباد مسجداً عظيماً"². في حين يذكر المقرئ سنة 733هـ³ مع العلم يذكر أنه نقل النص عن ابن خلدون، أما في مخطوط ابن مرزوق فهو يذكر أنه عاد سنة 737هـ إلى المغرب وأقام بتلمسان وخطب بالعباد⁴ كما نجد دراسة الفردبال ALFRED BEL أنه ذكر لوحة تأسيس هذا المسجد سنة 739هـ/1339م⁵ ورشد برويبة ذكر سنة بناء مسجد العباد سنة 737هـ/1338م حسب الكتابات المنقوشة في لوحة مدخل المسجد⁶ والبناء هذا هو من النوع الجيد سواء من حيث تصميمه وهندسته والمواد المستعملة في البناء والتجهيز.

¹ - ابن مرزوق الخطيب: المسند، ص: 403.

² - ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص: 51.

³ - المقرئ: نفح الطيب، م: 5، ص: 412.

⁴ - ابن مرزوق: المخطوط السابق، و: 93، المناقب، ص: 256.

⁵ - ALFRED BEL: Tlemcen et ses Environs P: 86.

⁶ - Rachid Bounouiba: L'Art religieux P: 160.

وفي هذا يصف ابن مرزوق الخطيب فيقول:

"وهو أن سقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات نجارة...إنها أشكال منجورة منقوشة وهي كلها مبنية بإحكام بالآجر والفضة واشتمل على المنبر العجيب الشكل... وأما الباب الجوفي الذي يفتح على المدرج الذي ينزل إلى قبر الشيخ رضي الله عنه ولى الشارع وهو باب النحاس... وهو صنعه كذلك في غاية من الحسن والإتقان..."¹

ولقد تعرضت الدراسات والأبحاث الأثرية بالتفصيل للوصف الهندسي والتقني لهذا البناء، الذي كان الفصل في الإشراف عليه ومتابعة أشغاله لأبي عبد الله محمد بن مرزوق.

¹ - ابن مرزوق: المسند، ص: 403 و 404.

المبحث الثالث: الدور الاقتصادي لعلماء البيوتات

اقتصادياً لم يكن دور علماء البيوتات بارزاً شأن النشاطات الأخرى، غير أننا نسجل بعض المساهمات المحدودة في النشاطات التجارية وفي الإشراف على مواكب الحجج ومنها:

1- بيت المقرّي والشركة التجارية:

اشتهر هذا البيت بنشاطه التجاري من خلال تأسيس الشركة التجارية، فقد كان جدّهم عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرّي صاحب الشيخ أبي مدين الذي توفي 594هـ/1198م قد استقر بتلمسان مع نهاية ق 6هـ/12م وأنشأت ذرية يحي ابن عبد الرحمن شركة تجارية خلال القرن 7هـ/13م وعن الهدف منها يراويه لنا الإمام أبو عبد الله المقرّي: "فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبل الرحيل، وراية تقدم عند المسير"¹.

فهذه الشركة يكونها خمسة إخوة تجمع بين شق الطريق وتأمينها من قطاع الطرق² خاصة عند توقف القوافل للراحة والغداء وأكبر عمل هو حفر الآبار عبر المسلك الذي ينطلق من تلمسان نحو سجلماسة³ ومنها نحو إيالاتن⁴ وفي هذا يقول أبو عبد الله المقرّي: "وكان ولد يحي الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه

¹ - ابن الخطيب: الإحاطة، م: 2، ص: 192 - المقرّي: نفتح، م: 5، ص: 205.

² - عن قطاع الطرق ينظر مبخوت: المرجع السابق، ص: 316.

³ - سجلماسة: مدينة بنيت في سهل واد زير متحضرة ودورها جميلة وكانت مركز تجاري في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى.

- حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج: 2، ص: 127.

⁴ - إيالاتن: مملكة صغيرة ببلاد السودان بينها وبين مالي مسيرة أربعة وعشرين يوماً وهي مدينة تأسست سنة 621هـ/1224م وتقع شمال غانا على مسيرة حوالي شهرين منها وهي تبعد عن تومبوكتو غرباً بـ 450 كلم وعن المحيط الأطلسي شرقاً بحوالي 900 كلم.

- ابن بطوطة: رحلته، ص: 443، مبخوت: المرجع السابق، ص: 301.

أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بإيواتن فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط¹ والديار وتزوجوا النساء، واستولدوا الإمام².

وعن السلع والبضائع المتبادلة بين الإقليمين يضيف المقرئ: "وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر، والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان، ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان"³.

فأبو بكر ومحمد بتلمسان في مرسى هنين لاستقبال السلع المستوردة من بلاد الأندلس وأوروبا⁴ وهذا حسب ما يرسم لهما من السلع المطلوبة المنتحية بتلمسان ولا تستورد من الخارج، وكان الصحراوي يبعث الجلد والعاج والجوز والتبر⁵، أما السجلماسي فهو كلسان الميزان فهو الذي يقوم بعملية الحساب والتقييم ويقدر الخسران والرجحان ويخبر بأحوال التجار وأخبار البلدان، فهو همزة وصل بين تلمسان وبلاد السودان الغربي.

وقد نجحت هذه التجارة وجلبت لهم الأموال وكونوا ثروة هائلة فصارت لهم علاقة طيبة مع الحكام وملوك تلك المناطق والأقطار وتذلت لهم المسالك وزيت أموالهم وفي هذا يقول المقرئ الجد: "ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه، ومكّنه من التجارة بجميع بلاده، وخاطبه بالصديق الأحب، والخلصة الأقرب، ثم صار يكاتب من بتلمسان يستقضي منهم مآربه، فيخاطب بمثل تلك المخاطبة وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك، فلما

¹ الحوائط: جمع حائط: البستان والمقصود هنا مزرعة النخيل الواحة- فيروز آبادي: المصدر السابق، ص: 597.

² ابن الخطيب: المصدر السابق، م: 2، ص: 192.

- المقرئ: المصدر السابق، م: 5، ص: 205.

³ ابن الخطيب: نفسه، م: 2، ص: 192، المقرئ: نفسه، م: 5، ص: 205.

⁴ عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص: 57.

-Banges: Tlemcen ancienne capitale, P: 207, 208.

⁵ التبر: الذهب قبل أن يصاغ، الذهب والفضة أو فتاتهما قبل أن يصاغ- الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص: 321.

استوثقوا من الملوك تذلت لهم الأرض للسلوك، فخرجت أموالهم عن الحد وكادت تقوت الحصر والعد¹.

إلا أن استقرار حالة الشركة وتواصل نشاطها مع الأبناء لم يكن كذلك لأن المحافظة على النجاح قد تكون أحياناً أصعب من تحقيقه إضافة إلى تقلبات الأسواق والاضطرابات السياسية والحروب والنزاعات العسكرية قد تكون عائقاً في استقرار الأوضاع الاقتصادية والتجارية وخاصة الحصار الطويل لتلمسان (698هـ/1299م - 706هـ/1307م) ثم الحروب الأخرى بين بني زيان وبني مرين، فتراجع نشاط الشركة وقل مدخولها وكثرت نفقاتها ودخلت مرحلة الإفلاس وعن هذه الحالة يتكلم المقرئ فيقول:

"ولما نرج هؤلاء الأشياخ جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم، ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم، وصادفوا توالي الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين، فلم يزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمن، فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فضوله عيشاً، وأصوله حرمة، ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب، وأسباب كثيرة تعين على الطلب"².

إذن يمكن أن نقول: إن هذه الشركة كانت بمستوى معايير شركة دولية تمكنت من التحكم في التبادل الخارجي بين تلمسان والسودان الغربي، وثروتها المالية أهلتها لنفوذ سياسي ببلاد المغرب وبلاد السودان الغربي، ولكن الاضطرابات السياسية والصراعات العسكرية وخاصة بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى حالت دون استمرارية حيوية الشركة وانعكست عليها سلباً وتراجع التبادل ليفتح أمام تجار مصر من مسلك السودان الشرقي حيث يقول المقرئ: "لأن بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كان يجلب إليها

¹ - ابن الخطيب: المصدر السابق، م: 2، ص: 193.

المقرئ: المصدر السابق، م: 5، ص: 206.

² - ابن الخطيب: المصدر نفسه، م: 2، ص: 194.

المقرئ: المصدر نفسه، م: 5، ص: 206.

من المغرب ما لا بال له من السلع¹ فخلال القرن 7هـ/13م كان التبادل التجاري بالسودان الغربي تتحكم فيه شركة المقري وبعد إفلاسها خلال القرن 8هـ/14م انفتحت أمام تجار مصر.

2- ابن مرزوق وحرفة المصحفي:

بعدما استقر مرزوق بتلمسان مع نهاية القرن 5هـ/11م بنى داراً له بتلمسان ومن أولاده محمد أبو بكر الذي أنجب ابنا سماه محمد، فحفظ القرآن الكريم واهتم بعلم القراءت وعلوم الآخرة، هذا التكوين العلمي أهله لكتابة المصاحف أي مصحفياً على طريقة أهل الأندلس بديكان له بالقيسارية بتلمسان وعن هذا الشأن يقول ابن مرزوق الخطيب: "وأما ولده أبو عبد الله الأكبر، فكان قد اشتغل بالقراءة وغلب عليه علوم القرآن. وكان مصحفياً، يكتب المصاحف التي كان الناس يتنافسون فيها على طريقة أهل الأندلس. وأدرت منها ربعةً أربعة أرباع، غاية في الحسن، خطأ وضبطاً، لا تبعد عن خط الغطوسيان² قد كتب فيها اسمه، ضاعت في دخلة تلمسان، سنة سبع وثلاثين وسبعمئة، وكان مع ذلك تاجراً، وبها يتمعش وكانت له في حدائته حانوت بالقيسارية ينسخ فيها القرآن، ويبيع السلع"³.

وما يمكن أن يستخلص من هذا هو وجود حرفة المصحفي وفق الشروط المطلوبة: - المصحفي يكون صاحب تكوين علمي وتأهيل فني، حتى يكون الخط بمواصفاته الجمالية وحسن رونقه وألوانه المضبوطة.

- تخصيص مكان لنسخ القرآن الكريم إلى جانب النشاط التجاري.

- إدراك ابن مرزوق الخطيب لمصحف بخطه كان في غاية الحسن والضبط، ولكن ضاع عند استيلاء المرينيين على تلمسان يوم الأربعاء 28 رمضان 737هـ/02 مايو 1337م⁴

¹- ابن الخطيب: المصدر السابق، م: 2، ص: 193.

المقري: المصدر السابق، م: 5، ص: 206.

²- الخط الغطوسي: خط اشتهرت به أسرة ابن غطوس الأندلسية وإليها ينسب، واستعمل في كتابة المصاحف، وممن اشتهر من أسره ابن غطوس ببراعة الخط، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن غطوس الذي توفي في حدود 610هـ وقد شاع عنه أنه نسخ من كتاب الله عز وجل ألف نسخة...

سلوى الزاهري: هامش المناقب المرزوقية، ص: 148.

³- ابن مرزوق: المخطوط السابق و: 3، المناقب، ص: 148.

⁴- ابن خلدون: بغية الرواد، ج: 1، ص: 219.

وهذا يدل على شدة القصف وقوة الدمار الذي تعرضت له تلمسان لاختراق الأسوار وانتهاك الحرمه كان انتهاكات خاصة وأنه كان في نهاية شهر رمضان استعداد لعيد الفطر.

3- ابن مرزوق والنشاط التجاري مع موكب الحجاج:

لقد كان لأبناء بيت المرزقة السبق في أداء فريضة الحج والإشراف على موكبها حتى أنهم كانوا يعرفون بأولاد الحاج لكثرة زيارتهم إلى بيت الله الحرام أداءً للفريضة وإشرافاً على موكب الحجاج وعن هذا يقول ابن مرزوق: "كانوا حجاجاً يعرفون بأولاد الحاج"¹ ثم يضيف فيقول: "أما ولده [مرزوق] محمد، المكنى بأبي بكر الذي غلبت كنيته على اسمه، فكان متردداً إلى بيت الله الحرام وبهذا كان مشتهراً ومحتزفاً، فلم يزل على ذلك إلى أن توفي"² "ومحتزفاً" دالة على امتهان الإشراف على موكب الحجيج، فهو محتزف لها وفق خصوصياتها حتى تتحقق الاحترافية.

وقد توارث هذا البيت هذه الحرفة حتى أن ابن مرزوق الخطيب يروي لنا في سيرته أنه حجّ عدة مرات:

الموكب الأول³:

كان سنة 724هـ/1324م، رلق فيه أباه، وموكب الحجاج هذا كان يجمع حجاج عدة مدن، منهم حجاج "طنجة" ومنهم الفقيه الشريف أبو عبد الله الجراري، وحجاج "فاس" ومنهم الفقيه العدل أبو حاتم محمد بن محمد المغيل ثم حجاج تلمسان ومنهم الفقيه أبو عمرو ميمون بن يوسف بن عبد الرحمن بن راع وصهره أبو بكر بن عبد الواحد المقرري ثم يتجه الموكب من تلمسان نحو مليانة، ثم المحطة الموالية بجاية ومنها نحو قسنطينة ثم يكون الدخول إلى تونس ومنها الوجهة تكون نحو الإسكندرية، مما يدل على أن الموكب يكون بحراً فهو لا يعبر أراضي طرابلس، ثم يكون النزول نحو القاهرة ومنها الوجهة نحو مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وقد كانت الإقامة بها سنة كاملة ثم التوجه نحو المدينة المنورة ويقام بها إلى آخر سنة 728هـ/1328م، وفي كل موسم حج يكون التوجه نحو مكة المكرمة

¹ - ابن مرزوق: المخطوط، و: 02، المناقب، ص: 147.

² - نفسه: و: 3، ص: 148.

³ - نفسه: و: 92، ص: 301.

لأداء مناسك الحج. أما العودة فكانت عبر بلاد الشام لزيارة بيت المقدس والخليل¹ ومنها نحو القاهرة ليكون المسلك هذه المرة براً عبر بلاد الجريد إلى أن يكون الوصول إلى تلمسان سنة 1329هـ/1329م² وقد كان في هذه الرحلة مرافقاً لأبيه الذي كانت له المسؤولية المباشرة في الإشراف على موكب الحجاج وما يلاحظ أنه لم يشر إلى النشاط التجاري في هذه الرحلة ولعله أعرض عنه دون قصد بينما في الموكب القادم سيتناول ذلك.

الموكب الثاني³:

انطلق هذا الموكب سنة 734هـ/1334م، وهذه المرة مسلكه كان براً عبر بلاد الجريد نحو القاهرة ثم البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، لتكون العودة سنة 736هـ/1336م عبر نفس المسلك إلى تلمسان.

وقد بدأ التحضير للرحلة من سنة 733هـ/1333م والاستعداد يكون بتحضير الأطعمة ومنها طعام الفداوش، عند أهل المغرب والدويدة عند أهل افريقية، والأطرية عند أهل مصر، وطعام آخر يسمى المحمص، وهذه الأطعمة خفيفة الحمل وذات قيمة غذائية⁴.

انطلق موكب الحج في أول محرم بداية فصل الربيع وهذا حتى يكون لهم متسع من الوقت وهو يضم:

"ثلاثمائة مسكن ما بين خباء وقيطون"⁵ أي خيمة وكل خيمة تضم جماعة، مع الفرقة العسكرية المكلفة بحماية وحراسة القافلة وهي تضم مائتين وثمانين فارساً ومجموعة من الرماة، والحماية تكون أثناء الطريق ذهاباً وإياباً وإقامة بمكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت

¹ - الخليل: بلدة بالقرب من بيت المقدس بينهما مسيرة يوم فيها قبر الخليل إبراهيم عليه السلام الذي نسبته إليه. ياقوت الحموي: المصدر السابق، م: 2، ص: 387 وهي تقع باتجاه الجنوب لكن تقدير المسافة - مبالغ فيه فمسيرة يوم قد تكون نحو 200 كلم بينما في الواقع المسافة هي نحو 38 كلم.

² - ابن مرزوق: المخطوط السابق، و: 93

المناقب، ص: 304.

³ - ابن مرزوق: المخطوط نفسه، و: 93، المناقب: ص: 304.

⁴ - عن هذه الأطعمة ينظر: مؤلف مجهول: كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد المجلد التاسع والعاشر مدريد 1961-1962، ص: 184، نقلاً عن فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص: 303.

⁵ - ابن مرزوق: المخطوط السابق، و: 17، المناقب، ص: 198.

المقدس، وهذا مقابل دفع مبلغ مالي خاص بالحماية. ولقد كان مجموع عدد الحجاج نحو 1000 ألف حاج وحاجة زيادة عن الفرسان والرماة وترفع القافلة راية تدل على مقصد الحج¹.

ولقد كان وصول القافلة إلى القاهرة في جمادى الثانية أي نحو ستة أشهر وكانت هذه السنة عام خصب كثر فيه الدقيق واللحم وما أخذوه معهم بقي موفراً². إن الجو العام لهذه الرحلة كان آمناً من كل المخاطر الطبيعية كالحر والجفاف والإعصار والفيضان وكذا من المخاطر البشرية من اللصوص وقطاع الطريق والأمراض والأوبئة. وكان مسلك الموكب براً من تلمسان نحو بجاية ومنها نحو تونس، ثم طرابلس وبرقة إلى الإسكندرية والقاهرة إلى العقبة الكبرى وهي تفرق الطريق نحو الشمال لبلاد الشام ونحو الجنوب لبلاد الحجاز³.

وزيادة على المقصد الديني التعبدى لأداء شعيرة الحج كان لبعض الحجاج غرض تجاري آخر، إذ كانت قافلة الحج ببلاد المغرب تعد من أهم القوافل التجارية على الإطلاق⁴. ويكون الغرض التجاري بعد الانتهاء من مناسك الحج أثناء العودة دون أخذ معهم بضائع أثناء الذهاب حتى يكون التفرغ للحج. البضائع التي كانوا يحملونها من الحجاز هي: "العقيق والعلك والفلق والعود والمسك"⁵.

بينما في المخطوط⁶ كما ذكر فيلالي فالعلك هو اللك⁷ والفلق هو الفلفل⁸.

¹- فيلالي، المرجع السابق، ج: 2، ص: 272.

²- ابن مرزوق: المخطوط نفسه، و: 17، المناقب، ص: 198.

³- ابن مرزوق: المناقب، ص: 254.

⁴- عن هذا الموضوع ينظر: عبد الرحمن الموزن: الرحلة الحجبية مصدر من مصادر التاريخ الاجتماعي للمغرب ضمن كتاب النهضة والتراجم دار توبقال الدار البيضاء 1986. نقلا عن فيلالي: المرجع نفسه، ج: 1، ص: 303.

⁵- ابن مرزوق: المناقب، ص: 254.

⁶- ابن مرزوق: المخطوط السابق و: 32.

⁷- اللك: هو نبات يصنع به ومنه دهان للخشب

الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص: 857.

⁸- فيلالي: المرجع السابق، ج: 1، ص: 273.

وهذه البضائع كما ذكر ابن مرزوق تباع ببلاد المغرب بمال له قدر فهي ذات قيمة مالية عالية ومردود مريح.

هذا النشاط ذو الطابع الديني والاجتماعي والاقتصادي، جعل من إسهامات هذه البيوتات في شتى مجالات الحياة، خاصة وأن الحاج في مجتمع تلمسان كان محل تقدير واحترام وصاحب وجهة اجتماعية.

الخاتمة

إن المتتبع للمسار التاريخي العام لتلمسان الزيانية من القرن 7هـ/13م -10هـ/16م يلاحظ الصراع السياسي والعسكري الذي غلب عليه، فهذه هجومات المرينيين غربا وتلك هجومات الحفصيين شرقا لتختتم شمالا باعتداءات الاسبان لولا نجدة آل عثمان.

وكانت نزعة الكثير من سلاطين الدول الوارثة للموحدين نحو التوسع والسيطرة، فحال ذلك دون الاستقرار والتعاون في العلاقات البيئية، وانعكس سلبا بإضعاف و إنهاك قوى كل دولة.

وإذا كان موقف بني زيان له ما يبرره من شرعية الدفاع عن سلطتها وبسط سيادتها على الامتداد الجغرافي للمغرب الأوسط، فإن بني مرين كان هدفهم السيطرة على بلاد المغرب، وكأنهم هم وحدهم أحق بالتركة الموحدية دون سواهم، وتبعهم الحفصيون في توسعهم نحو تلمسان ثم السيطرة على بلاد المغرب، ورغم ذلك فقد طال عمر الدولة الزيانية لأكثر من ثلاثة قرون في ظل هذه الصراعات ومرد ذلك يعود إلى :

- الطابع القبلي للدولة الزيانية.
- خصوصيتها البدوية جعلتها أقدر على مغالبة حوادث الزمان.
- كثرة الصراعات العسكرية والحروب والمنازعات والمكائد على تاريخ بني زيان عودتهم على العيش في ظلها.

وعليه فإن هذا الواقع السياسي والعسكري قد يدفع بنا نحو التشاؤم للحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، بينما الواقع التاريخي أنها أخذت منحى مغايرا، فرغم اتسام العلاقات السياسية بين دول المغرب بالمواجهات العسكرية، فإنها لم تحد من التبادل الثقافي والتواصل العلمي، خلافا لواقعنا اليوم على استقراره ، فإن التعاون العلمي لم يرق إلى المستوى المطلوب.

عند التنقيب في الواقع الاجتماعي والثقافي تبرز ميزة بيوتات العلماء، التي كانت بدايتها الأولى على العهد المرابطي ثم الموحي لتنتعش وتزدهر على العهد الزياني ومنها البيوتات الكبرى التي أنجبت واشتهرت بأكثر من ثلاثة علماء كبيت المقرى وبيت العقباني وبيت المرازقة ، و البيوتات الصغرى أنجبت عالمين أو ثلاثة مثل بيت الشريف وبيت ابني الإمام وبيت ابن زاغو وبيت بن هدية وبيت ابن عبد النور. ولقد كان لهؤلاء العلماء الإسهام

الكبير على مستوى الدور الوظيفي في التعليم والإمامة والخطبة والفتوى والقضاء وإثرائهم للحركة العلمية بمصنفاتهم ومناظراتهم، ومشاركتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية. والاستنتاجات المستخلصة من هذه الدراسة :

1- الدور البارز لعلماء البيوتات كان على وجه الخصوص في التعليم لأكثر من 16 أستاذاً ، إذ الفضل الكبير يرجع إليهم في تكوين العلماء، فأرسوا القاعدة الأساسية لبناء الإنسان وصناعة الرجال، بداية من منتصف القرن 7هـ/13م لتتطور وتزدهر مع القرن 8هـ و9هـ /14م و15م لتتراجع مع نهاية القرن 9هـ/15م وبداية القرن 10هـ/16م من خلال قلة الترجمة لتلاميذ الشيوخ.

ولقد كانت هذه الدراسة محاولة لرد الاعتبار والإنصاف لهؤلاء العلماء، فالكثير من العلماء يعرفون بشهرتهم ودورهم وإنتاجهم العلمي كأبي إسحاق الشاطبي (ت790هـ/1388م) الذي يعرف بمنزلته ومصنفاته وخاصة كتاب الموافقات لكن يجهل فضل أستاذه الأول أبي عبد الله المقرئ (ت 759هـ/1358م) وكتابه "القواعد" الذي كان له السبق في التأليف في أصول الفقه بالنسبة لدول المغرب ثم أستاذه الثاني أبي عبد الله الشريف (ت777هـ/1375م) الذي تأثر به كثيراً خصوصاً في مجال التقعيد والتفريع وكتابه "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" فجاء كتاب الموافقات.

2- كان لأبي عبد الله الشريف الدور البارز والنموذجي في التربية والتكوين وتوجيه الطلبة وفق رغباتهم من خلال قوله المشهور: "من رزق في باب من العلم فليزمه". وتكوين الطلبة لم يكن تحت إشراف شيخ واحد فحسب، بل نجد الطالب ينوع في أخذه من كل العلماء والمشايخ فكانت التنشئة بالتعلم والحفظ ثم التعمق في الفهم وتنويع القراءات على الشيوخ حسب تخصصاتهم، فيؤدي كل هذا إلى تنمية المواهب وتفجير الطاقات. وهذا الفضل لم يكن لطلبة تلمسان فحسب، بل كان لكل من يقبل على تلمسان من حواضر ومدن أخرى وخاصة من فاس، وما يميز طلبة فاس هو حفظ المسائل والنقل على عادتهم خلافاً لطلبة تلمسان الحفظ ثم الفهم والتحليل بالطريقة الحوارية التي كان رائدها سعيد العقباني و الفضل في تأسيسها يعود إلى الأبلي شيخ العلوم العقلية .

3- في دور الخطابة يلاحظ تعاقب علماء بني مرزوق على مسجد العباد وعلماء بن هدية على مسجد الجامع الأعظم بأغادير وعلماء آخرين بالجامع الأعظم بتلمسان وفي مجال الفتوى برز علماء تلمسان وسجلوا إسهاماتهم في كتب النوازل بإمْتياز بصفة عامة وعلماء البيوتات بصفة خاصة ومثل المرازقة المرتبة الأولى ثم العقبايين فالمقريين، وكانت محاولة قراءة هذه الفتاوى قراءة تاريخية . وتفسير هذا الدور هو العلم والعمل و الصلاح و الثقة .

4- كما ساهم علماء البيوتات في القضاء وبرزوا بحنكتهم ومقدرتهم على إدارة مجالس القضاء وخاصة عائلة العقباني وابن هدية وابن عبد النور، فقد تعاقبوا على القضاء وكان اجتهادهم في حسن الأداء والعدل والإنصاف بنزاهتهم وقوتهم في الحق والحرص على استقلالية القضاء.

5- في مجال الحركة العلمية كانت مساهمة علماء البيوتات مساهمة فعالة بمشاركتهم بمصنفات عدة في مختلف التخصصات، وخاصة مع ابن مرزوق الحفيد وابن مرزوق الخطيب وأبي عبد الله المقرّي. وإذا كان الإنتاج العلمي في مختلف العلوم النقلية والعقلية قد وصل نحو 327 مؤلف فإن مجموع مؤلفات علماء البيوتات قد يصل إلى الثلث، والكثير من هذه المصنفات إبداعية وهذا بفضل مستواهم العلمي والإطلاع على ما كتب ممن سبقوهم ثم التجديد في مواضع شتى حيث كان لهم فيها السبق المعرفي عملا بصرخة الأبلي بإصلاح منهج التأليف وإحكام العقل والاجتهاد ومنها في أصول الفقه والفقه المقارن والمنطق والجدل والتصوف والتأريخ للسيرة الذاتية ثم الشروح والمختصرات وهي تدل على الانسياق نحو الاستهلاك الثقافي والركون إلى النقل مع الابتعاد عن التجديد وهذا بداية مع النصف الثاني من القرن 9هـ/15م إلى النصف الأول من القرن 10هـ/16م وهذا بحثا عن السهل بالنقل دون الدراسة والتحليل حتى ساد الاعتقاد بغلق باب الاجتهاد وعصمة من سبقوهم في الكتابة وكأنها حقائق مطلقة، و ولعوا بشرحها حتى قيل: " نحن خليليون إن ضل ضلنا " فقبل العقل وألزم بتقليد القدامى وأصبح الخروج عنهم نوعا من الخروج عن الملة .وكان الاهتمام منصبا على العلوم النقلية أما الاهتمام بالعلوم العقلية فعد من باب الناقل.

وكل هذا كان بتأثير الاضطرابات السياسية والعسكرية والبعض اكتفى بالثقافة الشفوية مع العزوف عن التدوين.

6- مساهمة علماء البيوتات في حركة المناظرات العلمية و التي لا يخوض غمارها إلا الراسخون في العلم، فمناظرة ابني الإمام لابن تيمية دالة على المستوى الرفيع لعلماء المغرب الذي لا يقل عن مستوى علماء المشرق بغض النظر عن البعد الاجتهادي عند ابن تيمية. ومناظرات ابن مرزوق الحفيد وسعيد العقباني تبرز سرعة استحضر الدليل وقوة المحاججة، وهذه المناظرات تعكس واقع المجتمع ببعده العلمي والاجتماعي وهي تهدف إلى معالجة قضايا المجتمع وفق مقاصد الشريعة مع إعمال العقل في تفاصيل المسائل. والمناظرة مع غير المسلمين تعكس حوار الأديان وتعايشها و التسامح الديني عند علماء المسلمين واستماعهم إلى غير المسلمين. والنجاح في هذه المساهمة تحقق بفضل غزارتهم العلمية و اطلاعهم الواسع و قوة الحفيظة مع أصالة العقل و رجاحة الرأي.

7- مشاركتهم في النشاط السياسي بحكم قربهم من السلاطين الزيانيين والمرينيين فبرعوا في الكتابة الديوانية بفضل بلاغتهم وبصرهم بالوثائق فكانت رسائلهم قوية في المبنى عظيمة في المعنى ونموذج ذلك محمد بن هدية وأبو عبد الله المقري، كما أخلصوا في استشارتهم ونصحهم للسلاطين كابني الإمام ومحمد بن هدية ووفّقوا في سفارتهم مع أبي عبد الله المقري و ابن مرزوق الخطيب.

8- المساهمة الأخرى التي سجلها التاريخ هو محاولة الصلح والتقريب بين الزيانيين والمرينيين مع ابن مرزوق الخطيب ومع بيت العقباني بين الزيانيين والحفصيين ومرد ذلك إلى قوة شخصيتهم وعلمهم وحنكتهم في التحاور والتفاوض لأصالة عقولهم ورجاحة آرائهم فكان التوفيق والنجاح بإزالة الخلاف والنزاع خاصة بين العرش الزياني والعرش الحفصي وهنا يبرز سلطان العلم ومكانة العالم في مجتمعه.

9- منزلتهم الاجتماعية والثقة التي حظوا بها عند عامة الناس مكنتهم من التدخل لدى السلاطين لرفع المظالم، وإنصاف المظلومين كابن مرزوق الجد ثم إخلاصهم في خدمة ضريح الشيخ أبي مدين شعيب مع بيت المرازقة.

10- اقتصاديا استطاعت شركة المقري أن تتحكم في التبادل التجاري بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي خلال القرن 7هـ 13م ، فكانت شركة دولية وفق المعايير المطلوبة .كما أن الإشراف على موكب الحجاج ا مع بيت المرازقة اتسم بحسن التنظيم وحسن التدبير و كان له الفضل في جلب بضائع كانت مطلوبة لبلاد المغرب و بهذا كانت قافلة الحجاج من أهم القوافل التجارية.

11- المؤثرات الخارجية في تفعيل النشاط الحضاري والحركة العلمية هو الدفع الأندلسي بعد هجرة أسر كان لها الأثر الكبير في الرقي الحضاري بتلمسان ومنها أسرة العقباني.

12- إن بروز هؤلاء العلماء وتعمقهم في الفهم والإدراك في مختلف التخصصات العلمية كان بفضل تفرغهم وابتعادهم عن الثروة والمنصب السياسي كما عبر عنها ابن خلدون: "أن القائمين على أمور الدين و الفتيا لا تعظم ثروتهم في الغالب" ، وبالمقابل لو أن بعض العلماء تفرغوا كلية للعلم والبحث والتأليف لكانت لهم أسمى منزلة علمية ولكان إنتاجهم العلمي أكثر عددا وأحسن إبداعا كابن مرزوق الخطيب وسعيد العقباني ومحمد بن هدية.

13- إن الاستنتاج العام هو أن استقرار الأوضاع السياسية يكون له الأثر البالغ على الإنتاج العلمي والمعرفي والنشاط العام .ومن خلال نشاط وأدوار العلماء نقرأ أن مسار تطورهم يتماشى وتطور الحالة السياسية للدولة الزيانية من القرن 7هـ/13م بالتأسيس والنشأة إلى التطور والازدهار مع القرن 8و9هـ/14و15م إلى الانحدار والسقوط مع القرن 10هـ/16م.

14- الفضل في الرواج الحضاري يعود إلى كثير من السلاطين الزيانيين الذين كانوا يشجعون العلماء ويتفخرون بهم ولم يضعوا لهم عوائق في نشاطهم، ولم يكن التميز بين علماء أهل تلمسان و العلماء الوافدين عليها من مدن وحواضر أخرى.

15- ارتباط علماء تلمسان ببلدهم وتعلقهم بها فالكثير منهم غادروها نحو حواضر أخرى كفاس و غرناطة و لكن سرعان ما عادوا إليها تعلقا بها و أداء لواجبها .

وصفوة القول: إن بيوتات العلماء لم تكن من النتاج الحضاري وحده، ولم تكن هي وراء الإنتاج الحضاري وحدها وإنما كان التفاعل والتبادل في إطار النسق الحضاري العام فساهموا بفعالية كبيرة في النتاج الحضاري وبالمقابل استفادوا من الإنتاج الحضاري فأعطت وأخذت فكان التكامل بين إفادة النتاج الحضاري والاستفادة من الإنتاج الحضاري.

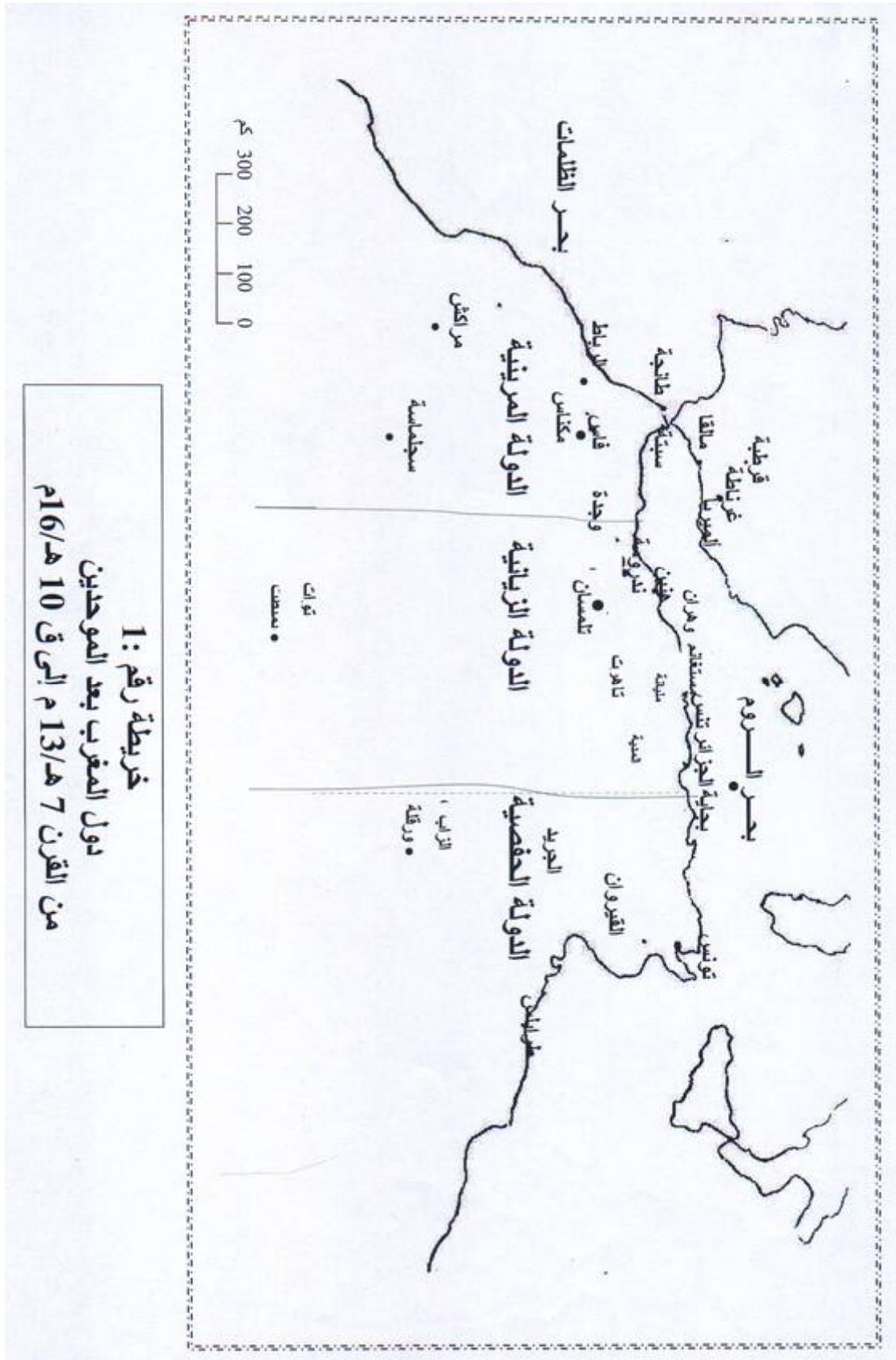
وأخيرا يمكن القول أن قلة الدراسات والأبحاث في تاريخ هؤلاء العلماء جعلتهم في التاريخ المسكوت عنه مغمورين بين أدراج أرشيف تاريخ تلمسان عدا معرفة المتخصصين، أما غيرهم فهي معرفة عامة بأسمائهم ومن هنا أملى أن يكون هذا البحث قد كشف النقاب عن بعض الجوانب من تاريخهم المجيد ولو أنه لم يف بحقهم حق الإيفاء خاصة في التنقيب عن إنتاجهم العلمي تحقيقا ودراسة للاستفادة فيما هو إبداعي وذا سبق معرفي في مختلف العلوم و الفنون.

فلننصفهم بالبحث والدراسة لنعيد لهم مكانتهم على المستوى العربي والإسلامي والعالمي فيتحقق رد الاعتبار لهم، والاستفادة منهم والافتداء بهم، وهذا بتضافر جهود الجميع وفي هذا الإطار أقترح إنشاء مؤسسة أو مركزا للدراسات والأبحاث حول تاريخ علماء تلمسان حتى ينفذ الغبار عن هذه النجوم الثاقبة وتزال عنها الأسترة، فهي كنوز ثمينة تستحق كل مجهود.

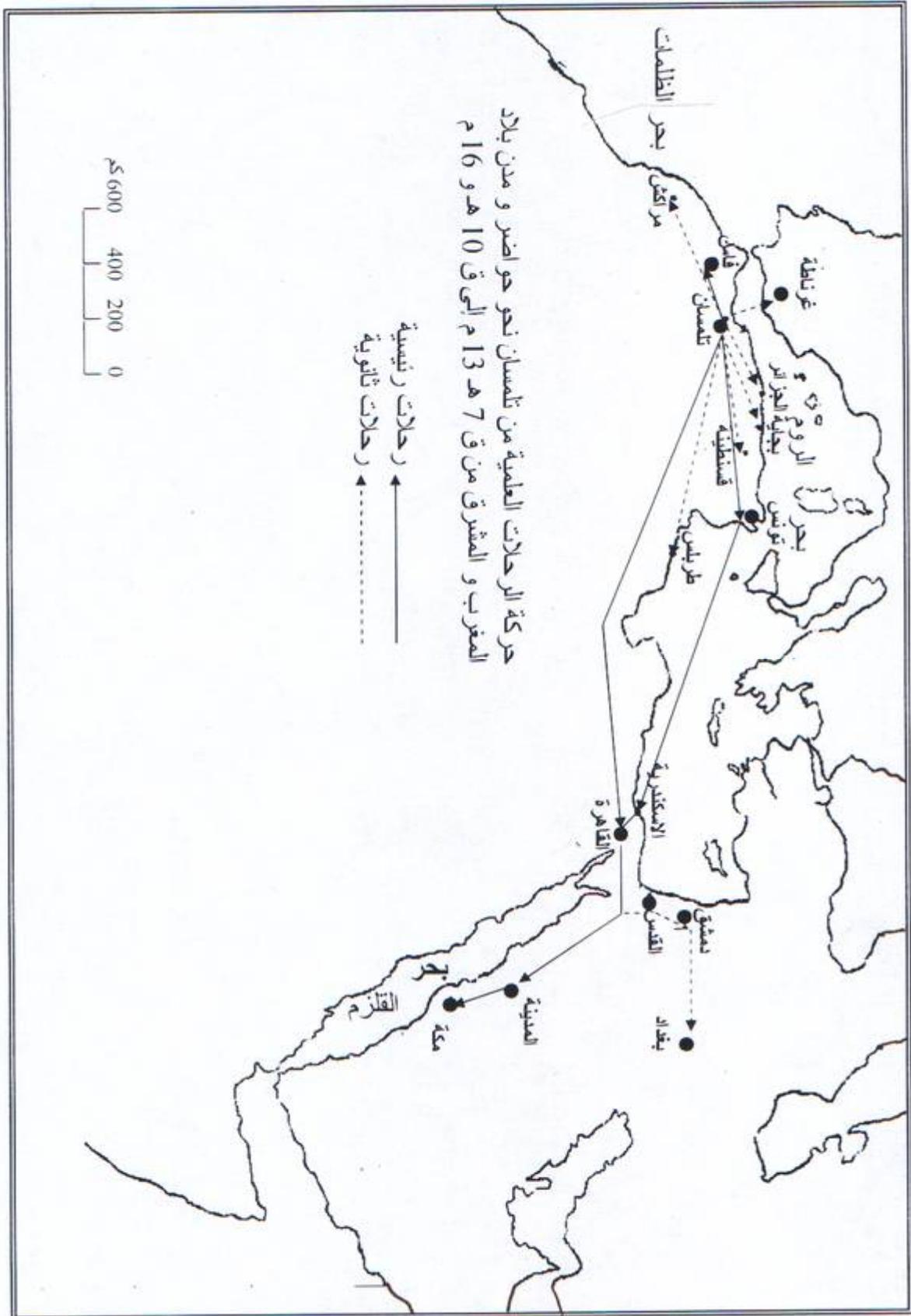
والله
والموفق - آمين
والحمد لله رب
العالمين

الملاحق

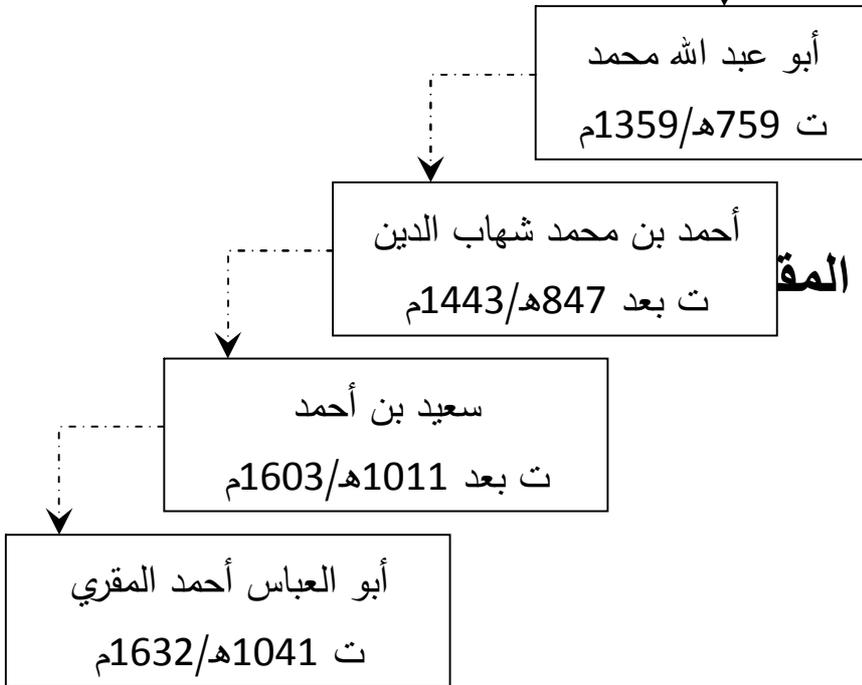
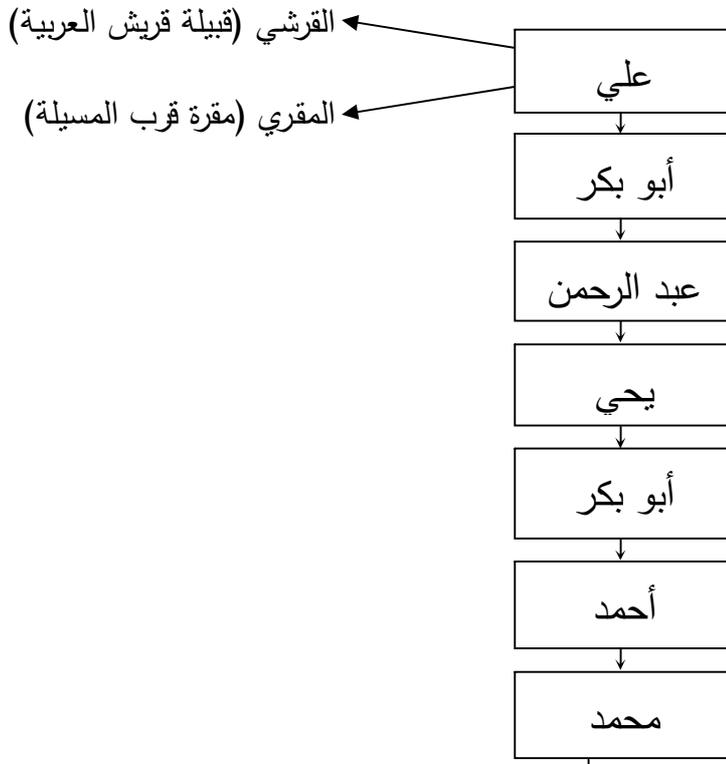
أ - الخرائط



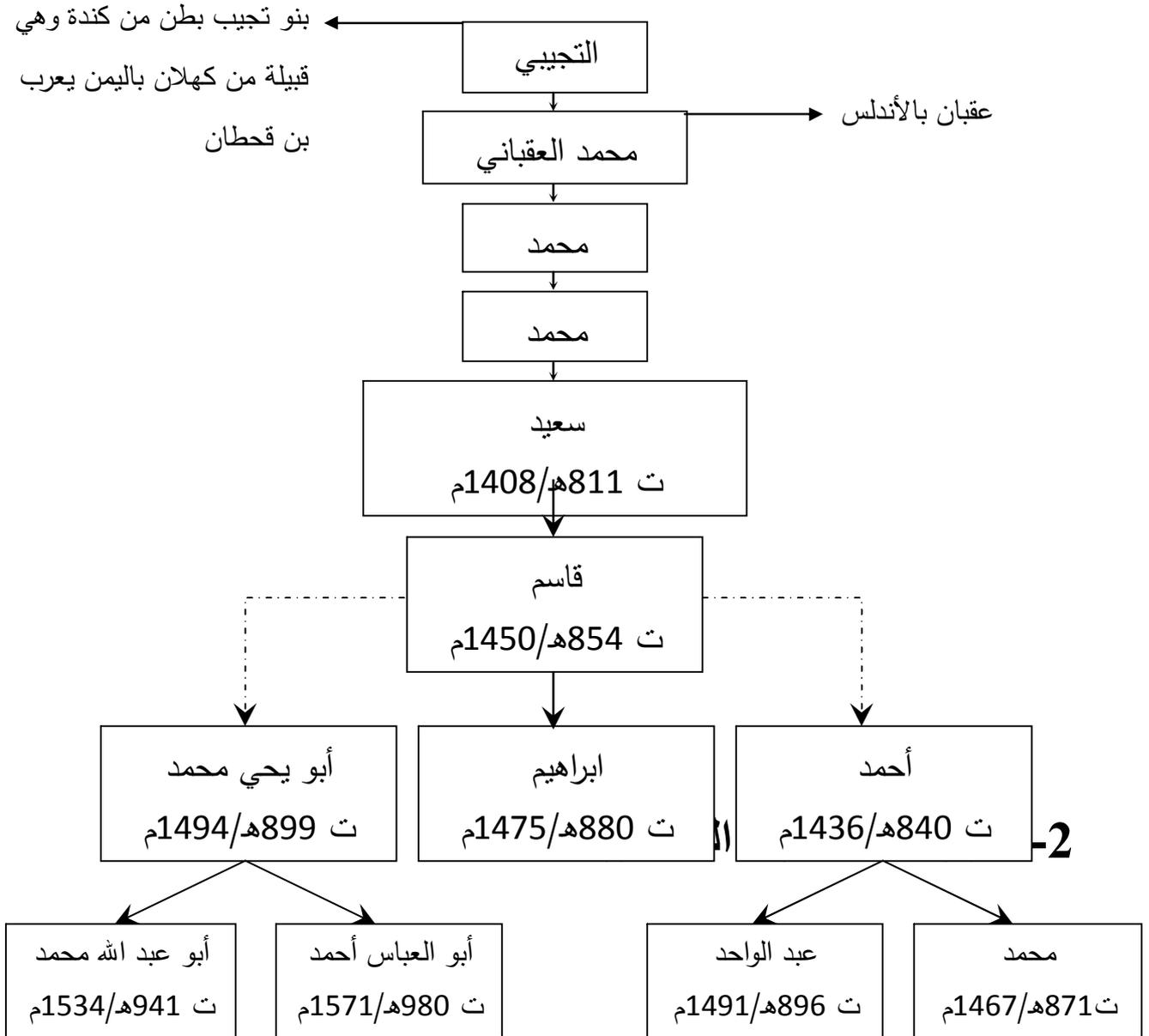
خرائطة رقم 1:
دول المغرب بعد الموحدين
من القرن 7 هـ/13 م إلى ق 10 هـ/16 م

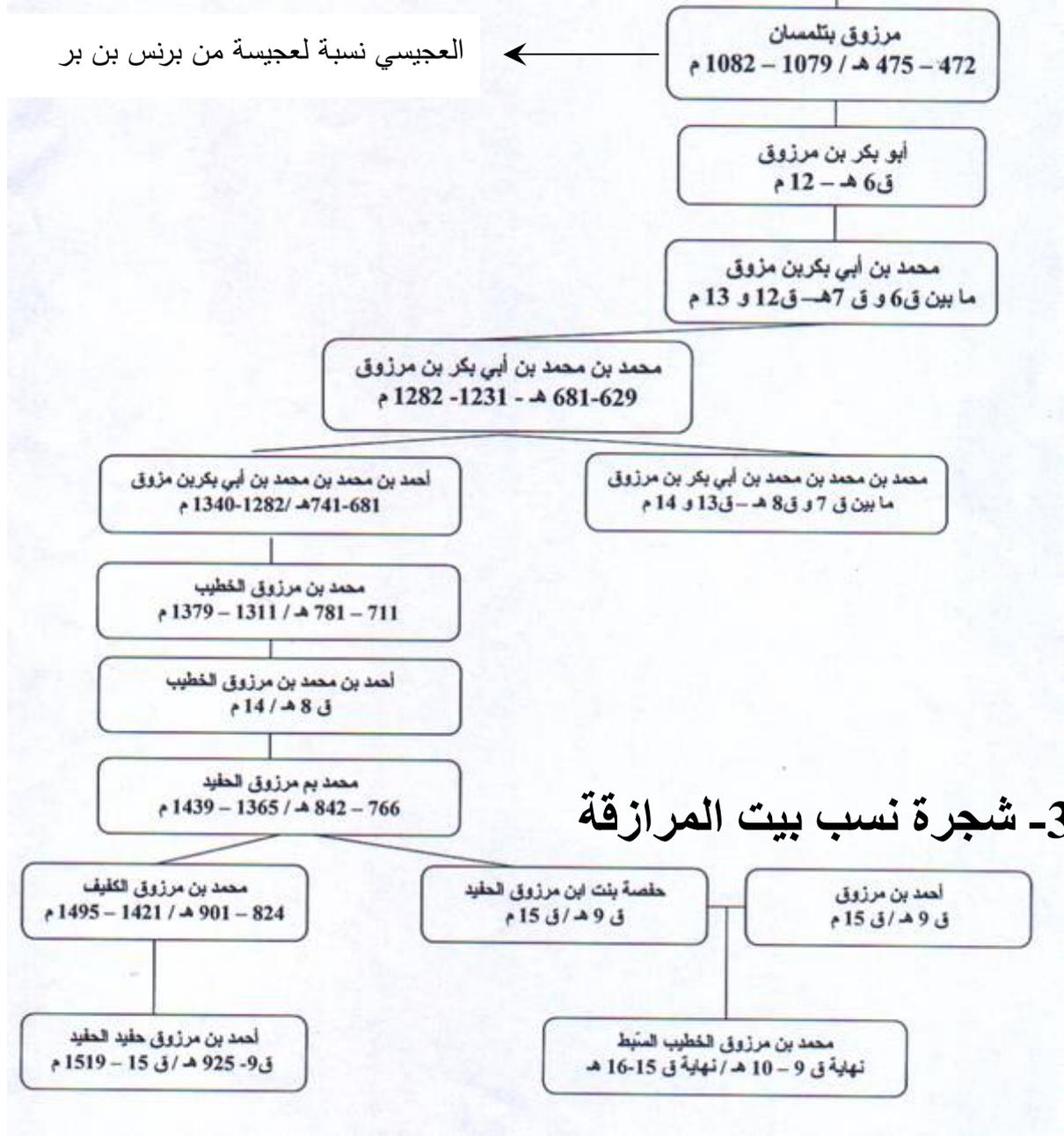


ب- شجرات الأنساب

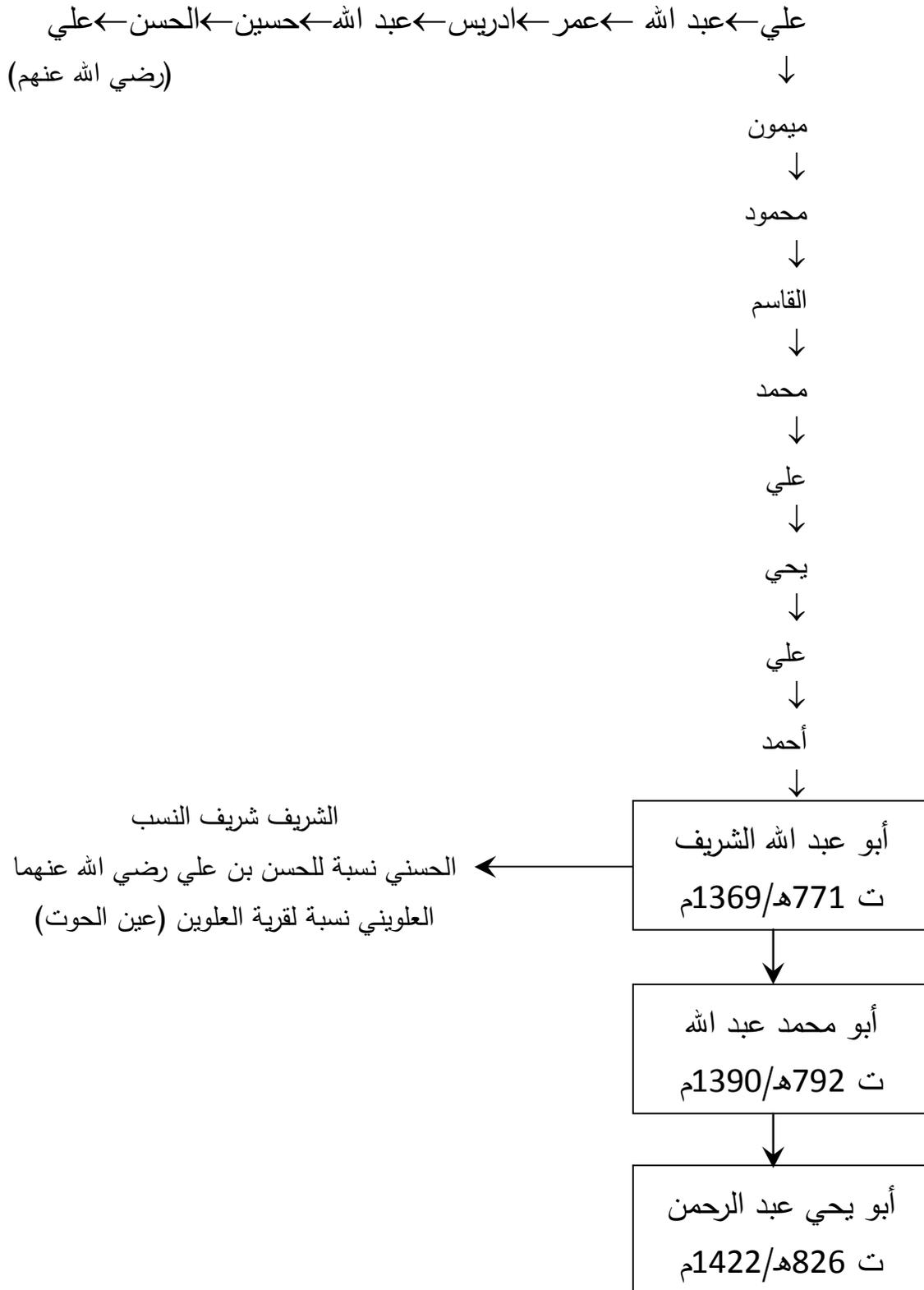


1- شجرة نسب بيت المقدس

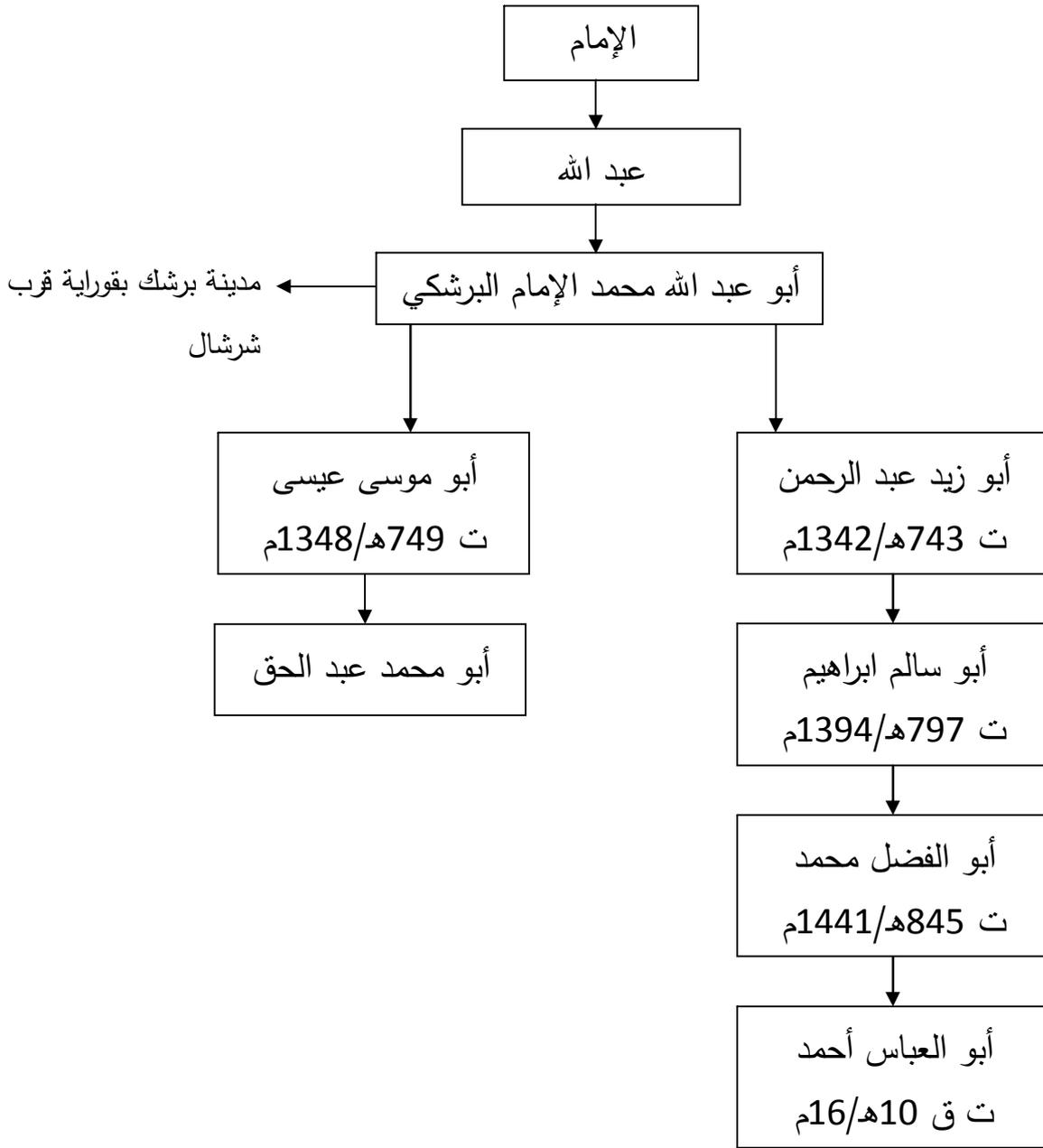




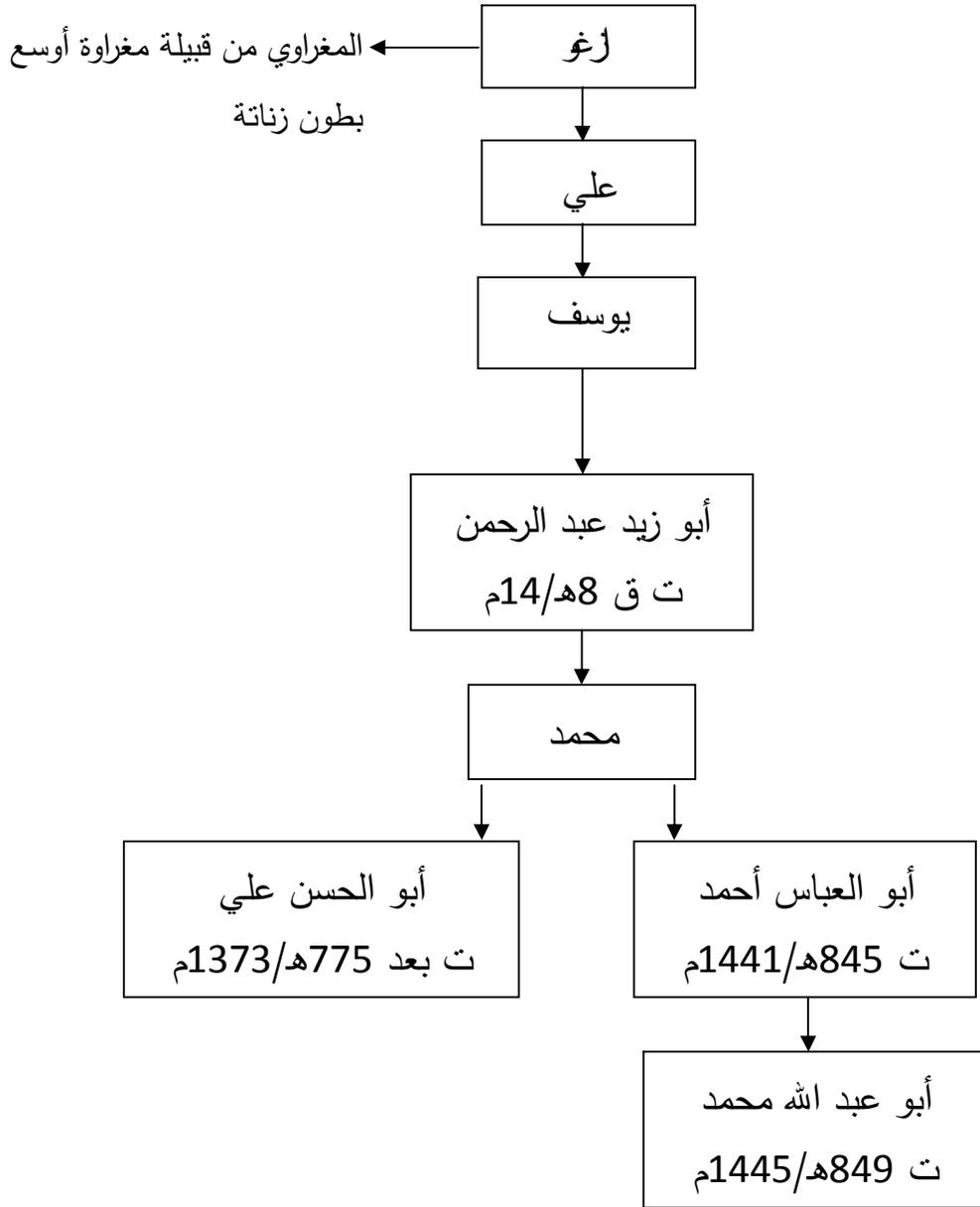
3- شجرة نسب بيت المرزوقة



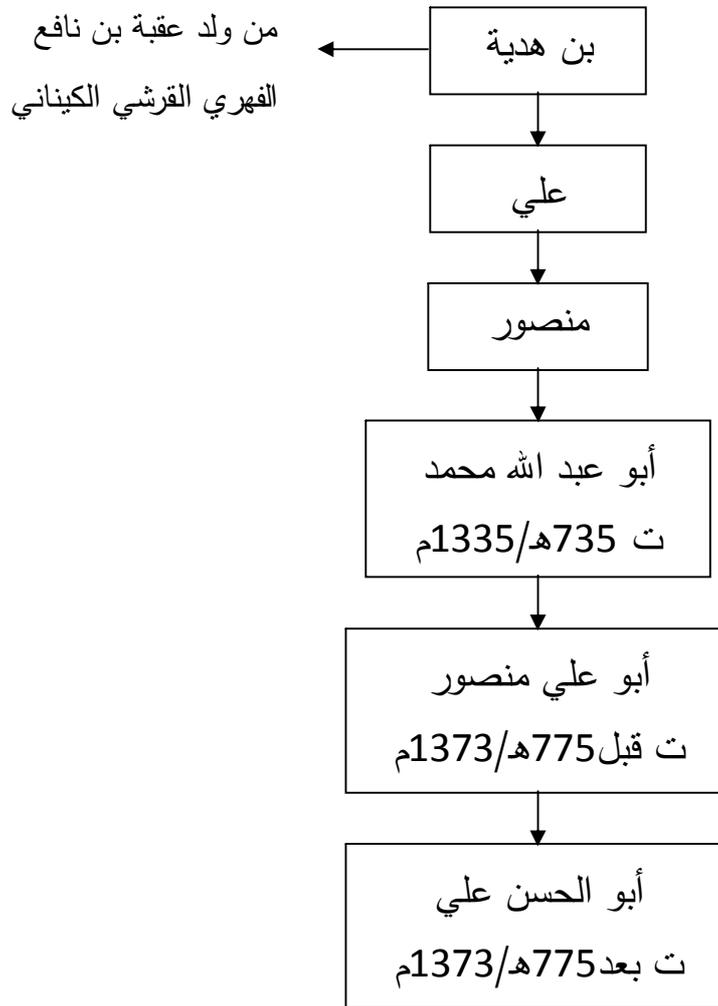
4- شجرة نسب بيت الشريف



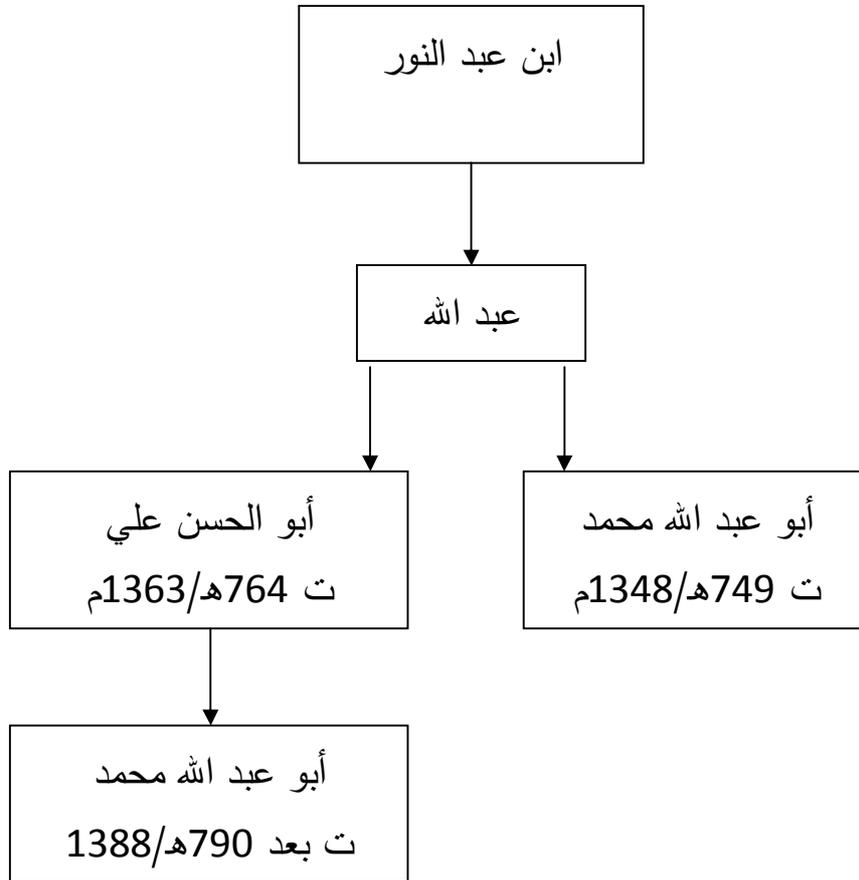
5- شجرة نسب بيت أولاد الإمام



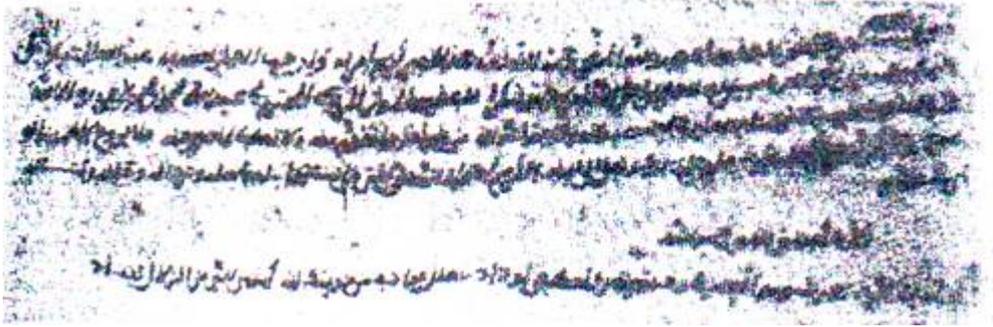
6- شجرة نسب بيت ابن زاغو



7- شجرة نسب بيت بن هديّة



8- شجرة نسب بيت ابن عبد النور



صورة من نص ظهير الأمان الذي أصدره
السلطان أبو عنان لفائدة أبي عبد الله
المقري مخطوط الاسكوريال : 1140-اللوحة
288 ب .

ظهير أمان لأبي عبدالله المقري

نسخة أمر بالأمان للفقير أبي عبدالله المقري رحمه الله .

هذا ظهير كريم أمر به وأوجب العمل بحسبه عبدالله المتوكل على الله
فارس أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين . أعلى الله أمره وأمد
شكره، للفقير المؤثر المرعي المحترم أبي عبدالله محمد بن محمد المقري، رعاه
الله وتولاه، أنعمنا عليه بالأمن التام العام في نفسه وماله وكافة أحواله، من
غير أخذ بما تقدم منه، ولا تعقب لما صدر عنه، فلا يروع لاطمئنانه سرب،
ولا يكدر عليه بشرب، فليعلم . . . (1) ويصل إلى الباب الكريم . . . (2) الله
على يقين من استصحاب له في حله وترحاله وحاله ومآله، إن شاء الله .

مخطوط مكتبة دير الاسكوريال (اسبانيا) رقم 1140 اللوحة 288 ب .

أبو الأجدان: أبو عبد الله المقري، ص 181 - 184

نص المقرئ في شأن اعتماد المختصرات والتقييدات وعدم التحري في النقل

«ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغربية أربابها، ونسبوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها، وقد نبه عبد الحق في تعقيب التهذيب على ما يمنع من ذلك لو كان من يسمع، وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع، ثم تركوا الرواية فكثرت التصحيف، وانقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتاوى تنقل من كتب لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها؛ لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها، ولقد كان أهل المائة السادسة، وصدر السابعة لا يسوغون الفتوى من تبصرة الشيخ أبي الحسن اللخمي؛ لكونه لم يصحح على مؤلفه ولم يؤخذ عنه، وأكثر ما يعتمد اليوم ما كان من هذا النمط، ثم انضاف إلى ذلك عدم الاعتبار بالناقلين، فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيين، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين، ولم يكن هذا فيمن قبلنا. فلقد تركوا كتب البراذعي على نبلها ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير التهذيب الذي هو المدونة اليوم لشهرة مسائله، وموافقته في أكثر ما خالف فيه ظاهر المدونة لأبي محمد. ثم كل أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشرح الشروح والأصول الكبار، فاقترضوا على حفظ ما قلّ لفظه، ونزر حظه، وأفسوا أعمارهم في فهم رموزه، وحل لغوزه، ولم يصلوا إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلاً عن معرفة الضعيف والصحيح، بل حلّ مقلد وفهم أمر مجمل، ومطالعة تقييدات زعموا أنها تستهض النفوس، فبينما نستكثر العدول

أبو الأجدان: أبو عبد الله المقرئ، ص 185.

مكافئ كسب الله عز وجل وبقية العهود ولام الصون والستر وكان انتقال الخرم اليه وحسن
 الرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء في امر ما يعقل ليس لغيره من اهل بيته وحرمة الرسول
 صلى الله عليه وسلم وبركة كبر اوليا ومن اقتبل عليه هذا المجموع منهم وليكن هذا احسن
 وفي اشغلت عن اشغعا الغرض ما ذهب به من الكرم المتصل بوجه الله والحمد لله وسلم
 على عباده واذ الرب او اهل طاعة وسبحانه
 وجرت جملة العمل من كمال التمتع منه كل يوم في الله وحسن عونه والصفاء والسلم
 على سيدنا محمد وسلم قسما على يد الخبر البشير الموماء يومه ان عتله حر ابن يوسف اليه
 في الله فيمنه من محاشيه تبييض الفاح كاجل الفاحر وفضل كاحه سيدنا محمد صلى الله
 ابن ابي اسود غان ان مرزوقه في الله به تبارج عشية الخيم بخوض صفا العضم مع عشرين
 من جاهد في الثانية عام سبعين وثان مائة عرفا لله في يومه كريمة

يقول كذبت له نفسه ثم انقلا المومئ صجانه من بعدك
 عيسى رسول الله في عشر شهر رمضان المبارك
 فقرأت جميع شهر الله جميع هقل الذي وان المبارك من
 اوله الى اخره صلى الله على سيدنا محمد ربه
 سلم تسليما واذ الموم كاربعا ثامن شعبان
 المبارك سنة ثلثت والبع سنة كل ذاك
 بانتهج واصيا عتلك
 لله عز وجل
 وانه ويحمد امير
 امير وامير امير

وجرت جملة هذا الزبوان المبارك مع غير الخفي شيئا الى غير الله محمد الغصدر
 كان اسم الغصم الهللة رعا المولاه الى الشرق قلته التي لم يؤث منها الى المغرب علم عمره
 مات بالظلمة وضع الله عنه عام 8 من المائة المذكورة انهم من خلفه

الانتهاء من تأليف هذا المجموع في سنة 763 هـ و تاريخ الناسخ
 الأول سنة 870 هـ و تاريخ الناسخ الثاني و الأخير لهذا المخطوط
 سنة 1003 هـ الورقة الأخيرة 96

فتاوي ابن مرزوق الحفيد مخطوط بالمكتبة الوطنية الرباط المغرب رقم 134 د

بسم الله الرحمن الرحيم وعلى الله تعالى وعلى رسوله وآله وصحبه وسلم
 قال الشيخ الفقيه الامام العلي المتين
 الخليل الجليلي العبد الاعرج المتين
 بعد الحرس الحشمي الشريف الايض الاضاحي
 في شهر ربيع الثاني سنة 899 هـ

الحمد لله الذي بنى هذا الدار والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
 صلاة وسلاما بخصايب ومغناه وهما في واديه وانما رايته من نكته على ضلته الاستاذ
 ابو عبد الله الشريف الشريف المتكلم وحده في بيته مختصرا حتمالا مختلا ومكسولا
 فهو يلهه مولا ما كانت اوتى نبي انا صرح عليه نورا من نور سماه يكون انشكافا في
 واخرت لهم كما ايد بشرعت فيه مستجيبا للكلو تعالى وسببته بالمراتب
 شريفة عند الخلق نسل الله تعالى ان يجعله خالصا الوجه الله الذي يبيع به
 النفع اعمية انه رحمة ربيع ثم قال رحمه الله فلتكلموا في حق رسوله صلى
 الله عليه وسلم انما اتفقتم بالخصية هذا مركبة وهذا التفسير في الاما والكل
 التفسير معنى هذا تبيح واعترافه فكل من نزل انما يتبع نيل الغرب اومر محمد
 نيك ولذا لم يجمع مع الله البعد في حذو الله وفعله في حذو الله كراهة كثيرة الروايات
 في ايشارته الى الغرب اومر حشمه واسا ربيلا انما حشمه الذي اخرجت من نكته التفسير
 الله هو قوله صل عليه رضا البيت وجماله يكون اشارته الى افرقة من هذا البيت
 وهو قوله او ابل وجماله ان يعود على فضل الخلق كليل من قوله من انتم من الرغلة او ابل
 في ثلاث الف مع عند الكثر الصري اوجاد والاف راجدة مثلها انا عند الكدوي
 نداء او اصد الى مثلها فيما عند السير اومر وجماعة وهو كثر وعلى الا والجنل محذون
 والعين وفيل محذون وشع اللع وهو كثر وعيلد سالي العبي وفيل مبنو حمد
 هو كثر وعينه واو ولا مد يكا حمله على باب غما كثرته وفلة عكسه
 هو باب حين وما كثر اجميه وهو باب فولة وزله تراع معناه انتقاء وراية
 وهو انما مصدر فتح اواسع مصدر اتمح او تفتح وهو جبر من المبتدأ التي هو فتح
 وقوله نظم الفتح هو التشر وهو الكلام الكرون التي فتحه واندر مدارته تعنى
 وفارقة وهذا الاضاحي مصدر فتح والرد به هذا اسم المفعول كثره الاضاحي حيث
 يراه به الجرح واظلم انما ليه ما خونه من نكته انصفه وهو نكته جواهره على
 وجه يستحسن وكلامه بيننا تمت انصيرية المنصومة في رسم الخط والفتح التي اراد
 هو انكسر اوله وجعل هذا الضحك مدولا به جعلت عليه آتمح يفتي به والمفجع

الامام المتين

الطبراني علي ضبط الخزان
 لابي عبد الله محمد بن عبد الله التنسي التلمساني
 المتوفى سنة 899 هـ



لجمع قول مستدرج من التمدد المصحح والفاء في قوله ما فتح ان تحقير الجميع بالقرآن والتحكيم منها
 وبتكره ان وما بعد ما خيرة بالقرآن منعطف بمجمل وهدت لحدوث تعديبها اما الصيغة اول
 الترتيب او الصيغة او ما نشره طائفة والراي يبيد كل وهذه الجملة اما الظاهر ان وقع موقع الظرف
 او لا في الكلام عوضا عن ضمير الزاوية وما الذي بعز كل واحد موصولة او كذا موصولة وما
 كثر صلواته او صفة محذوف من العابد او اللزوم وما تفويح وجميع ما عطف عليه من كذا
 نبيات المحتر كحسب وكما عطف على تنوينه كذا الك من السكون وكثير من كذا في كذا
 فاما من الوزن والغلب معلومها انما على تنوينها وللآء حال او هي واللام للتعليل وما
 للصلة معلومها انما على تنوينها وهو موصولة صلواتها للآء وهي صلة منعطف بها تعلق
 به الصلة وما للبيان وما اولها صلة لصلته وما الداخلة اليها كذا كذا
 فاعدا اورن ونحوه من عطف على تنوينها والتسديد يوصفها في المزيد ونحوه فاعدا ما يشتر
 بها غلبته كذا موصولة على تنوينها وما موصولة صلواتها يفتقر مع منعطفه بذكر
 من قوله وكذا كذا كذا والباء بعد محمد جاء به من قوله فجد محمد
 في اربعة جمع الامة في نساء والنسوة عرته اربعة وعشتم جمع جاء به
 خمسة جمع مقنن فان اكل بدت شيئا علكها من اولها غلبت بسقط
 ما ذكر كذا موقفا والنسوة جمع مما يجمعها من خلك وانما كذا ملاحظ
 من فداق فهدا يترشد او كل من طلب شيئا يوجد كذا رجاء فيه لا يفتقر
 جمعا صاعدا اعلى عما كثر كذا كذا ما ذكره سورة ملا في قوله في طبعه وما ليه لفته
 الا يستره بغيره المشعري او رتبته من زيادة وتكثيره بلغة له على كماله وما ليه
 قد من من افضله عند كثير كذا كذا فكله انظر الى
 وانبع به اللغ كذا فداق اليه درسا او عواد قبض ما واجه من كذا خالصا وانما
 وفلاجه اليه الى جنانك علكها بها يتبع ليعوم لا ملان والآن يتبع ويلا علك

ذوقه وليسا كذا كذا ما منى علكه سيد بقولك عسى انك جنيت
 من حوته يذهب عنك ذاك رغبة في الجمع عن مقنن وزلتة ووجدت لبيك الخراج
 ووجدت جوارك الفاعل وانبع لولا انما قد فعله من نسي رحمة ياربنا انقلد
 وارحم بعضك منك من علمنا كتابت العزيز او فزرتنا بحاله سيد العزير العزير
 محمد بن الشريف الموقل صلوات الله عليه
 ما جاء شوقا ذاقها النبي وصلواته على
 سيرته عذوة الله وحبه وسيرته نسيها ما وجد
 ما عودنا ان نسيره ربه العلى كذا

د- صور المعالم



صومعة جامع أجادير (بنيت في عهد يغمراسن بن زيان)



آثار جامع أجادير (بني سنة 174هـ/790م)



الجامع الأعظم بني سنة 475هـ/1082م
والمنارة بنيت في عهد ياغمراسن بن زيان



قبة ضريح أبو عبد الله محمد بن مرزوق بدار الراحة
الجد الأكبر ت681هـ/1282م والحفيد ت842هـ/1439م وقاسم العقباني ت854هـ/1450م

بالزاوية الجنوبية الغربية من الجامع الأعظم وسط مدينة تلمسان والجامع الكبير حالياً



مسجد أولاد الإمام بني سنة 710هـ/1310م



شاهد قبر أبو موسى عيسى بن الإمام
وقد كتب تاريخ وفاته خطأ على الشاهد
حيث توفي سنة 749هـ/1348م



شاهد قبر أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام
وقد كتب تاريخ وفاته خطأ على الشاهد
حيث توفي سنة 743هـ/1342م



مسجد العباد بني سنة 739هـ/1339م



مدرسة العباد بنيت سنة 739هـ/1339م



ضريح الشيخ أبي مدين شعيب بالعباد (ت594هـ/1197م)



مسجد أبي عبد الله الشرف ت 771هـ/1369م



مسجد بني حديثا بحي بئر وانة تلمسان يحمل اسم
ابن مرزوق الجد ت 681هـ/1282م



مدرسة حديثة بوسط تلمسان تحمل اسم

ابن مرزوق الخطيب ت 781هـ/1379م



مدرسة حديثة بوسط تلمسان تحمل اسم
أحمد بن زغوت 845هـ/1441م



مدرسة صغار المكفوفين حي القلعة - تحمل اسم

ابن مرزوق الكفيف ت 901/هـ/1495م



متوسطة أبي عبد الله المقرئ بوسط تلمسان ت 759/هـ/1359م



مدرسة سعيد العقباني وسط مدينة تلمسان ت 811/هـ/1408م



مسجد أبي عبد الله الشريف بحي الكرز تلمسان
ت 1369/هـ/771م

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم: المصحف الشريف برواية ورش عن نافع

أولاً- المصادر:

أ- المصادر المخطوطة:

- 1- الشريف أبو عبد الله: مئارات الغلط في الأدلة - خزانة بن يوسف مراكش ضمن مجموع تحت رقم : 168
- 2- العقباني سعيد: شرح التلخيص لابن البنا المراكشي - مكتبة اسكوريال اسبانيا رقم: 935.
- 3- العقباني سعيد: شرح العقيدة البرهانية في أصول الدين - المكتبة الوطنية الجزائرية ضمن مجموع رقم: 2761.
- 4- العقباني سعيد: شرح على الحوفي في الفرائض - المكتبة الوطنية الجزائرية رقم 131 - المكتبة الوطنية باريس رقم 5312.
- 5- مجهول: القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبهما بالمغربين الأقصى والأوسط - المكتبة الوطنية الجزائرية رقم 3185.
- 6- ابن مرزوق الحفيد: المنزح النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل - المكتبة الوطنية الجزائرية رقم: 1136.
- الخزانة العامة بالرباط(المكتبة الوطنية) رقم 265.
- 7- ابن مرزوق الحفيد: المفاتيح المرزوقية في حل أقفال و خبايا الخزرجية - المكتبة الوطنية الجزائرية رقم: 2970
- 8- ابن مرزوق الحفيد: المقنع الشافي - المكتبة الوطنية الجزائرية رقم 2165.
- 9- ابن مرزوق الحفيد: اسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم - المكتبة الوطنية الجزائرية رقم 2067 - الخزانة العامة (المكتبة الوطنية) الرباط رقم: د 1783.
- 10- ابن مرزوق الحفيد: شروح البردة - الخزانة العامة المكتبة الوطنية الرباط رقم 1365

- 11- ابن مرزوق الحفيد: اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة الخزنة العامة (المكتبة الوطنية) الرباط رقم ك 4295 نسخة أخرى تحت رقم: 2983.
- 12- ابن مرزوق الحفيد: الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات -المكتبة الوطنية الجزائر من مجموع رقم: 1335.
- 13- ابن مرزوق الخطيب: تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام:
- خزنة العامة(المكتبة الوطنية) الرباط رقم 83ق.
- خزنة القاهرة، مصر رقم: 292.
- خزنة آيا صوفيا، تركيا رقم: 1331.
- 14- ابن مرزوق الخطيب: شرح مختصر نهاية الأمل للخونجي
- خزنة بن يوسف مراكش والزاوية الحمداوية بالراشدية المغرب.
- 15- ابن مرزوق الخطيب: جنى الجنتين في فضل الليلتين ليلة القدر وليلة المولد النبوي- الخزنة العامة (المكتبة الوطنية) الرباط رقم ك 1228.
- 16- ابن مرزوق الخطيب: عجاله المستوفز المستجاز في ذكر من استجازني من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز- المكتبة الحسنية ملحق القصر الملكي الرباط المغرب تحت رقم مجموع . 7579
- 17- ابن مرزوق الخطيب: مجموع في سيرة سلفه - المكتبة الخاصة، مكروفيلم الخزنة العامة (المكتبة الوطنية) الرباط رقم : 20
- 18- المقرّي محمد أبو عبد الله: عمل من طب لمن حب الخزنة العامة (المكتبة الوطنية) الرباط تحت رقم 1258.
- 19-مجموعة من علماء تلمسان وتوات: النوازل التواتية خزنة بكرابي تمنطيط أدرار الجزائر
ب- المصادر المطبوعة:
- 20- ابن أبي زرع على بن عبد الله الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة، المطبعة الملكية الرباط ط: 2 1420هـ/1999م.
- 21- ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتعليق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع القاهرة مصر ط 1 1421 هـ/2001م.

- 23- الإدريسي أبو عبد الله الشريف: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983.
- 24- الإدريسي أبو عبد الله الشريف: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، حققه ونقله للفرنسية محمد حاج صادق OPU 1983.
- 25- ابن الأكفاني (ت 749هـ/1248م) إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق وتعليق عبد المنعم محمد عمر، مراجعة أحمد حلمي عبد الرحمان، دار الفكر العربي د ط/دت.
- 26- الأنصاري محمد أبو عبد الله: فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق محمد العنابي المكتبة العتيقة تونس ط 1967.
- 27- ابن بطوطة محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان دار الكتاب المصري القاهرة مصر/دت
- 28- البغدادي إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1413هـ/1992م.
- 29- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز: كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب نشره: MAC GUKIN DE SLANE - Librairie d'Am2rique et d'orient Adrien Maisonneuve - Paris, 1965.
- 30- التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية، ضبط النص وعلق عليه: أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم بيروت لبنان 2002/1422.
- 31- التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية، تحقيق على عمر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط: 1 2004/1423
- 32- التنبكتي أحمد بابا: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: تحقيق على عمر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط: 1 - 2004/1423.
- 33- التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بوعياذ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1405هـ/1985م
- 34- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1992.
- 35- ابن حزم أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر 1382هـ/1962م.

- 36- الحفناوي أبو القاسم محمد: تعريف الخلف برجال السلف ، الأنيس سلسلة العلوم الإنسانية تحت إشراف علي الكنز ، المؤسسة الوطنية للفنون الرغاية الجزائر 1991
- 37- الحموي ياقوت: معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر د/ت.
- 38- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي: كتاب صورة الأرض، دار صادر بيروت لبنان طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة 1983م .
- 39- الحميري محمد بن عبد المنعم: كتاب روض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت 1975.
- 40- ابن خردادبه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، دار صادر بيروت لبنان طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة 1989م .
- 41- ابن الخطاب أبو بكر المغرب والأندلس في القرن 7هـ/13م من ديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل لأبي بكر بن خطاب، دراسة وتحقيق، أحمد عزوي، منشورات جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية القنيطرة المغرب المطبعة ربانيت Rabat Net ط 1 2008/1429.
- 42- ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله : الإحاطة في أخبار غرناطة ، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه، محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي القاهرة مصر 1394هـ/1974م
- 43- ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله : أعمال الأعلام فيمن بويق قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق سيد كسراوي حسن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1: 2003/ 1424 .
- 44- ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله: اللحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ط 3 1400هـ/1980م.
- 45- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت لبنان 1399هـ/1979م – 7 أجزاء.
- 46- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ط، 1 1424هـ/2003م – مجلدان.

- 47- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر بيروت لبنان 1421 هـ/2000م - 7 أجزاء.
- 48- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: المقدمة، مكتبة ودار المدينة المنورة للتوزيع والنشر - الدار التونسية للنشر، 1984.
- 49- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1979.
- 50- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: رحلة ابن خلدون عارضها بأحوالها وعلق على حواشيتها محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: 1 1425 هـ/2004م
- 51- ابن خلدون يحيى بن محمد أبو زكرياء: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ج: 1 تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية الجزائر 1400 هـ/1980م
- 52- ابن خلدون يحيى بن محمد أبو زكرياء: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، المجلد الثاني نشره ألفرد بل مطبعة فونطانة الجزائر 1911
- 53- الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع القاهرة مصر ط: 1 1414 هـ/1994م .
- 54- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس 1966م.
- 55- الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس تارجم لأشهر الرجال والنساء عند العرب والمستعربين والمستشرقين، ط3 حقوق الطبع محفوظة للمؤلف بيروت لبنان 1970م/1390هـ
- 56- ابن سحنون الراشدي أحمد بن محمد بن علي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي الوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية سلسلة التراث - 1 - مطبعة البعث قسنطينة - الجزائر 1973.
- 57- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان د/ت.
- 58- السيوطي جلال الدين بن أبي بكر: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير دار الكتب العلمية بيروت لبنان د.ت

- 59- الشريف التلمساني أبو عبد الله محمد: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، حققه وخرج أحاديثه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1403 هـ/1983 م
- 60- الشريف التلمساني أبو عبد الله محمد: مئارات الغلط في الأدلة، تحقيق المصطفى الوضيفي، كلية الآداب والمدرسة العليا للأساتذة مراكش، مطبعة التيسير - الدار البيضاء المغرب 1991.
- 61- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي راجعة ورقم فهارسه عبد المجيد خيالي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء المغرب ط: 3 1424 هـ/2003 م.
- 62- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني: الشواهد القبرية للعائلة العقبانية متحف تلمسان رقم الجرد 91/50 و E/54 .
- 63- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني: الشواهد القبرية للعائلة العقبانية متحف تلمسان رقم الجرد 47/91 و E/66 .
- 64- ابن صاحب الصلاة عبد المالك : المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط3 1987
- 65- ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله: فتوح افريقية والأندلس حققه وقدم له عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني بيروت 1964 م .
- 66- العقباني محمد بن أحمد: تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق على الشنوفي أستاذ مبرز ب.ط.ر.ب.ت.
- 67- ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان - دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع د.ط/د.ت.
- 68- ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة بيروت طبعة ثانية منقحة 1399 هـ/1979 م .
- 69- ابن غازي محمد المكناسي: فهرس ابن غازي التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد، تحقيق محمد الزاهي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الدار البيضاء 1399 هـ/1979 م
- 70- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.
- 71- الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت لبنان 1402 هـ/1982 م.

- 72- ابن فرحون ابراهيم بن علي بن محمد: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدى ، دار التراث للطباعة والنشر القاهرة 1972
- 73- ابن فرحون ابراهيم بن علي بن محمد: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط: 1 ، 1423 م /2003م.
- 74- الفيروز آبادي محمد بن يعقوب: القاموس المحيط ،ضبط وتوثيق يوسف محمد البقاعي، دار الفكر بيروت لبنان 1425 هـ 2005م.
- 75- ابن القاضي أحمد المكناسي: جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة الرباط المغرب 1973.
- 76- ابن القاضي أحمد المكناسي : درة الحجال في غرة أسماء الرجال، حققه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1423 هـ/2002م.
- 77- القرافي بدر الدين محمد بن يحيى: توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق على عمر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1425 هـ/2004م.
- 78- القزويني معز الدين المهدي الحسني: أسماء القبائل وأنسائها، شرح وتحقيق كامل سلمان الجبور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1420 هـ 2000م
- 79- القلصادي أبو الحسن على الأندلسي: رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع 1978.
- 80- القلقشندي احمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1985.
- 81- القلقشندي احمد بن علي: نهلية الارب في معرفة أنساب العرب تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني ط 3 1411 هـ 1991م
- 82- ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني : أنس الفقير وعز الحقيير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي أدولف فور منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس كلية الآداب الرباط 1965.
- 83- ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض مؤسسة نويهض الثقافية بيروت لبنان 1982.
- 84- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، بإعتناء الدكتور إحسان عباس دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط: 2 1402 هـ/1982م

- 85- كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين وتراجم مصنفى الكتب العربية، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط1
1414هـ/ 1993م
- 86- المارغيني ابراهيم بن أحمد: دليل الحيران على مورد الضمان ،دار الكتب والمطبوعات الجميلة -
الجزائر 1988م.
- 87- المازوني أبو زكرياء يحيى المغيلي: الدرر المكنونة في نوازل مازونه، تحقيق حساني مختار، نشر
مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات جامعة الجزائر ط: 1 2004م
- 88- المجاري أبو عبد الله محمد الأندلسي : برنامج المجاري، تحقيق أبو الأجدان بيروت لبنان، دار
الغرب الإسلامي ط 1، 1982.
- 89- مجهول : تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق عبد القادر بوبايا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1
1428 هـ/2007م
- 90- مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوبايا، دار أبي رقرق للطباعة والنشر الرباط
المغرب ط 1 2005.
- 91- مجهول: كاتب مراكشي من ق 6هـ12م: كتاب الإستبصار في عجائب الامصار نشر وتعليق سعد
زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية دار البيضاء 1985م
- 92- مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
دط دت.
- 93- المراكشي عبد الواحد بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتني به صلاح الدين
الهواري ،المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان ط 1 1426 هـ/ 2006م
- 94- محمد المراكشي الاكمه: إسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الام وابن مرزوق محمد الحفيد:
اسماع الصم في اثبات الشرف للأمم، دراسة وتحقيق مريم لحو، مطبعة الشرق وجدة المغرب ط:2
2006.
- 95- ابن مرزوق محمد الخطيب التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي
الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1401هـ/1981م.
- 96- ابن مرزوق محمد الخطيب التلمساني: المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، منشورات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب ط: 1
1429 هـ/ 2008م.

- 97- ابن مريم أبو عبد الله محمد الشريف: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986
- 98- المشرفي عبد القادر الجزائري: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان د/ت.
- 99- المقرّي أبو عبد الله محمد: الكليات الفقهية، دراسة وتحقيق أبو الأجفان محمد بن عبد الهادي، الدار العربية للكتاب تونس 1997م.
- 100- المقرّي احمد أبو العباس: رحلة المقرّي إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد ابن معمر، مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال إفريقيا جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر والتوزيع سيدي بلعباس الجزائر 1425هـ/2004م.
- 101- المقرّي احمد أبو العباس: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية الرباط 1383هـ 1964م.
- 102- المقرّي احمد أبو العباس: نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب، حققه إحسان عباس دار صادر بيروت لبنان 1388هـ/1968م.
- 103- المقرّيزي أحمد بن علي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرّيزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط: 2 1987م
- 104- ابن منظور محمد بن مكرم : لسان العرب المحيط ،إعداد وتصنيف يوسف خياط دار لسان العرب بيروت لبنان د/ت.
- 105- الناصري أحمد أبو العباس السلوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى اعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: 1 1428 هـ /2007م.
- 106- الوزان حسن بن محمد الفاسي ليون الافريقي: وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط: 2 1983 .
- 107- الونشريسي احمد بن يحيى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ،دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1981
- 108- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط : 02 1422هـ/2002م

ثانيا: المراجع

أ- الكتب العربية والمعرّبة:

- 109- أبو الأجنان محمد بن الهادي: الإمام أبو عبد الله محمد المقرّي التلمساني، الدار العربية للكتاب بن عروس تونس 1988.
- 110- أحمد عبد الرزاق : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي القاهرة ط 1 1991
- 111- إسماعيل العربي : دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983م
- 112- اندري برنيان اندري نوشي إيف لاکوست: الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984.
- 113- بلغيت محمد الامين : النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989.
- 114- بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر مطبعة الجزائر 1392هـ/1972م.
- 115- بن رمضان شاوش محمد: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995.
- 116- بن رمضان شاوش محمد بن حمدان الغوتي: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر طبع واشهار داود بريكسي تلمسان الجزائر ط 1 1422هـ/ 2001 م
- 117- بن منصور عبد الوهاب: تلمسان تحليل لغوي وتاريخي للأسماء التي دعيت بها حاضرة المغرب الأوسط مطبعة ابن خلدون تلمسان 1365هـ
- 118- بوداود عبيد: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع، الهجريين (ق13-15م)، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003 .
- 119- بوعزيز يحيى: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان 1995.
- 120- بوداود عبيد: مدينة تلمسان عاصمة المغرب الاوسط، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر 2004.
- 121- بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ/12و13م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة الجزائر 2004.

- 122- جبار أحمد أبلأغ محمد: حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس الرباط المملكة المغربية مطبعة النجاح الجديدة البيضاء ط: 1 2001.
- 123- جورج مارسي: مدن الفن الشهيرة تلمسان، ترجمة سعيد دحماني لطبعة 1950 دار النشر التل- البليدة الجزائر 2004.
- 124- حاجيات عبدالحميد: أبو حمو موسى الزباني الثاني حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1394هـ-1974م
- 125- حاجيات عبد الحميد وآخرون : الجزائر في التاريخ- 3-العهد الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري 1984.
- 126- حاجيات عبد الحميد معروف بلحاج مبخوت بودواية : كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ، سلسلة منشورات المشاريع الوطنية للبحث ، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر 2007
- 127- الحفني عبد المنعم: الموسوعة الصوفية، مكتبة مديولي القاهرة مصر ط : 05 2006.
- 128- الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1402هـ/1982.
- 129- خالد أحمد الشامي : بيان موقف شيخ الإسلام الإمام الأكبر الطاهر بن عاشور من الشيعة من خلال تفسيره "التحرير والتنوير" مركز إحياء تراث آل البيت تونس 1425هـ/ 2005 م.
- 130- خريطة الجزائر - الشمال الغربي - المعهد الوطني للخرائط الجزائر 1983.
- 131- خريطة الجزائر - الشمال الشرقي- المعهد الوطني للخرائط الجزائر 1983.
- 132- الدردابي محمد : تحقيق كتاب القواعد لأبي عبد الله محمد المقرئ - دكتوراه في الدراسات العليا الإسلامية دار الحديث الرباط المغرب 1403 هـ/ 1983م
- 133- دهينة عطاء الله و آخرون: الجزائر في التاريخ- 3 - العهد الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.
- 134- سحنوني محمد: ما قبل التاريخ ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1990م.
- 135- سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1990.
- 136- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981م
- 137- سيب خير الدين: القراءات القرآنية نشأتها أقسامها حجيتها ، الدار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر 2005

- 138- سيب خير الدين: أثر القراءات القرآنية في اختلاف الأحكام الفقهية، الدار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر 2007.
- 139- السيد سابق: العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي بيروت لبنان د/ت.
- 140- السيد النشار: تاريخ المكتبات في مصر المملوكية، تقديم فتحي عبد الهادي جوزيف نسيم، الدار المصرية اللبنانية ط 1 1993
- 141- شنيطي محمد البشير: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب سياسة الرومنة .
- 146- ق م 40، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط : 2 1985.
- 142- طاهر توات: ابن خميس شعره ونثره، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991
- 143- ابن خميس شعره ونثره، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.
- 144- الطمار محمد بن عمرو : تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.
- 145- الطمار محمد : تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007.
- 146- العابد محمد الفاسي: فهرس مخطوطات خزنة القرويين، قدم وترجم له ابنه الفاسي الفهري، دار الكتاب الدار البيضاء المغرب ط: 1 1399هـ/1971م.
- 147- ابن عبد الكريم محمد: المقرئ وكتاب نفح الطيب منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان د/ت.
- 148- عبدلي لخضر: التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية المطبعة الجهوية وهران الجزائر 2008.
- 149- فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغبة الجزائر 2002
- 150- كعاك عثمان : موجز التاريخ العام للجزائر، تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله محمد بشير شنيطي، ناصر الدين سعيدوني، إبراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي ط 1 2003.
- 151- المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792) وثائق ودراسات، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط: 2 1984.
- 152- المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984

153- المشهداني هاشم عبد ياسين : سفیان الثوري و أثره في التفسير ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1 1427 هـ 2006م

154- موسوعة تاريخ العلوم العربية شراف رشدي راشد مركز دراسات الوحدة العربية مؤسسة عبد الحميد شومان ط 2 بيروت 2005

155- مؤنس حسين : أطلس تاريخ الاسلام ، الزهراء للاعلام العربي القاهرة مصر ط 01 1407 هـ/1987م

156- مؤنس حسين : تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الاسلامي العصر الحديث للنشر والتوزيع بيروت لبنان ط 1 1412 هـ 1992م

157- نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر مؤسسة نويهض الثقافة بيروت لبنان ط: 03 1403 هـ/1983م.

158- نويهض عادل: معجم المفسرين، مؤسسة نويهض الثقافة بيروت لبنان 1403 هـ/1983م.

ب- المجالات والدوريات:

159- بن أشنهو عبد الحميد : أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة دفين تلمسان أم فاس مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، العدد 26 جويلية اوت 1975

160- بن داود نصر الدين: قراءة في الإشعاع العلمي لمدينة ندرومة من القرن 05 هـ/11م إلى القرن 9 هـ/15م الملتقى المغاربي يومي 14 و 15 أبريل 2009 المدينة في المغرب الإسلامي من الفتح إلى القرن التاسع الهجري، من تنظيم مخبر الدراسات الحضارية والفكرية- جامعة تلمسان.

161- بن داود نصر الدين: فخر المغرب على المشرق ابن مرزوق الخطيب قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، دورية مخبر الدراسات الحضارية والفكرية جامعة تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر 2008.

162- بنعلي بوزيان: من نوادر المخطوطات التعريف بالمقري لأبي العباس الونشريسي - دعوة الحق - مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية والشؤون الثقافية والفكر تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، العدد 331 السنة الثامنة والثلاثون، جمادى الأولى جمادى الثانية 1418 هـ/أكتوبر 1997.

163- بن معمر محمد: مركز تلمسان الثقافي من أغادير الإدريسية إلى تاجرات المرابطية، حولية المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 3 - 2005/4.

- 164- البوعبدلي المهدي : أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ ، الأصالة وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر العدد26 1975
- 165- البوعبدلي المهدي: أبو عبد الله محمد ابن خميس التلمساني ، الأصالة وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية العدد49 50سبتمبر أكتوبر 1977
- 166- بوعزيز يحيى: علماء أسرة العقباني و دورهم في التوفيق بين عرشي تونس وتلمسان، الحياة الثقافية، تصدر عن وحدة المجالات بوزارة الشؤون الثقافية تونس العدد32 1984
- 167- بوعيايد محمد: رحلة مصري يزور الجزائر في القرن 9هـ، مجلة الأصالة وزارة التعليم الاصيلي و الشؤون الدينية السنة الرابعة العدد: 24 1395هـ/ 1975
- 168- حاجيات عبد الحميد: الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة وزارة التعليم الاصيلي و الشؤون الدينية العدد 26 السنة 1975.
- 169- حاجيات عبد الحميد: التطور التاريخي لمدينة تلمسان في العصر الوسيط محاضرة في الملتقى المغاربي "المدينة في المغرب الإسلامي من الفتح إلى القرن 9هـ/15م يومي 14 و 15 أبريل 2009 من تنظيم مخبر الدراسات الحضارية والفكرية جامعة تلمسان.
- 170- زمامة عبد القادر: أبو عبد الله المقرئ وكتاب الحقائق والرقائق، مجلة اللغة العربية بدمشق، المجلد الحادي والأربعون، يناير 1966 رمضان 1385.
- 171- قريان عبد الجليل: حركة التأليف بتلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1554 قرطاس الدراسات الحضارية و الفكرية دورية مخبر الدراسات الحضارية و الفكرية جامعة تلمسان العدد التجريبي 2008.
- 172- معروف بلحاج: مدينة منصور الأثرية من خلال المصادر التاريخية، حولية المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين العدد 05 جوان 2005.
- 173- نواف عبد العزيز الجحمة : صورة الغرياء المغاربة في صر والشام خلال عصر الحروب الصليبية ، مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق العددان 101 102 1429 هـ 2008م.
- 174- الهادي الحسني محمد: أعظم مادح لأعظم ممدوح، أقلام الخميس، جريدة الشروق العدد 2859 الخميس 11/2010/02/25 ربيع الأول 1431هـ.
- 175- هاشم المشهداني علياء: معطيات رحلة الوادي آشي (ت749 هـ /1348م) العلمية إلى مدينة دمشق من خلال برنامجه، الندوة الدولية دمشق في التاريخ 20-24/11/2006.
- ج- الرسائل الجامعية:

- 176- أنوار إبراهيم : التعليم والمعرفة و الكتاب دراسة تاريخية مقارنة للمغرب المريني وإفريقية الحفصية إلى منتصف القرن 8هـ/14م، أطروحة لنيل الدكتوراه جامعة محمد الخامس الرباط 1423-1424هـ/2002-2003م.
- 177- بابا خويا الحاج مهدي: الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني ت 771هـ وجهوده الأصولية والفقهيّة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس 1413هـ -1414هـ/1992-1993م.
- 178- بلعرج عبد الرحمن: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2007-2008.
- 179- بن داود نصر الدين: علماء أسرة المرابطة ودورهم الثقافي بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، مذكرة ماجستير قسم التاريخ، جامعة وهران 2002-2003.
- 180- بن عبد الله أحمد بن حميد: تحقيق قسم العبادات من كتاب القواعد لأبي عبد الله المقرئ، دكتوراه في الفقه المقارن، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1404هـ/1983م.
- 181- بوشقيف محمد: العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م مذكرة ماجستير قسم التاريخ جامعة وهران 2003-2004.
- 182- البوكيلي فايزة : الحياة العلمية في الاندلس في العصر المرابطي أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الرباط السنة الجامعية 2004/2005
- 183- رفاف شهرزاد: أبو عثمان سعيد العقباني، حياته وآثاره (ت811هـ/1408م) مذكرة ماجستير قسم التاريخ، المركز الجامعي بشار 2006/2007.
- 184- عبدلي لخضر: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بن زيان رسالة دكتوراه دولة قسم التاريخ جامعة تلمسان 2004/2005
- 185- قدورى الطيب : جامعة القرويين ومدارسها بفاس من عهد أبي الحسن المريني إلى نهاية عهد احمد المنصور الذهبي (731-1012هـ/1330-1603م) مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني والثقافي والفكري أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس - المغرب - 1424-1425هـ/2003-2004م.
- 186- مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد الزيانيين، رسالة دكتوراه دولة قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2005-2006.

187- المغراوي محمد: العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والاندلس في عصر الموحدين أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ جامعة محمد الخامس الرباط المغرب 1422/1423هـ/2001-2002م

د - المراجع باللغة الأجنبية:

188- BARGES ABBE J.J.L : Tlemcen ancienne capitale du Royaume de ce nom sa topographie son histoire (souvenir d'un voyage) Paris 1859.

189- BARGES J.J.L l'histoire de Beni Zeiyan – Rois de Tlemcen, Paris 1852. 190- BARGES J.J.L : Complément de l'histoire de Beni Zeiyan – Rois de Tlemcen, Paris Ernest, Leroux Libraire Editeur 1887.

191- BASSET René : Nedroma et les traras, Paris Ernest Leroux, 1901.

192 - BEL ALFRED, Tlemcen et ses environs, ouvrage envoyé à Mr Eugène Etienne Député de Tlemcen, vice président de la Chambre des députés 1911.

193 - BENACHENHOU A : La dynastie Al Moravide et son art. SNED, Alger 1974

194- BERBRUGGER A : Tlemcen Pomaria, revue africaine N°02 – Année 1957 1958, Office des Publications Universitaires.

195- BOURUIBA RACHID : l'art religieux musulmans en Algérie SNED Alger 1973.

196- BROSSELDARD CH : Les inscriptions arabes de Tlemcen, Tombeaux des familles El Makkari et El Okbani, Revue Africaine, 5^{ème} Année N°30, Novembre 1861.

197- DHINA Ata Allah : Les états de l'occident musulman aux XIIIème XIVème et XVème siècles Institutions gouvernementales et administratives OPU Alger 1984

198- DHINA Ata Allah : Le royaume Abdel Ouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1^{er} et Abou Tachfine 1^{er}. OPU Alger.

199- KADDACHE Mahfoud : L'Algérie Médiévale, SNED, Alger 1982.

200- MAC GUCKIN Deslane : Histoire de Tlemcen depuis la conquête musulmane jusqu'à l'établissement de la dynastie Abdel ouadite, Tlemcen d'hier et d'aujourd'hui, Bulletin de la Société des amis du vieux Tlemcen, Medersa Tlemcen N°536, 1956.

201- MARCAIS Georges : Les villes d'art célèbres, Tlemcen, Paris Librairie, Renouard H. Laurens, Editeur 1950.

202- MARCAIS William MARCAIS George, Les monuments Arabes de Tlemcen, Paris Ancienne, Librairie Thorin et fils Albert Fontemoing, Editeur 1903.

هـ - الوثائق الإلكترونية:

1- مواقع الإنترنت:

203- www.flshr.ac.ma

204- www.Diwanalarab.com/spip.php

205- www.fondation.org.ma

206- www.ksu.edu.sa

207- www.makhtota.ksu.edu.sa مخطوطات جامعة الملك سعود

2- الأقرص المضغوطة:

208- مكتبة تاريخ المغرب الإسلامي - 2010

209- Analyse urbaine du Noyau historique de Tlemcen

210- Thèses marocaines : الرسائل الجامعية المغربية :

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء - 2009.

فهرس الموضوعات

.....السنة الجامعية : 1430-1431هـ/2009-2010م	1
.....مقدمة	7
.....مدخل	1
.....تلمسان وبيوتات العلماء قبل القرن 7 هـ/13م	1
.....المبحث الأول: تاريخ مدينة تلمسان وأهميتها	3
.....1- تاريخ مدينة تلمسان:	3
.....أ- أجادير أو أقادير أو أكادير أو أغادير:	4
.....ب- بوماريا:	4
.....ج- "تاجرات" أو "تاكراوت":	6
.....د- تلمسان:	6
.....2- أهمية مدينة تلمسان	10
.....المبحث الثاني: بيوتات العلماء قبل القرن 7 هـ/13م	13
.....1- بيت ابن مرزوق:	14
.....2- بيت المقرئ:	15
.....3- بيت بن هدية:	15
.....4- بيت ابن صاحب الصلاة:	15
.....1.4. القاضي الأمير أبو عمرو عثمان بن صاحب الصلاة الخرجي:	16
.....2.4- أبو العباس أحمد بن منصور بن صاحب الصلاة الخرجي:	17
.....5- بيت ابن الخياط:	17
.....1.5- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخياط:	17
.....2.5- أبو عثمان بن الخياط:	17
.....3.5- أبو العباس بن الخياط:	18
.....الباب الأول	19
.....تاريخ بيوتات العلماء بتلمسان	19
.....- الظروف العامة والنشأة والتطور -	19
.....الفصل الأول	20
.....الظروف العامة وأثرها على بيوتات العلماء	20
.....من القرن 7 هـ/13م إلى القرن 10 هـ/16م	20
.....المبحث الأول: قيام الدولة العبد الوادية وغزوات بني مرين:	23
.....1- يغمراسن بن زيان وتأسيس الدولة العبد الوادية (633هـ-1236م)	23
.....2- منجزات يغمراسن ووفاته:	27
.....3- صمود تلمسان أمام غزوات بني مرين والحصار الطويل	29
.....المبحث الثاني: استعادة نمو الدولة ثم اضطرابها:	31
.....1- مع أبي حمو موسى الأول	31
.....2- الحكم المريني بالمغرب الأوسط	32
.....3- عودة حكم بني عبد الواد إلى تلمسان	34

4- الحكم المريني ثانية بتلمسان	35
المبحث الثالث: انبعاث الدولة الزيانية	36
1- أبو حمو موسى الثاني وجهوده	36
2- النزاع بين أبناء بني زيان وعودة بني مرين إلى تلمسان	39
3- تلمسان تحت نفوذ الحفصيين	42
المبحث الرابع: خطر النصارى وسقوط الدولة الزيانية	47
1- ثبات أبي عبد الله محمد الثابتي	47
2- ضعف أبي عبد الله محمد بن الثابتي	48
3- هوان أبي حمو الثالث ونجدة الأخوان عروج وخير الدين	49
4- تلمسان بين الولاء للإسبان والإرتباط بآل عثمان	52
5- آخر سلاطين تلمسان وسقوط دولة بني زيان	54
الفصل الثاني	56
البيوتات الكبرى	56
المبحث الأول: بيت المقرى	57
أ- التعريف ببيت المقرى ونسبه:	57
1- التعريف ببيت المقرى:	57
2- بيت المقرى والنسب القرشي	60
3- بيت المقرى من مقرة إلى تلمسان	63
ب- علماء بيت المقرى	64
1- العالم المجتهد محمد المقرى	65
2- العالم النحوي أحمد المقرى	69
3- مفتي تلمسان سعيد المقرى	70
المبحث الثاني: بيت العقباني	73
أ- التعريف ببيت العقباني ونسبه:	73
1- التعريف ببيت العقباني:	73
2- نسب بيت العقباني:	74
3- بيت العقباني من الأندلس إلى تلمسان	76
ب- علماء بيت العقباني:	77
1- القاضي المجتهد سعيد العقباني:	77
2- العالم المدرس قاسم العقباني:	80
3- الفقيه أحمد العقباني:	82
4- قاضي الجماعة إبراهيم العقباني:	83
5- القاضي المدرس محمد العقباني:	84
6- عبد الواحد بن أحمد العقباني:	86
7- محمد بن أبي يحيى العقباني:	86

8- أحمد بن محمد العقباني:	87
المبحث الثالث: بيت المرازقة:	88
أ- التعريف ببيت ابن مرزوق ونسبه:	88
1- التعريف ببيت المرازقة:	88
2- بيت المرازقة والنسب العجيسي	89
3- بيت المرازقة من القيروان إلى تلمسان	90
ب- علماء بيت المرازقة	92
1- بركة بيت المرازقة محمد بن مرزوق	92
2- أبو عبد الله محمد بن مرزوق	95
3- أبو العباس أحمد بن مرزوق	96
4- فخر المغرب على المشرق ابن مرزوق الخطيب	97
5- جامع المنقول والمعقول ابن مرزوق الحفيد	102
6- الفقيه ابن مرزوق الكفيف	106
7- حفيد الحفيد أحمد بن مرزوق	109
8- الخطيب السبط محمد بن مرزوق:	110
الفصل الثالث	112
البيوتات الصغرى	112
المبحث الأول: بيت الشريف	113
أ- التعريف ببيت الشريف ونسبه	113
1- التعريف ببيت الشريف	113
2- بيت الشريف والنسب الحسنى العلوي	114
3- استقرار بيت الشريف بتلمسان	116
ب- علماء بيت الشريف	118
1- شريف العلماء أبو عبد الله محمد الشريف	118
2- شهيد العلماء عبد الله الشريف	122
3- عالم الشرفاء عبد الرحمن الشريف	123
المبحث الثاني: بيت أولاد الإمام	126
أ- التعريف ببيت أولاد الإمام ونسبه	126
1- بيت أولاد الإمام... لماذا هذا الاسم؟	126
2- بيت أولاد الإمام ونسبه	127
3- أولاد الإمام من برشك إلى تلمسان	128
ب- علماء بيت أولاد الإمام	128
1- إمام المدرسين عبد الرحمن بن الإمام	129
2- الإمام المدرس عيسى ابن الإمام	132
3- العالم إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام	134

4-العالم محمد بن إبراهيم بن الإمام	134
5- الشيخ الصالح أبو محمد عبد الحق بن أبي موسى.	135
المبحث الثالث: بيت ابن زاغو	136
أ- التعريف ببيت ابن زاغو ونسبه	136
1- التعريف ببيت ابن زاغو	136
2- نسب ابن زاغو والبيت المغراوي	137
3 - ابن زاغو بيت عريق بتلمسان	137
ب- علماء بيت ابن زاغو	138
1- الفقيه عبد الرحمن بن زاغ	138
2- الولي الصالح علي بن زاغو	139
3- العالم الفقيه أحمد بن زاغو	139
4- العالم محمد بن أحمد بن زاغو	140
المبحث الرابع: بيت بن هدية	142
أ- التعريف ببيت بن هدية ونسبه	142
1- التعريف ببيت بن هدية	142
بيت بن هدية والنسب القرشي-2	142
3- البيت العريق بتلمسان: بن هدية	143
ب- علماء بيت بن هدية	144
1- الكاتب القاضي محمد بن هدية	144
2- الفقيه القاضي منصور بن هدية	145
3- الحافظ علي بن هدية	146
المبحث الخامس: بيت ابن عبد النور	147
أ- التعريف ببيت ابن عبد النور ونسبه	147
1- التعريف ببيت ابن عبد النور	147
2- بيت ابن عبد النور والنسب الصنهاجي	147
3- بيت ابن عبد النور من ندرومة إلى بتلمسان	148
ب- علماء بيت ابن عبد النور	149
1- الفقيه القاضي محمد بن عبد النور	149
2- القاضي علي بن عبد النور	150
3- العالم محمد بن علي بن عبد النور	151
ألقاب وبيوتات أخرى:	152
الباب الثاني	157
دور علماء البيوتات في الحياة العامة بتلمسان	157
الفصل الأول	158
دور العلماء في الوظائف العامة	158

.....المبحث الأول: دور العلماء في التعليم	159
.....أ- من نشأة الدولة الزيانية إلى منتصف القرن 8هـ/14م	159
.....1- ابنا الإمام عبد الرحمن وعيسى والمدرسة الأولى بالمغرب الأوسط	160
.....2- مدرس تلمسان وغرناطة أبو عبد الله المقرئ	161
.....3- نموذج المربين والمدرسين أبو عبد الله الشريف:	164
.....4- مدرس المغرب الإسلامي ابن مرزوق الخطيب	168
.....ب- دور العلماء في التعليم من منتصف القرن 8هـ/14م إلى منتصف القرن 9هـ/15م	172
.....1- أستاذ المدرسة اليعقوبية عبد الله الشريف:	173
.....2- الطريقة الحوارية وسعيد العقباني	174
.....3- سليل المدرسين عبد الرحمن الشريف	177
.....4- خبير المعلمين ابن مرزوق الحفيد	178
.....5- التوزيع السنوي عند أحمد بن زاغو	181
.....ج- دور العلماء في منتصف القرن 9هـ/15م إلى سقوط الدولة الزيانية	183
.....1- المدرس المجتهد قاسم العقباني	183
.....2- العارف بالنوازل محمد العقباني	184
.....3- العالم المدرس إبراهيم العقباني	186
.....4- الفقيه المدرس ابن مرزوق الكفيف	186
.....5- آخر المرازقة بن مرزوق السبط	187
.....6- المتقن في التعليم سعيد المقرئ	189
.....المبحث الثاني: دور العلماء في الإمامة الخطابة والفتوى:	191
.....أ- من نشأة الدولة الزيانية إلى منتصف القرن 8 هـ / 14 م	192
.....1- بركة المرازقة والسلطان يغمراسن	192
.....2- إمام جامع أجادير محمد بن هدية	193
.....3- خطيب مسجد العباد محمد بن مرزوق	193
.....ب- من منتصف القرن 8 هـ/14م إلى منتصف القرن 9هـ/15م	194
.....1- خطيب جامع أجادير منصور بن هدية	194
.....2- خطيب الخطباء ابن مرزوق الخطيب	194
.....3- منهج الفتوى عند سعيد العقباني	196
.....4- عميد المفتين ابن مرزوق الحفيد	198
.....ج- من منتصف القرن 9 هـ / 15 م إلى سقوط الدولة الزيانية	199
.....1- المفتي المجتهد قاسم العقباني	199
.....2- مفتي النوازل محمد العقباني	200
.....3- الإمام البارح إبراهيم العقباني	200
.....4- كبير المفتين سعيد المقرئ	201

.....المبحث الثالث: دور العلماء في القضاء	202
.....أ- من نشأة الدولة الزيانية إلى منتصف القرن 8 هـ / 14 م .	202
.....1- القاضي محمد بن هدية وقوته في الحق:	203
.....2- قاضي العسكر محمد بن عبد النور	204
.....3- استقلالية القضاء وأبو عبد الله المقرئ	204
.....ب- من منتصف القرن 8هـ / 14 م إلى منتصف القرن 9 هـ / 15 م	207
.....1- القاضي المنصف عبد الرحمن بن زاغ	207
.....2- القاضي العادل علي بن عبد النور	208
.....3- منصور بن هدية وخلافته لأبيه	208
.....4- قاضي المالكية ابن مرزوق الخطيب	209
.....5- عميد القضاة سعيد العقباني	210
.....ج- من منتصف القرن 9هـ/15م إلى سقوط الدولة الزيانية	211
.....1- أصغر القضاة قاسم العقباني	211
.....2- القاضي محمد العقباني	212
.....3- القاضي القدير إبراهيم العقباني	213
.....الفصل الثاني	214
.....دور العلماء في الحركة العلمية	214
.....المبحث الأول: دور العلماء في التأليف	215
.....أ- مؤلفات علماء البيوتات من نشأة الدولة الزيانية إلى منتصف القرن 8هـ/14م:	216
.....1- تاريخ تلمسان ومحمد بن منصور بن هدية	216
.....2- الفقه المقارن وأبو عبد الله المقرئ	218
.....3- أصول الفقه عند أبي عبد الله الشريف	221
.....ب- مؤلفات علماء البيوتات من منتصف القرن 8هـ/14م إلى منتصف القرن 9هـ/15م:	223
.....1- المؤرخ والمحدث ابن مرزوق الخطيب:	224
.....2- شارح المنقول والمعقول سعيد العقباني:	229
.....3- كبير الشراح ابن مرزوق الحفيد:	233
.....ج- من منتصف 9هـ/15م إلى سقوط الدولة الزيانية:	240
.....1- استمرار الشروح مع أحمد بن زاغو:	240
.....2- محمد ابن أحمد بن قاسم العقباني وكتاب الحسبة:	241
.....المبحث الثاني: في المناظرات العلمية	245
.....1- المناظرات المحلية:	246
.....1.1- مناظرة عبد الرحمن بن الإمام وعمران المشدالي	246
.....2.1- ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني بين السلفية والصوفية:	247
.....2- المناظرة مع المغرب الأقصى:	248
.....1.2- مناظرة سعيد العقباني مع ابن القباب وموضوع مسائل الإيلاء	248

2.2- مناظرة سعيد العقباني مع ابن القباب وموضوع صندوق التعاون لدفع الضرائب:	249
3- المناظرة مع المشرق الإسلامي	253
مناظرة ابني الإمام لابن تيمية:	253
4- المناظرة مع غير المسلمين:	255
الفصل الثالث	256
دور علماء البيوتات	256
سياسيا واجتماعيا واقتصاديا	256
المبحث الأول: الدور السياسي لعلماء البيوتات	257
1- محمد بن هدية كاتباً ومستشاراً	257
1.1- كاتباً للسلطان:	257
2.1- مستشاراً للسلطان	258
2- ابنا الإمام والاستشارة:	259
3- أبو عبد الله المقري وسفارته بالأندلس:	260
4- ابن مرزوق الخطيب سفيراً ومصالحاً بين الزياتيين والمرينيين	261
5- بيت العقباني مصالحاً بين الزياتيين والحفصيين:	262
1.5- قاسم العقباني واستقبال السلطان الحفصي أبي فارس:	263
2.5- محمد العقباني موفداً عن السلطان المتوكل على الله الزياتي:	263
3.5- محمد العقباني سفير تلمسان بتونس:	264
4.5- محمد العقباني مفاوضاً لسلطان تونس:	264
المبحث الثاني: الدور الاجتماعي لعلماء البيوتات	266
1- ابن مرزوق الجد شافعا عند السلطان:	266
2- بيت ابن مرزوق وخدمة ضريح الشيخ أبي مدين:	267
1.2- الشيخ أبو عبد الله بن مرزوق (ت 681هـ/1282) وخدمة ضريح الشيخ أبي مدين:	268
2.2- أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق (ت بعد 747هـ/1346م) وخدمة ضريح الشيخ أبي مدين	268
3.2- أحمد بن محمد بن مرزوق (ت 741هـ/1341م) وخدمة ضريح الشيخ أبي مدين	269
3- أبو عبد الله بن مرزوق وبناء مسجد العباد:	270
المبحث الثالث: الدور الاقتصادي لعلماء البيوتات	272
1- بيت المقري والشركة التجارية:	272
2- ابن مرزوق وحرفة المصحفي:	275
3- ابن مرزوق والنشاط التجاري مع مكب الحجاج:	276
الخاتمة	280
الملاحق	287
أ- الخرائط	288
ب- شجرات الأنساب	292
1- شجرة نسب بيت المقريين	292
2- شجرة نسب بيت العقبانيين	293

3- شجرة نسب بيت المرزقة.....	294
4- شجرة نسب بيت الشريف.....	295
5- شجرة نسب بيت أولاد الإمام.....	296
6- شجرة نسب بيت ابن زاغو.....	297
7- شجرة نسب بيت بن هدية.....	298
8- شجرة نسب بيت ابن عبد النور.....	299
ج- نسخ لبعض أوراق المخطوطات.....	300
د- صور المعالم.....	314
المصادر والمراجع.....	324
فهرس الموضوعات.....	343

تبحث هذه الدراسة في ظاهرة بيوتات العلماء بتلمسان على عهد بني زيان من ق7ه/13م إلى ق10ه/16م وهي: بيت المقرّي، بيت العقباني، بيت المرزقة، بيت الشريف، بيت أولاد الإمام، بيت بن هدية، بيت بن زاغو، وبيت ابن عبد النور، حيث عالجت الظروف العامة لنشأتها وتطورها ثم تتبعت بروز علمائها الأجلاء، الذين كان لهم الإسهام الحضاري في التعليم والإمامة والقضاء والحركة العلمية والمشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بفضل رسوخ علمهم وعمق فهمهم وصلاح سيرتهم. وهدفنا من خلال هذه الدراسة هو رد الاعتبار لهم والاستفادة منهم والافتداء بهم.

الكلمات المفتاحية: بيوتات - علماء - أعلام - الحركة العلمية - حضارة تلمسان

Résumé :

Cette étude se propose de mettre la lumière sur le phénomène des familles de savants à Tlemcen à l'époque des Zianides entre le 7ème et le 10ème siècle de l'hégire (10ème Siècle - 16ème Siècle) dont celles des Makaris, des Okbanis, des Marazikas, des Cherifs, des Ouleds imam, des Benhdias, des Benzaghous, des Ibn Abdenour.

Nous nous sommes attelés sur les conditions générales de leur naissance et de leur évolution, ensuite nous avons suivi l'émergence de ses glorieux savants qui ont eu une contribution civilisationnelle dans l'éducation, l'imama, la magistrature, le mouvement scientifique et la participation dans la vie politique, sociale et économique grâce à leur grand savoir, leur profonde compréhension et leur bonne conduite.

Le but derrière cette étude est de réhabiliter ces personnages, de les mettre à notre profit et qu'ils soient des modèles à suivre.

Mots clés :

- Familles - Savants - Personnalité - Mouvement scientifique - civilisation de Tlemcen.

Abstract

This study suggests putting the light on the phenomenon of scholars' families in Tlemcen at the time of Zianides between the 7th and the 10th century of the Hegira (10th century-16th century) among which those of the Makaris, Okbanis, Marazikas, Cherifs, Ouleds imam, Benhdias, Benzaghous, Ibn Abdenour.

We got down on the general conditions of their birth and their evolution, then we followed the emergence of their glorious learned which had a civilisationnelle contribution in the education, the imama, the judiciary, the scientific movement and the participation in the political, social and economic life thanks to their big knowledge, their profound understanding and their manners.

The purpose behind this study is to rehabilitate these personalities, to put them in our profit and what they are models to follow.

Key words:

- Families - Scholars - Personality - scientific Movement - civilization of Tlemcen.

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة - أبوبكر بلقايد - تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ و علم الآثار

مخلص أطروحة الدكتوراه في التاريخ الوسيط

بيوتات العلماء

بتلمسان

من القرن 7هـ / -13م إلى القرن
10هـ / -16م

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد بن معمر

للطالب :

نصر الدين بن داود

السنة الجامعية : 1430-1431 هـ / 2009-2010م

شهدت تلمسان الزيانية في الفترة الممتدة من 633هـ / 1253م إلى 962هـ 1554م ازدهار وتطور حضاري. و من المميزات الحضارية التي برزت بها بيوتات العلماء ،و هي البيوتات التي أنجبت ثلّة من العلماء الذين كان لهم الإسهام الحضاري كبيت المقرّي ،و بيت العقباني ، وبيت المرارقة ،و بيت الشريف ،و بيت أولاد الإمام ،و بيت ابن زغو ،و بيت بن هدية و بيت ابن عبد النور .ومن هنا جاءت فكرة الدراسة و البحث في هذه الميزة الحضارية .

أسباب اختيار الموضوع :

لم يعد تاريخ المغرب الإسلامي بحاجة إلى الدراسات ذات الطابع العام في المجال السياسي أو الحضاري بقدر ما هو في حاجة إلى فتح مجالات جديدة تسهم في إمطة اللثام عن بعض الجوانب التي يكتنفها الغموض، و من ذلك خاصة بيوتات العلماء و دورهم في الإسهام الحضاري سواء في الوظائف العامة والحركة العلمية أو بالمشاركة بأدوار سياسية و اجتماعية و اقتصادية بتلمسان على عهد بني زيّان من القرن 7 هـ 13 م إلى القرن 10 هـ 16 م , خاصة وأن موضوع الماجستير كان يتعلق بأسرة المرارقة والدور الثقافي لعلمائها ،ومن هنا جاءت فكرة توسيع البحث نحو الأسر الأخرى و دورهم في الحياة العامة مما يجعل للموضوع أهمية فما أهمية الموضوع ؟

أهمية الموضوع :

إن الدراسات و الأبحاث التي انصبّت على حركية المسار التاريخي لتلمسان على عهد بني زيّان من القرن 7 هـ 13 م إلى القرن 10 هـ 16 م قد عالجت التاريخ السياسي العام والتاريخ الحضاري العام ، سواء في الحياة الاجتماعية أو الحياة الاقتصادية أو الحياة الثقافية و العلمية والفكرية ومن هنا كان التطرق إلى علماء تلمسان كأفراد. و المتتبع لتاريخ العلماء يجد الكثير منهم ينتمون إلى بيت واحد فتجلت أهمية البيت بصفة عامة من خلال علمائه و إسهاماتهم الحضارية و التعمق في دراسة أدوارهم، خاصة وأن بعض العلماء لم تتصفهم الدراسات و لم تف بحقهم من البحث والدراسة ، فكانت جاذبية التقيب عنهم قصد إعادة الاعتبار العلمي لمنزلتهم التي لا تقل شأنًا عن علماء المشرق بل تراحمهم و تنافسهم في الريادة والسبق العلمي

إشكالية الموضوع:

من مميزات مجتمع تلمسان على عهد بني زيّان بروز علماء ينتسبون إلى بيوتات معينة،كانت لهم مشاركة فعالة في الإسهام الحضاري ومن هنا يمكن طرح الإشكالية العامة: هل بيوتات العلماء كانت من النتاج الحضاري لتلمسان ؟ أم أن بيوتات العلماء هي التي كانت وراء الإنتاج الحضاري لتلمسان خلال الفترة الممتدة من القرن 7هـ 10م إلى القرن 10هـ 16م؟ والتساؤلات المنقرعة عن هذه الإشكالية :
ما هي هذه البيوتات التي أنجبت العديد من العلماء ؟

ما تاريخ ونسب هذه البيوتات و كيف استقرت بتلمسان ؟
من هم العلماء الذين برزوا في هذه البيوتات؟
ما هي الأدوار الوظيفية لعلماء البيوتات ؟
و ما إسهاماتهم في الحركة العلمية ؟
ثم ما هي مشاركتهم السياسية و الاجتماعية والاقتصادية؟
هذه التساؤلات سنتشكل محاور هذه الدراسة .

منهج البحث :

من مقتضيات البحث التاريخي العلمي الدقة في البحث والابتعاد عن التعميم وسرد الأحداث بالتمجيد والتعظيم. ومنطلق البحث في هذا الموضوع هو مقارنة تاريخية وفق أدوات المؤرخ في القرعة والتحليل والتحري حتى يمكن التعرف على المستوى السطحي ثم الغوص في المستوى الباطني للأحداث وصولا إلى إدراك بنيوية الوقائع التاريخية بكل أبعادها . وبهذا نكون قد تجاوزنا المشهد الحدتي إلى محاولة الكشف عن البنيات الداخلية .

وقد روعيت النظرة الشمولية المتكاملة عند تناول الظواهر والأحداث التاريخية ما أمكن من خلال رصد جزئيات الحدث التاريخي، ومكوناته، حسب ما توفر من المادة التاريخية الموثقة والمتفرقة في مختلف أنواع المصادر التاريخية .وعندما تغيب المادة التاريخية يكون الميل نحو الاستقراء والاستنباط مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي و المنهج المقارن، ثم تركيب هذه الجزئيات لنقف على معنى تاريخي متماسك وتفسير مقنع في استنتاجات عامة.

مصادر ومراجع البحث:

إن موضوعا كهذا لا يتوفر على مصادر ومراجع خاصة ولكن مادته العلمية موزعة في مصادر ومراجع يمكن ترتيبها على النحو التالي:

1/ كتب التراجم والمناقب :

* المناقب المرزوقية لابن مرزوق الخطيب (ت781هـ/1379م) وقد قامت الأستاذة سلوى الزهري بدراسته وتحقيقه ،و موضوعه نسب أسرته وسيرة أجداده وأعمامه وسيرته الذاتية إلى غاية سنة 1362هـ/1362م .

* الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون إبراهيم بن علي (ت799هـ/1397م) وقد كان له السبق في كتب التراجم إذ ترجم ل625 عالم من القرن 3هـ/9م إلى القرن 8هـ/14م فكانت الاستفادة منه جيدة.

* **توشيح الديباج وحلية الابتهاج** لمحمد بن يحيى القرني (ت 1008هـ / 1599م) وقد جاء هذا الكتاب كذيل للديباج المذهب فهو مشارك لابن فرحون في الجوانب الثقافية و الفكرية في ثنايا التراجم مع إضافة ما أمكنه إلى غاية عصر المؤلف.

* **درة الحجال في غرة أسماء الرجال** لأحمد بن القاضي المكناسي (ت 1025 هـ / 1616م) وقد ترجم لرجال من الأعيان من القرن 7 هـ 13م إلى أوائل القرن 11هـ 17م وميزته أن لم يقتصر على العلماء والأدباء بل كل من له شهرة وهو أحد ذيول كتاب ابن خلكان وفيات الأعيان.

* **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** لأحمد بابا التتبيكتي (ت 1036هـ / 1627م) ولقد كان الاعتماد كثيرا على هذا المصدر خاصة وأنه موسوعة ترجم لـ 802 شخصية من مشاهير العلماء والفقهاء والأعيان.

* **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** لأحمد بابا التتبيكتي. (ت 1036هـ / 1627م) وهو اختصار لنيل الابتهاج اقتصر فيه على مشاهير الأئمة، وأولى التصانيف دون غيرهم وجاء عددهم بـ : 697 ترجمة.

* **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** لمحمد بن مريم (ت بعد 1025هـ / 1616م) ترجم لـ 182 عالما ووليا بتلمسان كان الاعتماد عليه خاصة وأنه أخذ عن التتبيكتي ويحيى بن خلدون والسنوسي، وقد راد عن التتبيكتي علماء وأولياء آخرين بتلمسان وانفرد بترجمتهم وبالتالي استدرك نقصا كان مقضيا لولاه.

ومن الكتب التي أفادتنى أيضا :

* **كتاب الوفيات** لابن قنفذ القسنطيني (ت 809هـ / 1406م) إذ أورد في كتابه تراجم مقتضبة ، لكنه كان ضابطا لتاريخ الوفيات فكانت بحق سجلا للوفيات بداية من سنة 11هـ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سنة (807هـ / 1404م) وقد نقل عنه التتبيكتي و ابن مريم .ولابن قنفذ كتاب آخر بعنوان **أنس الفقير وعز الحقيير** تعرض فيه لشيوخ التصوف خاصة في خدمة بعض العلماء لضريح الشيخ أبي مدين شعيب رحمه الله .

كما أنه هناك كتبا أخرى منها : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** لمحمد السخاوي

(ت 902هـ / 1499) و **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لابن عماد الحنبلي

(ت 1089هـ / 1680) دون أن ننسى الاستفادة من المصادر المتأخرة ومنها كـ:

* **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** لمحمد مخلوف الذي انتهى من تأليفه سنة 1350هـ / 1930م

* **تعريف الخلف برجال السلف** لأبي القاسم محمد الحفناوي (ت 1365هـ / 1942م) وهي سيرة ذاتية لمشاهير أقطاب العلم بالجزائر من القرن 4هـ / 10م إلى بداية القرن 14هـ / 20م وقد ترجم لـ 402 عالم ، دون أن أنسى الاستفادة من **معجم أعلام الجزائر** لعادل نويهض وقد جاء بتراجم مختصرة من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر حيث جمع 741 ترجمة.ولا أسهو عن كشف الظنون عن أسامي الكتب

و الفنون لحاجي خليفة و هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون للبغدادي والأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين لرضا كحالة.

2/ البرامج و الفهارس:

* برنامج المجاري لأبي عبد الله محمد الأندلسي المجاري (ت 862هـ 1458م) وقد تعرض فيه لشيوخته حسب الحواضر ومنهم شيوخته بتلمسان حيث ترجم لخمسة أعلام من علماء تلمسان خلال القرن 9هـ/15م

* فهرست الرصاع لأبي عبد الله محمد الأنصاري (ت 894هـ/1489م) وقيمتها العلمية لا تكمن في الحركة العلمية بتونس فحسب وإنما تطرق كذلك لهذه الحركة بالحواضر الأخرى من بلاد المغرب ومنها تلمسان حيث تعرض لشيوخته بها نحو سبعة أعلام من كبار العلماء إضافة إلى حركة الحواضر الأخرى.

* فهرس ابن غازي لابن غازي أبي عبد الله محمد (ت 919هـ/1513م) تحت عنوان التعلل برسم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد، تعرض فيه لشيوخته كابن مرزوق الكفيف (ت 901هـ/1496م) وعلماء آخرين تعرض لهم بإشارات خفيفة.

* دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد الشفشاووني (ت 986هـ/1578م) قدم فيه صورة واضحة لأعلام المغرب وشيوخ التصوف في القرن 10هـ/16م وعلى وجه الخصوص شمال المغرب الأقصى.

3/ كتب الرحالة والجغرافيين

* التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ 1406م)

* رحلة القلصادي لأبي الحسن علي القلصادي (ت 891هـ/1486م) ويسمى بتمهيد الطالب ومنتهى الاربغ إلى أعلى المنازل والمناقب

* وصف إفريقيا للحسن الوزن المعروف بليون الإفريقي (ت بعد 957هـ/1550م) وهو القسم الثالث من كتاب الجغرافيا العامة ألفه سنة 933هـ/1526م.

زدعلى هذه المصادر الجغرافية كانت الاستعانة بنزهة المشتاق للإدريسي (ت 560هـ/1166م) و رحلة ابن جبير (ت 614هـ/1217م) ورحلة ابن بطوطة (ت 776هـ/1373م).

رحلة المقرّي إلى المغرب والمشرق لأبي العباس أحمد المقرّي (ت 1041هـ/1631م) تحقيق الأستاذ الدكتور محمد بن معمر و هو من المؤلفات الأخيرة للمقرّي يعكس فيها حالة الحركة العلمية التي آلت إليها بلاد المغرب والمشرق.

4/ كتب النوازل :

*الدرر المكنونة في نوازل مازونة ليحيى المازوني (ت1478/883) والمحقة من قبل
الأستاذ حساني مختار .
*المعيار

المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأحمد الونشريسي ت
(1508/914هـ)

*النوازل التواتية وهي تضم فتاوى لعلماء توات وتلمسان وهو موجد بخزانة بكرابي بتمنيط بأدرار ومنها
فتاوى لمحمد العقباني وهي تدل على انتشارها في أقصى جنوب المغرب الأوسط
5/ كتب التاريخ العام :

الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (ت776هـ/1374م) ثم نفع الطيب من غصن
الأندلس الرطيب لأحمد المقرئ (ت1041هـ/1631م)
المصادر الثلاثة لتاريخ بني زيان وهي :

*كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م) .
*بغية الرواد وفي ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون (ت780هـ -1378م) الجزء الأول و
الجزء الثاني الذي نشره ألفرد بل Alfred bel و المطبوع بمطبعة فونطانة بالجزائر 1910
*تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الأثر والعقيان في بيان شرف
بني زيان لمحمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ 1494م)
6/الدراسات والأبحاث الحديثة :

منها كتابات الأستاذ حاجيات ، التاريخ السياسي لدولة بني زيان من كتاب الجزائر في التاريخ في العهد
الإسلامي ، و كتاب أبي حمو موسى الزياني الثاني حياته وآثاره والحياة الفكرية بتلمسان على عهد بني
زيان .

كتاب تاريخ الجزائر العام عبد الرحمان الجيلالي الجزء الثاني . تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز
فيلالي و قد تتبع التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتلمسان الزيانية ثم تعرض للحركة العلمية
والفكرية الدووية التي شهدتها تلمسان في هذا العهد.

أطروحة الأستاذ لخضر عبدلي لنيل دكتوراه دولة : الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني
زيان. و أطروحة الأستاذ بودواية مبخوت لنيل دكتوراه دولة: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب
الأوسط و السودان الغربي خلال عهد بني زيان بالإضافة إلى أبحاث و دراسات أساتذة الجيل الجديد
من المدرسة التاريخية الجزائرية حول تلمسان الزيانية .

خطة البحث:

مدخل:

تاريخ مدينة تلمسان و بعدها الاستراتيجي ، ثم ظاهرة بيوتات العلماء قبل القرن 7هـ /13م.

الباب الأول: حول الظروف العامة وتاريخ البيوتات من القرن 7هـ / 13 م إلى القرن 10هـ / 16 م وقد صنفتها إلى بيوتات كبرى و أخرى صغرى ومعيار الكبرى هو إيجابها لأكثر من ثلاثة علماء اشتهروا وبرزوا في أدوار مختلفة وخلفوا مصنفات وقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ويتناول الظروف العامة في نشأة وتطور الدولة الزيانية إلى سقوطها (633هـ-1253م-962هـ-1554م)

الفصل الثاني: تتبعت فيه تاريخ البيوتات الكبرى ،من بيت المقرى وبيت العقباني وبيت بني مرزوق من حيث التعريف بهم و نسبهم ثم استقرارهم بتلمسان وسيرة علمائها. **الفصل الثالث :** يتناول البيوتات الصغرى من حيث التعريف بها و نسبها ثم استقرارها بتلمسان و أبرز علمائها وهي بيت الشريف، وبيت أولاد الإمام ،وبيت ابن زغو و بيت ابن هدية و بيت ابن عبد النور.

الباب الثاني :

ويتناول دور علماء البيوتات في الحياة العامة من الدور الوظيفي في التعليم والإمامة والقضاء إلى دورهم في الحركة العلمية ثم مشاركتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية .وهو مقسم بدوره إلى ثلاثة فصول تناولت :

الفصل الاول: دور العلماء في الوظائف العامة : التعليم والإمامة والخطابة والفتوى والقضاء

الفصل الثاني: دورهم في الحركة العلمية تأليفا ومشاركة في المناظرات العلمية

الفصل الثالث : دورهم في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

وبعد البحث و الدراسة لهذا الموضوع وفق الخطة المرسومة كان التقريب في الواقع الاجتماعي والثقافي في ميزة بيوتات العلماء،التي كانت بدايتها الأولى على العهد المرابطي ثم الموحي لتنتعش وتزدهر على العهد الزياني ومنها البيوتات الكبرى التي أنجبت وإشتهرت بأكثر من ثلاثة علماء كبيت المقرى وبيت العقباني وبيت المرازقة ، و البيوتات الصغرى أنجبت عالمين أو ثلاثة مثل بيت الشريف وبيت ابني الإمام وبيت ابن زاغو وبيت بن هدية وبيت ابن عبد النور. و لقد كان لهؤلاء العلماء الإسهام الكبير على مستوى الدور الوظيفي في التعليم والإمامة والخطبة والفتوى والقضاء وإثراؤهم للحركة العلمية بمصنفاتهم و مناظراتهم، ومشاركتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية. والاستنتاجات المستخلصة من هذه الدراسة :

1- الدور البارز لعلماء البيوتات كان على وجه الخصوص في التعليم لأكثر من 16 أستاذا ، إذ الفضل الكبير يرجع إليهم في تكوين العلماء، فأرسوا القاعدة الأساسية لبناء الإنسان وصناعة الرجال، بداية من منتصف القرن 7هـ/13م لتتطور وتزدهر مع القرن 8هـ و9هـ /14م و15م لتتراجع مع نهاية القرن 9هـ/15م وبداية القرن 10هـ/16م من خلال قلة الترجمة لتلاميذ الشيوخ.

ولقد كانت هذه الدراسة محاولة لرد الاعتبار والإنصاف لهؤلاء العلماء، فالكثير من العلماء يعرفون بشهرتهم ودورهم وإنتاجهم العلمي كأبي إسحاق الشاطبي (ت790هـ/1388م) الذي يعرف بمنزلته

ومصنفاته وخاصة كتاب الموافقات لكن يجهل فضل أستاذه الأول أبي عبد الله المقرئ (ت 759هـ/1358م) وكتابه "القواعد" الذي كان له السبق في التأليف في أصول الفقه بالنسبة لدول المغرب ثم أستاذه الثاني أبي عبد الله الشريف (ت 777هـ/1375م) الذي تأثر به كثيرا خصوصا في مجال التععيد والتفريع وكتابه "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" فجاء كتاب الموافقات.

2- كان لأبي عبد الله الشريف الدور البارز والنموذجي في التربية والتكوين وتوجيه الطلبة وفق رغباتهم من خلال قوله المشهور: "من رزق في باب من العلم فليلزمه".

وتكوين الطلبة لم يكن تحت إشراف شيخ واحد فحسب، بل نجد الطالب ينوع في أخذه من كل العلماء والمشايخ فكانت التنشئة بالتعلم والحفظ ثم التعمق في الفهم وتنويع القراءات على الشيوخ حسب تخصصاتهم، فيؤدي كل هذا إلى تنمية المواهب وتفجير الطاقات.

و هذا الفضل لم يكن لطلبة تلمسان فحسب، بل كان لكل من يقبل على تلمسان من حواضر ومدن أخرى وخاصة من فاس، وما يميز طلبة فاس هو حفظ المسائل والنقل على عاداتهم خلافا لطلبة تلمسان الحفظ ثم الفهم والتحليل بالطريقة الحوارية التي كان رائدها سعيد العقباني و الفضل في تأسيسها يعود إلى الأبي شيخ العلوم العقلية .

3- في دور الخطابة يلاحظ تعاقب علماء بني مرزوق على مسجد العباد وعلماء بن هدية على مسجد الجامع الأعظم بأغادير وعلماء آخرين بالجامع الأعظم بتلمسان وفي مجال الفتوى برز علماء تلمسان وسجلوا إسهاماتهم في كتب النوازل بإمتهان بصفة عامة وعلماء البيوتات بصفة خاصة ومثل المرزقة المرتبة الأولى ثم العقبانيين فالمقرئين ، وكانت محاولة قراءة هذه الفتاوى قراءة تاريخية . وتفسير هذا الدور هو العلم والعمل و الصلاح و الثقة .

4- كما ساهم علماء البيوتات في القضاء وبرزوا بحنكتهم ومقدرتهم على إدارة مجالس القضاء وخاصة عائلة العقباني وابن هدية وابن عبد النور، فقد تعاقبوا على القضاء وكان اجتهادهم في حسن الأداء والعدل والإنصاف بنزاهتهم وقوتهم في الحق والحرص على إستقلالية القضاء.

5- في مجال الحركة العلمية كانت مساهمة علماء البيوتات مساهمة فعالة بمشاركتهم بمصنفات عدة في مختلف التخصصات، وخاصة مع ابن مرزوق الحفيد وابن مرزوق الخطيب وأبي عبد الله المقرئ. ولما كان الإنتاج العلمي في مختلف العلوم النقلية والعقلية قد وصل نحو 327 مؤلف فإن مجموع مؤلفات علماء البيوتات قد يصل إلى الثلث، والكثير من هذه المصنفات إبداعي وهذا بفضل مستواهم العلمي والإطلاع على ما كتب ممن سبقوهم ثم التجديد في مواضع شتى حيث كان لهم فيها السبق المعرفي عملا بصرخة الأبي بإصلاح منهج التأليف وإحكام العقل والاجتهاد ومنها في أصول الفقه والفقه المقارن والمنطق والجدل والتصوف والتأريخ للسيرة الذاتية ثم الشروح والمختصرات وهي تدل على الانسياق نحو الاستهلاك الثقافي والركون إلى النقول مع الابتعاد عن التجديد وهذا بداية مع النصف الثاني من القرن 9هـ/15م إلى النصف الأول من القرن 10هـ/16م وهذا بحثا عن السهل بالنقل دون

الدراسة والتحليل حتى ساد الاعتقاد بغلق باب الاجتهاد وعصمة من سبقوهم في الكتابة وكأنها حقائق مطلقة، و ولعوا بشرحها حتى قيل: "نحن خليليون إن ضل ضللنا " فكبل العقل وألزم بتقليد القدامى و أصبح الخروج عنهم نوعا من الخروج عن الملة .وكان الاهتمام منصبا على العلوم العقلية أما الاهتمام بالعلوم العقلية فعد من باب النافلة. وكل هذا كان بتأثير الاضطرابات السياسية والعسكرية والبعض اكتفى بالثقافة الشفوية مع العزوف عن التدوين.

6- مساهمة علماء البيوتات في حركة المناظرات العلمية و التي لا يخوض غمارها إلا الراسخون في العلم ،فمناظرة ابني الإمام لابن تيمية دالة على المستوى الرفيع لعلماء المغرب الذي لا يقل عن مستوى علماء المشرق بغض النظر عن البعد الاجتهادي عند ابن تيمية . و مناظرات ابن مرزوق الحفيد وسعيد العقباني تبرز سرعة استحضار الدليل و قوة المحاججة ،و هذه المناظرات تعكس واقع المجتمع ببعده العلمي و الاجتماعي و هي تهدف إلى معالجة قضايا المجتمع وفق مقاصد الشريعة مع أعمال العقل في تفاصيل المسائل . والمناظرة مع غير المسلمين تعكس حوار الأديان وتعايشها و التسامح الديني عند علماء المسلمين و استماعهم إلى غير المسلمين . والنجاح في هذه المساهمة تحقق بفضل غزارتهم العلمية و اطلاعهم الواسع و قوة الحفيظة مع أصالة العقل و راحة الرأي.

7- مشاركتهم في النشاط السياسي بحكم قربهم من السلاطين الزيانيين والمرينيين فبرعوا في الكتابة الديوانية بفضل بلاغتهم وبصرهم بالوثائق فكانت رسائلهم قوية في المبنى عظيمة في المعنى ونموذج ذلك محمد بن هدية و أبو عبد الله المقري ، كما أخلصوا في استشارتهم ونصحهم للسلاطين كابني الإمام ومحمد بن هدية ووقفوا في سفارتهم مع أبي عبد الله المقري و ابن مرزوق الخطيب.

8- المساهمة الأخرى التي سجلها التاريخ هو محاولة الصلح والتقريب بين الزيانيين والمرينيين مع ابن مرزوق الخطيب ومع بيت العقباني بين الزيانيين والحفصيين ومرد ذلك إلى قوة شخصيتهم وعلمهم وحنكتهم في التحاور والتفاوض لأصالة عقولهم ورجاحة آرائهم فكان التوفيق والنجاح بإزالة الخلاف والنزاع خاصة بين العرش الزياني والعرش الحفصي وهنا يبرز سلطان العلم ومكانة العالم في مجتمعه .

9- منزلتهم الاجتماعية والثقة التي حظوا بها عند عامة الناس مكنّتهم من التدخل لدى السلاطين لرفع المظالم، وإنصاف المظلومين كابن مرزوق الجد ثم إخلاصهم في خدمة ضريح الشيخ أبي مدين شعيب مع بيت المرازقة.

10- اقتصاديا استطاعت شركة المقري أن تتحكم في التبادل التجاري بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي خلال القرن 7هـ 13م ،فكانت شركة دولية وفق المعايير المطلوبة .كما أن الإشراف على موكب الحجاج ا مع بيت المرازقة اتم بحسن التنظيم وحسن التدبير و كان له الفضل في جلب بضائع كانت مطلوبة لبلاد المغرب و بهذا كانت قافلة الحجاج من أهم القوافل التجارية.

11- المؤثرات الخارجية في تفعيل النشاط الحضاري والحركة العلمية هو الدفع الأندلسي بعد هجرة أسر كان لها الأثر الكبير في الرقى الحضاري بتلمسان ومنها أسرة العقباني.

12- إن بروز هؤلاء العلماء وتعمقهم في الفهم والإدراك في مختلف التخصصات العلمية كان بفضل تفرغهم وابتعادهم عن الثروة والمنصب السياسي كما عبر عنها ابن خلدون: "أن القائمين على أمور الدين و الفتيا لا تعظم ثروتهم في الغالب" ، وبالمقابل لو أن بعض العلماء تفرغوا كلية للعلم والبحث والتأليف لكانت لهم أسمى منزلة علمية وكان إنتاجهم العلمي أكثر عدداً وأحسن إبداعاً كابن مرزوق الخطيب وسعيد العقباني ومحمد بن هدية.

13- إن الاستنتاج العام هو أن استقرار الأوضاع السياسية يكون له الأثر البالغ على الإنتاج العلمي والمعرفي والنشاط العام. ومن خلال نشاط وأدوار العلماء نقرأ أن مسار تطورهم يتماشى وتطور الحالة السياسية للدولة الزيانية من القرن 7هـ/13م بالتأسيس والنشأة إلى التطور والازدهار مع القرن 8و9هـ/14و15م إلى الانحدار والسقوط مع القرن 10هـ/16م.

14- الفضل في الرواج الحضاري يعود إلى كثير من السلاطين الزيانيين الذين كانوا يشجعون العلماء ويتفخرون بهم ولم يضعوا لهم عوائق في نشاطهم، ولم يكن التميز بين علماء أهل تلمسان و العلماء الوافدين عليها من مدن وحواضر أخرى.

15- ارتباط علماء تلمسان ببلدهم وتعلقهم بها فالكثير منهم غادروها نحو حواضر أخرى كفاس و غرناطة و لكن سرعان ما عادوا إليها تعلقاً بها و أداء لواجبها .

وصفوة القول: إن بيوتات العلماء لم تكن من النتائج الحضاري وحده، ولم تكن هي وراء الإنتاج الحضاري وحدها وإنما كان التفاعل والتبادل في إطار النسق الحضاري العام فساهموا بفعالية كبيرة في النتائج الحضاري وبالمقابل استفادوا من الإنتاج الحضاري فأعطت وأخذت فكان التكامل بين إفادة النتائج الحضاري والاستفادة من الإنتاج الحضاري.